سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦٠٧)

الشهرة والمشهورون

في الأحاديث والآثار والأخبار
من كتب التراث

د / يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"٤٨٤ – وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ **وَالشَّرَفِ لِدِينِه**». رواه الترمذي، (١) وقال: «حديث حسن صحيح».

______________(١) أخرجه: الترمذي (٢٣٧٦)، والنسائي كما في «تحفة الأشراف» (١١١٣٦).." (١)

"٤٨٥ – وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى –[٣٢٦]– المَالِ **وَالشَّرَفِ لِدِينِه**». رواه الترمذي، وقال: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ).فيه: الحذر من الحرص على المال والشرف، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، ورزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم: «يَا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها».." (٢)

"وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وإليه دعا الرسول ، وعليه جاهد ؛ وبه أمر ، وفيه رغب ؛ وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه . والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء في الحديث . ﴿ وهو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ﴾ وفي حديث آخر ﴿ قال أبو بكر : يا رسول الله . كيف ننجو منه ، وهو أخفى من دبيب النمل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجله ؟ قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ﴾ . وكان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا . وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له ، وإخلاص دينها له . كما قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة ، وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** ﴾ قال الترمذي." (٣)

" صفحة رقم ٢٥٨ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسدلها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** ". هذا حديث حسن٤٠٥٥ – أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أنا أبو بكر أحمدابن الحسن الحيري ، أنا حاجب بن أحمد الطوسي ، نا عبد الرحيم بنمنيب ، نا النضر بن شميل ، أنا شعبة ، عن قتادة ، عن مطرفابن عبد الله بن الشخيرعن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهويقرأ هذه الآية :) ألهاكم

---

(١) رياض الصالحين ت الفحل، النووي ص/١٦٨

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٣٢٥

(٣) إقامة الدليل على إبطال التحليل، ٤/٣٧٧

التكاثر (قال : " يقول ابن آدم :ما لي ما لي ، وهل لك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبستفأبليت ، أو تصدقت فأمضيت " هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن هداب بن خالد ، عنهما ، عن قتادة." (١)

" فقسمها في ناس من أصحابه وعزل منها واحدا لمخرمة قال أي مخرمة (أدخل فادعه) أي رسول الله صلى الله عليه و سلم (قال) أي المسور (فدعوته فخرج) أي رسول الله صلى الله عليه و سلم (وعليه) أي رسول الله صلى الله عليه و سلم (قباء منها) أي من الأقبية (فقال) أي رسول الله صلى الله عليه و سلم (خبأت) أي أخفيت (قال) أي المسور (فنظر إليه) أي إلى القباء (زاد بن موهب مخرمة) أي زاد يزيد بن خالد بن موهب في روايته بعد قوله فنظر إليه لفظ مخرمة بأن قال فنظر إليه مخرمة (ثم اتفقا) أي قتيبة ويزيد (قال) أي النبي صلى الله عليه و سلم كما جزم به الداودي أو مخرمة كما رجحه الحافظ بن حجر (قال قتيبة) أي في روايته (عن بن أبي مليكة لم يسمه) أي لم يذكر اسم بن أبي مليكة

قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

(باب في لبس الشهرة)

[٤٠٢٩] (عن عثمان بن أبي زرعة) هو عثمان بن المغيرة الثقفي فأبو عوانة وشريك كلاهما يرويان عن عثمان بن أبي زرعة (قال في حديث شريك يرفعه) حاصله أنه وقع في رواية شريك بعد قوله عن بن عمر لفظ يرفعه والضمير المرفوع يرجع إلى بن عمر والمنصوب إلى الحديث وقال المنذري أي ولم يرفعه أبو عوانة انتهى

وما قاله المنذري فيه نظر لما سيأتي

ولفظ بن ماجه من طريق يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن مهاجر عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة (من لبس ثوب شهرة) قال بن الأثير الشهرة ظهور الشيء والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب والتكبر كذا في النيل (ثوبا مثله) أي في شهرته بين الناس ." (٢)

" قال بن رسلان لأنه لبس الشهرة في الدنيا ليعز به ويفتخر على غيره ويلبسه الله يوم القيامة ثوبا يشتهر مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل انتهى (زاد) أي محمد بن عيسى في روايته (ثم تلهب) أي تشتعل (فيه) أي في الثوب الذي ألبسه الله يوم القيامة [٤٠٣٠] (قال ثوب مذلة) أي ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة والمراد به ثوب يوجب ذلته يوم القيامة كما لبس في الدنيا ثوبا يتعزز به على الناس ويترفع به عليهم

والحديث أخرجه بن ماجه بتمامه ولفظه حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن المهاجر عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة

---

(١) شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا، ٢٥٨/١٤

(٢) عون المعبود، ٥٠/١١

والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة وليس هذا الحديث مختصا بنفيس الثياب بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه قاله بن رسلان

قال المنذري وأخرجه النسائي وبن ماجه

[٤٠٣١] (عن أبي منيب الجرشي) بضم الجيم وفتح الراء بعدها معجمة الدمشقي ثقة من الرابعة (من تشبه بقوم) قال المناوي والعلقمي أي تزي في ظاهره بزيهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم انتهى

وقال القارىء أي من شبه نفسه بالكفار مثلا من اللباس وغيره أو بالفساق أو الفجار أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار (فهو منهم) أي في الإثم والخير قاله القارىء

قال العلقمي أي من تشبه بالصالحين يكرم كما يكرمون ومن تشبه بالفساق لم يكرم ومن وضع عليه علامة الشرفاء أكرم وإن لم يتحقق شرفه انتهى ." (١)

"(حم ق ن هـ) عن أنسالشرح:(الحرير في الدنيا) أي من الرجال كما أفاده الحديث المار "حرم الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم" (لم يلبسه في الآخرة) أي جزاؤه أن لا يلبسه فيها لاستعجاله ما أمر بتأخيره ووعد به فحرمه عند ميقاته كوارث قتل مورثه ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ وهذا وعيد مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف لمانع وقد دلت النصوص القرآنية على أن التوبة لحوق الوعيد وكذا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة والدعاء والشفاعة بل وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ولمالك الجزاء إسقاطه وهذا الحديث نظير "من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة".٦٥٢٦ من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار (حسن) (د هـ) عن ابن عمرالشرح:(من لبس **ثوب شهرة**) قال القاضي: الشهرة ظهور الشيء في شنعة بحيث يشتهر به (ألبسه الله يوم القيامة) التي هي دار الجزاء وكشف الغطاء (ثوبا مثله) كذا بخط المصنف وفي رواية ثوب مذلة أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن في ذلك الجمع الأعظم بأن يصغره في العيون ويحقره في القلوب لأنه لبس شهوة الدنيا ليفتخر بها على غيره فيلبسه الله مثله (ثم تلهب فيه النار) عقوبة له بنقيض فعله والجزاء من جنس العمل فأذله الله كما عاقب من أطال ثوبه خيلاء بأن خسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ولبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع منها يذم إذا كان لكبر أو فخر ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا للنعمة.٦٥٢٧ من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه (صحيح)(حم م د) عن ابن عمرالشرح:." (٢)

"مراد الطحاوي ، وقد صرح في حديث أم عطية بعلة الحكم ، وهو شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم وطهرته ، وقد أفتت به أم عطية بعد وفاة النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بمدة ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة مخالفتها في ذلك ، وأما قول عائشة : لو رأى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ما أحدث النساء...الخ فلا يعارض ذلك لندوره إن سلمنا أن فيه دلالة على أنها أفتت بخلافه مع أن الدلالة منه بأن عائشة أفتت بالمنع ليست صريحة ، وفي قوله :

---

(١) عون المعبود، ١١/٥١

(٢) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ١/٣٣٦

"إرهابا للعدو" نظر ؛ لأن الاستنصار بالنساء والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف ، والأولى أن يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة ولا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطريق ولا في المجامع – انتهى. وقال ابن قدامة بعد ذكر قول عائشة المذكور : وسنة رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أحق أن تتبع ، وقول عائشة مختص بمن أحدثت دون غيرها ، ولا شك بأن ذلك يكره لها الخروج ، وإنما يستحب لهن الخروج غير متطيبات ولا يلبسن **ثوب شهرة** ولا زينة ويخرجن في ثياب البذلة ؛ لقول رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ((وليخرجن تفلات)) ، ولا يخالطن الرجال ، بل يكن ناحية منهن – انتهى. (متفق عليه) أخرجه البخاري في مواضع ومسلم في العيدين بألفاظ مختلفة ، واللفظ الذي أتى به١٤٤٦– (٧) وعن عائشة قالت : إن أبابكر دخل عليها وعند جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان ، وفي رواية : تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث ، ــــــــــالمصنف للبخاري في باب "وجوب الصلاة في الثياب" من أوائل الصلاة ، وأخرجه أيضا أحمد والترمذي وأبوداود والنسائي وابن ماجه والبيهقي (ج٣ ص٣٠٥-٣٠٦) وغيرهم.." (١)

" ٧٩٠٨ – (ما) بمعنى ليس (ذئبان) اسمها (جائعان) صفة له وفي رواية عاديان والعادي الظالم المتجاوز للحد (أرسلا في غنم) الجملة في محل رفع صفة (بأفسد) خبر ما والباء زائدة أي أشد فسادا والضمير في (لها) للغنم واعتبر فيه الجنسية فلذا أنث وقوله (من حرص المرء) هو المفضل عليه لا اسم التفضيل (على المال) متعلق بحرص (الشرف) عطف على المال والمراد به الجاه والمنصب (لدينه) اللام فيه للبيان نحوها في قوله ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ فكأنه قيل هنا بأفسد لأي شيء ؟ قيل لدينه ذكره الطيبي فمقصود الحديث أن الحرص على المال والشرف أكثر إفسادا [ص ٤٤٦] للدين من إفساد الذئبين للغنم لأن ذلك الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره وذلك مذموم لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعا قال الحكيم : وضع الله الحرص في هذه الأمة ثم زمه في المؤمنين بزمام التوحيد واليقين وقطع علائق الحرص بنور السبحات فمن كان حظه من نور اليقين ونور السبحات أوفر كان وثاق حرصه أوثق والحرص يحتاجه الآدمي لكن بقدر معلوم وإذا لم يكن لحرصه وثاق وهبت رياحه استفزت النفس فتعدى القدر المحتاج إليه فأفسد وعرف بعضهم الحرص بأنه مدد القوة الموضوعة في الآدمي ومثيرها وعمادها

(حم ت) في الزهد وكذا أبو يعلى (عن كعب بن مالك) قال الترمذي : صحيح قال المنذري : إسناده جيد وقال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن زنجويه وعبد الله بن محمد بن عقيل وقد وثقا ورواه الطبراني والضياء في المختارة من حديث عاصمم بن عدي عن أبيه عن جده قال : اشتريت أنا وأخي مئة سهم من خيبر فبلغ ذلك المصطفى صلى الله عليه و سلم فقال : ما ذئبان عاديان أصابا غنما أضاعها ربها بأفسد لها من حب المرء المال **والشرف لدينه** وفي الباب أبو سعيد الخدري وفيه كذاب فليحرر ." (٢)

" ٩٠٠٤ – (من لبس **ثوب شهرة**) قال القاضي : الشهرة ظهور الشيء في شنعة بحيث يشتهر به (ألبسه الله يوم القيامة) التي هي دار الجزاء وكشف الغطاء (ثوبا مثله) كذا بخط المصنف وفي رواية ثوب مذلة أي يشمله بالذل كما

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٧٣/٥

(٢) فيض القدير، ٤٤٥/٥

يشمل الثوب البدن في ذلك الجمع الأعظم بأن يصغره في العيون ويحقره في القلوب لأنه لبس شهوة الدنيا ليفتخر بها على غيره فيلبسه الله مثله (ثم تلهب فيه النار) عقوبة له بنقيض فعله والجزاء من جنس العمل فأذله الله كما عاقب من أطال ثوبه خيلاء بأن خسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ولبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع منها يذم إذا كان لكبر أو فخر ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا للنعمة

(د ه) في اللباس (عن ابن عمر) بن الخطاب قال المنذري : إسناده حسن اه وقال عبد الحق : فيه شريك بن عثمان بن أبي زرعة اه قال ابن القطان : يوهم ضعف عثمان وما به ضعف اه . ورواه عنه أيضا النسائي في الزينة فما أوهمه صنيع المصنف من تفرد ذينك عن السنة به غير لائق ." (١)

"القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس منيوعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه إياس بكسر أوله ابن ثعلبة لم يذكره المؤلف في أسمائه قال قال رسول الله ألا تسمعون بتخفيف اللام ألا تسمعون أي اسمعوا وكرر للتأكيد إن البذاذة بفتح الموحدة والذالين المعجمتين من الإيمان أي من كمال أهله قال التوربشتي يقال رجل بذ الهيئة وباذ الهيئة أي رث اللبسة والمراد من الحديث أن التواضع في اللباس والتوقي عن الفائق في الزينة من أخلاق أهل الإيمان والإيمان هو الباعث عليه إن البذاذة من الإيمان كرره للتأكيد ففيه اختيار الفقر والكسر نلبس الخلق من الثياب من خلق أهل الإيمان بالكتاب رواه أبو داود وفي الجامع الصغير البذاذة من الإيمان رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة الحارثي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله من لبس **ثوب شهرة** أي ثوب تكبر وتفاخر وتجبر أو ما يتخذه المتزهد ليشهر نفسه بالزهد أو ما يشعر به المتسيد من علامة السيادة كالثوب الأخضر أو ما يلبسه المتفيقهة من لبس الفقهاء والحال أنه من جملة السفهاء في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة ضد المعزة يوم القيامة أي جزاء وفاقا فإن المعالجة بالأضداد ومفهومه أن من اختار ثوب مذلة وتواضع لله في الدنيا ألبسه الله ثوب معزة في العقبى قال القاضي الشهرة ظهور الشيء في شيئه بحيث يشهر به صاحبه والمراد **بثوب شهرة** ما لا يحل لبسه وإلا لما رتب الوعيد عليه أو ما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء والاذلال بهم وكسر قلوبهم أو ما يتخذه المساخر ليجعل به نفسه ضحكة بين الناس أو ما يرائي به من الأعمال فكنى بالثوب عن العمل وهو شائع قال الطيبي والوجه الثاني أظهر لقوله ألبسه الله ثوب مذلة وفي النهاية أي أشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وروى ابن ماجه والضياء عن زيد بن أرقم بلفظ من لبس **ثوب شهرة** أعرض الله عنه حتى يضعه وروى أبو داود وابن ماجه عن." (٢)

"ابن عمر رضي الله تعالى عنه أيضا بلفظ من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيهاالنار وروى أبو عبد الرحمن السلمي في سنن الصوفية والديلمي في مسند الفردوس عن عائشة مرفوعا احذروا الشهرتين الصوف والخز وفي الجامع الكبير ليس البر في حسن اللباس والزي ولكن البر السكينة والوقار وتحقيق هذا المقام قد تقدم والله أعلم

---

(١) فيض القدير، ٦/٢١٩

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٣/٩٥

وعنه أي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله من تشبه بقوم أي من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره أو بالفساق أو الفجار أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار فهو منهم أي في الإثم والخير قال الطيبي هذا عام في الخلق والخلق والشعار ولما كان الشعار أظهر في الشبه ذكر في هذا الباب قلت بل الشعار هو المراد بالتشبه لا غير فإن الخلق الصوري لا يتصور فيه التشبه والخلق المعنوي لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق هذا وقد حكي حكاية غريبة ولطيفة عجيبة وهي أنه لما أغرق الله سبحانه فرعون وآله لم يغرق مسخرته الذي كان يحاكي سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في لبسه وكلامه ومقالاته فيضحك فرعون وقومه من حركاته وسكناته فتضرع موسى إلى ربه يا رب هذا كان يؤذيني أكثر من بقية آل فرعون فقال الرب تعالى ما أغرقناه فإنه كان لابسا مثل لباسك والحبيب لا يعذب من كان على صورة الحبيب فانظر من كان متشبها بأهل الحق على قصد الباطل حصل له نجاة صورية وربما أدت إلى النجاة المعنوية فكيف بمن يتشبه بأنبيائه وأوليائه على قصد التشرف والتعظيم وغرض المشابهة الصورية على وجه التكريم وقد بسط أنواع التشبه بالمعارف في ترجمة عوارف المعارف رواه أحمد وأبو داود وعن سويد بالتصغير ابن وهب شيخ لابن عجلان ذكره المؤلف في التابعين عن رجل من أبناء أصحاب النبي وفي نسخة رسول الله عن أبيه والظاهر أن ابن الصحابي عدل كأبيه مع احتمال أنه صحابي أيضا فلا يضر جهالته قال قال رسول الله من ترك لبس ثوب جمال أي زينة وهو يقدر عليه." (١)

" ٣٥٩٢ - من وجع كان بهما حكة حكة بالجر بدل من وجع وفي رواية لمسلم انهما شكوا القمل فرخص لهما في قميص الحرير إنجاح ٦ قوله فدعا بالقلمين وفي بعض الحواشي بالجلمين وهو المقراض وقال في القاموس في بيان معاني القلم منها الجلم بالتحريك ثم قال في الجلم محركة ما يجز به إنجاح ٧ قوله بؤسا لعبد الله الخ بؤسا مصدر بئس ييئس كسمع يسمع معناه الشدة والفقر أي اصابه الله بداهية وشدة هذا أصله والان يستعمل عند التعجب ولا يراد معناه الحقيقي وهو الدعاء قلت معارضة الأسماء لابن عمر انما تصح إذا كان العلم أقل من أربعة أصابع فإنه قد رخص في ذلك لا الكثير منه ولعل بن عمر فعل ذلك الكثير على المقدار المجوز فيه في الدر عمامة طرازها قدر أربع أصابع من ابريسم من أصابع عمر رضي الله عنه وذلك قيس بشبرنا يرخص فيه انتهى قلت نقل صاحب الدر هذا القول عن القنية وهو رجل معتزلي وأكثر رواياته ضعيفة كما نقل في كشف الظنون عن المولى البركلي وكان طويلا لكن لا بهذا الحد وهو بائن من قبره لأن رجلاه اخر جدار الشرقي من حجرة أم المؤمنين عائشة وقد خرجت أيام الوليد تحت الجدار كما في رواية البخاري والعجب انه قدر بأصابع النبي صلى الله عليه و سلم مع انه في رواية الشيخين نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن لبس الحرير الا هكذا ورفع رسول الله صلى الله عليه و سلم الوسطى والسبابة وضمهما غاية الأمر ان راوي الحديث عمر رضي الله عنه سامحه الله إنجاح ٨ قوله بجبة مكفوفة الكمين أي التي عمل على كميها وجيبها وفرجيها كفاف من حرير وكفة كل شيء بالضم طرفه أو حاشيته وكل مستطيل كفة ككفة الثوب وكل مستدير كفة بالكسر ككفة الميزان كذا في المجمع إنجاح

٣٥٩٦ - بين الفواطم أي فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه و سلم إنجاح ٢ قوله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٣/٩٦

٣٥٩٩ – في حلة حمراء الحلة بضم ازار ورداء لبرد أو غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة في الدر ناقلا عن المجتي والقهستاني وشرح النهاية لأبي المكارم لا بأس بلبس الثوب الأحمر انتهى ومفاده ان الكراهة تنزيهية لكن صرح في التحفة بالحرمة فأفاد انها تحريمية وهي المحمل عندنا عند الإطلاق قاله المصنف رح قلت للشرنبلالي رسالة نقل فيها ثمانية أقوال منها انها مستحب التهي عبارة الدر في المجمع حلة حمراء هي بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر وسود انتهى إنجاح ٣ قوله

٣٦٠٠ – قميصان احمر ان يعثران أي يزل اقدامهما للصغر والتأويل في الحديث بأن الباس الصغير الحرير والاحمر جائز كما هو مذهب بعض الأئمة واما عندنا فمحمول على الجواز وكونه قبل النهي بحسب الروايتين إنجاح ٤ قوله عن المفدم بفاء ودال مهملة هو الثوب المشبع حمرة كأنه الذي لا يقدر على الزيادة عليه لتناهي حمرته فهو كالممتنع من قبول الصبغ مصباح الزجاجة للسيوطي ٥ قوله

٣٦٠٢ – ولا أقول نهاكم الخ انما قال بحسب علمه والا فقد صح عند مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم علي ثوبين معصفرين فقال لهذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما وفي رواية قلت اغسلهما قال بل احرقهما إنجاح ٦ قوله

٣٦٠٣ – من ثنية اذاخر موضع بين الحرمين مسمى بجمع اذخر وقوله وعلي ريطة مضرجة بالعصفر في القاموس الريطة بالفتح كل ملاءة غير ذات الفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب رقيق لين كالرائط جمعها ريط ورياط ومضرجة بالضاد المعجمة والجيم أي مصبوغة بالحمرة من ضرج الثوب صبغه بالحمرة كذا في القاموس أيضا إنجاح ٧ قوله

٣٦٠٤ – على عكنه قال في القاموس العكنة بالضم ما انطوى وتثنى من لحم البدن سمنا جمع عكن كصرد انتهى إنجاح الحاجة للشيخ عبد الغني المجددي الدهلوي ٨ قوله

٣٦٠٦ – من لبس ثوب شهرة الخ أراد ما لا يحل لبسه أو ما يقصد به التفاخر والتكبر أو يتخذه المتزهد ليشهر نفسه بالزهد أو ما يلبسه المتفقهة من لبس الفقهاء والحال أنه من السفهاء وما يشعر به المتعبد من علامة السيادة كالثوب الأخضر أو ما يتخذه الساخر ليجعله ضحكة أو ما يرائ به كناية بالثوب عن العمل والثاني أظهر لترتب الباس وقوله ثوب مذلة جزاء وفاق فإن المعالجة بالضد إنجاح ٩ قوله ." (١)

"شرح سنن أبي داود [٤٥٢]لباس الشهرة يدعو الإنسان إلى الكبر والترفع عن الناس، وفيه إسراف ومخيلة وتميز على غيره من الناس، وهو محرم وصاحبه معرض للوعيد والنار. أما اللباس رفيع الثمن فهو يختلف من شخص إلى آخر، كما ينظر في دواعيه وأسبابه وتفاصيل أحكامه مبينة في هذه المادة.ما جاء في لبس ثوب الشهرةشرح حديث (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة مثله)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في لبس الشهرة. حدثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو عوانة ح. وحدثنا محمد –يعني: ابن عيسى – عن شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن المهاجر الشامي عن ابن عمر رضي الله عنهما –قال في حديث شريك: يرفعه– قال: (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله، زاد عن أبي عوانة:

---

(١) شرح سنن ابن ماجه – السيوطي وآخرون، ص/٢٥٧

ثم تلهب فيه النار)]. والمراد بالشهرة الشيء الذي يشتهر به الإنسان ويتميز به على غيره، وقد يدعو إلى الكبر بكونه غالياً وباهظ الثمن ونفيساً، فيكون مع ذلك تعاظم وتكبر وترفع على الناس، وقد يكون شيئاً يلفت الأنظار، في لباسه المتميز الذي يخالف لباس أهل بلده ويخالف لباس قومه. وأورد رحمه الله تعالى حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً: [(من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة مثله يعني: شيئاً يشتهر به، ولكنه في الذم وفي السوء. [زاد عن أبي عوانة : (ثم تلهب فيه النار)]. يعني: هذا الثوب الذي يشتهر به، تلهب فيه النار، أي: أنه يعذب بهذا الثوب أو بمثل هذا الثوب الذي لبسه وحصل منه التكبر، ولهذا جاء في بعض الروايات: (ثوب مذلة) ومعناه: أنه كما أنه حصل منه التكبر؛ فإنه يحصل له في الآخرة إذلال مقابل ذلك، وهو أنه يلبس ثوب مذلة، فيكون فيه إذلال له، وفيه أيضاً تعذيبه به، حيث جاء في هذه الرواية أنها: (تلهب فيه النار). وثوب الشهرة قد يكون بقصد وهو داخل في الوعيد، وقد يكون بغير قصد وهذا يخشى عليه أن يكون داخلاً في الوعيد أيضاً، علاوة على أنه قد يتهم في عقله بلبسته تلك.تراجم رجال إسناد حديث (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة مثله)قوله: [حدثنا محمد بن عيسى]. محمد بن عيسى الطباع ، ثقة أخرج له البخاري تعليقاً و أبو داود و الترمذي في الشمائل و النسائي و ابن ماجة . [عن أبي عوانة]. أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [ح وحدثنا محمد يعني ابن عيسى]. الذي هو الشيخ الأول. [عن شريك].؟ شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي، صدوق يخطئ كثيراً، تغير حفظه لأنه ولي القضاء، وحديثه أخرجه البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن عثمان بن أبي زرعة]. عثمان بن أبي زرعة ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [عن المهاجر الشامي]. المهاجر الشامي وهو المهاجر بن عمرو مقبول أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن ابن عمر]. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. [قال في حديث شريك : يرفعه]. كأنه –على هذا– ليس فيه ذكر الرفع أنه من الطريق الأولى، وكأنه موقوف على ابن عمر ، وأما شريك في الطريقة الثانية فقال فيه: (يرفعه)، يعني: يرفعه ابن عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن كلمة (يرفعه) تعادل (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)، أو (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم). [زاد عن أبي عوانة : (ثم تلهب فيه النار)]. يعني زاد في الطريق الأولى: (ثم تلهب في النار) وليست هذه الزيادة في طريق شريك ، وإنما هي في طريق أبي عوانة التي هي الطريق الأولى. والإسناد فيه مقال، و الألباني صححه. شريك مقرون وأبو عوانة ثقة، ولكن فيه المهاجر الشامي مقبول على عادة الحافظ، ومعناه أنه يقبل في المتابعات، وهذا الحديث من طريق واحدة.تراجم رجال إسناد طريق أخرى لحديث (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مسدد قال حدثنا أبو عوانة قال: (ثوب مذلة)]. هذا شيخ ثالث لأبي داود في الحديث، وهو مسدد بن مسرهد ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا أبو عوانة]. مر ذكره في الطريق الأولى.شرح حديث (من تشبه بقوم فهو منهم)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الرحمن بن ثابت حدثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)]. أورد أبو داود حديث ابن

عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تشبه بقوم فهو منهم) وهذا ذم لمن يتشبه بالكفار؛ لأن التشبه في الظاهر قد يؤدي إلى ميل في الداخل وفي الباطن. والمقصود من ذلك التشبه في الشيء الذي هو من خصائصهم، والشيء الذي هو من ميزاتهم، وأما الأشياء التي هي مطلوبة في الإسلام مثل: إعداد العدة، والعناية بالأمور النافعة، فهذا شيء مطلوب، ولكن الشيء المحظور والممنوع هو الذي يكون في أمور اللباس أو الهيئة أو ما إلى ذلك. وقوله: (من تشبه بقوم فهو منهم) ذم شديد في حق من يكون كذلك. ووضع هذا الحديث تحت باب لبس الشهرة، يعني أن المصنف يرى أن لبس الكفار يعتبر لبس شهرة، وهذا ممكن، فالإنسان إذا كان أهل بلده يلبسون لباساً ما من ألبسة المسلمين، ثم يظهر عليهم بلباس آخر سواء كان للكفار أو لغير الكفار فهو لبس شهرة، لبسه لبسة يجمع بين أمرين سيئين: أحدهما: أنه لباس كفار. والآخر: كونه غريباً على الناس، وفيه الشهرة عند الناس، فجمع بذلك بين مصيبتين.تراجم رجال إسناد حديث (من تشبه بقوم فهو منهم)قوله: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة]. عثمان بن أبي شيبة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي وإلا النسائي فأخرج له في عمل اليوم والليلة. [حدثنا أبو النضر عن عبد الرحمن بن ثابت]. عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، صدوق يخطئ أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وأصحاب السنن. [عن حسان بن عطية]. حسان بن عطية ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي منيب الجرشي]. أبو منيب الجرشي ثقة أخرج له أبو داود . [عن ابن عمر]. ابن عمر رضي الله عنه، وقد مر ذكره.الأسئلةحكم لبس الثياب المشروعة كالعمامة والقميص في مجتمع لا يلبسهاالسؤال: ما حكم من يلبس لبساً على السنة لكنه غير مشتهر، مثلاً: يلبس عمامة، والآن المشتهر عند الناس الغترة أو (الشماغ)، أو يقصر ثوبه إلى نصف الساقين، وهذا غير معروف في مجتمعه؟! الجواب: الشيء الذي ورد في السنة لا يقال: إنه لباس شهرة.حكم لبس القميص (الثوب) في بلاد لا يلبس فيهاالسؤال: ما حكم لبس القميص في بلد أوروبي، والمعهود عندهم لبس البنطال ونحوه؟ الجواب: لبس القميص (الثوب) شيء طيب، وهذا هو الذي ينبغي؛ لأن الأوروبيين إذا جاءوا إلينا يحتفظون بلباسهم، فلماذا نرى المسلمين إذا ذهبوا هناك يتجردون من لباسهم، ويلبسون لباس الكفار؟!حكم من يلبس غير ثياب بلده مخالفة لهمالسؤال: ما حكم من يلبس غير لبس بلده ويتميز عنهم بلبس ما؟! الجواب: إذا كان أهل بلده يلبسون لباساً معيناً، ثم ظهر عليهم بلباس غريب، فقد يتهمونه في عقله، ويقولون: لعله حصل له شيء.حكم لبس الوضيع من الثياب تزهداً أو طلباً للشهرةالسؤال: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ثوب الشهرة: هو المترفع الخارج عن العادة، أو المنخفض الخارج عن العادة؟! والسؤال: قد علمنا ما معنى قوله (المترفع)، فما معنى قوله (المنخفض)؟! الجواب: معناه أن الناس يدعون الزهد، ويأتون بألبسة وضيعة رديئة مقطعة من أجل إظهار الزهد، هذا هو المقصود.حكم لبس البنطالالسؤال: هل لبس البنطلون في مثل هذه البلاد يقال له لبس شهرة؟ الجواب: البنطلون -كما هو معلوم- الأصل فيه أنه لباس الكفار، وأعني بذلك اللباس الذي يكون على قدر الأعضاء ويصف حجم ما تحته، وليس فيه سعة، هذا هو لباسهم، ومع كثرة من يلبسونه لا يقال إنه لباس شهرة، ولكن يقال: إنه ليس من لباس أهل الإسلام.حكم المتشبه بأعداء الإسلام عن قصد أو عن غير قصدالسؤال: هل يشترط في التشبه القصد والنية؟ ولو فعل فعلاً من أفعال الكفار دون قصد فهل يقال: هذا تشبه، وإن لم يقصده؟ الجواب: إذا كان المتشبه جاهلاً فيبدو أنه يحتاج إلى تعليم، وقد يكون ممن إذا نبه تنبه، بخلاف الإنسان الذي يتعمد فأمره واضح، لكن الجاهل إذا نبه وبقي على ما هو عليه فحكمه -

عند ذلك- حكم الذي كان عارفاً وتعمد التشبه.لبس الصوف والشعرشرح حديث (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في لبس الصوف والشعر. حدثنا يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الرملي وحسين بن علي قالا: حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود)]. أورد الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: باباً في لباس الصوف والشعر. والصوف: هو الذي يؤخذ من الضأن، والشعر يؤخذ من المعز، لأن الضأن يكون لها أشعار والمعز يكون لها صوف، والأوبار تكون في الإبل، قال تعالى: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ [النحل:٨٠]؛ فعطف الشعر على الصوف هنا من عطف المغايرة، وليس من عطف المرادفة، والصوف يكون من الضأن، والشعر يكون من الماعز. والمقصود من ذلك لبسها مع ما فيها من خشونة، وأنها من الألبسة التي أنعم الله تعالى بها على عباده. وقد أورد أبو داود حديث عائشة رضي الله عنها (أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود). والمرط هو الكساء. والمرحل: معناه أن عليه صورة الرحل الذي يوضع على البعير. وهذا المرط مصنوع ومنسوج من شعر أسود؛ وهذا يدل على إباحة، لبس ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبسه.تراجم رجال إسناد حديث (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود)قوله: [حدثنا يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الرملي]. ثقة أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [و حسين بن علي]. حسين بن علي محتمل أن يكون العجلي وهو صدوق يخطئ كثيراً، أخرج له أبو داود و الترمذي، ويحتمل أن يكون الأحمر وهو مقبول، أخرج له أبو داود والنسائي. وكلاهما يروي عن ابن أبي زائدة وذُكر أن الذهبي يقول: إن الأحمر لم يدرك ابن أبي زائدة فيتعين أن يكون العجلي ونقله عنه الحافظ في تهذيب التهذيب، و المزي يرى أنه محتمل فكلاهما من شيوخ أبي داود . وأياً كان فهو مقرون بيزيد بن خالد، وتقدم أنه ثقة فيكون الاعتماد عليه في السند. [حدثنا ابن أبي زائدة]. ابن أبي زائدة هو يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبيه]. هو زكريا ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن مصعب بن شيبة]. مصعب بن شيبة لين الحديث، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن صفية بنت شيبة]. صفية بنت شيبة لها رؤية حديثها أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها الصديقة بنت الصديق ، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.شرح حديث (استكسيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساني خيشتين)قال المصنف رحمه الله تعالى: [وقال حسين: حدثنا يحيى بن زكريا حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا إسماعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال: (استكسيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساني خيشتين، فلقد رأيتني وأنا أكسى أصحابي)]. [(وأنا أكسى أصحابي)] أكسى: أفعل تفضيل، يعني: أحسنهم كسوة، وأغبطهم في الكسوة. (استكسيت) يعني: طلبت منه أن يعطني كسوة. [(فكساني خيشتين)] والخيشة معلوم أنها مصنوعة من شعر، وهذا محل الشاهد.تراجم رجال إسناد حديث (استكسيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساني خيشتين)قوله: [وقال حسين]. هو حسين بن علي المتقدم في حديث عائشة السابق، وفيه خلاف تقدم. [حدثنا يحيى بن زكريا]. هو ابن أبي زائدة تقدم في الحديث

السابق. [حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي]. إبراهيم بن العلاء مستقيم الحديث، أخرج له أبو داود . [حدثنا إسماعيل بن عياش]. إسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده ومخلط في غيرهم. [عن عقيل بن مدرك]. عقيل بن مدرك، مقبول أخرج له أبو داود . [عن لقمان بن عامر]. عن لقمان بن عامر صدوق أخرج أبو داود و النسائي و ابن ماجة في التفسير. [عن عتبة بن عبد السلمي]. عتبة بن عبد السلمي صحابي أخرج له أبو داود و ابن ماجة .شرح حديث (.. لو رأيتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عمرو بن عون حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبي بردة قال: قال لي أبي: (يا بني! لو رأيتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابتنا السماء؛ حسبت أن ريحنا ريح الضأن)]. أورد أبو داود حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: (لو رأيتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابتنا السماء يعني: المطر، وكان عليهم ثياب من شعر، فلما ابتلت صارت رائحتها رائحة الضأن، لأن لباسهم من صوف الضأن. [حسبت أن ريحنا ريح الضأن] لأن هذا الصوف الذي تبلل ظهرت رائحته، وهي رائحة الضأن، وهذا دال على لبس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوف والشعر، وهم مع رسول الله عليه الصلاة والسلام.تراجم رجال إسناد حديث (.. لو رأيتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن)قوله: [حدثنا عمرو بن عون]. عمرو بن عون ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا أبو عوانة]. أبو عوانة هو: الوضاح بن عبد الله اليشكري ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن قتادة]. قتادة بن دعامة السدوسي البصريثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي بردة]. أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبيه]. هو أبو موسى الأشعري واسمه: عبد الله بن قيس رضي الله تعالى عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.لبس الرفيع من الثيابشرح حديث أن ملك ذي يزن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراًقال المصنف رحمه الله تعالى: [باب لبس الرفيع من الثياب. حدثنا عمرو بن عون أخبرنا عمارة بن زاذان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن ملك ذي يزن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً -أو ثلاثة وثلاثين ناقة- فقبلها)]. أورد أبو داود باب لبس الرفيع من الثياب. الرفيع من الثياب ما له شأن وقيمة، وهو غال ونفيس. قوله: [أن ملك ذي يزن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً]. معناه أنها غالية، وهي تعادل ثلث الدية، لأن الدية مائة بعير، وثلاثة وثلاثون تعتبر ثلثها. والحلة هي الإزار والرداء، وقد أهداها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها؛ لكن الحديث غير صحيح.تراجم رجال إسناد أن ملك ذي يزن أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراًقوله: [حدثنا عمرو بن عون أخبرنا عمارة بن زاذان]. عمارة بن زاذان صدوق كثير الخطأ، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و أبو داود و الترمذي و ابن ماجة . [عن ثابت]. ثابت بن أسلم البناني ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أنس]. أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الإسناد رباعي من أعلى الأسانيد عند أبي داود .شرح حديث (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى حلة ببضعة وعشرين قلوصاً فأهداها إلى ذي يزن)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث : (أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم اشترى حلة ببضعة وعشرين قلوصاً فأهداها إلى ملك ذي يزن)]. أورد أبو داود حديثاً مرسلاً عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث (أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى حلة ببضعة وعشرين قلوصاً). هذه الرواية عكس السابقة، لأن السابقة كان المهدى إليه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهنا المهدي رسول الله عليه الصلاة والسلام. والقلوص: اسم للناقة، والجمع: القلاص، والقلائص. [فأهدها إلى ذي يزين]. يعني: هذه الرواية بعكس السابقة، وهذا الحديث أيضاً ضعيف، من جهة أن فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، ومن جهة أنه فيه إرسالاً.تراجم رجال إسناد حديث (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى حلة ببضعة وعشرين قلوصاً فأهداها إلى ملك ذي يزن)قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل]. موسى بن إسماعيل التبوذكي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة [حدثنا حماد]. حماد بن سلمة بن دينار البصري ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم وأصحاب السنن. [عن علي بن زيد]. علي بن زيد بن جدعان ضعيف، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث]. إسحاق بن عبد الله بن الحارث ثقة أخرج له أبو داود . والحديث مرسل كما تقدم.الأسئلةحكم شراء الملبوسات باهظة الثمنالسؤال: ما حكم اللبس المرتفع، وشراء الملابس الغالية الثمن؟ الجواب: شراء الأشياء الغالية ليس بجيد؛ لأن هذا ليس ببعيد عن لباس الشهرة الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان من الممكن أن يشتري بقيمته مجموعة مما يحصل به المقصود، ولا تقع به شهرة ولا يتسبب عنه كبر أو ترفع فهو أفضل.لبس الغليظ من الثيابشرح حديث الثياب التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلمقال المصنف رحمه الله تعالى: [باب لباس الغليظ. حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد ح. وحدثنا موسى حدثنا سليمان -يعني ابن المغيرة - المعنى عن حميد بن هلال عن أبي بردة قال: (دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساء من التي يسمونها الملبدة، فأقسمت بالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذين الثوبين)]. أورد أبو داود باب لبس الغليظ من الثياب، والغليظ: هو السميك الذي فيه سماكة وكثافة، بحيث يعدل عدة أشياء إذا جمع بعضها إلى بعض، هذا هو الغليظ، وهذا الوصف من ناحية سماكته. أورد رحمه الله تعالى حديث عائشة رضي الله عنها من طريق أبي بردة قال: (أخرجت لنا عائشة إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن..). والإزار: هو الذي يوضع على نصف الجسد الأسفل. [(وكساء من التي يسمونها الملبدة)]. معناه أنه ملبد لسماكته، وقد يكون ذلك لكونه محشواً وكلمة (ملبدة) تشير إلى السماكة. [(فأقسمت بالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذين الثوبين)]. تعني: أن هذا من آخر لباس لبسه رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.تراجم رجال إسناد حديث الثياب التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلمقوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد]. مر ذكرهما. [ح وحدثنا موسى حدثنا سليمان -يعني ابن المغيرة -]. سليمان بن المغيرة ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [المعنى عن حميد بن هلال]. حميد بن هلال ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي بردة عن عائشة]. أبو بردة و عائشة قد مر ذكرهما.تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثياب غير التي قبض فيهاقبض صلى الله عليه وسلم في ثوبين، ولم يجرد من ثيابه أي: أنه لما مات خرجت روحه وعليه تلك الثياب، وبعد ذلك غسل في ثيابه، ولم يجرد صلوات الله وسلامة وبركاته عليه، ثم كفن في ثياب غيرها.شرح حديث (لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي حدثنا عمر بن يونس بن القاسم اليمامي حدثنا عكرمة

بن عمار حدثنا أبو زميل حدثني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (لما خرجت الحرورية أتيت علياً رضي الله عنه فقال: ائت هؤلاء القوم. فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن -قال أبو زميل : وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً- قال ابن عباس : فأتيتهم، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس ! ما هذه الحلة؟ قال: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل). قال أبو داود : اسم أبي زميل : سماك بن الوليد الحنفي]. أورد أبو داود حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه لما خرجت الحرورية في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لابن عباس: اذهب إليهم، يعني: بين لهم خطأهم، فلبس أحسن حلل اليمن، وذهب إليهم، فقالوا: مرحباً يا ابن عباس! ما هذه الحلة؟! فقال: إني رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل). أي: أن هذا الذي علي من الألبسة هو اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام، لأني رأيته وقد لبس أحسن ما يكون من الحلل صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، يعني أحسن ما يكون في جودتها ونفاسته، وليس معنى ذلك غلاها وكونها باهظة الأثمان، ولكن من ناحية جمالها وحسنها. والحرورية الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وقاتلهم، وجاءت الأحاديث الكثيرة في شأنهم وقتالهم. ولا أدري ما وجه إيراد هذا الحديث في باب لباس الغليظ، هل المقصود به أن هذا النوع من شأنه أن يكون غليظاً! فالحديث يدل على أنه شيء جميل نفيس، وأنه من أحسن ما يلبس، ومن أنفس ما يلبس. [وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً]. جهيراً معناه حسن الهيئة، وليس المقصود به ما يتعلق بالصوت، فالذي يتعلق بالصوت هو جهوري الصوت. وقد ذهب رضي الله عنه لمناظرتهم وقد تعمد رضي الله عنه أن يلبس أحسن الثياب، مثلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل عندما يلتقي بالوفود، فقد كان يلبس أحسن ما يجد، ويتجمل للوفود، فلعل هذا هو الذي أراد.تراجم رجال إسناد حديث (.. لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل)قوله: [حدثنا إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي]. إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي ثقة، أخرج له أبو داود و ابن ماجة . [حدثنا عمر بن يونس بن القاسم اليمامي]. عمر بن يونس بن القاسم اليمامي ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا عكرمة بن عمار]. عكرمة بن عمار صدوق يغلط أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [حدثنا أبو زميل]. أبو زميل سماك بن الوليد الحنفي ليس به بأس بمعنى: صدوق، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [حدثني عبد الله بن عباس]. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وهم عبد الله بن عباس ، و عبد الله بن عمر ، و عبد الله بن عمرو ، و عبد الله بن الزبير ، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم: أبو هريرة ، و ابن عمر ، و ابن عباس ، و أبو سعيد ، و أنس ، و جابر ، و عائشة رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين.إنكار الخوارج لبس ابن عباس ثياباً حسنةقالت الحرورية لابن عباس قالوا: ما هذه الحلة؟ ويمكن أن سؤالهم هذا سؤال إنكار عليه، وأنهم لا يرون لبس أحسن الثياب، وهذا الذي يفهم من جواب ابن عباس وأنه فعل ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذا قال: (رأيته يلبس أحسن ما يكون من الحلل)."." (١)

(١) شرح سنن أبي داود – عبدالمحسن العباد، ص/٢

" وأخرج الترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم :

(ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**) . وأخرج الطبراني مو أبو يعلى بإسناد جيد من حديث أبي هريرة نحوه . وأخرج البزار أيضاً بإسناد حسن من حديث ابن عمر نحوه . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمرو بن عوف الأنصاري قال : ' لما قدم عليه بجزية البحر بن [قال] : أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم ' . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري قال :

(جلس رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم على المنبر ، وجلسنا حوله فقال : إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر قال :

(قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم : يا أبا ذر . قلت : لبيك يا رسول الله ، فقال : ما يسرني أن عندي مثل أُحد

---

(١) ".

" – الحديث حسنه الترمذي وقد رواه من طريق عباس بن محمد الدوري عن عبد الله بن يزيد المقري عن سعيد بن أبي أيوب عن أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعبد الرحيم بن ميمون قال النسائي : ليس به بأس وضعفه ابن معين . وسهل بن معاذ وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين . وفيه استحباب الزهد في الملبوس وترك لبس حسن الثياب ورفيعها لقصد التواضع ولا شك أن لبس ما فيه جمال زائد من الثياب يجذب بعض الطباع إلى الزهو والخيلاء والكبر وقد كان هديه صلى الله عليه وآله وسلم كما قال الحافظ ابن القيم أن يلبس ما تيسر من اللباس والصوف تارة والقطن أخرى والكتان تارة ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر ولبس الجبة والقباء والقميص إلى أن قال : فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بإزائهم طائفة قابلوهم فلم يلبسوا إلا أشرف الثياب ولم يأكلوا إلا أطيب وألين الطعام فلم يروا لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا وكلا الطائفتين مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال بعض السلف : كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض . وفي السنن عن ابن عمر يرفعه (من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله ثوب مذلة) إلى آخر كلامه . وذكر الشيخ أبو إسحاق الأصفهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال : دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز عنه محمد وقال : أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون قد لبسه عيسى بن مريم وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع

---

(١) ولاية الله والطريق إليها، ص/٤٥٣

ومقصود ابن سيرين من هذا أن قوما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكرا وليس المنكر إلا التقييد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها

(والحاصل) أن الأعمال بالنيات فلبس المنخفض من الثياب تواضعا وكسرا لسورة النفس التي لا يؤمن عليها من التكبر إن لبست غالي الثياب من المقاصد الصالحة الموجبة للمثوبة من الله ولبس الغالي من الثياب عند الأمن [ص ١١١] على النفس من التسامي المشوب بنوع من التكبر لقصد التوصل بذلك إلى تمام المطالب الدينية من أمر بمعروف أو نهي عن منكر عند من لا يلتفت إلا إلى ذوي الهيئات كما هو الغالب على عوام زماننا وبعض خواصه لا شك أنه من الموجبات للأجر لكنه لا بد من تقييد ذلك بما يحل لبسه شرعا ." (١)

" ٣ - وعن ابن عمر قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة)

- رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ." (٢)

" - الحديث أخرجه أيضا النسائي ورجال إسناده ثقات رواه أبو داود عن شيخه محمد بن عيسى بن نجيح بن الطباع . قال فيه أبو حاتم : مبرز ثقة له عدة مصنفات عن أبي عوانة الوضاح وهو ثقة عن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وقد أخرج له البخاري في الأنبياء عن المهاجر بن عمرو البسامي وقد أخرج له ابن حبان في الثقات عن ابن عمر وأخرجه أيضا من طريق محمد بن عيسى عن القاضي شريك عن عثمان بذلك الإسناد

قوله (من لبس ثوب شهرة) قال ابن الأثير : الشهرة ظهور الشيء والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب والتكبر

قوله (ألبسه الله تعالى ثوب مذلة) لفظ أبي داود ثوبا مثله والمراد بقوله ثوب مذلة يوجب ذلته يوم القيامة كما لبس في الدنيا ثوبا يتعزز به على الناس ويترفع به عليهم والمراد بقوله مثله في تلك الرواية أنه مثله في شهرته بين الناس . قال ابن رسلان : لأنه لبس الشهرة في الدنيا ليعز به ويفتخر على غيره ويلبسه الله يوم القيامة ثوبا يشتهر بمذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل انتهى . ويدل على هذا التأويل الزيادة التي زادها أبو داود من طريق أبي عوانة بلفظ : (تلهب فيه النار)

(والحديث) يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة وليس هذا الحديث مختصا بنفيس الثياب بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه قاله ابن رسلان وإذا كان اللبس لقصد

---

(١) نيل الأوطار، ٢/١١٠

(٢) نيل الأوطار، ٢/١١١

الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع ." (١)

"فمثلاً نجد رواية معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ترك اللباس متواضعًا، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها). فهذا الحديث أخرجه الترمذي وقال حسن. إلا أن في إسناده عبد الرحيم بن ميمون، وقد ضعفه ابن معين، وفيه أيضًا سهل بن معاذ، وضعفه كذلك ابن معين. ولكن مع افتراض حسنه، فإن المعنى فيه: أن من كان لديه دواعي الكبر في الملبس وتغلب على نفسه وهواها، وترك اللباس إخضاعًا لنفسه وكسرًا لمظاهر الكبر فيها، فإن جزاء هذه المجاهدة أن يُدعى من قبل الله سبحانه على رءوس الخلائق، وفي هذا دلالة على أنه تغلب على شهوة الكبر على الخلائق ورغبة الظهور عليهم في الدنيا، فأبدله الله عزًّا وكرامة أمامهم في الآخرة. وإذا كان قد ترك ثوب شهرة وخيلاء تواضعًا لله، فإن الله سبحانه يخيره من أي الحلل شاء.ويتضح هذا المعنى، ويذكر بالتصريح في الروايتين الباقيتين تحت هذا العنوان فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة ". وفي رواية: (ألبسه الله إياه يوم القيامة، ثم ألهب فيه النار). أخرج الرواية الأولى أبو داود، والثانية رزين، وهي –أيضًا– في أبي داود.وثوب الشهرة: هو الذي إذا لبسه الإنسان افتضح به واشتهر بين الناس، والمراد به ما لا يجوز للرجال لبسه شرعًا ولا عرفًا. فترك الزينة – إذًا – مقيد بوجود المخالفة الشرعية فيها، وإلا فإن التزين هو الأصل، وقد أمرنا به في القرآن الكريم في أطهر الأماكن "خذوا زينتكم عند كل مسجد " (الأعراف:٣١).وجاء التحريض عليه في أحاديث النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها: عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليّ ثوب دونٍ فقال: ألك مال؟ قلت: نعم.قال: من أي المال؟ قلت: من كل المال قد أعطاني الله تعالى.." (٢)

"لما كان (أزهد الناس في الدنيا ، كان المحب التابع له متصف بذلك لقوة الرغبة ، وصدق المحبة فالمرء مع من أحب ، ومولى قوم منهم في العسر واليسر فمن أحب أن يكون معهم في نعيم الآخرة فليصبر كما صبروا في الدنيا . قال تعالى : ؟ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ [آل عمران (١٤٢)] .[٤٨٥] وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله (: « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » . رواه الترمذي ، وقال : (حديث حسن صحيح) .فيه : الحذر من الحرص على المال والشرف ، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ورزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره ، وقال النبي (: « يا عبد الرحمن بن سمرة ، لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها » .[٤٨٦] وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : نام رسول الله (على حصير ، فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاء . فقال : « ما لي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم

---

(١) نيل الأوطار، ٢/١١١

(٢) أسباب ورود الحديث ((تحليل وتأسيس))، ص/٣٢

راح وتركها » . رواه الترمذي ، وقال : (حديث حسن صحيح) .فيه : الإرشاد إلى ترك الاهتمام بعمارة الدنيا ، والحث على الاعتناء بعمارة منازل الآخرة ، وأن الدنيا دار عبور إلى دار الحبور .[٤٨٧] وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله (: « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمئة عام » . رواه الترمذي ، وقال : « حديث صحيح » .." (١)

"٣٥٩٦ – قوله (**ثوب شهرة**)أي من لبس ثوبا يقصد به الاشتهار بين الناس سواء كان الثوب نفيسا يلبسه تفاخرا بالدنيا وزينتها أو خسيسا يلبسه إظهارا للزهد والرياء(ثوب مذلة)بفتحتين من إضافة السبب إلى المسبب أو بيانية تشبيها للمذلة بالثوب في الاشتمال .." (٢)

"ثوب : فيه ﴿ إذا ثوب بالصلاة فائتوها وعليكم السكينة ﴾ التثويب ها هنا: إقامة الصلاة. والأصل في التثويب: أن يجيء الرجل مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر، فسمي الدعاء تثويبا لذلك. وكل داع مثوب. وقيل إنما سمي تثويبا من ثاب يثوب إذا رجع، فهو رجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة، وأن المؤذن إذا قال حي على الصلاة فقد دعاهم إليها، وإذا قال بعدها الصلاة خير من النوم فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها. ومنه حديث بلال ﴿ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أثوب في شيء من الصلاة إلا في صلاة الفجر ﴾ وهو قوله: الصلاة خير من النوم، مرتين. ومنه حديث أم سلمة رضي الله عنها ﴿ قالت لعائشة: إن عمود الدين لا يثاب بالنساء إن مال ﴾ أي لا يعاد إلى استوائه، من ثاب يثوب إذا رجع. ومنه حديث عائشة رضي الله عنها ﴿ فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﴾ أي يرجعون. وفي حديث عمر رضي الله عنه ﴿ لا أعرفن أحدا انتقص من سبل الناس إلى مثاباته شيئا ﴾ المثابات: جمع مثابة وهي المنزل؛ لأن أهله يثوبون إليه: أي يرجعون. ومنه قوله تعالى: ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ﴾ أي مرجعا ومجتمعا. وأراد عمر: لا أعرفن أحدا اقتطع شيئا من طرق المسلمين وأدخله داره. ومنه حديث عائشة رضي الله عنها، وقولها في الأحنف ﴿ ألي (في ا واللسان: أبي) كان يستجم مثابة سفهه؟ وحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ﴿ قيل له في مرضه الذي مات فيه: كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب ﴾ أي أضعف ولا أرجع إلى الصحة. وفي حديث ابن التيهان﴿ أثيبوا أخاكم ﴾ أي جازوه على صنيعه. يقال: أثابه يثيبه إثابة، والاسم الثواب، ويكون في الخير والشر، إلا أنه بالخير أخص وأكثر استعمالا. (هـ س) وفي حديث الخدري ﴿ لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها ﴾ قال الخطابي: أما أبو سعيد فقد استعمل الحديث على ظاهره، وقد روى في تحسين الكفن أحاديث، قال وقد تأوله بعض العلماء على المعنى، وأراد به الحالة التي يموت عليها من الخير والشر، وعمله الذي يختم له به. يقال فلان طاهر الثياب: إذا وصفوه بطهارة النفس والبراءة من العيب. وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿ وثيابك فطهر ﴾ أي عملك فأصلح. ويقال فلان دنس الثياب إذا كان خبيث الفعل والمذهب. وهذا كالحديث الآخر ﴿ يبعث العبد على ما مات عليه ﴾ قال الهروي: وليس قول من ذهب به إلى الأكفان بشيء، لأن الإنسان إنما يكفن

(١) تطريز رياض الصالحين، ٣٢٨/١

(٢) حاشية السندي على ابن ماجه، ٢٣/٧

بعد الموت. وفيه ﴿ من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة ﴾ أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن، بأن يصغره في العيون ويحقره في القلوب. وفيه ﴿ المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور ﴾ المشكل من هذا الحديث تثنية الثوب، قال الأزهري: معناه أن الرجل يجعل لقميصه كمين، أحدهما فوق الآخر ليري أن عليه قميصين، وهما واحد. وهذا إنما يكون فيه أحد الثوبين زورا لا الثوبان. وقيل: معناه أن العرب أكثر ما كانت تلبس عند الجدة والقدرة إزارا ورداء، ولهذا حين سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الثوب الواحد قال: أوكلكم يجد ثوبين؟ وفسره عمر رضي الله عنه بإزار ورداء، وإزار وقميص وغير ذلك. وروي عن إسحاق بن راهويه قال: سألت أبا الغمر الأعرابي هو ابن ابنة ذي الرمة عن تفسير ذلك فقال: كانت العرب إذا اجتمعوا في المحافل كانت لهم جماعة يلبس أحدهم ثوبين حسنين، فإن احتاجوا إلى شهادة شهد لهم بزور، فيمضون شهادته بثوبيه. يقولون: ما أحسن ثيابه؟ وما أحسن هيئته؟ فيجيزون شهادته لذلك، والأحسن فيه أن يقال: المتشبع بما لم يعط: هو أن يقول أعطيت كذا، لشيء لم يعطه، فأما إنه يتصف بصفات ليست فيه، يريد أن الله منحه إياها، أو يريد أن بعض الناس وصله بشيء خصه به، فيكون بهذا القول قد جمع بين كذبين: أحدهما اتصافه بما ليس فيه وأخذه ما لم يأخذه، والآخر الكذب على المعطي وهو الله تعالى أو الناس. وأراد بثوبي الزور هذين الحالين اللذين ارتكبهما واتصف بهما. وقد سبق أن الثوب يطلق على الصفة المحمودة والمذمومة، وحينئذ يصح التشبيه في التثنية، لأنه شبه اثنين باثنين. والله أعلم." (١)

"شهر : (هـ س) فيه ﴿ صوموا الشهر وسره ﴾ الشهر: الهلال، سمي به لشهرته وظهوره، أراد صوموا أول الشهر وآخره. وقيل سره وسطه. ومنه الحديث ﴿ الشهر تسع وعشرون ﴾ وفي رواية ﴿ إنما الشهر ﴾ أي إن فائدة ارتقاب الهلال ليلة تسع وعشرين ليعرف نقص الشهر قبله، وإن أريد به الشهر نفسه فتكون اللام فيه للعهد. وفيه ﴿ سئل أي الصوم أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: شهر الله المحرم ﴾ أضاف الشهر إلى الله تعظيما له وتفخيما، كقولهم بيت الله، وآل الله، لقريش. وفيه ﴿ شهرا عيد لا ينقصان ﴾ يريد شهر رمضان وذا الحجة: أي إن نقص عددهما في الحساب فحكمهما على التمام، لئلا تحرج أمته إذا صاموا تسعة وعشرين، أو وقع حجهم خطأ عن التاسع أو العاشر، لم يكن عليهم قضاء، ولم يقع في نسكهم نقص. وقيل فيه غير ذلك وهذا أشبه. وفيه ﴿ من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ﴾ الشهرة: ظهور الشيء في شنعة حتى يشهره الناس. ومنه حديث عائشة ﴿ خرج أبي شاهرا سيفه راكبا راحلته ﴾ تعني يوم الردة: أي مبرزا له من غمده. ومنه حديث ابن الزبير ﴿ من شهر سيفه ثم وضعه فدمه هدر ﴾ أي من أخرجه من غمده للقتال، وأراد بوضعه ضرب به. وفي شعر أبي طالب: فإني والضوابح كل يوم وما تتلو السفاسرة الشهور أي العلماء، واحدهم شهر. كذا قال الهرويشهق : في حديث بدء الوحي ﴿ ليتردى من رءوس شواهق الجبال ﴾ أي عواليها. يقال جبل شاهق: أي عالشهل : في صفته عليه السلام ﴿كان أشهل العين ﴾ الشهلة: حمرة في سواد العين كالشكلة في البياضشهم : فيه ﴿ كان شهما ﴾ أي نافذا في الأمور ماضيا. والشهم: الذكى الفؤادشوب : فيه ﴿ لا شوب ولا روب ﴾ أي لا غش ولا تخليط في شراء أو بيع. وأصل الشوب: الخلط، والروب من اللبن: الرائب لخلطه بالماء. ويقال للمخلط في كلامه: هو

---

(١) جامع غريب الحديث، ١٣٢/١

يشوب ويروب. وقيل معنى لا شوب ولا روب: أنك بريء من هذه السلعة. وفيه ﴿ يشهد بيعكم الحلف واللغو فشوبوه بالصدقة ﴾ أمرهم بالصدقة لما يجري بينهم من الكذب والربا والزيادة والنقصان في القول، لتكون كفارة لذلكشوحط : فيه ﴿ أنه ضربه بمخرش من شوحط ﴾ الشوحط: ضرب من شجر الجبال تتخذ من القسى. والواو زائدةشور : فيه ﴿ أنه أقبل رجل وعليه شورة حسنة ﴾ الشورة بالضم: الجمال والحسن، كأنه من الشور، وهو عرض الشيء وإظهاره. ويقال لها أيضا: الشارة، وهي الهيئة. ومنه الحديث ﴿ أن رجلا أتاه وعليه شارة حسنة ﴾ وألفها مقلوبة عن الواو. ومنه حديث عاشوراء ﴿ كانوا يتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم ﴾ أي لباسهم الحسن الجميل. وفي حديث أبي بكر ﴿ أنه ركب فرسا يشوره ﴾ أي يعرضه. يقال: شار الدابة يشورها إذا عرشها لتباع، والموضع الذي تعرض فيه الدواب يقال له المشوار. ومنه حديث أبي طلحة ﴿ أنه كان يشور نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ أي: يعرضها على القتل. والقتل في سبيل الله بيع النفس. وقيل يشور نفسه: أي يسعى ويخف، يظهر بذلك قوته. ويقال شرت الدابة، إذا أجريتها لتعرف قوتها. ومنه حديث طلحة ﴿ أنه كان يشور نفسه على غرلته ﴾ أي وهو صبي لم يختتن بعد. والغرلة: القلفة. وفي حديث ابن اللتبية ﴿ أنه جاء بشوار كثير ﴾ الشوار بالفتح: متاع البيت. وفي حديث عمر ﴿ في الذي تدلى بحبل ليشتار عسلا ﴾ يقال شار العسل يشوره، واشتاره يشتاره (وأشاره، واستشاره. كما في القاموس) إذا اجتناه من خلاياه ومواضعهشوس : في حديث الذي بعثه إلى الجن ﴿ فقال: يا نبي الله أسفع شوس؟ ﴾ الشوس: الطوال، جمع أسوس. كذا قال الخطابي. وفي حديث التيمى ﴿ ربما رأيت أبا عثمان النهدى يتشاوس، ينظر أزالت الشمس أم لا ﴾ التشاوس: أن يقلب رأسه ينظر إلى السماء بإحدى عينيه. والشوس: النظر بأحد شقي العين. وقيل هو الذي يصغر عينيه ويضم أجفانه لينظرشوص : فيه ﴿ أنه كان يشوص فاه بالسواك ﴾ أي يدلك أسنانه وينقيها. وقيل هو أن يستاك من سفل إلى علو. وأصل الشوص: الغسل. ومنه الحديث ﴿ استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك ﴾ أي بغسالته. وقيل يتفتت منه عند التسوك. وفيه ﴿ من سبق العاطس بالحمد أمن الشوص واللوص والعلوص ﴾ الشوص: وجع الضرس. وقيل الشوصة: وجع في البطن من ريح تنعقد تحت الأضلاع." (١)

"(من كنت وليه فعلي وليه) يدفع عنه ما يكره (حم ن ك عن بريدة) واسناده صحيح(من لبس الحرير في الدنيا) من الرجال (لم يلبسه في الآخرة) أي جزاؤه ان لا يلبسه فيها لاستعجاله ما أمر بتأخيره فحرم عند ميقاته (حم ق ن ه عن أنس) بن مالك(من لبس ثوب شهرة) أي ثوب تكبر وتفاخر ٠ أعرض الله عنه) أي لم ينظر اليه نظر رحمة (حتى يضعه متى وضعه) فيصغره في العيون ويحقره في القلوب (ه والضياء عن أبي ذر) وضعفه المنذري(من لبس ثوب شهرة) بحيث يشتهر به لابسه (البسه الله يوم القيامة ثوبا بامثله) كذا بخط المؤلف وفي نسخ ثوب مذلة أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن (ثم يلهب فيه النار) عقوبة له بنقيض فعله والجزاء من جنس العمل (ده عن ابن عمر) بن الخطاب قال المنذري حسن (من لبس الحرير) من الرجال (في الدنيا) عامدا عالما لغير ضرورة (ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من نار) جزاء بما عمل (حم عن جويرية) واسناده حسن(من لطم مملوكه أو ضربه) في غير تعليم وتأديب (فكفارته

(١) جامع غريب الحديث، ١/٤٨٢

أن يعتقه) أي ندبا وأجمعوا على عدم وجوبه (حم م دعن ابن عمر) بن الخطاب(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) وفي رواية مسلم من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه فاللعب به حرام وفي الثاني كما قال الزركشي تحريم مباشرة النجاسة أي بلا حاجة (حم ده ك عن أبي موسى) باسناد صحيح (من لعب بطلاق أو عتاق) أي قال طلقت زوجتي أو أعتقت عبدي هازلا (فهو كما قال) أي فيقع الطلاق والعتق فان هزلهما جد (طب عن أبي الدرداء) وضعفه الهيثمي فقول المؤلف حسن غير حسن(من لعق الصحفة ولعق أصابعه) من أثر الطعام (أشبعه الله في الدنيا والآخرة) دعاء أو خبر (طب عن العرباض) وفيه رجل مجهول." (١)

"٧٤٢- وعن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « من ترك أن يلبس صالح الثياب – وهو يقدر عليه – تواضعا لله عز وجل دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق حتى يخيره في حلل الإيمان أيتهن شاء » . رواه أحمد والترمذي .٧٤٣- وعن ابن عمر قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة » . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .٧٤٤- وعن ابن عمر قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . فقال أبو بكر : إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه ، فقال : « إنك لست ممن يفعل ذلك خيلاء » . رواه الجماعة إلا أن مسلما وابن ماجه والترمذي لم يذكروا قصة أبي بكر .٧٤٥- وعن ابن عمر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (٠ الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر شيئا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .٧٤٦- وعن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا » . متفق عليه .٧٤٧- ولأحمد والبخاري : « ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار » .." (٢)

"قوله : « من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ». قال الشارح : قال ابن الأثير : الشهرة ظهور الشيء ، والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ، ويختال عليهم بالعجب والتكبر . والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة وليس هذا الحديث مختصا بنفيس الثياب ، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ، ليراه الناس فيتعجبوا من لبسه ويعتقدوه .." (٣)

"حدثنا العباس بن يزيد البحراني ثنا وكيع بن محرز الناجي ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال * من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه \٣٦١٠\

ابن ماجه في سننه ج٢/ص١١٩٣ ح٣٦٠٨." (٤)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ٢/٨٥٦

(٢) بستان الأحبار شرح منتقى الأخبار (من دروس قناة المجد)، ١/٣١٧

(٣) بستان الأحبار شرح منتقى الأخبار (من دروس قناة المجد)، ١/٣١٩

(٤) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/١٢٤٣٩

"حدثنا عبيد بن غنام ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عبد الله بن نمير ح وحدثنا أحمد بن عمرو القطراني ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا عبد الله بن المبارك عن زكريا بن أبي زائدة ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن بن كعب بن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**

الطبراني في معجمه الكبير ج١٩/ص٩٦ ح١٨٩." (١)

"حدثنا موسى بن هارون ثنا عمر بن زرارة الحدثي ثنا عيسى بن يونس عن سعيد بن عمر البغوي عن عاصم بن أبي البداح بن عاصم بن عدي عن أبيه عن جده عاصم بن عدي قال اشتريت أنا وأخي مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال * يا عاصم ما ذئبان عاديان أصابا غنما أضاعها ربها بأفسد لها من عب المرء المال **والشرف لدينه**

الطبراني في معجمه الكبير ج١٧/ص١٧٤ ح٤٥٩." (٢)

"وقوله : ((لم يبارك له فيه)) ؛ أي : لا ينتفع به صاحبه ؛ إذ لا يجد لذة نفقته ، ولا ثواب صدقته ، بل يتعب بجمعه ، ويذم بمنعه ، ولا يصل إلى شيء من نفعه . ولا شك في أن الحرص على المال وعلى الحياة الدنيا مذموم ، مفسد للدين ، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم ، بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**)) ، ٥٧- وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى)).ــــــــــــوقوله : ((إنك إن تبذل الفضل خير لك ، ، وأن تمسكه شر لك)) ، الفضل يعي به : الفاضل عن الكفاية ، ولا شك في أن إخراجه أفضل من إمساكه . فأما إمساكه عن الواجبات فشر على كل حال ، وإمساكه عن المندوب إليه فقد يقال فيه شر ؛ بالنسبة إلى ما فوت الممسك على نفسه من الخير . وقد تقدم بيان هذا المعنى في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((وشر صفوف الرجال آخرها)) ؛ وأن معنى ذلك : أنها أقل ثوابا .٥٨- وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((لا تلحفوا بي في المسألة فوالله لا يسألني أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته مني شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته)).ــــــــــــوقوله : ((ولا تلام على كفاف)) ، يفهم منه بحكم دليل الخطاب : أن ما زاد على الكفاف يتعرض صاحبه للذم .وقوله : ((لا تلحفوا في المسألة)) ؛ هكذا صحيح الرواية ، ومعناه : لا تنزلوا في المسألة الملحف فيها ؛ أي : لا تلحوا علي في السؤال. والإلحاف : الإلحاح.." (٣)

"ــــــــــــمن تاب)). وقد نص الله تعالى على ذم ذلك في قوله : ﴿ ولتجدن أحرص الناس على حياة ﴾ ؛ وغيره مما في معناه .وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على

---

(١) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/٢١٧٠١

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/٢٢٧٠٨

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٩/٥٠

المال **والشرف لدينه**)) ، وقد تقدم : أن القراء في الصدر الأول هم كانوا الفقهاء ؛ لأنهم إنما كانوا يتفقهون في القرآن ، وحديث أبي موسى هذا يدل عليه ....

ـــــــــوقوله : " ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم " ؛ يعني به : [لا تستطيبوا] مدة البقاء في الدنيا ، فإن ذلك مفسد للقلوب بما يجره إليها من الحرص والقسوة ، حتى لا تلين لذكر ، ولا تنتفع بموعظة ولا زجر ، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((إن أشر ما أخاف على أمتي اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فاتباع الهوى يصدف قلوبكم عن الحق ، وطول الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا ، وما بعدها لأحد خير من دنيا ولا آخرة)).وقوله : "كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها " ، وهذا ضرب من النسخ ، فإن النسخ على مانقله علماؤنا على ثلاثة أضرب : أحدها : نسخ الحكم وبقاء التلاوة .والثاني : عكسه ، وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم .والثالث : نسخ الحكم والتلاوة ، وهو كرفع هاتين السورتين اللتين [ذكرهما] أبو موسى ، فإنهما رفع حكمهما وتلاوتهما . وهذا النسخ هو ....ـــــــــ." (١)

"وقوله : ((لم يبارك له فيه)) ؛ أي : لا ينتفع به صاحبه ؛ إذ لا يجد لذة نفقته ، ولا ثواب صدقته ، بل يتعب بجمعه ، ويذم بمنعه ، ولا يصل إلى شيء من نفعه . ولا شك في أن الحرص على المال وعلى الحياة الدنيا مذموم ، مفسد للدين ، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم ، بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**))،٥٧- وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى)).ـــــــــوقوله : ((إنك إن تبذل الفضل خير لك ، ، وأن تمسكه شر لك)) ، الفضل يعي به : الفاضل عن الكفاية ، ولا شك في أن إخراجه أفضل من إمساكه . فأما إمساكه عن الواجبات فشر على كل حال ، وإمساكه عن المندوب إليه فقد يقال فيه شر ؛ بالنسبة إلى ما فوت الممسك على نفسه من الخير . وقد تقدم بيان هذا المعنى في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((وشر صفوف الرجال آخرها)) ؛ وأن معنى ذلك : أنها أقل ثوابا .٥٨- وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((لا تلحفوا بي في المسألة فوالله لا يسألني أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته مني شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته)).ـــــــــوقوله : ((ولا تلام على كفاف)) ، يفهم منه بحكم دليل الخطاب : أن ما زاد على الكفاف يتعرض صاحبه للذم .." (٢)

"أحاديث هذا الباب كلها متواردة على الإخبار عما جبل الإنسان عليه ؛ من حب المال ، والحرص على البقاء في الدنيا ، وعلى أن ذينك ليسا بمحمودين ؛ بل مذمومين ، ويحقق الذم في ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((ويتوب الله على ٧٠- وعن أبي موسى الأشعري ، أنه بعث إلى قراء أهل البصرة ، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن ، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم ، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنا كنا

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٦٠/٩

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٠٢/٤

نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها ؛ غير أني قد حفظت منها : ((لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)) ، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها ؛ غير أني حفظت منها : ((يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة)).---ـــــــــــــمن تاب)). وقد نص الله تعالى على ذم ذلك في قوله : ﴿ ولتجدن أحرص الناس على حياة ﴾ ؛ وغيره مما في معناه .وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**)) ، وقد تقدم : أن القراء في الصدر الأول هم كانوا الفقهاء ؛ لأنهم إنما كانوا يتفقهون في القرآن ، وحديث أبي موسى هذا يدل عليه .." (١)

"اذا دخل البيت ؟ قالت كان اذا دخل البيت تمثل لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالث ولا يملاء فمه الا التراب وما جعلنا المال الا لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ويتوب الله على من تاب (عن أنس) (١) قال كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فلا أدري أشيء نزل عليه أم شيء يقوله ؟ وهو يقول لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثا ولا يملاء جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (عن جابر بن عبد الله) (٢) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو كان لابن آدم واد من نخل تمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب (عن زيد بن أرقم) (٣) قال لقد كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى اليهما آخر ولا يملاء بطن ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (عن أبي هريرة) (٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ يكبر ويضعف جسمه وقلبه شاب على حب اثنين طول العمر والمال (عن أنس) (٥) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يهرم (٦) ابن آدم وتبقى منه اثنتان (٧) الحرص والأمل (عن كعب بن مالك) (٨) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم أفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** (٩)." (٢)

"ولهذا جاء في الحديث : (يقول الشيطان : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار) وقد قال يونس : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ركب دابته يحمد الله ثم يكبر ثلاثا ويقول : (لا إله إلا أنت سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي) ، وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس : (سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) . والله أعلم، وصلى الله على محمد وسلم . - http://mirror.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp?BID=252&CID=193
TOP#TOPوكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق / محبتها لله وعبوديتها له، وإخلاص دينها له، كما قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة، وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤/١١٢

(٢) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ١/١٠١

ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال، **والشرف لدينه**) قال الترمذي : حديث حسن صحيح .فبين صلى الله عليه وسلم أن الحرص على المال، والشرف في فساد الدين، لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وذلك بين، فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله، ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه، وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء، كما قال تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٤٢] .." (١)

"وأما الكتان والقطن ونحوهما فمن تركه مع الحاجة فهو جاهل ضال، ومن أسرف فيه فهو مذموم . ومن تجمل بلبسه إظهارا لنعمة الله عليه، فهو مشكور على ذلك،/ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يري أثر نعمه عليه) ، وقال : (إن الله جميل يحب الجمال) . ومن ترك لبس الرفيع من الثياب تواضعا لله . لا بخلا، ولا التزاما للترك مطلقا . فإن الله يثيبه على ذلك، ويكسوه من حلل الكرامة .وتكره الشهرة من الثياب، وهو المترفع الخارج عن العادة . والمتخفض الخارج عن العادة؛ فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين، المترفع والمتخفض ، وفي الحديث : (من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله ثوب مذلة) . وخيار الأمور أوساطها .والفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة، فمن حج ماشيا لقوته على المشي، وآثر بالنفقة كان مأجورا أجرين : أجر المشي، وأجر الإيثار . ومن حج ماشيا؛ بخلا بالمال، إضرارا بنفسه، كان آثما إثمين : إثم البخل، وإثم الإضرار . ومن حج راكبا؛ لضعفه عن المشي، وللاستعانة بذلك على راحته، ليتقوي بذلك على العبادة، كان مأجورا أجرين . ومن حج راكبا يظلم الجمال، والحمال، كان آثما إثمين .وكذلك اللباس : فمن ترك جميل الثياب؛ بخلا بالمال، لم يكن له أجر . ومن تركه متعبدا بتحريم المباحات، كان آثما . ومن لبس/ جميل الثياب إظهارا لنعمة الله، واستعانة على طاعة الله ، كان مأجورا . ومن لبسه فخرا وخيلاء، كان آثما . فإن الله لا يحب كل مختال فخور .." (٢)

"٨٨- وقد روى أبو داود والنسائي وابن ماجه١ عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لبس **ثوب شهرة**؛ ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله".٨٩- وفي رواية: "ثوب مذلة ثم تلتهب فيه النار" ٢.ذم ثوب الخيلاء٩٠- وهذا لأنه قصد به الاختيال والفخر؛ فعاقبه الله بنقيض ذلك فأذله كما يعاقب الذي يطيل ثوبه خيلاء بأن خسف به الأرض ونحو ذلك كما فعل بـ"قارون".٩١- وفي "الصحيحين"٣ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل يجر إزاه خيلاء خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة".٩٢- وفي "الصحيحين"٤ عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة".ـ١ أبو داود (٤٠٢٩) واللفظ له، وابن ماجه (٣٦٠٦) وأحمد (٢/٩٢و١٣٩) والنسائي في الكبرى (٩٥٦٠) بلفظ "ثوب مذلة".٢ ابن ماجه (٣٦٠٧). وحسنه الألباني في "صحيح ابن ماجه" (٣/٢٠١).٣ البخاري (٥٤٥٢) ومسلم (٢٨٠٠) (٤٩) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله، ٢٧٢/١

(٢) مفهوم الشكر عند ابن تيمية رحمه الله، ١٦٣/٢

تقوم الساعة".واللفظ المذكور: عند البخاري (٣٢٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.٤ البخاري (٣٦٥٦) ومسلم (٢٠٨٥)(٤٤)..". [١]

"وقد تبين أن من جعل الورع الترك فقط ؛ وأدخل في هذا الورع أفعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم وأعرض عما فوتوه بورعهم من الحسنات الراجحة فإن الذي فاته من دين الإسلام أعظم مما أدركه فإنه قد يعيب أقواما هم إلى النجاة والسعادة أقرب . وهذه القاعدة منفعتها لهذا الضرب وأمثاله كثيرة ؛ فإنه ينتفع بها أهل الورع الناقص أو الفاسد وكذلك أهل الزهد الناقص أو الفاسد فإن الزهد المشروع الذي به أمر الله ورسوله هو عدم الرغبة فيما لا ينفع من فضول المباح فترك فضول المباح الذي لا ينفع في الدين زهد وليس بورع ولا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضر كما روى الترمذي عن كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ﴿ ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** ﴾ " قال الترمذي حديث حسن صحيح . فذم النبي صلى الله عليه وسلم الحرص على المال والشرف وهو الرياسة والسلطان وأخبر أن ذلك يفسد الدين مثل أو فوق إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم .." [٢]

"فى الدين والا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه كما فعله الكفار واهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم

الثالثة جهة المعارض الراجح هذا اصعب من الذى قبله فان الشيء قد يكون جهة فساده يقتضى تركه فيلحظه المتورع ولا لحظ ما يعارضه من الصلاح الراجح وبالعكس فهذا هذا وقد تبين ان من جعل الورع الترك فقط وادخل فى هذا الورع افعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم واعرض عما فوتوه بورعهم من الحسنات الراجحة فان الذى فاته من دين الاسلام اعظم مما ادركه فانه قد يعيب اقواما هم إلى النجاة والسعادة اقرب

وهذه القاعدة منفعتها لهذا الضرب وامثاله كثيرة فانه ينتفع بها اهل الورع الناقص او الفاسد وكذلك اهل الزهد الناقص اوالفاسد فان الزهد المشروع الذي به امر الله ورسوله هو عدم الرغبة فيما لا ينفع من فضول المباح فترك فضول المباح الذى لا ينفع فى الدين زهد وليس بورع ولا ريب ان الحرص والرغبة فى الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضر كما روى الترمذى عن كعب بن مالك قال قال رسول الله (ما ذئبان جائعان ارسلا فى زريبة غنم بافسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** (قال الترمذى حديث حسن صحيح فذم النبى الحرص

". [٣]

(١) قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي وسلاحه ودوابه – الرقمية، ص/٤٧

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية، ٤/٣٧٩

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٢٠/١٤٢

"فإن النبى قال (إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يرى أثر نعمه عليه (وقال (إن الله جميل يحب الجمال (ومن ترك لبس الرفيع من الثياب تواضعا لله لا بخلا ولا إلتزاما للترك مطلقا فإن الله يثيبه على ذلك ويكسوه من حلل الكرامة

وتكره الشهرة من الثياب وهو المترفع الخارج عن العادة والمتخفض الخارج عن العادة فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المترفع والمتخفض وفى الحديث (من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله ثوب مذلة (وخيار الأمور أوساطها

والفعل الواحد فى الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة فمن حج ماشيا لقوته على المشي وآثر بالنفقة كان مأجورا أجرين أجر المشى وأجر الإيثار ومن حج ماشيا بخلا بالمال إضرارا بنفسه كان آثما إثمين إثم البخل وإثم الإضرار ومن حج راكبا لضعفه عن المشى وللإستعانة بذلك على راحته ليتقوى بذلك على العبادة كان مأجورا أجرين ومن حج راكبا يظلم الجمال والحمال كان آثما إثمين

وكذلك اللباس فمن ترك جميل الثياب بخلا بالمال لم يكن له أجر ومن تركه متعبدا بتحريم المباحات كان آثما ومن لبس

---

(١) ".

"ويقال (ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان (والتجربة تبين ذلك ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان وقال النبي (إن الله يرضى لكم ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولا ه الله أمركم (رواه مسلم وقال (ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولا ة الأمور ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم (رواه أهل السنن وفى الصحيح عنه أنه قال (الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (

فالواجب اتخاذ الامارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله فان التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة او المال بها وقد روى كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** (قال الترمذى حديث حسن صحيح فأخبر ان حرص المرء على المال والرياسة

---

(٢) ".

"

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ١٣٨/٢٢

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ٣٩١/٢٨

والثواب الذي هو للشهرة هو الثواب الذي يقصد به الارتفاع عند الناس وإظهار الترفع أو التواضع والزهد كما جاء أن السلف كانوا يكرهون الشهرتين من اللباس المرتفع والمنخفض ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله ثوب مذلة فإنه عوقب بنقيض قصده وجاء في الحديث إن لكل عامل شره ولكل شرة فترة فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه وقال الحسن البصري رحمه الله إذا دخلت السوق وأشار الناس إليك بالأصابع فقيل إنه لم يرد هذا وإنما أراد المبتدع في الناس والفاجر في دينه أي أشار إليه بخروجه عن الطريق الشرعية

ومن قال إن أحدا من أولياء الله يقول للشيء كن فيكون فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل فإنه لا يقدر أحد على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى وليس كل ما يريده أن آدم يحصل له ولو كان من كان لكن في الآخرة يحصل له كل ما يريد فإذا اشتهى حصل له ذلك بقدرة الله تعالى فصل

أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك كل ذلك واجب على جميع الخلق المأمورين بأصل الدين باتفاق أئمة الدين

والناس فيها على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدال على ثلاث درجات أيضا ظالم لنفسه ومقتقصد وسابق بالخيرات

فالظالم العاصي بترك مأمورات وبفعل محظورات والمقتصد المؤدي للواجبات والتارك للمحرمات والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من اواجب ومستحب والتارك للمحرم والمكروه وإن كان كل من المقتصد والسابق

---

(١) ".

"ص -١٤٢- في الدين وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم .الثالثة : جهة المعارض الراجح . هذا أصعب من الذى قبله؛ فإن الشيء قد يكون جهة فساده يقتضى تركه فيلحظه المتورع؛ ولا لحظ ما يعارضه من الصلاح الراجح؛ وبالعكس فهذا هذا . وقد تبين أن من جعل الورع الترك فقط وأدخل في هذا الورع أفعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم وأعرض عما فوتوه بورعهم من الحسنات الراجحة، فإن الذى فاته من دين الإسلام أعظم مما أدركه فإنه قد يعيب أقواما هم إلى النجاة والسعادة أقرب .وهذه القاعدة منفعتها لهذا الضرب وأمثاله كثيرة، فإنه ينتفع بها أهل الورع الناقص أو الفاسد؛ وكذلك أهل الزهد الناقص أوالفاسد فإن الزهد المشروع الذي به أمر الله ورسوله هو عدم الرغبة فيما لا ينفع من فضول المباح، فترك فضول المباح الذى لا ينفع في الدين زهد وليس بورع، ولا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضر كما روي الترمذي عن كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ذئبان جائعان ارسلا في زريبة غنم بافسد لها

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية، ص/٥٨٧

من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** " قال الترمذي حديث حسن صحيح فذم النبي صلى الله عليه وسلم الحرص." (١)

"ص -١٣٨- فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يرى أثر نعمه عليه " ، وقال : " إن الله جميل يحب الجمال " . ومن ترك لبس الرفيع من الثياب تواضعا لله لا بخلا، ولا التزاما للترك مطلقا فإن الله يثيبه على ذلك، ويكسوه من حلل الكرامة .وتكره الشهرة من الثياب، وهو المترفع الخارج عن العادة . والمتخفض الخارج عن العادة؛ فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين، المترفع والمتخفض ، وفي الحديث : " من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله ثوب مذلة " . وخيار الأمور أوساطها .والفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة، فمن حج ماشيا لقوته على المشي، وآثر بالنفقة كان مأجورا أجرين : أجر المشي، وأجر الإيثار . ومن حج ماشيا؛ بخلا بالمال، إضرارا بنفسه، كان آثما إثمين : إثم البخل، وإثم الإضرار . ومن حج راكبا؛ لضعفه عن المشي، وللاستعانة بذلك على راحته، ليتقوي بذلك على العبادة، كان مأجورا أجرين . ومن حج راكبا يظلم الجمال، والحمال، كان آثما إثمين .وكذلك اللباس : فمن ترك جميل الثياب؛ بخلا بالمال، لم يكن له أجر . ومن تركه متعبدا بتحريم المباحات، كان آثما . ومن لبس." (٢)

"ص -٣٩١- ويقال : " ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان " . والتجربة تبين ذلك .ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون : لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم " . رواه مسلم . وقال : " ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم " . رواه أهل السنن . وفي الصحيح عنه أنه قال : " الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة " . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " .فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها . وقد روى كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** " . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة." (٣)

"ص -٢١٥- محبتها لله وعبوديتها له، وإخلاص دينها له، كما قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة، وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٦٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /٦٧

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، /١٥١

على المال، **والشرف لدينه** " قال الترمذي : حديث حسن صحيح .فبين صلى الله عليه وسلم أن الحرص على المال، والشرف في فساد الدين، لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وذلك بين، فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله، ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه، وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء، كما قال تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف : ٤٢] .فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب لا أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا ألين، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله، ومحبته له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا، كما قال تعالى : ﴿من خشي الرحمان بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ [ق : ٣٣] ، إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول." (١)

"ص -١٠٨- بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** " . قال الترمذى : حديث حسن .فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين، فأما مجرد الحب الذى في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما أمره الله به، ويترك ما نهى الله عنه، ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوى، فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا إذا لم يكن معه عمل، وجمع المال، إذا قام بالواجبات فيه ولم يكتسبه من الحرام، لا يعاقب عليه، لكن إخراج فضول المال، والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم، وأفرغ للقلب، وأجمع للهم، وأنفع في الدنيا والآخرة . وقال النبيصلى الله عليه وسلم : " من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهى راغمة " .." (٢)

"محبتها لله وعبوديتها له . وإخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** ﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح . فبين صلى الله عليه وسلم أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم وذلك بين ؛ فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له وذلك يقتضي

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧٤/١٥٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٧/١٨١

انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا . كما قال تعالى : ﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول." (١)

"بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** ﴾ . قال الترمذي حديث حسن . فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين فأما مجرد الحب الذي في القلب إذا كان الإنسان يفعل ما أمره الله به ويترك ما نهى الله عنه . ويخاف مقام ربه وينهى النفس عن الهوى فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا إذا لم يكن معه عمل وجمع المال إذا قام بالواجبات فيه ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه ؛ لكن إخراج فضول المال والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب وأجمع للهم وأنفع في الدنيا والآخرة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهي راغمة ﴾ .." (٢)

"في الدين وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم . الثالثة : جهة المعارض الراجح . هذا أصعب من الذي قبله ؛ فإن الشيء قد يكون جهة فساده يقتضي تركه فيلحظه المتورع ؛ ولا لحظ ما يعارضه من الصلاح الراجح ؛ وبالعكس فهذا هذا . وقد تبين أن من جعل الورع الترك فقط ؛ وأدخل في هذا الورع أفعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم وأعرض عما فوتوه بورعهم من الحسنات الراجحة فإن الذي فاته من دين الإسلام أعظم مما أدركه فإنه قد يعيب أقواما هم إلى النجاة والسعادة أقرب . وهذه القاعدة منفعتها لهذا الضرب وأمثاله كثيرة ؛ فإنه ينتفع بها أهل الورع الناقص أو الفاسد وكذلك أهل الزهد الناقص أو الفاسد فإن الزهد المشروع الذي به أمر الله ورسوله هو عدم الرغبة فيما لا ينفع من فضول المباح فترك فضول المباح الذي لا ينفع في الدين زهد وليس بورع ولا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضر كما روى الترمذي عن كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ﴿ ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** ﴾ " قال الترمذي حديث حسن صحيح . فذم النبي صلى الله عليه وسلم الحرص." (٣)

"فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ﴿ إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يرى أثر نعمه عليه ﴾ " وقال : " ﴿ إن الله جميل يحب الجمال ﴾ ومن ترك لبس الرفيع من الثياب تواضعا لله لا بخلا ولا التزاما للترك مطلقا فإن الله يثيبه على ذلك ويكسوه من حلل الكرامة . وتكره الشهرة من الثياب وهو المترفع الخارج عن العادة والمتخفض الخارج عن العادة ؛ فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المترفع والمتخفض وفي الحديث " ﴿ من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله ثوب مذلة ﴾ " . وخيار الأمور أوساطها . والفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة ويعاقب على فعله مع النية

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٠/٢١٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١١/١٠٨

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٢٠/١٤٢

الفاسدة فمن حج ماشيا لقوته على المشي وآثر بالنفقة كان مأجورا أجرين أجر المشي وأجر الإيثار . ومن حج ماشيا بخلا بالمال إضرارا بنفسه كان آثما إثمين : إثم البخل وإثم الإضرار ومن حج راكبا ؛ لضعفه عن المشي وللاستعانة بذلك على راحته ليتقوى بذلك على العبادة كان مأجورا أجرين ومن حج راكبا يظلم الجمال والحمال كان آثما إثمين . وكذلك اللباس : فمن ترك جميل الثياب بخلا بالمال لم يكن له أجر ومن تركه متعبدا بتحريم المباحات كان آثما ومن لبس." (١)

"ويقال ﴿ ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان ﴾ . والتجربة تبين ذلك . ولهذا كان السلف – كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما – يقولون : لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ﴾ . رواه مسلم . وقال : ﴿ ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ﴾ . رواه أهل السنن . وفي الصحيح عنه أنه قال : ﴿ الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾ . فالواجب اتخاذ الأمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله ؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات . وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها . وقد روى كعب بن مالك ﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** ﴾ . قال الترمذي حديث حسن صحيح . فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة." (٢)

" محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوب من العبادة كما قال النبي في الحديث الصحيح

تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش

وذلك كما جاء في الحديث إن الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقا للتوحيد من هذه الأمة ولهذا كان شداد بن أوس يقول يا نعايا العرب يا نعايا العرب إن أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود الشهوة الخفية **حب الرياسة**

وفي حديث الترمذى عن كعب بن مالك أن النبي قال ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علي المال **والشرف لدينه** قال الترمذي حديث حسن صحيح والحرص يكون علي قدر قوة الحب والبغض

وقد قال الله تعالي وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي إذا كان ." (٣)

"فصل في ملابسه صلى الله عليه وسلمكانت له عمامة تسمى : السحاب كساها عليا وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة . وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة . وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه كما رواه

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٣٨/٢٢

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٩١/٢٨

(٣) قاعدة في المحبة، ص/٩٩

مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه وفي مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر في حديث جابر : ذؤابة فدل على أن الذؤابة لم يكن [ص ١٣١] دائما بين كتفيه . وقد يقال إنه دخل مكة وعليه أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس في كل موطن ما يناسبه . وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيئا بديعا وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أدري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض . . . الحديث وهو في الترمذي وسئل عنه البخاري فقال [ص ١٣٢] قال فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم ولم أر هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره . ولبس القميص وكان أحب الثياب إليه وكان كمه إلى الرسغ ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء والفرجية ولبس القباء أيضا ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين ولبس الإزار والرداء . قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر وإزاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر .[النهي عن لبس الأحمر]ولبس حلة حمراء والحلة إزار ورداء ولا تكون الحلة إلا اسما للثوبين معا وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيره وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر وإلا فالأحمر البحت منهي عنه أشد النهي ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى [ص ١٣٣] فقال ما هذه الريطة التي عليك ؟ فعرفت ما كره فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورا لهم فقذفتها فيه ثم أتيته من الغد فقال يا عبد الله ما فعلت الريطة ؟ فأخبرته فقال هلا كسوتها بعض أهلك فإنه لا بأس بها للنساء وفي صحيح مسلم عنه أيضا قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين . فقال إن هذه من لباس الكفار فلا تلبسها وفي صحيحه أيضا عن علي رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لباس المعصفر ومعلوم أن ذلك إنما يصبغ صبغا أحمر . وفي بعض السنن أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى على رواحلهم أكسية فيها خطوط حمراء فقال ألا أرى هذه الحمرة قد علتكم فقمنا سراعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفر بعض إبلنا فأخذنا الأكسية فنزعناها عنها . رواه أبو داود . وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر . وأما كراهته [ص ١٣٤] فشديدة جدا فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه لبس الأحمر القاني كلا لقد أعاذه الله منه وإنما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله أعلم . ولبس الخميصة المعلمة والساذجة ولبس ثوبا أسود ولبس الفروة المكفوفة بالسندس . وروى الإمام أحمد وأبو داود بإسنادهما عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها فكأني أنظر إلى يديه تذبذبان . قال الأصمعي : المساتق فراء طوال الأكمام . قال الخطابي : يشبه أن تكون هذه المستقة مكففة بالسندس لأن نفس الفروة لا تكون سندسا .فصل واشترى سراويلوالظاهر أنه إنما اشتراها ليلبسها وقد روي في غير حديث أنه لبس السراويل وكانوا يلبسون السراويلات بإذنه . ولبس الخفين ولبس النعل الذي يسمى التاسومة . ولبس الخاتم واختلفت الأحاديث هل كان في يمناه أو يسراه وكلها صحيحة السند . ولبس البيضة التي تسمى : الخوذة ولبس الدرع التي تسمى : الزردية وظاهر يوم أحد بين الدرعين . [ص ١٣٥

] صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج . وفرجاها مكفوفان بالديباج فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وكان له بردان أخضران وكساء أسود وكساء أحمر ملبد وكساء من شعر وكان قميصه من قطن وكان قصير الطول قصير الكمين وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج فلم يلبسها هو ولا أحد من أصحابه البتة وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فإنها من جنس الخيلاء . وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة وهي ضرب من البرود فيه حمرة . وكان أحب الألوان إليه البياض وقال هي من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم وفي الصحيح عن عائشة أنها أخرجت كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين . [ص ١٣٦] ونهى عن التختم بالذهب ثم اتخذ خاتما من فضة ولم ينه عنه . وأما حديث أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أشياء وذكر منها : ونهى عن لبوس الخاتم إلا لذي سلطان فلا أدري ما حال الحديث ولا وجهه والله أعلم . وكان يجعل فص خاتمه مما يلي باطن كفه . وذكر الترمذي أنه كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه وصححه وأنكره أبو داود .[الإشارة إلى كراهة لبس الطيلسان]وأما الطيلسان فلم ينقل عنه أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل قد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة ورأى أنس جماعة [ص ١٣٧] فقال ما أشبههم بيهود خيبر . ومن هاهنا كره لبسها جماعة من السلف والخلف لما روى أبو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ليس منا من تشبه بقوم غيرنا وأما ما جاء في حديث الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى أبي بكر متقنعا بالهاجرة فإنما فعله النبي صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك ففعله للحاجة ولم تكن عادته التقنع وقد ذكر أنس عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر القناع وهذا إنما كان يفعله – والله أعلم – للحاجة من الحر ونحوه وأيضا ليس التقنع من التطيلس .فصل [غالب لبسه صلى الله عليه وسلم وأصحابه القطن]وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان وذكر الشيخ أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون قد لبسه عيسى ابن مريم وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع . ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقواما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه [ص ١٣٨] أنفسهم من غيره وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكرا وليس المنكر إلا التقيد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها .[السنة لبس ما تيسر]والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها وهي أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة .[لبس البرد]ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر ولبس الجبة والقباء والقميص والسراويل والإزار والرداء والخف والنعل وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة . وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك . وكان إذا استجد ثوبا سماه باسمه وقال اللهم أنت كسوتني هذا القميص أو الرداء أو العمامة أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ

بك من شره وشر ما صنع له وكان إذا لبس قميصه بدأ بميامنه . ولبس الشعر الأسود كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود [ص ١٣٩] وفي الصحيحين عن قتادة قلنا لأنس أي اللباس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال الحبرة . والحبرة برد من برود اليمن . فإن غالب لباسهم كان من نسج اليمن لأنها قريبة منهم وربما لبسوا ما يجلب من الشام ومصر كالقباطي المنسوجة من الكتان التي كانت تنسجها القبط . وفي سنن النسائي عن عائشة أنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة من صوف فلبسها فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها وكان يحب الريح الطيب . وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس قال لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي سنن النسائي عن أبي رمثة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وعليه بردان أخضران . والبرد الأخضر هو الذي فيه خطوط خضر وهو [ص ١٤٠] سواء فمن فهم من الحلة الحمراء الأحمر البحت فينبغي أن يقول إن البرد الأخضر كان أخضر بحتا وهذا لا يقوله أحد .[مخدته صلى الله عليه وسلم][الرد على من يمتنعون عما أباح الله][النهي عن لباس الشهرة سواء للفخر أو للتزهد]وكانت مخدته صلى الله عليه وسلم من أدم حشوها ليف فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بإزائهم طائفة قابلوهم فلا يلبسون إلا أشرف الثياب ولا يأكلون إلا ألين الطعام فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعض السلف كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض وفي السنن عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ثم تلهب فيه النار وهذا لأنه قصد به الاختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك فأذله كما عاقب من أطال ثيابه خيلاء بأن خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة وفي [ص ١٤١] صلى الله عليه وسلم قال الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة وفي السنن عن ابن عمر أيضا قال ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإزار فهو في القميص وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا لنعمة الله ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فقال رجل يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك ؟ فقال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس [ص ١٤٢]." (١)

" فصل

وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان وذكر الشيخ أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال : دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد . مشكول وموافق للمطبوع، ١/ ١٣٠

صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال : أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون : قد لبسه عيسى ابن مريم وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه و سلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقواما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكرا وليس المنكر إلا التقيد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها

والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله صلى الله عليه و سلم التى سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها وهي أن هديه في اللباس : أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة

ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر ولبس الجبة والقباء والقميص والسراويل والإزار والرداء والخف والنعل وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة

وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك

وكان إذا استجد ثوبا سماه باسمه وقال : [اللهم أنت كسوتني هذا القميص أو الرداء أو العمامة أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له]

وكان إذا لبس قميصه بدأ بميامنه ولبس الشعر الأسود كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود وفي الصحيحين عن قتادة قلنا لأنس : أي اللباس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ قال : الحبرة والحبرة : برد من برود اليمن فإن غالب لباسهم كان من نسج اليمن لأنها قريبة منهم وربما لبسوا ما يجلب من الشام ومصر كالقباطي المنسوجة من الكتان التي كانت تنسجها القبط وفي سنن النسائي عن عائشة أنها جعلت للنبي صلى الله عليه و سلم بردة من صوف فلبسها فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها وكان يحب الريح الطيب وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس

قال : لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه و سلم أحسن ما يكون من الحلل وفي سنن النسائي عن أبي رمثة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب وعليه بردان أخضران والبرد الأخضر : هو الذي فيه خطوط خضر وهو كالحلة الحمراء سواء فمن فهم من الحلة الحمراء الأحمر البحت فينبغي أن يقول : إن البرد الأخضر كان أخضر بحتا وهذا لا يقوله أحد

وكانت مخدته صلى الله عليه و سلم من أدم حشوها ليف فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بإزائهم طائفة قابلوهم فلا يلبسون إلا أشرف الثياب ولا يأكلون إلا ألين الطعام فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي صلى الله عليه و سلم ولهذا قال بعض السلف : كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب : العالي والمنخفض وفي السنن عن ابن عمر يرفعه إلى النبى صلى الله عليه و سلم : [من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ثم تلهب فيه النار] وهذا لأنه قصد به الإختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك فأذله كما عاقب من أطال ثيابه خيلاء بأن خسف به

الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة] وفي السنن عنه أيضا صلى الله عليه و سلم قال : [الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة] وفي السنن عن ابن عمر أيضا قال : ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في الإزار فهو في القميص وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا لنعمة الله ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فقال رجل : يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك ؟ فقال : لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر : بطر الحق وغمط الناس] ." (١)

"فصل في ملابسه صلى الله عليه وسلمكانت له عمامة تسمى : السحاب كساها عليا وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة . وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة . وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه كما رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه وفي مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر في حديث جابر : ذؤابة فدل على أن الذؤابة لم يكن [ص ١٣١] دائما بين كتفيه . وقد يقال إنه دخل مكة وعليه أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس في كل موطن ما يناسبه . وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيئا بديعا وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت لا أدري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض . . . الحديث وهو في الترمذي وسئل عنه البخاري فقال [ص ١٣٢] قال فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم ولم أر هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره . ولبس القميص وكان أحب الثياب إليه وكان كمه إلى الرسغ ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء والفرجية ولبس القباء أيضا ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين ولبس الإزار والرداء . قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر وإزاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر .[النهي عن لبس الأحمر]ولبس حلة حمراء والحلة إزار ورداء ولا تكون الحلة إلا اسما للثوبين معا وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيره وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر وإلا فالأحمر البحت منهي عنه أشد النهي ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى [ص ١٣٣] فقال ما هذه الريطة التي عليك ؟ فعرفت ما كره فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورا لهم فقذفتها فيه ثم أتيته من الغد فقال يا عبد الله ما فعلت الريطة ؟ فأخبرته فقال هلا كسوتها بعض

---

(١) زاد المعاد، ١٣٧/١

أهلك فإنه لا بأس بها للنساء وفي صحيح مسلم عنه أيضا قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين . فقال إن هذه من لباس الكفار فلا تلبسها وفي صحيحه أيضا عن علي رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لباس المعصفر ومعلوم أن ذلك إنما يصبغ صبغا أحمر . وفي بعض السنن أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى على رواحلهم أكسية فيها خطوط حمراء فقال ألا أرى هذه الحمرة قد علتكم فقمنا سراعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفر بعض إبلنا فأخذنا الأكسية فنزعناها عنها . رواه أبو داود . وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر . وأما كراهته [ص ١٣٤] فشديدة جدا فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه لبس الأحمر القاني كلا لقد أعاذه الله منه وإنما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله أعلم . ولبس الخميصة المعلمة والساذجة ولبس ثوبا أسود ولبس الفروة المكفوفة بالسندس . وروى الإمام أحمد وأبو داود بإسنادهما عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها فكأني أنظر إلى يديه تذبذبان . قال الأصمعي : المساتق فراء طوال الأكمام . قال الخطابي : يشبه أن تكون هذه المستقة مكففة بالسندس لأن نفس الفروة لا تكون سندسا .فصل واشترى سراويلوالظاهر أنه إنما اشتراها ليلبسها وقد روي في غير حديث أنه لبس السراويل وكانوا يلبسون السراويلات بإذنه . ولبس الخفين ولبس النعل الذي يسمى التاسومة . ولبس الخاتم واختلفت الأحاديث هل كان في يمناه أو يسراه وكلها صحيحة السند . ولبس البيضة التي تسمى : الخوذة ولبس الدرع التي تسمى : الزردية وظاهر يوم أحد بين الدرعين . [ص ١٣٥] صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج . وفرجاها مكفوفان بالديباج فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وكان له بردان أخضران وكساء أسود وكساء أحمر ملبد وكساء من شعر وكان قميصه من قطن وكان قصير الطول قصير الكمين وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج فلم يلبسها هو ولا أحد من أصحابه البتة وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فإنها من جنس الخيلاء . وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة وهي ضرب من البرود فيه حمرة . وكان أحب الألوان إليه البياض وقال هي من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم وفي الصحيح عن عائشة أنها أخرجت كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين . [ص ١٣٦] ونهى عن التختم بالذهب ثم اتخذ خاتما من فضة ولم ينه عنه . وأما حديث أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أشياء وذكر منها : ونهى عن لبوس الخاتم إلا لذي سلطان فلا أدري ما حال الحديث ولا وجهه والله أعلم . وكان يجعل فص خاتمه مما يلي باطن كفه . وذكر الترمذي أنه كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه وصححه وأنكره أبو داود .[الإشارة إلى كراهة لبس الطيلسان]وأما الطيلسان فلم ينقل عنه أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل قد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة ورأى أنس جماعة [ص ١٣٧] فقال ما أشبههم بيهود خيبر . ومن هاهنا كره لبسها جماعة من السلف والخلف لما روى أبو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ليس منا من تشبه بقوم غيرنا وأما ما جاء في حديث الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى أبي بكر متقنعا بالهاجرة فإنما فعله النبي صلى الله عليه وسلم تلك الساعة

ليختفي بذلك ففعله للحاجة ولم تكن عادته التقنع وقد ذكر أنس عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر القناع وهذا إنما كان يفعله – والله أعلم – للحاجة من الحر ونحوه وأيضا ليس التقنع من التطيلس .فصل [غالب لبسه صلى الله عليه وسلم وأصحابه القطن]وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان وذكر الشيخ أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون قد لبسه عيسى ابن مريم وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع . ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقواما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه [ص ١٣٨] أنفسهم من غيره وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكرا وليس المنكر إلا التقيد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها .[السنة لبس ما تيسر]والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها وهي أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة .[لبس البرد]ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر ولبس الجبة والقباء والقميص والسراويل والإزار والرداء والخف والنعل وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة . وكان يتلحى بالعمامة تحت الحنك . وكان إذا استجد ثوبا سماه باسمه وقال اللهم أنت كسوتني هذا القميص أو الرداء أو العمامة أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان إذا لبس قميصه بدأ بميامنه . ولبس الشعر الأسود كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود [ص ١٣٩] وفي الصحيحين عن قتادة قلنا لأنس أي اللباس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال الحبرة . والحبرة برد من برود اليمن . فإن غالب لباسهم كان من نسج اليمن لأنها قريبة منهم وربما لبسوا ما يجلب من الشام ومصر كالقباطي المنسوجة من الكتان التي كانت تنسجها القبط . وفي سنن النسائي عن عائشة أنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة من صوف فلبسها فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها وكان يحب الريح الطيب . وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس قال لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي سنن النسائي عن أبي رمثة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وعليه بردان أخضران . والبرد الأخضر هو الذي فيه خطوط خضر وهو [ص ١٤٠] سواء فمن فهم من الحلة الحمراء الأحمر البحت فينبغي أن يقول إن البرد الأخضر كان أخضر بحتا وهذا لا يقوله أحد .[مخدته صلى الله عليه وسلم][الرد على من يمتنعون عما أباح الله][النهي عن لباس الشهرة سواء للفخر أو للتزهد]وكانت مخدته صلى الله عليه وسلم من أدم حشوها ليف فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بإزائهم طائفة قابلوهم فلا يلبسون إلا أشرف الثياب ولا يأكلون إلا ألين الطعام فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعض السلف كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض وفي السنن عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ثم تلهب فيه النار وهذا لأنه قصد به الاختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك فأذله كما عاقب من أطال ثيابه خيلاء

بأن خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة وفي [ص ١٤١] صلى الله عليه وسلم قال الإسبال في الإزار والقميص والعمامة من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة وفي السنن عن ابن عمر أيضا قال ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإزار فهو في القميص وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا لنعمة الله ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فقال رجل يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك ؟ فقال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس [ص ١٤٢]." (١)

"كل عمل لابد فيه من شرطين لقبولهوقل له: كل عمل لابد فيه من شرطين لقبوله: وهما الإخلاص، والمتابعة، وأنت مفلس من هذا وهذا.أما الإخلاص فيفسده عليك طلب الدنيا والرياسة وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه)**. (١)فما الذي يخرجك من معنى الحديث ونحن لم نسمع ولا بواحد أصلح مجاناً، فالمنافسة على تحصيل المال الذي هو عوض متعجل ظاهرةٌ لا تخفى، ولو قُطِعَتْ هذه الأموال لتغيرت الأحوال كذلك الرياسة والتشييخ مما يتنافس عليه المتنافسون.أما المتابعة فأمرها أظهر من الإخلاص لأنك تسير في طريق محدث، وما كان فيه من الأمور السلفية فلم يرد به وجه الله فهل تقول: إن هذا طريق النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه؟ يكذبك العلم المدوَّن والسِّيَر المشرقة النيرة، ولا يبقى معك إلا المكابرة والجدال بالباطل وهذه بضاعتك ومن ملئوا الأرض اليوم من أمثالك. ____________(١) قال الترمذي حسن صحيح.." (٢)

"٣ – أن العلم إذا لم تخلص فيه النية . وذلك بأن يكون الله هو المحبوب والمراد المقصود . فإنه يكون حجاباً عن المعلوم وهو الحق سبحانه.تأمل كيف يكون العلم إذا أريد به الدنيا والرئاسة ونحو ذلك كيف يكون حجاباً عن الله لأن العلم وسيلة فهو كالطريق الموصلة إلى بلد معين، فالمخلص السائر إلى الله مثل من سلك هذا الطريق وَجَدّ في سيره فهو يصل وإن صادفته بعض العوائق والعثرات نهض وأسرع ومثل المحتجب بالعلم عن المعلوم مثل من هو على طريق البلد المقصود لكنه يدور في الطريق وإذا تقدم خطوة رجع خطوتين وجلس فكيف يصل هذا ومتى يصل لأنه استخدم الوسيلة لغير غايتها فاحذر من الاغترار بأن تظن أن العلم مقصود لذاته فتطمئن إليه وتركن إليه فتحجبك الوسيلة عن الغاية وتذكر حديث: (ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه)**. (١)معنى الحديث أنك إذا طلبت العلم للدنيا والرئاسة كنت كمثل من أدخل غنماً في زريبة ثم أدخل عليها ذئبين جائعين.تأمل كيف يكون إفسادهما للغنم،

---

(١) زاد المعاد، ١/١٣٠

(٢) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/١١٤

فالغنم هي علمك النافع وأعمالك الصالحة، والذئبان هما القصود والنيات التي تفسد ذلك وما يتفرع منها من الأعمال.

____________(١) قال الترمذي: حسن صحيح.." (١)

" و الخلة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب فإنهم يقولون : قلب متيم إذا كان متعبدا للمحبوب والمتيم المتعبد وتيم الله عبده وهذا على الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليه و سلم ولهذا لم يكن له من أهل الأرض خليل إذ الخلة لا تحتمل الشركة فإنه كما قيل في المعنى

(قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا)

بخلاف أصل الحب فإنه صلى الله عليه و سلم [قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة : اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وسأله عمرو بن العاص أي الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة قال : فمن الرجال ؟ قال : أبوها وقال لعلي رضي الله عنه : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله] وأمثال ذلك كثير

وقد أخبر تعالى أنه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقال : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له حتى قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾

وأما الخلة فخاصة وقول بعض الناس : إن محمدا حبيب الله وإبراهيم خليل الله وظنه أن المحبة فوق الخلة قول ضعيف فإن محمدا أيضا خليل كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب وخليل وأمثال ذلك فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها

وقد قدمنا أن من محبة الله تعالى محبة ما أحب كما في الصحيحين : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار] أخبر النبي صلى الله عليه و سلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له فمن أحب شيئا أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى

ومن قال إن اللذة إدراك الملائم كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء فقد غلط في ذلك غلطا بينا فإن الإدراك يتوسط بين المحبة واللذة فإن الإنسان مثلا يشتهي الطعام فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة فاللذة تتبع النظر إلى الشيء فإذا نظر إليه التذ فاللذة تتبع النظر ليس نفس النظر وليست هي رؤية الشيء بل تحصل عقيب رؤيته وقال تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾ وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام من فرح وحزن ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب أو الشعور بالمكروه وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور

---

(١) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/١٢٨

تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها

فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم

و تفريعها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله

و دفع ضدها أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار فإذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم حب المؤمنين الذين يحبهم الله لأنه أكمل الناس محبة لله وأحقهم بأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله و الخلة ليس لغير الله فيها نصيب بل قال : [لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا] علم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة

والمقصود هو أن الخلة و المحبة لله تحقيق عبوديته وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهمون أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة معه أو أن المحبة فيها انبساط في الأهواء أو إدلال لا تحتمله الربوبية ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال : أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية وقال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف الرجاء فهو مؤمن موحد ولهذا وجد في المستأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله ويدعي أحدهم دعوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين أو يطلبون من الله ما لا يصلح – بكل وجه – إلا لله لا يصلح للأنبياء والمرسلين

وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بينتها الرسل وحررها الأمر والنهي الذي جاؤوا به بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته وإذا ضعف العقل وقل العلم بالدين وفي النفس محبة انبسطت النفس بحمقها في ذلك كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله ويقول : أنا محب فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عذران وجهل فهذا عين الضلال وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ قال الله تعالى : ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين ولا منسوبين إليه بنسبة النبوة بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون

فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه محبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن الله يبغض منه ذلك كما يحب منه ما يفعله من الخير إذ حبه للعبد بحسب إيمانه وتقواه ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع إصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه وعدم تداويه منه بصحة مزاجه

ولو تدبر الأحمق ما قص الله في كتابه من قصص أنبيائه وماجرى لهم من التوبة والاستغفار وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها ولو كان أرفع الناس مقاما فإن

المحب للمخلوق إذا لم يكن عارفا بمصلحته ولا مريدا لها بل يعمل بمقتضى الحب – وإن كان جهلا وظلما – كان ذلك سببا لبغض المحبوب له ونفوره عنه بل لعقوبته

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعا من أمور الجهل بالدين إما من تعدي حدود الله وإما من تضييع حقوق الله وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها كقول بعضهم : أي مريد لي ترك في النار أحدا فأنا منه بريء فقال الآخر : أي مريد لي ترك أحدا من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء فالأول جعل مريده يخرج كل من في النار والثاني جعل مريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار ويقول بعضهم : إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتي على جهنم حتى لا يدخلها أحد وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين وهي إما كذب عليهم وإما غلط منهم ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلية وفناء يسقط فيها تمييز الإنسان أو يضعف حتى لا يدري ما قال و السكر هو لذة عدم تمييز ولهذا كان بين هؤلاء من إذا استغفر من ذلك الكلام

والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كان هذا أصل مقصدهم ولهذا أنزل الله للمحبة محنة يمتحن بها المحب فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ فلا يكون محبا لله إلا من يتبع رسوله وطاعة الرسول ومتابعته تحقيق العبودية

وكثير ممن دعي المحبة يخرج عن شريعته وسنته ويدعي من الخيالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته بل قد جعل محبة الله ومحبة رسوله الجهاد في سبيله و الجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به وكمال بغض ما نهى الله عنه ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ﴾

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبوديية من قبلهم وأكمل هذه الأمة في ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فأين هذا من قوم يدعون المحبة ؟ !

و [في] كلام بعض الشيوخ : المحبة نار تحرق في القلب ماسوى مراد المحبوب وأرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان ولا يمكن أحدا أن يحب كل موجود بل يحب ما يلائمه وينفعه ما ينافيه ويضره ولكن استفادوا بهذا الضلال اتباع أهوائهم فهم يحبون ما يهوونه كالصور والرئاسة وفضول المال والبدع المضلة زاعمين أن هذا من محبة الله ومن محبة الله بغض ما يبغضه الله ورسوله وجهاد أهله بالنفس والمال

وأصل ضلالهم أن هذا القائل الذي قال : إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب قصد بمراد الله تعالى الإرادة الدينية الشرعية التي هو بمعنى محبته ورضاه فكأنه قال : تحرق من القلب ماسوى المحبوب لله وهذا معنى صحيح فإن من تمام الحب أن لا يحب إلا ما يحبه الله فإذا أحببت مالا يحب كانت المحبة ناقصة وأما قضاؤه وقدره فهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه فإن لم أوافقه في بغضه وكراهته وسخطه لم أكن محبا له بل محبا لما يبغضه فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة الله ناظرا إلى عموم ربوبيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك

الأسفل من النار كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شر من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم وفي التوراة والإنجيل من محبة الله ما هم متفقون عليه حتى إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس

ففي الإنجيل أن المسيح قال : أعظم وصايا المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة وإن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك وهم برآء من محبة الله إذ لم يتبعوا ما أحبه بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم وهو سبحانه يحب من يحبه لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له ن وإن كان جزاء الله لعبده أعظم كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : [من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة]

وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح : [لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث]

وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى : من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا ثم إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح ويثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع

وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده ويقدر نقص هذا يكون نقص هذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين : أن يكون لله وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب كما قال : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾

فلا بد من العمل الصالح وهو الواجب والمستحب ولا بد أن يكون خالصا لوجه الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال النبي صلى الله عليه و سلم : [من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد] وقال النبي صلى الله عليه و سلم : [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه]

وهذا الأصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون الدين وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وإليه دعا الرسول وعليه جاهد وبه أمر وفيه رغب وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه

والشرك غالب على النفوس وهو كما جاء في الحديث [وهو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل] وفي حديث آخر [قال أبو بكر : يا رسول الله كيف ننجو منه وهو أخفى من دبيب النمل ؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم لأبي بكر : ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجله ؟ قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم] وكان عمر يقول في دعائه : الله اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا

وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال [ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**] قال الترمذي حديث حسن صحيح

فبين صلى الله عليه و سلم أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم وذلك بين فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾

فإن المخلصين لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له وكذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا كما قال تعالى : ﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾

وإذا كان العبد مخلصا له اجتباه ربه فيحيي قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه كالغصن أي نسيم مر بعطفه أماله فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذه هو عبدا له لكان ذلك عيبا ونقصا وذما وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل ويعادي من يذمه ولو بالحق وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب والقلوب تهواها فيتخذ إلهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله

ومن لم يكن خالصا لله عبدا له قد صار قلبه معبدا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه ويكون ذليلا له خاضعا وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين أخوان الشياطين

وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه فالقلب إن لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه وإلا كان مشركا قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ إلى قوله : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾

وقد جعل الله سبحانه إبراهيم وآل إبراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته وإخلاص الدين له كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة المشركين المتبعين أهواءهم قال تعالى في إبراهيم : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ وقال في فرعون وقومه : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾

ولهذا يصير اتباع فرعون أولا إلى أن لا يميزوا بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما قدر الله وقضاه بل ينظرون إلى المشيئة المطلقة الشاملة ثم في آخر الأمر لا يميزون بين الخالق والمخلوق بل يجعلون وجود هذا وجود هذا ويقول محققوهم الشريعة فيها طاعة ومعصية والحقيقة فيها معصية بلا طاعة والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى وما أرسله به من الأمر والنهي

وأما إبراهيم وآل إبراهيم الحنفاء والأنبياء فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية وأن العبد كلما ازداد تحقيقا ازدادت محبته لله وعبوديته له وطاعته له واعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره وطاعة غيره وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه والخليل يقول : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشائخ كما فعلت النصارى ." (١)

"ص -١٣٩- المرء على المال **والشرف لدينه**" قال الترمذي حديث حسن صحيح ولأنه يخاف على صاحبها انتفاخه بذلك واختياله وأن يفتن باشتهاره ولذلك صلى حذيفة بن اليمان مرة إماما ثم قال: "لتصلن وحدانا أو لتلتمسن لكم إماما غيري فإني لما أممتكم خيل إلي أنه ليس فيكم مثلي" وقيل لمحمد بن سيرين في بعض المرات إلا تؤم أصحابك فقال: "كرهت أن يتفرقوا فيقولوا أمنا محمد بن سيرين" ولأن الإمام يتحمل صلاة المأمومين الذي دل عليه حديث الضمان والآذان سليم من هذه المخاوف كلها بل ربما زهد الشيطان فيه وثبط عنه حتى يفوض إلى أطراف الناس ولذلك قال عمر رضي الله عنه لبعض العرب من يؤذن لكم قالوا عبيدنا قال ذلك شر لكم وأما إمامته صلى الله عليه وسلم وإمامة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فمثل الإمارة والقضاء وذلك أن الولايات وأن كانت خطرة لكن إذا أقيم أمر الله فيها لم يعدلها شيء من الأعمال وإنما يهاب الدخول فيها أولا خشية أن لا يقام أمر الله فيها لكثرة نوائبها وخشية أن يفتن القلب بالولاية لما فيها من الشرف والعز ويكره طلبها لأنه من حب الشرف وإرادة العلو في الأرض يكون في الغالب ولأنه تعرض للمحنة

---

(١) الفتاوى الكبرى، ١٩٦/٥

والبلوى فإذا ابتلي المرء بها صار القيام بها فرضا عليه وكذلك إذا تعينت عليه فإمامته وإمامة الخلفاء الراشدين كانت متعينة عليهم فإنها." (١)

"عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ . فَالدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ وَلَا يَكُونُ لِلَّهِ إلَّا مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُوَ الْمَشْرُوعُ . فَكُلُّ عَمَلٍ أُرِيدَ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُوَافِقُ شَرْعَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بَلْ لَا يَكُونُ لِلَّهِ إلَّا مَا جَمَعَ الْوَصْفَيْنِ : أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَأَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ . كَمَا قَالَ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ فَلَا بُدَّ مِنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَهُوَ الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحَبُّ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ ﴾ . وَهَذَا الْأَصْلُ هُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَبِحَسَبِ تَحْقِيقِهِ يَكُونُ تَحْقِيقُ الدِّينِ وَبِهِ أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَإِلَيْهِ دَعَا الرَّسُولُ وَعَلَيْهِ جَاهَدَ ؛ وَبِهِ أَمَرَ وَفِيهِ رَغَّبَ ؛ وَهُوَ قُطْبُ الدِّينِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ . وَالشِّرْكُ غَالِبٌ عَلَى النُّفُوسِ . وَهُوَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ . ﴿ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ ﴾ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ ﴿ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . كَيْفَ نَنْجُو مِنْهُ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً إذَا قُلْتَهَا نَجَوْت مِنْ دِقِّهِ وَجِلِّهِ ؟ قُلْ : اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ ﴾ . وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدِ فِيهِ شَيْئًا . وَكَثِيرًا مَا يُخَالِطُ النُّفُوسَ مِنْ الشَّهَوَاتِ الْخَفِيَّةِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهَا تَحْقِيقَ مَحَبَّتِهَا لِلَّهِ وَعُبُودِيَّتِهَا لَهُ . وَإِخْلَاصِ دِينِهَا لَهُ كَمَا قَالَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ : يَا بَقَايَا الْعَرَبِ إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الرِّيَاءُ وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ . قِيلَ لِأَبِي داود السجستاني : وَمَا الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ ؟ قَالَ : حُبُّ الرِّئَاسَةِ وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ **وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ** ﴾ قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . فَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْحِرْصَ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي فَسَادِ الدِّينِ لَا يَنْقُصُ عَنْ فَسَادِ الذِّئْبَيْنِ الْجَائِعَيْنِ لِزَرِيبَةِ الْغَنَمِ وَذَلِكَ بَيِّنٌ ؛ فَإِنَّ الدِّينَ السَّلِيمَ لَا يَكُونُ فِيهِ هَذَا الْحِرْصُ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ إذَا ذَاقَ حَلَاوَةَ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يُقَدِّمَهُ عَلَيْهِ وَبِذَلِكَ يُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ فَإِنَّ الْمُخْلِصَ لِلَّهِ ذَاقَ مِنْ حَلَاوَةِ عُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ عُبُودِيَّتِهِ لِغَيْرِهِ وَمِنْ حَلَاوَةِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ إذْ لَيْسَ عِنْدَ الْقَلْبِ لَا أَحْلَى وَلَا أَلَذَّ وَلَا أَطْيَبَ وَلَا أَلْيَنَ وَلَا أَنْعَمَ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ الْمُتَضَمِّنِ عُبُودِيَّتَهُ." (٢)

---

(١) شرح العمدة / المشيقح، ٢/١١٣

(٢) رسالة العبودية، ص/٢٩

"ويقول (١)((وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه وهذا الأصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون الدين وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وإليه دعا الرسول وعليه جاهد وبه أمر وفيه رغب وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه والشرك غالب على النفوس وهو كما جاء في الحديث وهو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل (٢) وفي حديث آخر قال أبو بكر الجواب يا رسول الله كيف ننجو منه وهو أخفى من دبيب النمل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الجواب ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجله قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم وكان عمر يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا (٣) ، وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها وعبوديتها له وإخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قيل لأبي داود السجستاني وما الشهوة الخفية قال : حب الرئاسة وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** (٤)) .٢) المتابعة والموافقة ــــــــــــــــــ(١))الفتاوى الكبرى٢/٣٩٨ .(٢)) سوف يأتي تخريجه .(٣)) ((طبقات المحدثين ٤/٢٦١))عبدا لله ابن حيان الأنصاري .(٤)) أخرجه الترمذي رقم ٢٣٧٦، وقال حديث حسن صحيح .." (١)

"كل عمل لا بد فيه من شرطين لقبولهوقل له: كل عمل لا بد فيه من شرطين لقبوله: وهما الإخلاص، والمتابعة، وأنت مفلس من هذا وهذا.أما الإخلاص فيفسده عليك طلب الدنيا والرياسة وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**". [قال الترمذي: حسن صحيح].فما الذي يخرجك من معنى الحديث ونحن لم نسمع ولا بواحد أصلح مجاناً، فالمنافسة على تحصيل المال الذي هو عوض متعجل ظاهره لا تخفى. ولو قُطِعَت هذه الأموال لتغيرت الأحوال كذلك الرياسة والتشييخ مما يتنافس عليه المتنافسون.." (٢)

""ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**" (١).معنى الحديث أنك إذا طلبت العلم للدنيا والرئاسة كنت كمثل من أدخل غنماً في زريبة ثم أدخل عليها ذئبين جائعين.تأمل كيف يكون إفسادها للغنم. فالغنم هل علمك النافع وأعمالك الصالحة. والذئبان هما المقصود والنيات التي تفسد ذلك وما يتفرع منها من الأعمال. لما عربت كتب اليونان صار ما مُدِح من الكتاب والسنة من مسمى الحكمة يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة [يعني اليونان] أو نحوها من الأمم كالهند. [ذكره شيخ الإسلام في نقض التأسيس ص٣٢٣]. ــــــــــــــــــ(١) – قال الترمذي: حسن صحيح.." (٣)

---

(١) حقيقة الإخلاص عند شيخ الإسلام ابن تيمية وانحراف كثير من الفقهاء، ص/٦

(٢) دعوى الإصلاح، عبد الكريم الحميد ص/٧

(٣) دعوى الإصلاح، عبد الكريم الحميد ص/٢٨

"العمل والعياذ بالله ويظهر خطره في الأمور الآتية:أولاً: الرياء أخطر على المسلمين من المسيح الدجال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟: الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل)) (١).ثانياً: الرياء أشدّ فتكًا من الذئب في الغنم، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسَدَ من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**)) (٢).وهذا مثل ضربه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيّن فيه أن الدين يفسد بالحرص على المال، وذلك بأن يشغله عن طاعة الله، وبالحرص على الشرف في الدنيا بالدين، وذلك إذا قصد الرياء والسمعة.ثالثاً: خطورة الرياء على الأعمال الصالحة خطر عظيم؛ لأنه يذهب بركتها، ويُبطلها والعياذ بالله: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).هذه هي آثار الرياء تمحق العمل الصالح محقًا في وقت لا يملك صاحبه قوة ولا عونًا، ولا يستطيع لذلك ردًّا. ــــــــــــــــــــ(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: الرياء والسمعة، ٢/ ١٤٠٦، برقم ٤٢٠٤، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٤١٠.(٢) الترمذي، كتاب الزهد، بابٌ: حدثنا سويد، برقم ٢٣٧٦، ٤/ ٥٨٨، وأحمد، ٣/ ٤٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٢٨٠.(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.." (١)

"أولاً: الرياء أخطر على المسلمين من المسيح الدجال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟: الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل)) (١).ثانياً: الرياء أشدّ فتكًا من الذئب في الغنم، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسَدَ من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**)) (٢).وهذا مثل ضربه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيّن فيه أن الدين يفسد بالحرص على المال، وذلك بأن يشغله عن طاعة الله، وبالحرص على الشرف في الدنيا بالدين، وذلك إذا قصد الرياء والسمعة.ثالثاً: خطورة الرياء على الأعمال الصالحة خطر عظيم؛ لأنه يذهب بركتها، ويُبطلها والعياذ بالله: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).هذه هي آثار الرياء تمحق العمل الصالح محقًا في وقت لا يملك صاحبه قوة ولا عونًا، ولا يستطيع لذلك ردًّا.قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي ــــــــــــــــــــ(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: الرياء والسمعة، ٢/ ١٤٠٦، برقم ٤٢٠٤، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٤١٠.(٢) الترمذي، كتاب الزهد، بابٌ: حدثنا سويد، برقم ٢٣٧٦، ٤/ ٥٨٨، وأحمد، ٣/ ٤٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٢/ ٢٨٠.(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.." (٢)

"ومعنى قوله [– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –]: «كاسيات عاريات» أي كاسيات في الصورة عاريات في الحقيقة، لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسدًا، ولا تخفي عورة. والغرض من اللباس السترُ، فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عاريًا.خامسًا:

---

(١) نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٩

(٢) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٣٨

ألا يكون الثوب معطرًا فيه إثارة للرجال لقوله عليه الصلاة والسلام [قد تقدم شرح هذه النقطة].سادسًا: ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال، أو مما يلبسه الرجال، لحديث أبي هريرة: «لعن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» (١). وفي الحديث: «لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء» (٢) أي: المتشبهات بالرجال في أزيائهن وأشكالهن كبعض نساء هذا الزمان. نسأل الله السلامة والحفظ (٣) انتهى من «روائع البيان».جـ - شرطان آخران للحجاب الشرعي:اشترط بعض العلماء فوق ما تقدم:١ - ألا يشبه لباس الكافرات.٢ - ألا يكون لبس شهرة، لقول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «من لبس **ثوب شهرة** في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارًا». أخرجه أبو داود وابن ماجه وإسناده حسن كما قال المنذري. ____________(١) رواه أبو داود والنسائي كذا في «تخريج السنن» (جـ٦ ص: ٥٧).(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني. (قل).(٣) «روائع البيان» للشيخ الصابوني أثابه الله (جـ٢ ص: ٣٨٤: ٣٨٦). (قل).." (١)

"غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**) وفي الصحيح: (تعس عبد الدينار) الحديث؛ وهذا في المال والجاه والصور.

ولقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن العبد كلما قوي إخلاصه لله وعظم كلما ابتعد عن الشهوات والشبهات، وكلما ضعف إخلاصه وقل كلما توغل فيها، والعياذ بالله.

وذكر ابن القيم -أيضا-: أن العبد يقوى إخلاصه لله وصدقه ومعاملته حتى لا يحب أن يطلع أحد من الخلق على حاله مع الله ومقامه معه فهو يخفي أحواله غيرة عليها من أن تشوبها شائبة الأغيار.

وكان بعضهم إذا غلبه البكاء وعجز عن دفعه قال: لا إله إلا الله ما أمر الزكام.

فالصادق إذا غلب عليه الوجد والحال وهاج من قلبه لواعج الشوق أخلد إلى السكون ما أمكنه فإن غلب أظهر ألما ووجعا يستتر به حاله مع الله.

فالصادقون يعملون على كتمان المعاني واجتناب الدعاوي، فظواهرهم ظواهر الناس وقلوبهم مع الحق تعالى، لا نلتفت عنه يمنة ولا يسرة، فهم في واد والناس في واد. إنتهى.." (٢)

"١٦٩ - حدثنا محمد بن أحمد بن معدان، ثنا العباس بن يزيد، ثنا وكيع بن محرز، نا عثمان بن جهم، عن زر بن حبيش، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -[٨١]-: « من لبس **ثوب شهرة**، أعرض الله عنه حتى يضعه متى ما وضعه»." (٣)

"ويستريح منها، ويقال: أعظم الذنوب من ظلم من لا يعرفه ولم يره من المتقدمين مثل أن يتكلم فيمن سلف من أهل الدين وأئمة المتقين، فهذه المعاني كلها تدخل على الذنب الواحد وهي أعظم منه ومن ذلك قوله تعالى: (ونكتب ما

---

(١) ففروا إلى الله - القلموني، أبو ذر القلموني ص/٢٤٧

(٢) إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، عبد الكريم الحميد ١٧٩/١

(٣) التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني أبو الشيخ الأصبهاني ص/٨٠

قدموا وآثارهم) يس: ١٢ قيل: سننهم التي عمل بها بعدهم، وفي الخبر: من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحتملها الناس فيذهبون بها في الآفاق، وقال بعض أهل الأدب: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق الخلق معها، وفي الخبر الإسرائيلي: إن عالما كان يضل الناس بالبدع ثم أدركته توبة فرجع إلى الله تعالى وعمل في الإصلاح دهرا فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: قل له إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك بالغا ما بلغ ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار، فأما استحلال المعصية أو إحلالها للغير فليس من هذه الأبواب في شيء إنما ذلك خروج عن الملة وتبديل للشريعة وهو الكفر بالله تعالى كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد سمى الله تعالى عملة السوء جهلة فقال تعالى: (أنه من عمل منكم سوءا بجهالة) الأنعام: ٥٤، وقال تعالى: (بل أنتم قوم تجهلون) النمل: ٥٥ وقال: (بل أنتم قوم مسرفون) الأعراف: ٨١، ويقال: إن العرش يهتز ويغضب الرب تعالى لثلاثة أعمال: لقتل النفس بغير نفس، وإتيان الذكر الذكر، وركوب الأنثى الأنثى، وفي خبر: لو اغتسل اللوطي بالبحار لم يطهره إلا التوبة ولو لم يكن في يسير المعصية من الشؤم إلا حرمان الطاعة وفقد حلاوة الخدمة ومقت المولى لكان هذا من أعظم العقوبات، كما قال وهيب بن الورد وقد سئل: هل يجد العاصي حلاوة الطاعة قال: لا ولا من هم بمعصية، ولذلك سمى الله تعالى يحيي سيدا لأنه لم يهم بمعصية فصار علامة السيد بقدر سؤدد من لا يهم بالمعاصي فصار من لا يهم بالمعاصي سيدا، وفي خبر من لبس ثوب شهرة وفي بعضها: من نظر إلى عطفيه فاختال أعرض الله تعالى عنه وإن كان عنده حبيبا كيف وفي المخالفة وجود البعد والوحشة والانقطاع من المعاملة.وروينا في خبر: إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته قال: فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه ونوديا من فوق العرش: اهبطا من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني، فالتفت آدم إلى حواء باكيا وقال: هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب، وروينا أن سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما عوقب على خطيئته من أجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوما وقيل: إن المرأة سألته أن يكون الحكم لأبيها على خصمه فقال: نعم." (١)

"كفى به ذنبا لا يستغفر منه حب الدنيا، وأشد من ذلك ما رواه سفيان عن يحيي بن سليم الطائفي رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن عبدا عبد الله تعالى عبادة أهل السموات والأرض ولقيه محبا للدنيا لأقامه الله تعالى في الموقف مقاما شهره فيه بين الخلائق، ألا أن فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى، وقال يحي بن جابر الطائي: قال عمرو بن الأسود العنسي: لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مابور أبدا ولا أملأ جوفي من طعام أبدا.فقال عمر رضي الله عنه: من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو ابن الأسود، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله تعالى عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع، فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي، فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال:

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/ ٣١٠

من أجل الستر والسوارين، فهتكت الستر ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال: اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها وقال: بأبي أنت قد أحسنت، وفي الخبر ما من عبد لبس **ثوب شهرة** إلا أعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا، وقال سفيان الثوري وغيره: البس من الثياب ما لم يشهرك عند العلماء ولايحقرك عند الجهال وكان يقول: إن الفقير ليمر بي وأنا أصلي فأدعه يجوز ويمر، بعض هؤلاء من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته فلا أدعه يجوز، قال بعضهم: ما رأيت الغني في مجلس قط أذل منه في مجلس الثوري رحمه الله تعالى ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري، وقال آخر: كنا إذا جلسنا إلي سفيان تمينا أنا كنا فقراء لما نرى من إقباله عليهم وإعظامه لهم وقال بعضهم: إنما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنيا والغني من عنده فقيرا، وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانيق، وقال ابن شبرمة: خير الثياب ما خدمني وشرها ما خدمته.وقال بعض السلف: أحب الثياب إلي ما لا يستخدمني وأحب الطعام إلي ما لا أغسل يدي منه، وقال بعض العلماء: البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر إليك قال: وعددنا في قميص عمر رضي الله عنه أربعة عشر رقعة بعضها من أدم، وكان بعض العلماء يقول: كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله تعالى له وكان الخواص رحمه الله تعالى لا يلبس أكثر من قطعتين؛ إزارين أو قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على رأسه ويحله في وسطه فيغطي به رأسه، وكذلك استحب للفقير وهو حد اللباس، وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: الثياب ثلاثة، ثوب لله تعالى، وثوب للنفس، وثوب للناس، فالذي لله تعالى ما ستر العورة وأديت فيه الفريضة، والذي للنفس ما طلبت لينه ونقاءه، والذي للناس ما طلبت جوهره وحسنه، ثم قال: وقد." (١)

"رضي الله تعالى عنه إذا بعثتم رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجها أولاهم بالإمامة وقال تعالى ممتنا بذلك ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة وإنما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر إليهفإن قلت فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول صلى الله عليه وسلم حديث ذم المال والجاه أخرجه الترمذي من حديث كعب بن مالك ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حب المال **والشرف لدينه** وقد تقدم في ذم المال والبخل // وكذا العلماء قال تعالى ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ وقال عز وجل ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ وقال علي كرم الله وجهه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بأبيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها إلا أن فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم نافع فإن أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وإن

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/٤٣٠

أصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلئ فمن ظفر بالبحر فإن كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وإن خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وإنما كثر هذا وقل ذاك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون بسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في أعيانهما مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا أن ينضاف إليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفون معزمون فقد يضر الصبي مالا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكهم فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه أن فيها سما قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يحدثه أصلا بما فيها من نفع الترياق فإن ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص إذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك." (١)

"الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظوأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماسك عليه شهرا ومما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد وإلا إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين (١) وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالى مما لبس (٢) وقال عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل أبدا على دثار أبدا ولا أركب على مأثور أبدا ولا أملأ جوفي من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود (٣)وفي الخبر ما من عبد لبس **ثوب شهرة** إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا (٤) واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم (٥)وكانت قيمة ثوبيه عشرة (٦) وكان إزاره أربعة أذرع ونصفا (٧) واشترى سراويل بثلاثة دراهم (٨)وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف (٩) وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظوفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٠٦

زيات (١٠)ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم (١١) فكان أصحابه يلمسونه ويقولون ــــــــــــــ(١) حديث أخرجت عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه الشيخان وقد تقدم في آداب المعيشة(٢) حديث إن الله يحب المتبذل لا يبالي ما لبس لم أجد له أصلا(٣) حديث عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود رواه أحمد بإسناد جيد(٤) حديث ما من عبد لبس **ثوب شهرة** الحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله وإن كان عنده حبيبا(٥) حديث اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهمأخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف(٦) حديث كان قيمة ثوبية عشرة دراهم لم أجده(٧) حديث كان إزاره أربعة أذرع ونصفاأخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلا كان رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لهيعةوفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر وفيه محمد بن عمر الواقدي(٨) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم تقدم عند أبي يعلى وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح(٩) حديث كان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ تقدم في آداب وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبرد والحبرةوأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيته في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمنوقال رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما ييكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدها أزار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب المعيشة ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رمثة وعليه يردان أخضران سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذي والبزار من حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حيرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قاله الذهبي(١٠) حديث كان قميصه كأنه قميص زيات أخرجه الترمذي من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته حتى كأن ثوبه ثوب زيات(١١) حديث لبس يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم إهداء له المقوقس ثم نزعه الحديث." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه»** .قوله تعالى: فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، يقال: لهث الكلب يلهث لهثا إذا ولغ [١] بلسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثا وإن ترك وربض كان لاهثا. قال [القتيبي] [٢] : كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وفي حال العطش،

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢٣٢

فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون (١٩٣) [الأعراف: ١٩٣] ، ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله، فقال: ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون، وقيل: هذا مثل [٣] لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا وتركوا أو دعوا.[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٧٧ الى ١٧٨]ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧) من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨)ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا، أي: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلا مثل القوم، فحذف مثل وأقيم [٤] القوم مقامه فرفع، وأنفسهم كانوا يظلمون.من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨) .[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٧٩ الى ١٨٠]ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠)ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيرا من الجن والإنس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.«٩٥٣» أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن [علي الصيرفي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد______________٩٥٣- حديث صحيح، موسى توبع ومن دونه، ومن فوقه رجال مسلم، لكن طلحة فيه لين. وللحديث شواهد.وهو في «شرح السنة» ٧٧ بهذا الإسناد.وأخرجه مسلم ٢٦٦٢ ح ٣١ وأبو داود ٤٧١٣ والنسائي (٤/ ٥٧) وابن ماجه ٨٢ وأبو يعلى ٤٥٥٣ وأحمد (٦/ ٤١ و٢٠٨) من طرق عن طلحة بن يحيى به.وأخرجه مسلم ٢٦٦٢ وابن حبان ١٣٨ من طريق العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة به.وانظر الحديث المتقدم برقم: ٩٥٠.(١) تصحف في المطبوع «أدلغ» .(٢) سقط من المطبوع.(٣) في المخطوط «مثال» .(٤) في المخطوط «وأقام» . [.....]"(١)

"أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**" (١) .قوله تعالى: ﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ يقال: لهث الكلب يلهث لهثا: إذا أدلع لسانه. قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به.والمعنى: إن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء، كحالتي الكلب: إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثا، وإن ترك وربض كان لاهثا. قال القتيبي: كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال الكلال وفي حال الراحة وفي حال العطش، فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث، وإن تركته على حاله لهث، نظيره قوله تعالى: (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) [الأعراف-١٩٣] ، ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٢/٢٥٢

القصص لعلهم يتفكرون﴾ وقيل: هذا مثل لكفار مكة وذلك أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم نبي لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا تركوا أو دعوا.﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧) من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨) ﴾﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وتقديره: ساء مثلا مثل القوم، فحذف مثل وأقيم القوم مقامه فرفع، ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾______________(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب رقم (٣٠) : ٧ / ٤٦ وقال: هذا حديث صحيح، وصححه ابن حبان ص (٦١٢) من موارد الظمآن، وأخرجه الدارمي في الرقاق: ٢ / ٣٠٤، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٢٥٧-٢٥٨، وعزاه ابن رجب الحنبلي أيضا: للنسائي، وقال: وروي من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد، وعاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنهم. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣ / ٤٥٦،٤٦٠. وانظر: "شرح حديث ما ذئبان جائعان" لابن رجب الحنبلي في مجموعة الرسائل المنيرية: ٣ / ١ وما بعدها.." (١)

"هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بثياب فيها خميصة١ سوداء فقال من ترون أكسو هذه فسكت القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ائتوني بأم خالد: قالت فأتى بي فألبسنيها بيده وقال: "أبلى وأخلقي".قال المصنف: وإنما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها صبية وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص وأمها همينة بنت خلف قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد وأسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلباس الناس ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم.ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء في حديث أم خالد وذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد في لبس المرقعة واحتج بحديث عبادة بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على البيعة الإسلامية اللازمة.فصل: وأما لبسهم المصبغات فإنها إن كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض وإن كانت فوطا فهو **ثوب شهرة** وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وإن كانت مرقعة فهي أكثر شهرة وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثني أبي ثنا علي بن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن حثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم" قال عبد الله وحدثني أبي ثنا يحي بن سعيد عن سفيان ثني حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البسوا الثياب البيض فإنها

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٠٥/٣

أظهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم" قال الترمذي هذان حديثان صحيحان وفي الباب عن ابن عمر قال وهذا الذي يستحبه أهل العلم وقال أحمد بن حنبل واسحاق أحب الثياب الينا_____________١ كذا في النسختين.." (١)

"أن نكفن فيها البياض وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال باب السنة في لبسهم المصبغات واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه لبس حلة حمراء وإنه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء.قال: المصنف قلت ولا ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس هذا ولا أن لبسه غير جائز وقد روى إنه كان يعجبه الحبرة وإنما المسنون الذي يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر فأما الفوط والمرقع فإنه لبس شهرة.فصل: وأما النهي عن لباس الشهرة وكراهته فأخبر أبو منصور بن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدي ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمي ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامي ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لبس **ثوب شهرة** أعرض الله عنه حتى يضعه أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن علي التميمي قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني ثنا مجلد بن يزيد عن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الشهرتين فقيل يا رسول الله وما الشهرتان؟ قال: "رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد" أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان محمد بن سهل ثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوبا مشهورا أذله الله يوم القيامة قال المصنف وقد روى لنا مرفوعا قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة"أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو إسحاق البرمكي نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر رضي الله عنه قال من لبس شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة وعن ليث." (٢)

"عن شهر بن أبي الدرداء رضي الله عنه قال من ركب مشهورا من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريما.قال المصنف وقد روينا أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى على ولده ثوبا قبيحا دونا فقال لا تلبس هذا فإن هذا **ثوب شهرة** أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا إسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدي ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدوري ثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكاني

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/١٧٢

(٢) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/١٧٣

وأتيت وعلي ثوب أحمر فما علمت أني ركبت في الإسلام ذنبا أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستبذل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره.فصل: قال المصنف: ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم لبس الصوف وبما روى في فضيلة لبس الصوف فأما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوف فقد كان يلبسه في بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب وأما ما يروى في فضللبسه فمن الموضوعات التي لا يثبت منها شيء ولا يخلو لابس الصوف من أحد أمرين إما أن يكون متعودا لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به وأما أن يكون مترفا لم يتعوده فلا ينبغي له لبسه من وجهين أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجوز له ذلك والثاني أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمداني نا أبو علي أحمد بن سعد بن علي العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصوفي إجازة ثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن بن إسماعيل الأبهري ثنا روز به ثنا محمد بن إسماعيل بن محمد الطائي ثنا بكر بن سهل الدمياطي ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد بن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقا على الله عز وجل أن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه" أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفي ثنا محمد بن عبيد الهمداني ثنى عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن." (١)

"بالفاء وليس حالا كالأولى، فكان الاستسقاء في الأولى مترتبا على الخروج غير ممتزج به، والثاني كان الاستسقاء مخالطا له ممتزجا به، إلا على أن نيته في الخروج كانت الاستسقاء، والأولى وإن كانت كذلك إلا أن اللفظ لا يدل عليه.ولقائل أن يقول: إن قوله: "فاستسقى" فعل ماض يدل على وقوع الاستسقاء منه، و"يستسقي" فعل مضارع ولا يدل على وقوع الاستسقاء فإنه قد لا يوجد ذلك لمانع فكان أولى بالذكر وأبلغ في المعنى؟.والجواب: أنا قدمنا أن قوله: "خرج يستسقي" خرج مستسقيا؛ لأنه في موضع الحال فاستسقى، فيطق عليه من حين إنشاء الخروج لأن فيه الاستسقاء متقدمة عليه وإنما الأعمال بالنيات، فهو من حين ابتدائه في الخروج كان مستسقيا ولا يزال كذلك إلى أن يفرغ، ألا ترى أن الشارع في الصوم يسمى صائما من حين ابتدائه في أول طلوع الفجر، وإن حدث له عارض فطره في أثناء النهار، وكذلك الشارع في الصلاة يسمى مصليا، ثم ما أردفه في كلا الروايتين من قوله: "وحول رداءه وصلى ركعتين" يزيل هذا الوهم المقتدر بأن الاستسقاء وجد منه وقوع، وثبت ما قلناه أولا وبان وضوحه وصح ترجيحه الله أعلم.والذي ذهب إليه الشافعي -رضي الله عنه- أن صلاة الاستسقاء على ثلاثة أضرب: أكملها: أن يأمر الإمام الناس ليصوموا ثلاثة أيام متتابعات، ويتوبوا ويخرجوا من المظالم في الأموال والأنفس والأعراض وأن يصطلحوا، ويأمرهم بالصدقة والصلاة وكثرة الدعاء فإن ذلك أقرب لإجابتهم، ثم يخرج الإمام متبذلا متخشعا متواضعا نطيف الثوب والبدن غير متطيب، ولا يكون عليه **ثوب شهرة** ولا زينة، ويأمر الصبيان

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/١٧٤

وأكابر النساء بالخروج وكذلك العبيد والإماء، وفي إخراج البهائم تردد، ولا يخرج من خالف الإسلام من الكتابيين وغيرهم، فإن خرجوا لأنفسهم فيكونون منفردين عن المسلمين ثم يصلي بهم الإمام." (١)

"وقوله شتت عليه ضيعته بفتح الضاد المعجمة أي فرق عليه حاله وصناعته وما هو مهتم به وشعبه عليه٢٦٤٤ – وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف فحمد الله وذكره بما هو أهله ثم قال من كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب لهرواه الطبراني٢٦٤٥ – وروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم ومن أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منارواه الطبراني٢٦٤٦ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قضي الأمر وهم في غفلة قال في الدنيارواه ابن حبان في صحيحه وهو في الصحيحين بمعناه في آخر حديث يأتي في آخر صفة الجنة إن شاء الله٢٦٤٧ – وروي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيارواه البزار وغيره٢٦٤٨ – وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ترضين أحدا بسخط الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخطرواه الطبراني في الكبير٢٦٤٩ – وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسنقال المملي رضي الله عنه وسيأتي غير ما حديث من هذا النوع في الزهد إن شاء الله." (٢)

"٣١٧١ – وروي عن ثوبان رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا قال ما سد جوعتك ووارى عورتك وإن كان لك بيت يظلك فذاك وإن كان لك دابة فبخ بخرواه الطبراني٣١٧٢ – وعن أبي يعفور قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يسأله رجل ما ألبس من الثياب قال ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبك به الحكماءقال ما هو قال ما بين الخمسة دراهم إلى العشرين درهمارواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح٣١٧٣ – وروي عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يلبس ثوبا ليباهي به وينظر الناس إليه لم ينظر الله إليه حتى ينزعه متى نزعهرواه الطبراني٣١٧٤ – وعن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلتان من حلل اليمن فقال يا ضمرة أترى ثوبيك هذين مدخليك الجنة فقال يا رسول الله لئن استغفرت لي لأقعد حتى أنزعهما عني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لضمرة فانطلق سريعا حتى نزعهما عنهرواه أحمد ورواته ثقات إلا بقية٣١٧٥ – وروي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلامرواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغيبة وغيره٣١٧٦ – وروي عن

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ٣٣٢/٢

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٣٤٢/٢

أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وأولئك شرار أمتيرواه الطبراني في الكبير والأوسط٣١٧٧ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه قال من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله إياه يوم القيامة ثم ألهب فيه النار ومن تشبه بقوم فهو منهمذكره رزين في جامعه ولم أره في شيء من الأصول التي جمعهاإنما رواه ابن ماجه بإسناد حسن ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس ثوب." (١)

"شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراورواه أيضا أخصر منه٣١٧٨ – وروي أيضا عن عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس **ثوب شهرة** أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه٨ – الترغيب في الصدقة على الفقير بما يلبسه كالثوب ونحوه٣١٧٩ – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم كسا مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله ما دام عليه منه خرقةرواه الترمذي والحاكم كلاهما من رواية خالد بن طهمانولفظ الحاكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلكقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد٣١٨٠ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختومرواه أبو داود من رواية أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن الدالاني وحديثه حسن والترمذي بتقديم وتأخير وتقدم لفظه في إطعام الطعام وقال حديث غريب وقد روي موقوفا على أبي سعيد وهو أصح وأشبهقال الحافظ ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب اصطناع المعروف عن ابن مسعود موقوفا عليه قال يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط وأجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط فمن كسا لله عز وجل كساه الله عز وجل ومن أطعم لله عز وجل أطعمه الله عز وجل ومن سقى لله عز وجل سقاه الله عز وجل ومن عمل لله أغناه الله ومن عفا لله عز وجل أعفاه الله عز وجل." (٢)

"رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبي موسى وقال الحاكم صحيح على شرطهماقال الحافظ المطلب لم يسمع من أبي موسى والله أعلم٤٩٠٤ – وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال يا معشر الأشعريين ليبلغ الشاهد الغائب إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حلوة الدنيا مرة الآخرة ومرة الدنيا حلوة الآخرةرواه الحاكم وقال صحيح الإسناد٤٩٠٥ – وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشرب حب الدنيا التاط منها بثلاث شقاء لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقهرواه الطبراني بإسناد حسن٤٩٠٦ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قضي الأمر وهم في غفلة

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٨٣/٣

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٨٤/٣

وهم لا يؤمنون مريم ٩٣قال في الدنيارواه ابن حبان في صحيحه وهو في مسلم بمعناه في آخر حديث يأتي إن شاء الله تعالى٤٩٠٧ – وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن حبان في صحيحه٤٩٠٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان جائعان باتا في زريبة غنم أغفلها أهلها يفترسان ويأكلان بأسرع فيها فسادا من حب المال والشرف في دين المرء المسلمرواه الطبراني واللفظ له وأبو يعلى بنحوه وإسنادهما جيد٤٩٠٩ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان في حظيرة يأكلان ويفسدان بأضر فيها من حب الشرف وحب المال في دين المرء المسلمرواه البزار بإسناد حسن٤٩١٠ – وروي عن أنس يرفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من أحد يمشي على الماء." (١)

"٤٨٥/٢٩–وعن كعب بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.٤٨٦/٣٠–وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: "مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ".رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح٤٨٧/٣١–وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام" رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.٤٨٨/٣٢–وعن ابن عباس، وعمران بن الحصين، رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "آطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء. واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء" متفق عليه. من رواية ابن عباس.ورواه البخاري أيضا من رواية عمران بن الحصين..٤٨٩/٣٣–وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين. وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار" متفق عليه.و"الجد"الحظ والغنى. وقد سبق بيان هذا الحديث في باب فضل الضعفة.٤٩٠/٣٤–وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:." (٢)

"ألوان الثياب، وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته.ولا وجه أيضا للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هي الوسطى، وهى أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج.وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، فيقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.ولينظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس.وينبغى أن يتلمح حظ

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٨٥/٤

(٢) رياض الصالحين ط الرسالة النووي ص/١٧٩

النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون.٩ . باب في ذم البخل والحرص والطمع وذم المال ومدحه ومدح القناعة والسخاء، ونحو ذلكاعلم: أن المال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعنى من الآدمي، وذلك المعنى إما شدة حرصه أو تناوله من غير حلة، أو حبسه عن حقه، أو إخراجه في غير وجهه، أو المفاخرة به، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [الأنفال: ٢٨].وفي "سنن الترمذي" عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**".وقد كان السلف يخافون من فتنة المال. وكان عمر رضى الله عنه إذا رأى الفتوح يبكى ويقول: ما حبس الله هذا عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبى بكر لشر أراده." (١)

"تحصل باللعب. فكان من اشتغل بما يحصل له قوتا وكسبا ونحو ذلك من المقاصد عندهم صاحب جد وحق، ليس بصاحب لعب وباطل، فإن هذا يبقى ويدوم وينفع أعظم من ذاك؛ ومن كان عنده أن الجاه والرئاسة والسلطان والملك أنفع وأبقى من المال، كان عنده من اشتغل بتحصيل المال وأعرض عن ذلك صاحب لعب وباطل بالنسبة إلى مطلوبه ومقصوده، فإن المال لا ينتفع به صاحبه إلا إذا أخرجه وأنفقه، فمنفعته في إذهابه، بخلاف الجاه، فإنه كلما قوي وحصل كان الانتفاع به أكثر، وصاحبه يمكنه أن يحصل به من المال مالا يمكن صاحب المال أن يحصل به من الجاه، فلهذا كان هذا أعقل وأكيس وأبعد عن اللعب والباطل من ذاك.ثم إن صاحب الحق الذي قد علم أن الدنيا لا تدوم، فلا يدوم للإنسان فيها لا جاه ولا مال، بل هذا وهذا يقول يوم القيامة: (ما أغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩)) (١) . وقد روى الترمذي وغيره (٢) عن كعب رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**". [قال] الترمذي: حديث حسن صحيح. بين - صلى الله عليه وسلم - أن حرص المرء على المال والشرف والرئاسة يفسد الدين مثل أو أبلغ من إفساد الذئبين الجائعين إذا أرسلا في زريبة غنم. وهذا الحرص صفة تقوم بالنفس، والدين هو الذي يبقى ويدوم نفعه بعد الموت، فلو قدر أن الإنسان طلب من__________(١) سورة الحاقة: ٢٨-٢٩.(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٧٦) وأحمد (٣/٤٦٠،٤٥٦) والدارمي (٢٧٣٣) . وللحافظ ابن رجب شرح عليه مطبوع. وانظر كلام المؤلف عليه في "مجموع الفتاوى" (١١/١٠٧-١٠٨،٢٠/١٤٢-١٤٤،٢٨/٣٩١-٣٩٢).." (٢)

"وهذا كما يرويه الكذابون أن أهل البيت سبوا وحملوا على الجمال فنبتت لها سنامان، فإن كل عاقل يعلم أن هذا كذب، وقد كانت البخاتي موجودة في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبل ذلك، وكما يروون أن الحجاج بن يوسف قتل أشراف بني هاشم، وهذا كذب أيضا، فإن الحجاج مع ظلمه وغشمه صرفه الله عن بني هاشم، فلم يقتل منهم أحدا، وبذلك أمره خليفته عبد الملك، وقال: إياك وبني هاشم أن تتعرض إلى أحد، فإني رأيت آل حرب لما تعرضوا للحسين

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٩٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/٥٠

أصابهم ما أصابهم، أو كما قال. ولم يقتل في دولة بني مروان من الأشراف بني هاشم من هو معروف، لأن زيد بن علي بن الحسين لما صلب بالكوفة، وقد تزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر وأعظم صداقها، فلم يروه كفؤا لها وسعوا في مفارقته إياها، ولكن ذكر الناس أن الحجاج كان يقتل الأشراف أشراف الناس وهم رؤوس قبائل العرب، فظن من ظن أنهم بنو هاشم، وتخصيص لفظ الأشراف بهم عرف حادث، والشرف هو الرئاسة، كالحديث الذي رواه الترمذي (١) وصححه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**".وفي الصحيح (٢) عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية،______________(١) برقم (٢٧٣٣) عن كعب بن مالك. وأخرجه أيضا أحمد (٣/٤٥٦، ٤٦٠) والدارمي (٢٧٣٣) . ولابن رجب جزء في شرح هذا الحديث.(٢) البخاري (٦٧٨٧ ومواضع أخرى) .." (١)

"محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوب من العبادة كما قال النبي في الحديث الصحيحتعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقشوذلك كما جاء في الحديث إن الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقا للتوحيد من هذه الأمة ولهذا كان شداد بن أوس يقول يا نعايا العرب يا نعايا العرب إن أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود الشهوة الخفية **حب الرياسة**وفي حديث الترمذى عن كعب بن مالك أن النبي قال ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** قال الترمذي حديث حسن صحيح والحرص يكون على قدر قوة الحب والبغضوقد قال الله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي إذا كان." (٢)

"٤٣٤٥ – عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا تسمعون؛ ألا تسمعون: إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان)) رواه أبو داود. [٤٣٤٥]٤٣٤٦ – وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من لبس **ثوب شهرة** من الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة)). رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه. [٤٣٤٦]٤٣٤٧ — وعنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من تشبه بقوم فهو منهم)) رواه أحمد، وأبو داود. [٤٣٤٧]٤٣٤٨ – وعن سويد بن وهب، عن رجل من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه — وفي رواية: تواضعا — كساه الله حلة الكرامة، ومن تزوج لله توجه الله تاج الملك)) رواه أبو داود. [٤٣٤٨]٤٣٤٩ – وروى الترمذي منه عن معاذ بن أنس حديث اللباس.ـــــــالحديث السابع عشر عن أبي أمامة: قوله: ((إن البذاذة)) ((تو)): البذاذة رثاثة الهيئة وترك ما يدخل في باب الزينة. يقال: رجل بذ الهيئة وباذ الهيئة أي رث اللبسة، وفي هيئته بذاذة. والمراد من الحديث أن في اللباس والتوقي عن [التأنق] في الزينة من أخلاق أهل الإيمان، والإيمان هو الباعث عليه.الحديث الثامن عشر عن ابن عمر: قوله: ((**ثوب شهرة**)) ((قض)): الشهوة ظهور الشيء في [شنعة] بحيث يشتهر به صاحبه. والمراد **بثوب شهرة** ما لا يحل لبسه وإلا لما

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٤/١٥٧

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم ابن تيمية ٢/٢٨٥

رتب الوعيد عليه، أو ما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء، والإذلال بهم وكسر قلوبهم، أو ما يتخذه المساخر ليجعل به نفسه ضحكة بين الناس، أو ما يرائي به من الأعمال، فكنى بالثوب عن العمل الصالح وهو الشائع. أقول: والوجه الثاني أظهر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((ألبسه الله ثوب مذلة)) ((نه)): أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن.الحديث التاسع عشر عن ابن عمر: قوله: ((من تشبه بقوم)) هذا عام في الخلق والخلق والشعار، وإذ كان الشعار أظهر في التشبه ذكره في هذا الباب.الحديث العشرون عن سويد: قوله: ((من تزوج لله)) يحتمل أن يراد به من تصدق بزوجين." (١)

"أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**)) رواه الترمذي، والدارمي. [٥١٨١]ـــــ٥١٨٢ - وعن خباب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما أنفق مؤمن من نفقة إلا أجر فيها، إلا نفقته في هذا التراب)). رواه الترمذي، وابن ماجه. [٥١٨٢]٥١٨٣ - وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((النفقة كلها في سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه)). رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [٥١٨٣]ـــــالجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها. وفي ((أرسلا)) تتميم في غاية من الدقة واللطف، فإن الإرسال مسبوق بالمنع والممنوع أشد حرصا مما لم يمنع، ونظيره في المعنى قول الشاعر:كأني وضوء الصبح يستعجل الدجى تطير غرابا ذا قوادم حولراعى معنى الاستعجال في قوله: ((تطير غرابا)) لأن الطائر إذا أزعج كان أسرع منه في الطيران، إذا كان عن اختيار منه.وأما المال فإفساده فيه: أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر إلى التنعيم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد. وأما الجاه: فكفي به إفسادا؛ أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال، وهو الشرك الخفي فيخوض في المراءاة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد.الحديث الحادي عشر عن خباب رضي الله عنه: قوله: ((إلا نفقته في هذا التراب)) نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب إذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفي، فيكون موجبا، وهذا للتحقير.الحديث الثاني عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: ((فلا خير فيه)) حال مؤكدة من الجملة.." (٢)

"قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال: فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قمت فقلت: يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال: الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم» رواه أحمد، والبخاري ومسلم وغيرهم. وعن كعب بن مالك مرفوعا «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال، **والشرف لدينه**» ورواه أحمد، والترمذي وصححه. وعن أنس مرفوعا «يهرم ابن آدم ويشيب فيه اثنتان الحرص على المال، والحرص على العمر» وعن أبي هريرة مرفوعا «قلب الشيخ شاب في حب اثنين» وذكر معناه متفق عليهما.قال في شرح مسلم هذا مجاز ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال محتكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه هذا صوابه قال وقيل في تفسيره غير هذا مما لا يرتضى.وروى أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح عن عبد الله بن يزيد

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢٩٠١/٩

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣٢٨٧/١٠

عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد العزيز بن مروان سمعت أبا هريرة سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع» إسناده جيد أصل الهلع الجزع، والهالع هنا ذو الهلع ومعناه أنه إذا استخرج منه الحق الواجب عليه هلع وجزع منه،، والجبن الخالع هو الشديد الذي يخلع فؤاده من شدته.وروى: ثنا يونس ثنا ليث عن محمد بن عجلان عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا «ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان، والشح» حديث حسن. وذكر ابن عبد البر وغيره الخبر المروي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات فأما المنجيات فالعدل في الرضا، والغضب وخشية الله في السر، والعلانية، والقصد في الغنى، والفقر وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» قال ابن عبد البر: كان يقال شدة الحرص من سبل المتالف.وقال الأحنف: آفة الحرص الحرمان ولا ينال الحريص إلا حظه، كان الحسن البصري." (١)

"[فصل في الحبرة والصوف]فصل تباح الحبرة والصوف نص عليه والوبر والكتان والشعر من كل حيوان طاهر وقد تقدم.قال في الرعاية الكبرى يكره في غير حرب إسبال بعض لباسه فخرا وخيلاء وبطرا وشهرة، وخلاف زي بلده بلا عذر، وقيل يحرم ذلك وهو أظهر وقيل ثوب الشهرة ما خالف زي بلده وأزرى به ونقص مروءته انتهى كلامه، والقول بتحريم ذلك خيلاء هو ظاهر كلام الإمام أحمد وقطع به في المستوعب والشرح وهو الذي وجدته في كلام الشيخ تقي الدين.ونص أحمد على أنه لا يحرم ثوب الشهرة فصارت الأقوال ثلاثة فإن أحمد – رضي الله عنه – رأى على رجل بردا مخلطا بياضا وسوادا فقال ضع عنك هذا والبس لباس أهل بلدك.وقال ليس هو بحرام ولو كنت بمكة أو بالمدينة لم أعب عليك قال صاحب النظم؛ لأنه لباسهم هناك.وقال في التلخيص وابن تميم: يكره ثوب الشهرة وهو ما خالف ثياب بلده قال ابن تميم: ويكره لبس ما يخرج بلابسه إلى الخيلاء.وقال في المستوعب يكره من اللباس ما يشتهر به عند الناس ويزري بصاحبه وينقص مروءته وفي الغنية من اللباس المتنزه عنه كل لبسة يكون بها مشتهرا بين الناس كالخروج عن عادة أهل بلده وعشيرته فينبغي أن يلبس ما يلبسون لئلا يشار إليه بالأصابع، ويكون ذلك سببا إلى حملهم على غيبته فيشاركهم في إثم الغيبة له.وفي كتاب التواضع لابن أبي الدنيا، وكتاب اللباس للقاضي أبي يعلى عن أبي هريرة مرفوعا «أنه نهى عن الشهرتين فقيل يا رسول الله وما الشهرتان قال رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سدادا بين ذلك واقتصادا وعن ابن عمر مرفوعا من لبس **ثوب شهرة**." (٢)

"ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» حديث حسن رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.ويدخل في الشهرة وخلاف المعتاد من لبس شيئا مقلوبا ومحولا كجبة وقباء كما يفعله بعض أهل الجفاء، والسخافة والانخلا ع والله أعلم.قال ابن عبد البر قال عبد الله ابن عمر من لبس **ثوب شهرة** أعرض الله عنه وإن كان ثقة وليا. .قال ابن عبد البر كان يقال كل من الطعام ما اشتهيت والبس من اللباس ما اشتهاه الناس نظمه الشاعر فقال:إن العيون رمتك مذ فاجأتها ... وعليك من شهر اللباس لباسأما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت ... واجعل لباسك ما اشتهاه الناسكان بكر بن عبد الله المزني يقول: البسوا ثياب

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٣٠٦

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٢٦

الملوك، وأميتوا قلوبكم بالخشية، وكان الحسن يقول إن أقواما جعلوا خشوعهم في لباسهم، وكبرهم في صدورهم وشهروا أنفسهم بلباس الصوف حتى إن أحدهم بما يلبس من الصوف أعظم كبرا من صاحب الطرف بمطرفه.وقال سفيان بن حسين قلت لإياس بن معاوية ما المروءة؟ قال أما في بلدك فالتقوى وأما حيث لا تعرف فاللباس.وروى بقية عن الأوزاعي قال بلغني أن لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة.وقال القاضي وابن عقيل والشيخ عبد القادر وغيرهم – رحمهم الله – ومن اللباس المكروه ما خالف زي العرب وأشبه زي الأعاجم وعادتهم ومن هذا العمامة الصماء وهي مكروهة نص عليه الإمام والأصحاب وهل هي كراهة تحريم أو تنزيه؟ فيه خلاف، وقد كره أحمد النعل الصرارة وقال من زي العجم قال الميموني ما رأيت أبا عبد الله قط مرخي الكمين يعني في المشي.." (١)

"[فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالفصول السالفة في اللباس]) عن أبي موسى – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي، وحرم على ذكورها» رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه مع أن فيه انقطاعا وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما معناه من حديث علي – رضي الله عنه – بإسناد حسن قال ابن المديني: هو حديث حسن رجاله معروفون. وعن حذيفة قال «نهانا النبي – صلى الله عليه وسلم – عن لبس الحرير، والديباج وأن يجلس عليه،» رواه البخاري. «ونهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن لبس الحرير إلا موضع إصبعين أو ثلاثة أو أربعة» رواه مسلم من حديث عمر «وكان له – صلى الله عليه وسلم – جبة عليها لبنة شبر من ديباج كسرواني، وفرجاها مكفوفان به» رواه أحمد عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني عبيد الله مولى أسماء عن أسماء الحديث ورواه مسلم ولم يذكر لفظة الشبر. وعن معاوية قال «نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن لبس الذهب إلا مقطعا» إسناده جيد رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – مرفوعا «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» إسناده جيد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.وقال – صلى الله عليه وسلم – «لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا» وقال أيضا «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» متفق عليهما.وقال أيضا: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار» رواه البخاري وعن حذيفة – رضي الله عنه – «لا حق للإزار في الكعبين» إسناده حسن رواه ابن ماجه وغيره «ولعن النبي – صلى الله عليه وسلم – المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال» رواه البخاري «ولعن أيضا الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل» إسناده صحيح رواه أحمد وأبو داود.." (٢)

"[٣٥٩٢] من وجع كان بهما حكة حكة بالجر بدل من وجع وفي رواية لمسلم انهما شكوا القمل فرخص لهما في قميص الحرير (إنجاح)قوله فدعا بالقلمين وفي بعض الحواشي بالجلمين وهو المقراض وقال في القاموس في بيان معاني القلم منها الجلم بالتحريك ثم قال في الجلم محركة ما يجز به (إنجاح)قوله بؤسا لعبد الله الخ بؤسا مصدر بئس يبئس كسمع يسمع معناه الشدة والفقر أي اصابه الله بداهية وشدة هذا أصله والان يستعمل عند التعجب ولا يراد معناه الحقيقي وهو الدعاء قلت معارضة الأسماء لابن عمر انما تصح إذا كان العلم أقل من أربعة أصابع فإنه قد رخص في ذلك لا الكثير منه ولعل

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٢٧

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٤٥

بن عمر فعل ذلك الكثير على المقدار المجوز فيه في الدر عمامة طرازها قدر أربع أصابع من ابريسم من أصابع عمر رضي الله عنه وذلك قيس بشبرنا يرخص فيه انتهى قلت نقل صاحب الدر هذا القول عن القنية وهو رجل معتزلي وأكثر رواياته ضعيفة كما نقل في كشف الظنون عن المولى البركلي وكان طويلا لكن لا بهذا الحد وهو بائن من قبره لأن رجلاه اخر جدار الشرقي من حجرة أم المؤمنين عائشة وقد خرجت أيام الوليد تحت الجدار كما في رواية البخاري والعجب انه قدر بأصابع النبي صلى الله عليه وسلم مع انه في رواية الشيخين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير الا هكذا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسطى والسبابة وضمهما غاية الأمر ان راوي الحديث عمر رضي الله عنه سامحه الله (إنجاح)قوله بجبة مكفوفة الكمين أي التي عمل على كميها وجيبها وفرجيها كفاف من حرير وكفة كل شيء بالضم طرفه أو حاشيته وكل مستطيل كفة ككفة الثوب وكل مستدير كفة بالكسر ككفة الميزان كذا في المجمع (إنجاح)[٣٥٩٦] بين الفواطم أي فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم (إنجاح)قوله[٣٥٩٩] في حلة حمراء الحلة بضم ازار ورداء لبرد أو غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة في الدر ناقلا عن المجتي والقهستاني وشرح النهاية لأبي المكارم لا بأس بلبس الثوب الأحمر انتهى ومفاده ان الكراهة تنزيهية لكن صرح في التحفة بالحرمة فأفاد انها تحريمية وهي المحمل عندنا عند الإطلاق قاله المصنف رح قلت للشرنبلالي رسالة نقل فيها ثمانية أقوال منها انها مستحب التهي عبارة الدر في المجمع حلة حمراء هي بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر وسود انتهى (إنجاح)قوله[٣٦٠٠] قميصان احمر ان يعثران أي يزل اقدامهما للصغر والتأويل في الحديث بأن الباس الصغير الحرير والاحمر جائز كما هو مذهب بعض الأئمة واما عندنا فمحمول على الجواز وكونه قبل النهي بحسب الروايتين (إنجاح)قوله عن المفدم بفاء ودال مهملة هو الثوب المشبع حمرة كأنه الذي لا يقدر على الزيادة عليه لتناهي حمرته فهو كالممتنع من قبول الصبغ مصباح الزجاجة للسيوطيقوله[٣٦٠٢] ولا أقول نهاكم الخ انما قال بحسب علمه والا فقد صح عند مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال لهذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما وفي رواية قلت اغسلهما قال بل احرقهما (إنجاح)قوله[٣٦٠٣] من ثنية اذاخر موضع بين الحرمين مسمى بجمع اذخر وقوله وعلي ريطة مضرجة بالعصفر في القاموس الريطة بالفتح كل ملاءة غير ذات الفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب رقيق لين كالرائط جمعها ريط ورياط ومضرجة بالضاد المعجمة والجيم أي مصبوغة بالحمرة من ضرج الثوب صبغه بالحمرة كذا في القاموس أيضا (إنجاح)قوله[٣٦٠٤] على عكنه قال في القاموس العكنة بالضم ما انطوى وتثنى من لحم البدن سمنا جمع عكن كصرد انتهى إنجاح الحاجة للشيخ عبد الغني المجددي الدهلويقوله[٣٦٠٦] من لبس ثوب شهرة الخ أراد ما لا يحل لبسه أو ما يقصد به التفاخر والتكبر أو يتخذه المتزهد ليشهر نفسه بالزهد أو ما يلبسه المتفقهة من لبس الفقهاء والحال أنه من السفهاء وما يشعر به المتعبد من علامة السيادة كالثوب الأخضر أو ما يتخذه الساخر ليجعله ضحكة أو ما يرائ به كناية بالثوب عن العمل والثاني أظهر لترتب الباس وقوله ثوب مذلة جزاء وفاق فإن المعالجة بالضد (إنجاح)قوله." (١)

---

(١) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره السيوطي ص/٢٥٧

"قصر الأملاعلم أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الاكباب عليها غير متيسر إذا كان مملوءا بشيء لا يكون لشيء آخر محل فيه ولأن الدنيا والآخرة كضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وكالمشرق والمغرب بقدر ما من أحدهما تبعد من الآخر.قال الله تعالى: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموما مدحورا).وقال الله تعالى: (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله آلغرور).وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعلمون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل النساء ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** "، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها " فقال رجل يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر فسكت النبي حتى ظننا أنه ينزل عليه فقال فمسح عنه الرحضاء وقال " أين السائل " وكأنه حمده، وقال " إنه لا يأتي الخير بالشر وأن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم إلا أكلة الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة " ويعني مثال كثرة المال كمثال ما." (١)

"٤٣٤٦ - وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من لبس **ثوب شهرة** في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» ". رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه.ـــــــ٤٣٤٦ - (وعن ابن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (من لبس **ثوب شهرة**) : أي ثوب تكبر وتفاخر وتجبر، أو ما يتخذه المتزهد ليشهر نفسه بالزهد، أو ما يشعر به المتسيد من علامة السيادة كالثوب الأخضر، أو ما يلبسه المتفقهة من لبس الفقهاء، والحال أنه من جملة السفهاء. (في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة) : ضد المعزة (يوم القيامة) : أي جزاء وفاقا ؛ فإن المعالجة بالأضداد، ومفهومه أن من اختار ثوب مذلة وتواضع لله في الدنيا ألبسه الله ثوب معزة في العقبى، قال القاضي: الشهرة ظهور الشيء في شيئه بحيث يشهر به صاحبه، والمراد **بثوب شهرة** ما لا يحل لبسه، وإلا لما رتب الوعيد عليه، أو ما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء والإذلال بهم وكسر قلوبهم، أو ما يتخذه المساخر ليجعل به نفسه ضحكة بين الناس، أو ما يرائي به من الأعمال، فكني بالثوب عن العمل وهو شائع قال الطيبي: والوجه الثاني أظهر لقوله: ألبسه الله ثوب مذلة وفي النهاية: أي أي أشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن. (رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه) : وروى ابن ماجه والضياء، عن زيد بن أرقم بلفظ: " «من لبس **ثوب شهرة** أعرض الله عنه حتى يضعه» ، وروى أبو داود، وابن ماجه عن ابن عمر أيضا بلفظ: " «من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله، ثم يلهب فيه النار» "، وروى أبو عبد الرحمن السلمي في سنن الصوفية، والديلمي في مسند الفردوس، عن عائشة مرفوعا " «احذروا الشهرتين: الصوف والخز» ". وفي الجامع الكبير: " «ليس البر في حسن اللباس والزي، ولكن البر السكينة والوقار» "، وتحقيق هذا المقام قد تقدم.." (٢)

---

(١) الاستعداد للموت وسؤال القبر زين الدين المعبري ص/١٨

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٢٧٨٢/٧

"٥١٨١ – وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه»** " رواه الترمذي، والدارمي.ـــــ٥١٨١ – (وعن كعب بن مالك) : أنصاري خزرجي شهد العقبة الثانية (عن أبيه) : هكذا في النسخ الحاضرة جميعها وهو سهو قلم وخطأ قدم، ولذا قال ميرك: صوابه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، أو عن كعب بن مالك بدون عن أبيه، وقال السيد جمال الدين: هكذا وقع في أكثر نسخ المشكاة التي رأيناها، وكذلك وجدناه في غير واحد من نسخ المصابيح وهو سهو، والظاهر أنه كان واقعا من كتاب المصابيح، ووقع من صاحب المشكاة تقليدا، وصوابه: عن ابن كعب ابن مالك عن أبيه، كما في أصل الترمذي، والابن المذكور هو عبد الله، كما هو مصرح في جامع الأصول. (قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: " ما ") : نافية (" ذئبان ") : بهمزة ساكنة ويبدل (" جائعان ") : أتى به للمبالغة (" أرسلا ") أي: خليا وتركا (" في غنم ") أي: في قطعة غنم (" بأفسد ") : الباء زائدة أي: أكثر إفسادا (" لها ") أي: لتلك الغنم، والتأنيث باعتبار الجنس أو القطعة (" من حرص المرء ") : المشبه بالذئبين لتعلقه بالشيئين ظاهرا وباطنا وهما قوله: (" على المال ") أي: الكثير (" والشرف ") أي: الجاه الوسيع، وقوله: (" لدينه ") متعلق بأفسد، والمعنى أن حرص المرء عليهما أكثر فسادا لدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه من إفساد الذئبين للغنم.قال الطيبي رحمه الله تعالى: " ما " بمعنى ليس، وذئبان اسمها، وجائعان صفة له، وأرسلا في غنم الجملة في محل الرفع على أنها صفة بعد صفة، وقوله: بأفسد خبر لما والباء زائدة وهو أفعل تفضيل أي: بأشد إفسادا، والضمير في لها للغنم واعتبر فيها الجنسية، فلذا أنث. وقوله: من حرص المرء هو المفضل عليه لاسم التفضيل، وقوله: على المال والشرف يتعلق بالحرص، والمراد به الجاه. وقوله (لدينه) اللام فيه بيان كما في قوله تعالى ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣] كأنه قيل: بأفسد لأي شيء؟ قيل: لدينه، ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفسادا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها، أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات، ويجر إلى التنعيم في المباحات، فيصير التنعم مألوفا، وربما يشتد أنسه بالمال، ويعجز عن كسب الحلال، فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد، وأما الجاه فكفى به إفسادا أن المال يبذل للجاه، ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي، فيخوض في المراءاة والمداهنة والنفاق، وسائر الأخلاق الذميمة، فهو أفسد وأفسد اه.وقد قالت السادة الصوفية رحمهم الله: إن آخر ما خرج من رأس الصديقين محبة الجاه، فإن الجاه ولو كان في الأمور العلمية والعملية والمشيخة والحالات الكشفية، فمن حيث النظر إلى المخلوق والغفلة والغيرة الربوبية أو الرؤية الاثنينية بعد ظهور أنوار الأحدية يحجب السالك عن الخلوة في الجلوة بوصف البقاء بالله، والفناء عما سواه، هذا وقد روى صاحب الكشاف في ربيع الأبرار عن ابن مسعود رضي الله عنه: يكون الرجل مرائيا في حياته وبعد موته. قيل: كيف ذاك؟ قال: يحب أن يكثر الناس في جنازته. (رواه الترمذي، والدارمي) : لعل لفظ الحديث للترمذي، وإلا فحق الترتيب أن يقدم الدارمي، فإنه روى عنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيره، هذا وفي الجامع: رواه أحمد، والترمذي عن كعب بن مالك من غير ذكر، عن أبيه.." [(١)]

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٢٤٣/٨

"أبي هريرة) واسناده حسن(من كف غضبه ستر الله عورته) أي من منع نفسه عند هيجان الغضب عن اذى معصوم فعاجل ثوابه أن يستر عورته في الدنيا ومن ستره فيها لا يهتكه في الآخرة (ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة وعن ابن عمر) باسناد حسن(من كفن ميتا) أي قام له بالكفن من ماله (كان له بكل شعرة منه حسنة) يعطاها في الآخرة (خط عن ابن عمر) باسناد ضعيف بل قيل بوضعه(من كنت مولاه) أي وليه وناصره (فعلى مولاه) ولاء الاسلام وسببه ان أسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله فذكره (حم ه عن البراء) بن عازب (حم عن بريدة) بن الحصيب (ت ن والضياء عن زيد بن أرقم) ورجال أحمد ثقات بل قال المؤلف حديث متواتر(من كنت وليه فعلى وليه) يدفع عنه ما يكره (حم ن ك عن بريدة) واسناده صحيح(من لبس الحرير في الدنيا) من الرجال (لم يلبسه في الآخرة) أي جزاؤه ان لا يلبسه فيها لاستعجاله ما أمر بتأخيره فحرم عند ميقاته (حم ق ن ه عن أنس) بن مالك(من لبس ثوب شهرة) أي ثوب تكبر وتفاخر ، أعرض الله عنه) أي لم ينظر اليه نظر رحمة (حتى يضعه متى وضعه) فيصغره في العيون ويحقره في القلوب (ه والضياء عن أبي ذر) وضعفه المنذري(من لبس ثوب شهرة) بحيث يشتهر به لابسه (البسه الله يوم القيامة ثوبا بامثله) كذا بخط المؤلف وفي نسخ ثوب مذلة أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن (ثم يلهب فيه النار) عقوبة له بنقيض فعله والجزاء من جنس العمل (ده عن ابن عمر) بن الخطاب قال المنذري حسن (من لبس الحرير) من الرجال (في الدنيا) عامدا عالما لغير ضرورة (ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من نار) جزاء بما عمل (حم عن جويرية) واسناده حسن(من لطم مملوكه أو ضربه) في غير تعليم وتأديب (فكفارته أن يعتقه) أي ندبا وأجمعوا على عدم وجوبه (حم م دعن ابن عمر) بن الخطاب(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) وفي رواية مسلم من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه فاللعب به حرام وفي الثاني كما قال الزركشي تحريم مباشرة النجاسة أي بلا حاجة (حم ده ك عن أبي موسى) باسناد صحيح (من لعب بطلاق أو عتاق) أي قال طلقت زوجتي أو أعتقت عبدي هازلا (فهو كما قال) أي فيقع الطلاق والعتق فان هزلهما جد (طب عن أبي الدرداء) وضعفه الهيثمي فقول المؤلف حسن غير حسن(من لعق الصحفة ولعق أصابعه) من أثر الطعام (أشبعه الله في الدنيا والآخرة) دعاء أو خبر (طب عن العرباض) وفيه رجل مجهول(من لعق العسل ثلاث غدوات) كائنة (كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء) لما في العسل من المنافع للامراض وتخصيص الثلاث لسر علمه الشارع (ه عن أبي هريرة) وفيه انقطاع وضعفمن لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة) بفضل الله ابتداء أو بعد عقاب أو عتاب ومن مات مشركا دخل النار وخلد فيها (حم خ عن أنس) بن مالك (من لقى الله بغير أثر) بالتحريك أي علامة من جراحة (من جهاد لقى الله وفيه ثلمة) أي نقصان وأصلها في نحو الجدار ثم استعيرت للنقص قيل وذا خاص بزمن النبي [صلى الله عليه وسلم] (ت ه ك عن أبي هريرة) واسناده واه(من لقى العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره) أي لم يسأله منكر ونكير فيه (طب ك عن أبي أيوب) واسناده حسن(من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر) أي لم يفهم في أثناء صلاته أمورا تلك الامور تنهى عنهما (لم يزدد من الله الا بعدا) لان صلاته وبال عليه وهذه الآفة غالبة على." (١)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٤٤٢

"٧٩٠٨ – (ما) بمعنى ليس (ذئبان) اسمها (جائعان) صفة له وفي رواية عاديان والعادي الظالم المتجاوز للحد (أرسلا في غنم) الجملة في محل رفع صفة (بأفسد) خبر ما والباء زائدة أي أشد فسادا والضمير في (لها) للغنم واعتبر فيه الجنسية فلذا أنث وقوله (من حرص المرء) هو المفضل عليه لا اسم التفضيل (على المال) متعلق بحرص (الشرف) عطف على المال والمراد به الجاه والمنصب (لدينه) اللام فيه للبيان نحوها في قوله ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ فكأنه قيل هنا بأفسد لأي شيء؟ قيل لدينه ذكره الطيبي فمقصود الحديث أن الحرص على المال والشرف أكثر إفسادا –[٤٤٦]– للدين من إفساد الذئبين للغنم لأن ذلك الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره وذلك مذموم لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعا قال الحكيم: وضع الله الحرص في هذه الأمة ثم زمه في المؤمنين بزمام التوحيد واليقين وقطع علائق الحرص بنور السبحات فمن كان حظه من نور اليقين ونور السبحات أوفر كان وثاق حرصه أوثق والحرص يحتاجه الآدمي لكن بقدر معلوم وإذا لم يكن لحرصه وثاق وهبت رياحه استفزت النفس فتعدى القدر المحتاج إليه فأفسد وعرف بعضهم الحرص بأنه مدد القوة الموضوعة في الآدمي ومثيرها وعمادها(حم ت) في الزهد وكذا أبو يعلى (عن كعب بن مالك) قال الترمذي: صحيح قال المنذري: إسناده جيد وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن زنجويه وعبد الله بن محمد بن عقيل وقد وثقا ورواه الطبراني والضياء في المختارة من حديث عاصم بن عدي عن أبيه عن جده قال: اشتريت أنا وأخي مئة سهم من خبير فبلغ ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: ما ذئبان عاديان أصابا غنما أضاعها ربها بأفسد لها من حب المرء المال **والشرف لدينه** وفي الباب أبو سعيد الخدري وفيه كذاب فليحرر." (١)

"٩٠٠٤ – (من لبس **ثوب شهرة**) قال القاضي: الشهرة ظهور الشيء في شنعة بحيث يشتهر به (ألبسه الله يوم القيامة) التي هي دار الجزاء وكشف الغطاء (ثوبا مثله) كذا بخط المصنف وفي رواية ثوب مذلة أي يشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن في ذلك الجمع الأعظم بأن يصغره في العيون ويحقره في القلوب لأنه لبس شهوة الدنيا ليفتخر بها على غيره فيلبسه الله مثله (ثم تلهب فيه النار) عقوبة له بنقيض فعله والجزاء من جنس العمل فأذله الله كما عاقب من أطال ثوبه خيلاء بأن خسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ولبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع منها يذم إذا كان لكبر أو فخر ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا للنعمة(د هـ) في اللباس (عن ابن عمر) بن الخطاب قال المنذري: إسناده حسن اه وقال عبد الحق: فيه شريك بن عثمان بن أبي زرعة اه قال ابن القطان: يوهم ضعف عثمان وما به ضعف اه. ورواه عنه أيضا النسائي في الزينة فما أوهمه صنيع المصنف من تفرد ذينك عن السنة به غير لائق." (٢)

"[باب من لبس شهرة من الثياب]٣٦٠٦ – حدثنا محمد بن عبادة ومحمد بن عبد الملك الواسطيان قالا حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن مهاجر عن ابن عمر قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فيض القدير المناوي ٥/٤٤٥

(٢) فيض القدير المناوي ٦/٢١٩

من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة»ــــــقوله: (**ثوب شهرة**) أي: من لبس ثوبا يقصد به الاشتهار بين الناس سواء كان الثوب نفيسا يلبسه تفاخرا بالدنيا وزينتها، أو خسيسا يلبسه إظهارا للزهد والرياء." (١)

"٣٦٠٧ – حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن المهاجر عن عبد الله بن عمر قال «قال رسول الله من لبس **ثوب شهرة** في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارا»." (٢)

"٣٦٠٨ – حدثنا العباس بن يزيد البحراني حدثنا وكيع بن محرز الناجي حدثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر «عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس **ثوب شهرة** أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه»ــــــقوله: (أعرض الله عنه) ، في الزوائد: هذا إسناده حسن العباس بن زيد مختلف فيه.." (٣)

"من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يعني القدس فإذا عنده رجل من خدام بيت المقدس فقال أنا أعلم تلك الليلة فأخبر بعض وقائعه في القدس أمر هرقل بقراءة المكتوب فبعد القراءة أظهر ما في ضميره من الإيمان لدحية فقال أخاف على نفسي إن أظهرت إيماني لكن اذهب بكتابي إلى راهب معتمد للكل يقال له ضغاطر عريف بالعلم والنجوم عسى أن يؤمن فيقتدوا به فذهب فلما رأى مكتوبه – صلى الله تعالى عليه وسلم – عرف صدقه فآمن ودعا قومه إلى دينه فقتلوه فعاد دحية إلى هرقل فأخبر فقال لولا خوف هذه المعنى لأظهرت ثم لما رجع إلى دار سلطنته بلدة حمص أتاه مكتوب من صاحب له يماثله في العلم يخبر فيه شأن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – من نبوة فجمع عظماء الروم وعرض متابعته – عليه الصلاة والسلام – فأعرضوا ونفروا عنه فلما أيس من إيمانهم ردهم إليه واعتذر إليهم بأن مرادي اختبار شدة ثباتكم في دينكم فسجدوا له ورضوا عنه فآثر الكفر على الإيمان خوف زوال رياستهويؤيده إرسال غوث في غزوة مؤتة فقتل كثيرا من المسلمين وأرسل كتاب إيمانه غزوة فكذب – عليه الصلاة والسلام – إيمانه فقال هو على نصرانيته وقيل إنه تشرف بالإسلام والأصح عدمه، وأما مكتوبه – عليه الصلاة والسلام – على ما نقل عن البخاري بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين و ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤] وعن شرح الكرماني عن النووي أن هذه القطعة مشتملة على جمل من القواعد منها استحباب تصدير الكتب بالبسملة، وإن كان المبعوث إليه كافرا ومنها سنية الابتداء في المكتوب باسم الكاتب أولا ولذا كان عادة الأصحاب أن يبدءوا بأسمائهم ورخص جماعة الابتداء بالمكتوب إليه كما كتب زيد بن ثابت إلى معاوية مبتدئا باسم معاويةوأنا أقول فيه أيضا استحباب تعظيم المعظم عند الناس ولو كافرا إن تضمن مصلحة وفيه أيضا إيماء إلى طريق الرفق والمداراة لأجل المصلحة وفيه أيضا جواز السلام على الكافر عند الاحتياج كما نقل عن التجنيس من جوازه حينئذ؛ لأنه إذا ليس للتوقير بل

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه السندي، محمد بن عبد الهادي ٣٧٨/٢

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه السندي، محمد بن عبد الهادي ٣٧٩/٢

(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه السندي، محمد بن عبد الهادي ٣٧٩/٢

للمصلحة ولإشعار محاسن الإسلام من التودد والائتلاف وفيه أيضا أنه لا يخص بالخطاب في السلام على الكافر ولو لمصلحة بل يذكر على وجه العموم وفيه أيضا أنه، وإن رأى السلام على الكافر، ولكن لم يرد؛ لأنه في الباطن والحقيقة ليس له بل لمن اتبع الهدى وظاهر أنه ليس له تبعية هدى بل فيه إغراء على دليل استحقاق الدعاء بالسلام من تبيعة الهدى.(**وحب الرياسة** الدنيوية هو الثالث من أمراض القلب) من الستين المذمومة (وهي) الرياسة (ملك) بكسر اللام (القلوب ويسمى أي **حب الرياسة** (جاها) من الوجاهة، وهي الصدارة والتقدم على الغير (وشرفا وصيتا) أي الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس (ت س) الترمذي والنسائي (عن كعب بن مالك) – رضي الله تعالى عنه – (عن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – «أنه قال ما ذئبان جائعان أرسلا» على صيغة المفعول «في غنم» جنس لهذا النوع من الحيوان «بأفسد» أكثر فسادا «لها من حرص المرء» أي شدة محافظته في المذموم «على المال **والشرف لدينه**» متعلق بأفسد أي أن كلا من المال والشرف يفعل في دين صاحبه من الفساد والهلاك أشد ما يفعله الذئب في غنم أرسل فيها قال المناوي مقصود الحديث الحرص على المال والشرف أكثر فسادا للدين من إفساد الذئبين للغنم لاستدعاء ذلك العلو والفساد في الأرض وذكر الذئبين لمناسبة حرص المال وحرص الشرف." (١)

"٨٩٨٣ – "من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة. (حم ق ن هـ) عن أنس (صح).(من لبس الحرير في الدنيا) من الذكور لا الإناث فإن الله أحل ذلك لهن (لم يلبسه في الآخرة) كناية على أنه لا يدخل الجنة فإن لباس أهلها فيها حرير؛ وهو وعيد شديد وهو مثل حديث: "من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة" (١). (حم ق ن هـ (٢) عن أنس) أخرجوه كلهم عنه في الزينة.٨٩٨٤ – "من لبس **ثوب شهرة** أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه. (هـ) والضياء عن أبي ذر (صح) ".(من لبس **ثوب شهرة**) ثوب يشتهر به بين الناس بأن يكون في غاية الحسن والارتفاع أو يكون في غاية الخشونة والانخفاض لأن الكل يكسبه الشهرة بل ينبغي للمؤمن أن يكون ثوبه وسطا وخيار الأمور أوساطها قال ابن الأثير (٣): المراد به ما لبس من لباس الرجال فيشتهر بينهم لمخالفة ثوبه لألوان ثيابهم وقال القاضي المراد بثوب الشهرة: ما لا يحل لباسه وإلا لما رتب الوعيد عليه أو بما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء أو ما يتخذه الناس مسخرة ويجعل نفسه ضحكة بين العباد أو يراد به ما يرائي به من الأعمال كنى بالثوب عن العمل وهو شائع (أعرض الله عنه) لم ينظر إليه يعني برحمته ويحتمل أنه لا يقبل له عمل للإعراض عنه (حتى يضعه متى وضعه) ويلزم من إعراض [٤/ ٢٨٩] الله عنه إعراض قلوب أهل الإيمان منه فإن الله لا يجعل الود إلا ____________(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣).(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٠١)، والبخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣)، والنسائي (٢/ ٢٠٠)، وابن ماجه (٣٥٨٨).(٣) النهاية (١/ ٦٥٢).." (٢)

"لمن يحبه ويقبل عليه. (هـ) (١) والضياء عن أبي ذر) رمز المصنف لصحته وضعفه المنذري وقال غيره: فيه وكيع بن محرز الشامي قال في الميزان (٢): قال البخاري: عنده عجائب وساق هذا منها وقال أبو حاتم: لا بأس به.٨٩٨٥ –

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/٥١

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ١٠/٣٨٨

"من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار. (د هـ) عن ابن عمر (ح) ".(من لبس **ثوب شهرة**) قال القاضي: الشهرة ظهور الشيء في لبسه بحيث يشتهر به (ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله) يشتهر به بين أهل الموقف ويعرف أنه من العصاة وفي رواية "ثوب مذلة". أي يشمله الذل كما شمل الثوب لابسه (ثم يلهب فيه النار) قال ابن القيم (٣): لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء ويمدح إذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع يذم إذا كان تكبرا وفخرا ويمدح إذا كان تجملا وإظهارا للنعمة انتهى.قلت: أما ثوب الشهرة إن أريد به التجمل وإظهار النعمة فهو مذموم إذ ذلك يتم بغيره مما يتجمل به ولا شهرة فيه. (د هـ (٤) عن ابن عمر) رمز المصنف لحسنه، وقال المنذري: إسناده حسن.٨٩٨٦ - "من لبس الحرير في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من النار. (حم) عن جويرية (ح). __________(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٠٨)، وانظر: الترغيب والترهيب (٣/ ٨٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٢٨)، والضعيفة (٤٦٥٠).(٢) انظر الميزان (٧/ ١٢٧).(٣) زاد المعاد (١/ ١٣٧).(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجة (٣٦٠٦)، وانظر الترغيب والترهيب (٣/ ٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٢٦).." (١)

"٧٨٨٩ - "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال **والشرف لدينه** (حم ت) عن كعب بن مالك (صح).(ما ذئبان) ضاربان، (جائعان أرسلا) أطلقا وخليا (في غنم بأفسد لها) أي للغنم بإهلاكها وإتلافها (من حرص المرء) هو المفضل عليه (على المال) متعلق بأحرص (والشرف) طلب العلو والرياسة (لدينه) متعلق بأفسد وقيل: إنها للبيان كأنه قيل لمن أفسد قال لدينه أي أن الحرص على الشرف والمال أكثر إفسادا للدين من إفساد الذئب للغنم فهو زجر عن حب المال والحرص عليه وعلى الشرف وإن ذلك متلف للدين (حم ت) عن كعب بن مالك) (١) رمز المصنف لصحته وقال الترمذي: صحيح، وقال المنذري: إسناده جيد.٧٨٩٠ - "ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها. (ت) عن أبي هريرة (طس) عن أنس".(ما رأيت مثل النار) قال الطيبي مثل هنا مثلها في قولك: مثلك لا يبخل. (نام هاربها) أي النار شديدة والهاربون منها نائمون. (ولا مثل الجنة نام طالبها) فإن من عرف ما أعد الله فيها للعاملين لم يفتر عن عمله ولا يلهيه عنه النوم وفيه حث على الطاعات وعدم التكاسل وهو كالتعجب ممن ينام وهو هارب أو طالب لمثل هذين الأمرين العظيمين (ت (٢) عن أبي هريرة، طس عن أنس) أما إسناد الترمذي، فقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن عبيد الله __________(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٦)، والترمذي (٢٣٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه (٣٢٢٨)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٠).(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٠١) عن أبي هريرة وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٣٨) عن أنس، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣٠)، وانظر: الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٢)، والصحيحة (٩٥٣).." (٢)

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٨٩/١٠

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٩٥/٩

"وأخرج الترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم:(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال **والشرف لدينه**) . وأخرج الطبراني مو أبو يعلى بإسناد جيد من حديث أبي هريرة نحوه. وأخرج البزار أيضا بإسناد حسن من حديث ابن عمر نحوه.وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمرو بن عوف الأنصاري قال: " لما قدم عليه بجزية البحر بن [قال] : أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم ".وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري قال:(جلس رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم على المنبر، وجلسنا حوله فقال: إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) . وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر قال:(قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم: يا أبا ذر. قلت: لبيك يا رسول الله، فقال: ما يسرني أن عندي مثل أحد." (١)

"٥٨٣ - (وعن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من ترك أن يلبس صالح الثياب وهو يقدر عليه تواضعا لله - عز وجل - دعاه الله - عز وجل - على رءوس الخلائق حتى يخيره في حلل الإيمان أيتهن شاء» . رواه أحمد والترمذي) .ــــــQورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع عن الناس واحتقارهم ودفع الحق فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب، بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخلها بدون مجازاة إن جازاه، وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة ويمكن أن يقال: إن هذا الحديث وما يشابهه من الأحاديث التي وردت مصرحا فيها بعدم دخول جماعة من العصاة الجنة أو عدم خروج جماعة منهم من النار خاصة.وأحاديث دخول جميع الموحدين الجنة وخروج عصاتهم من النار عامة، فلا حاجة على هذا التأويل. والحديث أيضا يدل على أن محبة لبس الثوب الحسن والنعل الحسن وتخير اللباس الجميل ليس من الكبر في شيء، وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم. والرجل المذكور في الحديث وهو مالك بن مرارة الرهاوي ذكر ذلك ابن عبد البر والقاضي عياض. وقد جمع الحافظ ابن بشكوال في اسمه أقوالا استوفاها النووي في شرح مسلم.الحديث حسنه الترمذي، وقد رواه من طريق عباس بن محمد الدوري عن عبد الله بن يزيد المقري، عن سعيد بن أبي أيوب عن أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعبد الرحيم بن ميمون قال النسائي: ليس به بأس، وضعفه ابن معين وسهل بن معاذ وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين.وفيه استحباب الزهد في الملبوس وترك لبس حسن الثياب ورفيعها لقصد التواضع، ولا شك أن لبس ما فيه جمال زائد من الثياب يجذب بعض الطباع إلى الزهو والخيلاء والكبر، وقد كان هديه - صلى الله عليه وسلم - كما قال الحافظ ابن القيم أن يلبس ما تيسر من اللباس الصوف تارة والقطن أخرى والكتان تارة ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر ولبس الجبة والقباء والقميص إلى أن قال: فالذين يمتنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بإزائهم طائفة قابلوهم فلم يلبسوا إلا أشرف الثياب ولم يأكلوا إلا أطيب وألين الطعام فلم يروا لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا وكلا الطائفتين مخالف لهدي

---

(١) قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها الشوكاني ص/٤٥٣

النبي – صلى الله عليه وسلم – ولهذا قال بعض السلف: كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض وفي السنن عن ابن عمر يرفعه «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة» إلى آخر كلامه، وذكر." (١)

"٥٨٤ – (وعن ابن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه) .ـــــQالشيخ أبو إسحاق الأصفهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال: دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز عنه محمد وقال: أظن أن أقواما يلبسون الصوف، ويقولون قد لبسه عيسى ابن مريم، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد لبس الكتان والصوف والقطن، وسنة نبينا أحق أن تتبع.ومقصود ابن سيرين من هذا أن قوما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكرا، وليس المنكر إلا التقيد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها. والحاصل أن الأعمال بالنيات فلبس المنخفض من الثياب تواضعا وكسرا لسورة النفس التي لا يؤمن عليها من التكبر إن لبست غالي الثياب من المقاصد الصالحة الموجبة للمثوبة من الله، ولبس الغالي من الثياب عند الأمن على النفس من التسامي المشوب بنوع من التكبر لقصد التوصل بذلك إلى تمام المطالب الدينية من أمر بمعروف أو نهي عن منكر عند من لا يلتفت إلا إلى ذوي الهيئات كما هو الغالب على عوام زماننا وبعض خواصه لا شك أنه من الموجبات للأجر لكنه لا بد من تقييد ذلك بما يحل لبسه شرعا.الحديث أخرجه أيضا النسائي، ورجال إسناده ثقات، رواه أبو داود عن شيخه محمد بن عيسى بن نجيح بن الطباع، قال فيه أبو حاتم: ثقة، له عدة مصنفات عن أبي عوانة الوضاح وهو ثقة عن عثمان بن أبي زرعة الثقفي، وقد أخرج له البخاري في الأنبياء عن المهاجري بن عمرو والبسامي وقد أخرج له ابن حبان في الثقات عن ابن عمر، وأخرجه أيضا من طريق محمد بن عيسى عن القاضي شريك عن عثمان بذلك الإسناد.قوله: (من لبس ثوب شهرة) قال ابن الأثير: الشهرة ظهور الشيء، والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم والتكبر.قوله: (ألبسه الله تعالى ثوب مذلة) لفظ أبي داود ثوبا مثله، والمراد بقوله " ثوب مذلة " ثوب يوجب ذلته يوم القيامة كما لبس في الدنيا ثوبا يتعزز به على الناس ويترفع به عليهم، والمراد بقوله مثله في تلك الرواية أنه مثله في شهرته بين الناس. قال ابن رسلان: لأنه لبس الشهرة في الدنيا ليعز به ويفتخر على غيره، ويلبسه الله يوم القيامة." (٢)

"وعن أبي مالك الأشعري أنه قال عند موته: يا معشر الأشعريين ليبلغ الشاهد الغائب، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (حلوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلوة الآخرة) .رواه الحاكم.وعن كعب بن مالك رضي الله عنه، عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف

(١) نيل الأوطار الشوكاني ٢/١٣٠

(٢) نيل الأوطار الشوكاني ٢/١٣١

لدينه) .رواه الترمذي وصححه.وعن عمرو بن عوف الأنصاري قال: (لما قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجزية البحرين قال: أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشر عليكم، ولكن أخشى." (١)

"فقسمها في ناس من أصحابه وعزل منها واحدا لمخرمة قال أي مخرمة (ادخل فادعه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أي المسور (فدعوته فخرج) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعليه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (قباء منها) أي من الأقبية (فقال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (خبأت) أي أخفيت (قال) أي المسور (فنظر إليه) أي إلى القباء (زاد بن موهب مخرمة) أي زاد يزيد بن خالد بن موهب في روايته بعد قوله فنظر إليه لفظ مخرمة بأن قال فنظر إليه مخرمة (ثم اتفقا) أي قتيبة ويزيد (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم كما جزم به الداودي أو مخرمة كما رجحه الحافظ بن حجر (قال قتيبة) أي في روايته (عن بن أبي مليكة لم يسمه) أي لم يذكر اسم بن أبي مليكةقال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي(باب في لبس الشهرة)[٤٠٢٩] (عن عثمان بن أبي زرعة) هو عثمان بن المغيرة الثقفي فأبو عوانة وشريك كلاهما يرويان عن عثمان بن أبي زرعة (قال في حديث شريك يرفعه) حاصله أنه وقع في رواية شريك بعد قوله عن بن عمر لفظ يرفعه والضمير المرفوع يرجع إلى بن عمر والمنصوب إلى الحديث وقال المنذري أي ولم يرفعه أبو عوانة انتهوما قاله المنذري فيه نظر لما سيأتيولفظ بن ماجه من طريق يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن مهاجر عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس **ثوب شهرة** ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة (من لبس **ثوب شهرة**) قال بن الأثير الشهرة ظهور الشيء والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب والتكبر كذا في النيل (ثوبا مثله) أي في شهرته بين الناس." (٢)

"قال بن رسلان لأنه لبس الشهرة في الدنيا ليعز به ويفتخر على غيره ويلبسه الله يوم القيامة ثوبا يشتهر مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل انتهى (زاد) أي محمد بن عيسى في روايته (ثم تلهب) أي تشتعل (فيه) أي في الثوب الذي ألبسه الله يوم القيامة [٤٠٣٠] (قال ثوب مذلة) أي ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة والمراد به ثوب يوجب ذلته يوم القيامة كما لبس في الدنيا ثوبا يتعزز به على الناس ويترفع به عليهموالحديث أخرجه بن ماجه بتمامه ولفظه حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن المهاجر عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس **ثوب شهرة** في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامةوالحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة وليس هذا الحديث مختصا بنفيس الثياب بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه قاله بن رسلانقال المنذري وأخرجه النسائي وبن ماجه[٤٠٣١] (عن أبي منيب الجرشي) بضم الجيم وفتح الراء بعدها معجمة الدمشقي ثقة من الرابعة (من تشبه بقوم) قال المناوي والعلقمي أي تزي في ظاهره بزيهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم انتهوقال القارىء أي من شبه نفسه بالكفار مثلا من اللباس وغيره أو بالفساق أو الفجار أو بأهل التصوف والصلحاء الأبرار (فهو منهم) أي في الإثم والخير قاله القارىءقال

(١) في السلوك الإسلامي القويم ابن الشوكاني ص/١٠٧

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١١/٥٠

العلقمي أي من تشبه بالصالحين يكرم كما يكرمون ومن تشبه بالفساق لم يكرم ومن وضع عليه علامة الشرفاء أكرم وإن لم يتحقق شرفه انتهـــQقال الشيخ بن القيم رحمه الله وأخرجه الإمام أحمد في المسند أتم منهولفظه بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحيوجعل الذلة والصغار على من خالف أمريومن تشبه بقوم فهو منهم." (١)

"فساد هذا الطريق ظاهرا لم يذكر الله تعالى الجواب عنه، هذا تقرير الرازي، وقوله بفساد التقليد وكونه حجة داحضة في نظر العقول السليمة صحيح. ولكن زعمه أن هذا سببلعدم الرد غير صحيح؛ فقد رد تعالى عليهم بمثل قوله: (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (٢: ١٧٠) والصواب أنه استغنى عن الرد الصحيح هنا برد ما اقترن به المتضمن للرد عليه وبيان بطلانه وهو زعمهم أن الله تعالى أمرهم بتلك الفحشاء التي وجدوا عليها آباءهم، فقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يدحضه بقوله لهم: (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) فهذا القول تكذيب لهم من طريقي العقل والنقل، أما الأول فتقريره أن هذا الفعل لا خلاف بينكم وبيننا في أنه من الفحشاء أي أقبح القبائح، والله تعالى منزه بكماله المطلق الذي لا شائبة للنقص فيه أن يأمر بالفحشاء، وإنما الذي يأمر بها هو الشيطان الذي هو مجمع النقائص كما قال تعالى في آية أخرى: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) (٢: ٢٦٨) وهذا حجة على من ينكر الحسن والقبح العقلي في الأحكام الشرعية لأجل مخالفة من توسعوا في تحكيم العقل في ذلك، وأما طريق النقل فهو أن ما يسند إلى الله تعالى من أمر ونهي لا يثبت بمجرد الدعوى، بل يجب أن يعلم بوحي منه تعالى إلى رسول من عنده ثبتت رسالته بتأييده تعالى له بالآيات البينات فالاستفادة في قوله تعالى: (أتقولون على الله ما لا تعلمون) للإنكار المتضمن للتوبيخ، وللرد على المقلدين فإنهم باتباع آبائهم وأجدادهم وشيوخهم في آرائهم وأعمالهم الدينية غير المسندة إلى الوحي الإلهي يقولون على الله ما لا يعلمون أنه شرعه لعباده.وبعد أن أنكر عليهم أن يكونوا على علم في هذا الطريق النقلي، وهو من باب السلب والنفي، توجهت الأنفس إلى معرفة ما يأمر به تعالى من محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق والخصال فبينه بطريق الاستئناف. قائلا لرسوله: (قل أمر ربي بالقسط) أي العدل والاعتدال في الأمور كلها، وهو الوسط بين الإفراط والتفريط فيها، وقد تقدم تفسيره لفظا ومعنى في سورتي النساء والمائدة، والوسط في اللباس الذي يعبد الله تعالى فيه أن يكون حلالا نظيفا لائقا بحال لابسه في الناس، لا ثوب شهرة في تفريط التبذل، ولا في إفراط التطرس. وسيأتي الأمر بأخذ الزينة عند المساجد من هذا السياق وقدم عليه هنا ما يتعلق بفقه العبادة ولبابها، الدال على جهلهم بها. وهو قوله تعالى: (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) أي قل لهم أيها الرسول: أمر ربي بالقسطفأقسطوا وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد – أو وقل لهم: أقيموا إلخ.إقامة الشيء: إعطاؤه حقه وتوفيته شروطه كإقامة الصلاة وإقامة الوزن بالقسط.." (٢)

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٥١/١١

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٣٣/٨

"النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض» «١» . وحديث رواه الترمذي ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقنعه الله. وفي رواية طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع» «٢» . وحديث رواه الترمذي والإمام أحمد عن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» «٣» وحديث رواه الشيخان والترمذي عن ابن عباس قال: «قدم أبو عبيدة بمال من البحرين وانتظر بعض الصحابة فقال رسول الله لهم والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» «٤» . وحديث رواه الترمذي عن كعب بن عياض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال» «٥» . وحديث رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو كان لي مثل أحد ذهبا لسرني ألا تمر بي ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئا أرصده لدين» «٦» . وحديث رواه الشيخان والترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» «٧» . وحديث رواه الشيخان عن أبي سعيد جاء فيه: «إن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع» «٨» . ____________(١) التاج ج ٥ ص ١٤٨- ١٤٩.(٢) المصدر نفسه.(٣) المصدر نفسه.(٤) المصدر نفسه. [....](٥) المصدر نفسه.(٦) المصدر نفسه.(٧) المصدر نفسه.(٨) المصدر نفسه.." (١)

"متفق عليه.ـــــــرواحة والمرأة لم تسم، والأخت اسمها عمرة صحابية، وقوله "حق" يحتمل الوجوب، ويحتمل تأكد الاستحباب – انتهى. قال الشوكاني: والقول بكراهة الخروج على الإطلاق رد للأحاديث الصحيحة بالآراء الفاسدة، وتخصيص الشواب يأباه صريح الحديث المتفق عليه وغيره – انتهى. قلت: ذهب الحنفية إلى كراهة الخروج للعيدين للشواب دون العجائز، قال ابن الهمام: وتخرج العجائز للعيد لا الشواب – انتهى. قال القاري بعد نقل كلام ابن الهمام ما لفظه: وهو قول عدل، لكن لابد أن يقيد بأن تكون غير مشتهاة ي ثياب بذلة بإذن حليلها مع الأمن من المفسدة، بأن لا يختلطن مع الرجال، ويكن خاليات من الحلي والحلل البخور والشموم والتبختر والتكشف ونحوهما مما أحدثن في هذا الزمان من المفاسد، وقد قال أبوحنيفة: ملازمات البيوت لا يخرجن – انتهى. قلت: لا دليل على منع الخروج للعيد للشواب وذوات الهيئات مع الأمن من المفاسد مما أحدثن في هذا الزمان، بل هو مستحب لهن، وهو القول الراجح، وأما الاستدلال على كراهة خروج النساء إلى العيدين مطلقا بقول عائشة: لو أدرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء لمنعهن من الخروج كما منعت نساء بني إسرائيل، فمردود لوجوه ثمانية سردها ابن حزم في المحلى (ج٤ ص٢٠٠) ، وقد أوردنا بعضها في باب فضل الجماعة نقلا عن الفتح، قال الحافظ: وقد ادعى بعضهم النسخ فيه، قال الطحاوي: وأمره – عليه السلام – بخروج الحيض وذوات الخدور إلى العيد يحتمل أن يكون في أول الإسلام، والمسلمون قليل، فاريد التكثير بحضورهن إرهابا للعدو، وأما اليوم فلا يحتاج إلى ذلك، وتعقب بأن النسخ لا يثبت بالاحتمال، قال الكرماني: تاريخ الوقت

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٥٤٠/١

لا يعرف، قال الحافظ: بل هو معروف بدلالة حديث ابن عباس أنه شهد خروجهن، وهو صغير، وكان ذلك بعد فتح مكة، ولا حاجة إليهن لقوة الإسلام حينئذ، فلم يتم مراد الطحاوي، وقد صرح في حديث أم عطية بعلة الحكم، وهو شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم وطهرته، وقد أفتت به أم عطية بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بمدة، ولم يثبت عن أحد من الصحابة مخالفتها في ذلك، وأما قول عائشة: لو رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – ما أحدث النساء ... الخ فلا يعارض ذلك لندوره إن سلمنا أن فيه دلالة على أنها أفتت بخلافه مع أن الدلالة منه بأن عائشة أفتت بالمنع ليست صريحة، وفي قوله: "إرهابا للعدو" نظر؛ لأن الاستنصار بالنساء والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف، والأولى أن يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة ولا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطريق ولا في المجامع – انتهى. وقال ابن قدامة بعد ذكر قول عائشة المذكور: وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحق أن تتبع، وقول عائشة مختص بمن أحدثت دون غيرها، ولا شك بأن ذلك يكره لها الخروج، وإنما يستحب لهن الخروج غير متطيبات ولا يلبسن **ثوب شهرة** ولا زينة ويخرجن في ثياب البذلة؛ لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: ((وليخرجن تفلات)) ، ولا يخالطن الرجال، بل يكن ناحية منهن – انتهى. (متفق عليه) أخرجه البخاري في مواضع ومسلم في العيدين بألفاظ مختلفة، واللفظ الذي أتى به." (١)

"٣٠- اتجاه الداعية إلى تكفير الناس وتفسيقهم مجانبة للفقه والحكمة، ولن تكون النتيجة سوى بعد الناس عنه وكراهيتهم له ولدعوته، فهل هذا هو هدف الداعية الحق؟! وهل هذا فقه صحيح؟!.

٣١- ضيق الداعية بأي خلاف، وعدم سعة الصدر لسماع الآراء المخالفة، مجانب للفقه وللحكمة، ومخالف للفطرة، ومخالف لطبيعة هذا الدين.

٣٢- عناية الداعية بالنقد الذاتي وسماع النقد البناء من الآخرين، والحرص عليه، مظهر من مظاهر الفقه والحكمة والعناية بهما.

٣٣- من مظاهر الفقه لدى الرجل طول صلاته حينما يكون منفردا، وقصر خطبته، على ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم: "إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه"١"؛ فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة" "٢". والمقصود ما لم يكن هناك مقتض للخروج عن هذا.

بلغني أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- يقول مخاطبا الدعاة: "اتركوا الناس قبل أن يتركوكم". وهذا والله من الفقه والحكمة بمكان!.

٣٤- من مظاهر فقه الرجل هندامه، إذ من الفقه أن لا يكون ثوبه **ثوب شهرة**، لا بإسبال ولا بتقصير.

٣٥- من مظاهر فقه الرجل طريقته في الأكل والشرب، والكلام والضحك،

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٥/٣٣

(١) أي: علامة من فقهه.

(٢) مسلم، ٨٦٩، الجمعة.." (١)

"أبرز القلب سلطانه، فانقادت النفس وسلست، وألقت بيدها سلماً، وانكمن العدو واختشى. فمن يرض نفسه على ما وصفنا، وأعطاها مناها من الحلال، وانكمش في أعمال البر مستظهراً به، عجل له ثواب أعمال البر في العاجل نوراً، ففي الصدر ذلك النور، وليس له من القوة ما يمنع النفس من قضاء النهمة، فيمضي في الشهوات الحلال بلا نية، فيتعطل، ويبقى بلا حسنة ولا أجر، ومعه فساد الباطن، من حب الدنيا والرغبة والرهبة من المخلوقين، وخوف فوت الرزق، وخوف المخلوقين، والحسد والحقد، وطلب العلو والجاه، **وحب الرياسة**، وحب الثناء والمدحة، والكبر والفخر، والصلف والغضب، والحمية وسوء الظن، والبخل والمن والأذى، والعجب والاتكال على العمل، ودواه كبيرة، فكم من فعل سيئ يظهر على أركان هذا مع هذه الدواهي، ففساد القلب وخراب الصدر من الفرح بالدنيا، وأحوال النفس كلما ازدادت النفس فرحاً بهذه الأشياء قويت واحتدت، واشتد سلطانها، حتى تصير شرهة أشرة، بطرة مستبدة، فإذا هويت شيئاً من الشهوات لم يملك القلب من أمرها شيئاً، ولم يتورع عن الحرام، وإن تورع عن الحرام لم يتنزه عن الفضول، وإن تنزه عن الفضول، يتناول ما احتاج إليه على غفلة، وفقد النية والحسبة، فإن تناول بنية وحسبه تناول على فقد ذكر المنة، وإن تناول على ذكر المنة، تناول على فقد رؤية المنة واللطف والبر، فهو أبدا في نقصان، في أي درجة كان، لأنه محجوب عن الله عز وجل، وإنما حجبه عن الله عز وجل الفرح بغير الله عز وجل.." (٢)

"وقوله - عز وجل -: (إن الذين كفروا وظلموا ... (١٦٨)أي: كفروا بآيات الله وحججه، وظلموا أمر الله وتركوه.ويحتمل قوله - تعالى -: (وظلموا) حيث جعلوا أنفسهم لغير الله، وجعلوا العبادة لمن دونه، وهو إنما خلقهم؛ ليجعلوا عبادتهم له، فقد وضعوا أنفسهم في غير موضعها؛ لذلك وصفهم بالظلم؛ لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.ويحتمل: ظلموا أنفسهم، وإن كانوا لا يقصدون ظلم أنفسهم؛ فإن حاصل ذلك يرجع إلى أنفسهم؛ فكأنهم ظلموا أنفسهم، والله أعلم.وقوله - عز وجل -: (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) إلا طريق جهنم ... (١٦٩)كأنه على الإضمار بألا يهديهم في الآخرة طريقا إلا طريق جهنم.ويحتمل ما قال أهل التأويل، قالوا: لا يهديهم طريق الإسلام إلا طريق جهنم: طريق الكفر والشرك هما طريقا جهنم في الدنيا، والإسلام هو طريق الجنة في الدنيا.وهذه الآية والآية الأولى في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا، ويموتون على ذلك؛ حيث أخبر أنه - عز وجل - لا يغفر لهم، ولا يهديهم.(خالدين فيها

---

(١) طريقك الى الإخلاص والفقه في الدين عبد الله الرحيلي ص/١٠٨

(٢) رياضة النفس، الترمذي، الحكيم ص/٤٤

أبدا وكان ذلك على الله يسيرا).ظاهر.وقوله - عز وجل -: (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ... (١٧٠)يحتمل قوله: (بالحق من ربكم): بالحق الذي لله عليكم.ويحتمل: (بالحق من ربكم) بالحق الذي لبعضكم على بعض، قد جاءكم الرسول من الله ببيان ذلك كله.ويحتمل قوله: (قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) الحق الذي هو ضد الباطل ونقيضه، وفرق بينهما، وأزال الشبه؛ إن لم تعاندوا ولم تكابروا.(فآمنوا خيرا لكم).لأن الذي كان يمنعهم عن الإيمان بالله **حب الرياسة**، وخوف زوال المنافع التي كانت لهم؛ فقال: (فآمنوا خيرا لكم)؛ لأن ذلك لكم في الدنيا، والآخرة دائم لا يزول؛ فذلك خير لكم من الذي يكون في وقت ثم يزول عنكم عن سريع.." (١)

"٤٥٩١ - سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران أبو داود الأزدي السجستاني أحد من رحل وطوف، وجمع وصنف، وكتب عن العراقيين، والخراسانيين، والشاميين، والمصريين، والجزريين، وسمع مسلم بن إبراهيم، وسليمان بن حرب، وأبا عمر الحوضي، وأبا الوليد الطيالسي، وموسى بن إسماعيل التبوذكي، وأبا معمر المقعد، وعبد الله بن مسلمه القعنبي، ومسددا، وشاذ بن فياض، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وقتيبه بن سعيد، وأحمد بن يونس، وعثمان بن أبي شيبة، وإبراهيم بن موسى الفراء، وعمرو بن عون، وأبا الجماهر التنوخي، وهشام بن عمار الدمشقي، ومحمد بن الصباح الدولابي، والربيع بن نافع الحلبي، ويزيد بن موهب الرملي، وأبا الطاهر بن السرح، وأحمد بن صالح المصريين، وأبا جعفر النفيلي، وخلقا كثيرا غيرهم.روى عنه ابنه عبد الله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأحمد بن محمد بن هارون الخلال، وعلي بن الحسن بن العبد، ومحمد بن مخلد الدوري، وإسماعيل بن محمد الصفار، وأحمد بن سلمان النجاد، في آخرين.وكان أبو داود قد سكن البصرة، وقدم بغداد غير مرة، وروى كتابه المصنف في السنن بها، ونقله عنه أهلها، ويقال: إنه صنفه قديما وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه.(٢٩٥٩) -[١٠: ٧٦] أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدثنا سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو داود، قال: حدثنا أبو سلمة، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم " آخى بين الزبير وبين عبد الله بن مسعود " أخبرنا العتيقي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الشيباني، قال: حدثنا أبو عيسى الأزرق، قال: سمعت أبا داود، يقول: دخلت الكوفة سنة إحدى وعشرين، فلم أكتب عن مخول بن إبراهيم النهدي، ومضيت مع عمر بن حفص بن غياث إلى منزله فلم يقض السماع منه.أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الشافعي، بالأهواز، قال: أخبرنا أبو عبيد محمد بن علي بن عثمان الآجري، قال: سمعت سليمان بن الأشعث أبا داود، يقول: ولدت سنة ثنتين ومائتين، وصليت على عفان ببغداد سنة عشرين، وسمعت من أبي عمر الضرير مجلسا واحدا، ودخلت البصرة وهم يقولون: أمس مات عثمان المؤذن، وتبعت عمر بن حفص بن غياث إلى منزله ولم أسمع منه شيئا، ورأيت خالد بن خداش ولم أسمع منه شيئا، وسمعت من سعدويه مجلسا واحدا، وسمعت من عاصم بن علي مجلسا واحدا.قلت: سمعت من يوسف الصفار؟ قال: لا.قلت: سمعت من ابن الأصبهاني؟ قال: لا.قلت: سمعت من عمرو بن حماد بن طلحة؟ قال: لا، ولا سمعت من مخول بن إبراهيم، ثم قال: هؤلاء كانوا بعد العشرين، والحديث رزق ولم أسمع منهم، قال: وكان لا

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣/٤٢٣

يحدث عن ابن الحماني، ولا عن سويد، ولا عن ابن كاسب، ولا عن ابن حميد، ولا عن سفيان بن وكيع، ولم يسمع من خلف بن موسى بن خلف، ولا من أبي همام الدلال، ولا من الرقاشي.حدثني أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم القارئ الدينوري بلفظه، قال: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفرضي، قال: سمعت أبا بكر بن داسة، يقول: سمعت أبا داود، يقول: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، يعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمان مائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها قوله عليه السلام: " الأعمال بالنيات "، والثاني قوله: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه "، والثالث قوله: " لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه "، والرابع قوله: " الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات " الحديث.حدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي، قال: أخبرنا أبو بكر الخلال، قال: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعه، أحد في زمانه، رجل ورع مقدم.وسمع أحمد بن حنبل منه حديثا واحدا كان أبو داود يذكره، وكان إبراهيم الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعون من قدره، ويذكرونه بما لا يذكرون أحدا في زمانه مثله.(٢٩٦٠) -[١٠: ٧٩] وقد أخبرنا بالحديث الذي سمعه أحمد من أبي داود أبو الفرج الطناجيري، قال: حدثنا عمر بن أحمد الواعظ، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن عمرو الرازي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن قيس، عن حماد بن سلمة، عن أبي العشراء الدارمي، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " سئل عن العتيرة فحسنها "، قال ابن أبي داود: قال أبي: فذكرته لأحمد بن حنبل فاستحسنه، وقال: هذا حديث غريب، وقال لي: اقعد، فدخل، فأخرج محبرة وقلما وورقة وقال: أمله علي فكتبه عني ثم شهدته يوما آخر وجاءه أبو جعفر بن أبي سمينة، فقال له أحمد بن حنبل: يا أبا جعفر عند أبي داود حديث غريب اكتبه عنه.فسألني فأمليته عليه قرأت في كتاب محمد بن العباس بن الفرات: أخبرنا محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن عاصم الضبي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن ياسين الهروي، قال: سليمان بن الأشعث أبو داود السجزي كان أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمه، وعلله، وسنده، في أعلا درجة النسك، والعفاف، والصلاح، والورع، من فرسان الحديث.حدثني الأزهري، قال: حدثنا عمر بن أحمد الواعظ، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا أحمد بن سنان، أو غيره، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: كان عبد الله يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله، وكان علقمة يشبه بعبد الله، وقال جرير بن عبد الحميد: كان إبراهيم يشبه بعلقمة، وكان منصور يشبه بإبراهيم.وقال غير جرير: كان سفيان يشبه بمنصور.قال عمر بن أحمد وقال أبو علي القوهستاني: كان وكيع يشبه بسفيان، وكان أحمد بن حنبل يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل.أخبرنا الحسن بن أبي طالب، قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ، قال: أخبرني محمد بن بكر بن عبد الرزاق في كتابه، قال: كان لأبي داود السجستاني كم واسع وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله ما هذا؟ قال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه.أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي، قال: سمعت عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري، يقول: سمعت أبا بكر بن أبي داود، يقول: سمعت أبي، يقول: الشهوة الخفية **حب الرياسة**.أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال:

سمعت عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، يقول: سمعت أحمد بن محمود بن صبيح، قال: ومات أبو داود السجستاني بالبصرة سنة خمس وسبعين.أخبرني الأزهري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي.وأخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا محمد بن العباس الخزاز، قالا: أخبرنا أبو الحسين ابن المنادي، قال: ودخلها، يعني: بغداد، أبو داود السجستاني مرارا، ثم خرج منها آخر مراته في أول سنة إحدى وسبعين إلى البصرة، فنزلها ومات بها في سنة خمس وسبعين ومائتين.حدثنا محمد بن الحسن الأهوازي، قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الشافعي، قال: أخبرنا أبو عبيد محمد بن علي، قال: ومات يعني: أبا داود، لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين، وصلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمي.." (١)

"٦٦٢٢ - عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ المصنف الحسن الكلام، البديع التصانيف.كان من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، وقدم بغداد، فأقام بها مدة، وقد أسند عنه أبو بكر بن أبي داود الحديث، وهو كناني، قيل: صليبة، وقيل: مولى، وكان تلميذ أبي إسحاق النظام.وذكرت يموت بن المزرع أن الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني، ثم الفقيمي، وهو أحد النساء.وكان جد الجاحظ أسود، وكان جمالا لعمرو بن قلع.قال يموت: والجاحظ خال أمي.(٤١٢٣) -[١٤: ١٢٥] حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد النعيمي، إملاء من حفظه، قال: حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: دخلت على عمرو بن بحر الجاحظ، فقلت له حدثني بحديث، فقال: حدثنا حجاج بن محمد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أقيمت الصلاة، فلا صلاة إلا المكتوبة " قال النعيمي: لا أعلم لحجاج بن محمد، عن حماد بن سلمة غير هذا.(٤١٢٤) -[١٤: ١٢٥] حدثني أحمد بن محمد العتيقي بلفظه، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني بالكوفة، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: كنت بالبصرة، فأتيت منزل الجاحظ عمرو بن بحر، فاستأذنت عليه، فاطلع علي من خوخة، فقال: من هذا؟، فقلت، رجل من أصحاب الحديث، فقال: ومتى عهدتني أقول بالحشوية؟ فقلت: إني ابن أبي داود، فقال: مرحبا بك وبأبيك، فنزل، ففتح لي، وقال: ادخل، أيش تريد، فقلت: حدثني بحديث، قال: اكتب: حدثنا حجاج، عن حماد، عن ثابت، عن أنس، " أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على طنفسة "، قلت: حديث آخر، فقال: ابن أبي داود لا يكذب(٤١٢٥) -[١٤: ١٢٥] قرئ على محمد بن الحسن الأهوازي وأنا أسمع، فأقر به، قيل له: حدثكم أبو علي أحمد بن محمد الصولي بالأهواز، قال: حدثنا دعامة بن الجهم، قال: حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ، قال: حدثنا أبو يوسف القاضي، قال: تغديت عند هارون الرشيد، فسقطت من يدي لقمة، وانتثر ما كان عليها من الطعام، فقال: يا يعقوب، خذ لقمتك، فإن المهدي حدثني، عن أبيه المنصور، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أكل ما سقط من الخوان فرزق أولادا كانوا صباحا " أخبرني محمد بن الحسين الأزرق، قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد الموصلي أنه سمع أبا بكر العمري، قال: سمعت الجاحظ، يقول: نسيت كنيتي ثلاثة أيام،

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٧٥/١٠

فأتيت أهلي، فقلت: بمن أكنى؟ فقالوا: بأبي عثمان.أخبرني الصيمري، قال: حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: حدثني محمد بن العباس، قال: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه: " أنت والله أحوج إلى هوان من كريم إلى إكرام، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر.أخبرنا الحسن بن الحسين بن العباس النعالي، قال: أخبرنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، قال: أخبرنا يحيى بن علي، قال: حدثني أبي، قال: قلت للجاحظ: إني قرأت في فصل من كتابك المسمى كتاب البيان والتبيين: إن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام، واستشهدت ببيتي مالك بن أسماء، يعني قوله:وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنامنطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحناقال: هو كذاك.قلت: أفما سمعت بخبر هند بنت أسماء بن خارجة، مع الحجاج حين لحنت في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجت ببيتي أخيها، فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى في الظاهر لتستر معناه، وتوري عنه وتفهمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾، ولم ترد الخطأ من الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد.فوجم الجاحظ ساعة، ثم قال: لو سقط إلي هذا الخبر لما قلت ما تقدم.فقلت له: فأصلحه، فقال: الآن وقد سار الكتاب في الآفاق، هذا لا يصلح، أو نحو هذا من الكلام.أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي، قال: أنشدنا الحسن بن عبد الله البغوي، قال: أنشدنا علي بن أحمد بن هشام، قال: أنشدنا أبو العيناء للجاحظ:يطيب العيش أن تلقى حكيما غذاه العلم والظن المصيبفيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العلم يعرفه الأديبسقام الحرص ليس له شفاء وداء الجهل ليس له طبيبأخبرني الصيمري، قال: حدثنا المرزباني، قال: أخبرنا أبو بكر الجرجاني، قال: أنشدنا المبرد للجاحظ:إن حال لون الرأس عن حاله ففي خضاب الرأس مستمتعهب من له شيب له حيلة فما الذي يحتاله الأصلعأخبرنا الصيمري، قال: حدثنا المرزباني، قال: حدثنا أحمد بن محمد المكي، قال: حدثني أبو العيناء، عن إبراهيم بن رباح، قال: أتاني جماعة من الشعراء فأنشدوني، كل واحد منهم يدعي أنه مدحني بهذه الأبيات، وأعطي كل واحد منهم عليها وهي:بدا حين أثرى بإخوانه ففلل عنهم شباة العدموذكره الدهر صرف الزمان فبادر قبل انتقال النعمفتى خصه الله بالمكرمات فمازج منه الحيا بالكرمإذا همة قصرت عن يد تناولها بجزيل الهمم ولا ينكت الأرض عند السؤال ليقطع زواره عن نعمقال إبراهيم: فكان اللاحقي منهم، وأحسبها له، ثم آخر من جاءني الجاحظ، وأنا والي الأهواز، فأعطيته عليها مالا، ثم كنت عند ابن أبي دؤاد، فدخل إلينا الجاحظ، فالتفت إلي ابن أبي دؤاد، فقال: يا أبا إسحاق، قد امتدحت بأشعار كثيرة ما سمعت بشيء وقع في قلبي وقبلته نفسي مثل أبيات مدحني بها أبو عثمان، ثم أنشدنيها بحضرته: بدا حين أثرى بإخوانه فقلت: وجد أيدك الله مقالا، قال: وعجبت من عمرو وسكوته، ولم أذكر من ذلك شيئا.أخبرني الحسن بن محمد الخلال، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا محمد بن يحيى النديم، قال: حدثنا يموت بن المزرع، قال: قال لنا عمرو بن بحر الجاحظ: ما غلبني أحد قط إلا رجل وامرأة، فأما الرجل فإني كنت مجتازا في بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير بطين، كبير الهامة، طويلة اللحية، متزر بمئزر، وبيده مشط يسقي به شقه، ويمشطها به، فقلت في نفسي: رجل قصير بطين ألحى فاستزريته، فقلت: أيها الشيخ، قد قلت فيك شعرا، قال: فترك المشط من يده، وقال: قل، فقلت:كأنك صعوة في أصل حش أصاب الحش طش بعد رشفقال لي: اسمع جواب ما قلت، فقلت: هات، فقال:كأنك كندب في ذنب كبش تدلدل هكذا والكبش يمشيوأما المرأة، فإني كنت مجتازا في بعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت

راكبا على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت: إحداهما للأخرى: وي حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها: فأعننت، ثم قلت لها: إنه ما حملتني أنثى قط إلا ضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى، وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر في جهد جهيد.أخبرني الصيمري، قال: حدثني المرزباني، قال: أخبرنا أبو بكر الجرجاني، قال: أخبرنا المبرد لأبي كريمة البصري يقول للجاحظ:لم يظلم الله عمرا حين صيره من كل شيء سوى آدابه عاريبتت حبال وصالي كفه قطعت لما استعنت به في بعض أوطاريفكنت في طلبي من عنده فرجا كالمستغيث من الرمضاء بالنارإني أعيذك والمعتاذ محترس من شؤم عمرو بعز الخالق الباريفإن فعلت فحظ قد ظفرت به وإن أبيت فقد أعلنت أسراريأخبرني الصيمري، قال: حدثنا المرزباني، قال: حدثني أبو بكر الجرجاني، قال: حدثنا المبرد، قال: حدثني الجاحظ قال: وقفت أنا وأبو حرب على قاص، فأردت الولع به، فقلت لمن حوله: إنه رجل صالح لا يحب الشهرة، فتفرقوا عنه، فتفرقوا، فقال لي: حسيبك الله إذا لم ير الصياد طيرا كيف يمد شبكته.أخبرني القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: أخبرنا أبو عبد الله النيسابوري، قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن بالويه يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول: قال لي إبراهيم بن محمود ونحن ببغداد: ألا تدخل على عمرو بن بحر الجاحظ، فقلت: ما لي وله، فقال: إنك إذا انصرفت إلى خراسان سألوك عنه، فلو دخلت إليه، وسمعت كلامه؟ ثم لم يزل بي حتى دخلت عليه يوما، فقدم إلينا طبقا عليه رطب، فتناولت منه ثلاث رطبات، وأمسكت، ومر فيه إبراهيم، فأشرت إليه أن يمسك، فرمقني الجاحظ، فقال لي: دعه يا فتى، فقد كان عندي في هذه الأيام بعض إخواني، فقدمت إليه الرطب فامتنع، فحلفت عليه فأبى إلا أن يبر قسمي بثلاث مائة رطبة.أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن أحمد السوسنجردي العسكري، قال: حدثني ابن أبي الذيال المحدث بسر من رأى، قال: حضرت وليمة حضرها الجاحظ، وحضرت صلاة الظهر، فصلينا وما صلى الجاحظ، وحضرت صلاة العصر، فصلينا وما صلى الجاحظ، فلما عزمنا على الانصراف، قال الجاحظ لرب المنزل: إني ما صليت لمذهب أو لسبب أخبرك به، فقال له، أو فقيل له: ما أظن أن لك مذهبا في الصلاة إلا تركها.أخبرني الصيمري، قال: حدثني المرزباني، قال: أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني أبو العيناء، قال: كان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيات، فجاءوا بفالوذجة فتولع محمد بالجاحظ، وأمر أن يجعل من جهته ما رق من الجام، فأسرع في الأكل فتنطف ما بين يديه، فقال ابن الزيات: تقشعت سماؤك قبل سماء الناس، فقال له الجاحظ: لأن غيمها كان رقيقا.وقال: أخبرنا أبو العيناء، قال: كنت عند ابن أبي دؤاد بعد قتل ابن الزيات، فجيء بالجاحظ مقيدا، وكان في أسبابه وناحيته، وعند ابن أبي دؤاد محمد بن منصور، وهو إذ ذاك يلي قضاء فارس وخوزستان، فقال ابن أبي دؤاد للجاحظ: ما تأويل هذه الآية ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾، فقال: تلاوتها تأويلها أعز الله القاضي.فقال: جيئوا بحداد، فقال: أعز الله القاضي ليفك عني أو ليزيدني؟ فقال: بل ليفك عنك، فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلا، ففعل فلطمه الجاحظ، فقال: اعمل عمل شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضرر على ساقي، وليس بجذع ولا ساجة، فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه، وقال ابن أبي دؤاد لمحمد بن منصور: أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه.أخبرني محمد بن الحسن الأهوازي، قال: حدثنا إيزديار بن سليمان

الفارسي، قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا سعيد الجنديسابوري يقول: سمعت الجاحظ يصف اللسان، قال: هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يعبر عن الضمير، وحاكم يفصل الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينهى عن القبيح، ومعز يرد الأحزان، ومعتذر يدفع الضغينة، وملة يونق الأسماع، وزارع يحرث المودة، وحاصد يستأصل العداوة، وشاكر يستوجب المزيد، ومادح يستحق الزلفة، ومؤنس يذهب بالوحشة.أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر المزكي، قال: حدثنا علي بن القاسم الأديب الخوافي، قال: حدثني بعض إخواني أنه دخل على عمرو بن بحر الجاحظ، فقال: يا أبا عثمان كيف حالك، فقال له الجاحظ: سألتني عن الجملة، فاسمعها مني واحدا واحدا: حالي أن الوزير يتكلم برأيي، وينفذ أمري، ويؤاثر الخليفة الصلات إلي، وآكل لحم الطير أسمنها، وألبس من الثياب ألينها، وأجلس على ألين الطري، وأتكئ على هذا الريش، ثم أصبر على هذا حتى يأتي الله بالفرج، فقال الرجل: الفرج ما أنت فيه، قال: بل أحب أن تكون الخلافة لي، ويعمل محمد بن عبد الملك بأمري، ويختلف إلي، فهذا هو الفرج.أخبرنا الحسن بن أبي طالب، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم بن أبي سهل الحلواني.وأخبرني الصيمري، قال: حدثنا المرزباني، قال: أخبرنا أبو بكر الجرجاني، قالا: حدثنا المبرد، قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، وهو عليل، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير ما حس به ونصفه الأخر منقرس، لو طار الذباب بقربه لآلمه، والآفة في جميع هذا أني قد جزت التسعين، ثم أنشدنا:أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشبابلقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثيابأخبرني الصيمري، قال: حدثنا المرزباني، قال: حدثني أحمد بن يزيد بن محمد المهلبي، عن أبيه، قال: قال لي المعتز بالله: يا يزيد ورد الخبر بموت الجاحظ، فقلت لأمير المؤمنين: طول البقاء ودوام العز، قال: وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين.قال المعتز: لقد كنت أحب أن أشخصه إلي وأن يقيم عندي، فقلت له: إنه كان قبل موته عضلا بالفالج.قال أحمد بن يزيد: وفيه يقول أبو شراعة:في العلم للعلماء إن يتفهموه واعظوإذا نسيت وقد جمعت علا عليك الحافظولقد رأيت الظرف دهرا ما حواه لافظحتى أقام طريقه عمرو بن بحر الجاحظثم انقضى أمد به وهو الرئيس الفائظقرأت في كتاب عمر بن محمد بن الحسن البصير، عن محمد بن يحيى الصولي، قال: مات الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين.." (١)

"في" سبحان" «١». ذكره ابن إسحاق في السيرة وغيره. مضمنه- أن سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا: يا محمد! إن كنت تحب الرياسة وليناك علينا، وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا، فلما أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج معه فقالوا: ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام، وتقف بالأسواق! فعيروه بأكل الطعام، لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكا، وعيروه بالمشي في الأسواق حين رأوا الأكاسرة والقياصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن الأسواق، وكان عليه السلام يخالطهم في أسواقهم، ويأمرهم وينهاهم، فقالوا: هذا يطلب أن يتملك علينا، فماله يخالف سيرة الملوك، فأجابهم الله بقوله، وأنزل على نبيه:" وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ١٤/١٢٤

ويمشون في الأسواق" فلا تغتم ولا تحزن، فإنها شكاة ظاهر عنك عارها. الثانية- دخول الأسواق مباح للتجارة وطلب المعاش. وكان عليه السلام يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل الله أن يرجع بهم إلى الحق. وفي البخاري في صفته عليه السلام:" ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق". وقد تقدم في" الأعراف"». وذكر السوق مذكور في غير ما حديث، ذكره أهل الصحيح. وتجارة الصحابة فيها معروفة، وخاصة المهاجرين، كما قال أبو هريرة: وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق «٣» بالأسواق، خرجه البخاري. وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في هذه السورة إن شاء الله. قوله تعالى: (لولا أنزل إليه ملك) أي هلا. (فيكون معه نذيرا) جواب الاستفهام. (أو يلقى) في موضع رفع، والمعنى: أو هلا يلقى (إليه كنز) (أو) هلا (تكون له جنة يأكل منها) " يأكل" بالياء قرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم. وقرأ سائر الكوفيين بالنون، والقراءتان حسنتان تؤديان عن معنى، وإن كانت القراءة بالياء أبين، لأنه__________(١). راجع ج ١٠ ص ٣٢٨ طبعه أولى أو ثانية.(٢). راجع ج ٧ ص ٢٩٩ طبعه أولى أو ثانية.(٣). الصفق: التبايع.." (١)

"٢١٧ - الحسن بن أسد، أبو نصر الفارقي الأديب. [المتوفى: ٤٨٧ هـ]-[٥٧٦]-قال القفطي: هو معدن الأدب، ومنبع كلام العرب، وعلامة زمانه، له النظم الذائع، والنثر الرائع، والتصنيف البديع في شرح " اللمع "، وأشياء ليس للأديب في مثلها طمع. وكان في أيام نظام الملك على ديوان آمد، ثم صودر.وله كتاب مشهور في الألغاز. وكان عزبا مدة عمره، ولما صودر أطلق سراحه، فانتقل إلى ميافارقين، وقد باضت الرياسة في رأسه وفرخت. واتفق أن ميافارقين خلت من متول، فأجمع رأي أهلها على تولية رجل من أولاد ابن نباتة، فأقام أياما، ثم اعتزلهم، فتهيأ لها ابن أسد، ونزل القصر وحكم، ثم انفصل غير محمود، وخاف من الدولة، فتسحب إلى حلب، فأقام بها. ثم حمله **حب الرياسة** فعاد إلى الجزيرة، فلما صار بحران قبض عليه نائبها، وشنقه في هذا العام.ومن شعره:ونديمة لي في الظلام وحيدة ... أبدا مجاهدة كمثل جهاديفاللون لوني والدموع فأدمعي ... والقلب قلبي والسهاد سهاديلا فرق فيما بيننا لو لم يكن ... لهبي خفيا وهو منها بادي." (٢)

"١١ - علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، الحافظ الكبير أبو القاسم ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، الشافعي، [المتوفى: ٥٧١ هـ]صاحب " تاريخ دمشق "، أحد أعلام الحديث.ولد في مستهل سنة تسع وتسعين وأربعمائة. وسمعه أخوه الصائن هبة الله سنة خمس وخمسمائة وبعدها من الشريف أبي القاسم النسيب، وأبي القاسم قوام بن زيد، وأبي الوحش سبيع بن قيراط، وأبي طاهر محمد بن الحسين الحنائي، وأبي الحسن ابن الموازيني، وأبي الفضائل الماسح، ومحمد بن علي المصيصي.ثم سمع بنفسه من أبي محمد ابن الأكفاني، وأبي الحسن بن قبيس المالكي، وعبد الكريم بن حمزة، وطاهر بن سهل، ومن بعدهم.ورحل إلى بغداد سنة عشرين، فأقام بها خمس سنين. وحج في سنة -[٤٩٤]- إحدى وعشرين، فسمع بمكة من عبد الله بن محمد بن الغزال المصري صاحب كريمة المروزية.وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين، وأبي الحسن الدينوري، وأبي العز بن كادش، وقراتكين بن أسعد، وأبي غالب ابن البناء، والبارع أبي عبد الله الدباس، وهبة

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٥

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٠/٥٧٥

الله الشروطي، وخلق كثير.وعلق " مسائل الخلاف " على أبي سعد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن. ولازم الدرس والتفقه بالنظامية، ورجع بعلم جم وسماعات كثيرة. وسمع بالكوفة من عمر بن إبراهيم العلوي.ثم رحل سنة تسع وعشرين على أذربيجان إلى خراسان، وجال في بلادها، ودخل إلى إصبهان، وبقي في هذه الرحلة نحو أربع سنين، فسمع أبا عبد الله محمد بن الفضل الفراوي، وعبد المنعم ابن القشيري، وهبة الله السيدي، وتميم بن أبي سعيد الجرجاني الهروي، ويوسف بن أيوب الزاهد، وزاهر بن طاهر الشحامي، والحسين بن عبد الملك الأديب، وسعيد بن أبي الرجاء، وغانم بن خالد، وإسماعيل بن محمد الحافظ، والموجودين في هذا العصر.وخرج أربعين حديثا في أربعين بلدا كالسلفي. وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ وثمانون امرأة ونيف. وحدث بخراسان، وإصبهان، وبغداد. وسمع منه الكبار كالحافظ أبي العلاء الهمذاني، والحافظ أبي سعد السمعاني.وصنف التصانيف المفيدة، ولم يكن في زمانه أحفظ ولا أعرف بالرجال منه. ومن تصفح " تاريخه " علم قدر الرجل.وأجاز له من الكبار: أبو الحسن ابن العلاف، وأبو القاسم بن بيان، وأبو علي بن نبهان، وأبو الفتح أحمد بن محمد الحداد، وغانم البرجي، وأبو بكر بن عبد الغفار الشيرويي، وأبو علي الحداد، وأبو صادق مرشد بن يحيى، وأبو عبد الله الرازي، وطائفة.روى عنه ابنه القاسم، وبنو أخيه فخر الدين أبو منصور، وتاج الأمناء، وزين الأمناء، وعبد الرحيم، وعز الدين النسابة محمد ابن تاج الأمناء، والحافظ أبو المواهب بن صصرى، وأخوه أبو القاسم الحسين، والقاضي أبو -[٤٩٥]- القاسم ابن الحرستاني، وأبو جعفر القرطبي، والحافظ عبد القادر، وأبو الوحش عبد الرحمن بن نسيم، والحسن بن علي الصيقلي، وصالح بن فلاح الزاهد، وظهير الدين عبد الواحد بن عبد الرحمن بن سلطان القرشي، وأبو العز مظفر بن عقيل الشيباني الصفار والد النجيب.والصائن نصر الله بن عبد الكريم بن الحرستاني، والبدر يونس بن محمد الفارقي الخطيب، والقاضي أبو نصر بن الشيرازي، ومحمد ابن أخي الشيخ أبي البيان، وعبد القادر بن الحسين البغدادي، ونصر الله بن فتيان، وإبراهيم وعبد العزيز ابنا الخشوعي.ويونس بن منصور السقباني، وإدريس بن الخضر السقباني، ومحمد بن رومي السقباني، وحاطب بن عبد الكريم المزي، وذاكر بن عبد الوهاب السقباني، وذاكر الله بن أبي بكر الشعيري، ومحمد بن غسان، ومحمد بن عبد الكريم بن الهادي، والمسلم بن أحمد المازني، وعبد العزيز بن محمد ابن الدجاجية، وعبد الرحمن بن عبد المؤمن زريق العطار، وشعبان بن إبراهيم، ومحمد بن أحمد بن زهير، ومحمود بن خضير الدارانيون.وعبد الرحمن بن راشد البيت سوائي، ونجم الأمناء عبد الرحمن بن علي الأزدي، وعمر بن عبد الوهاب ابن البراذعي، وعتيق السلماني، وبهاء الدين علي ابن الجميزي، وعبد المنعم بن محمد بن محمد بن أبي المضاء نزيل حماه، ومات في آخر سنة أربع وأربعين، والرشيد أحمد بن مسلمة، وعبد الواحد بن هلال، وخلق آخرهم وفاة أبو محمد مكي بن المسلم بن علان.وقد روى عنه الكثير أبو سعد السمعاني، ومات قبل ابن علان بتسعين سنة.فمن تصانيفه: " التاريخ " ثمانمائة جزء، و"الموافقات " اثنان وسبعون جزءا، و" الأطراف التي للسنن " ثمانية وأربعون جزءا، و" عوالي مالك " أحد وثلاثون جزءا، و" التالي لحديث مالك العالي " تسعة عشر جزءا، و"غرائب مالك " عشرة أجزاء، و" معجم القرى والأمصار " جزء، و" معجم شيوخه " اثنا عشر جزءا، و" مناقب الشبان " خمسة عشر جزءا، و"فضل أصحاب الحديث " أحد عشر جزءا. و" السباعيات " سبعة أجزاء، وكتاب " تبيين كذب المفتري فيما -[٤٩٦]- نسب إلى الأشعري " مجلد، و " المسلسلات " له مجلد، وكتاب " فضل الجمعة " مجلد، و" الأربعون الطوال " ثلاثة أجزاء، و" عوالي شعبة " مجلد، و"كتاب الزهادة في ترك الشهادة " مجلد، و" عوالي

الثوري " مجيليد، و" الأربعون الجهادية "، و" الأربعون البلدية "، و" الأربعون الأبدال ". و" مسند أهل داريا " مجلد، " ومن وافقت كنيته كنية زوجته " مجلد صغير، و" شيوخ النبل " مجلد لطيف، و" حديث أهل صنعاء الشام " مجلد صغير، و"حديث أهل قرية البلاط " مجلد صغير، و" فضائل عاشوراء " ثلاثة أجزاء، و"كتاب الزلازل " ثلاثة أجزاء، و" ثواب المصاب بالولد " جزآن، و" طرق قبض العلم " جزء، و"كتاب فضل مكة "، و"كتاب فضل المدينة "، و"كتاب فضل القدس "، وجزء " فضائل عسقلان "، وجزء " فيمن نزل المزة ". وجزء في " فضائل الربوة والنيرب "، وجزء في " مقام إبراهيم وبرزة "، وجزء في " أهل قرية الحميريين "، و" جزء أهل كفرسوسية "، و" جزء أهل كفربطنا "، و" جزء بيت قوفا "، و" بيت رانس "، و" جزء سعد بن عبادة "، و" المنيحة "، و" جزء أهل حرستا "، و" جزء أهل زملكا "، و" جزء بيت لهيا "، و" جزء جوبر "، و" جزء أهل حردان "، و" جزء أهل جديا "، و" جزء أهل برزة "، و" جزء أهل منين "، و" جزء أهل بيت سوا "، و" جزء أهل بعلبك "، وجزء " المبسوط لمنكر حديث الهبوط "، و" الجواهر واللآلئ " ثلاثة أجزاء، وغير ذلك.وأملى أربعمائة مجلس وثمانية مجالس في فنون شتى، وخرج لشيخه أبي غالب ابن البناء " مشيخة "، ولشيخه جمال الإسلام " مشيخة "، وأربعين حديثا مصافحات لرفيقه أبي سعد السمعاني، وأربعين حديثا مساواة لشيخه الفراوي.وخرج في آخر عمره لنفسه "كتاب الأبدال " ولم يتمه، ولو تم لجاء في نحو مائتي جزء.ذكره ابن السمعاني في " تاريخه " فقال: كثير العلم، غزير الفضل، حافظ، ثقة، متقن، دين، خير حسن السمت، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، صحيح القراءة، متثبت، محتاط. رحل وتعب، وبالغ في الطلب -[٤٩٧]- إلى أن جمع ما لم يجمع غيره، وأربى على أقرانه.ودخل نيسابور قبلي بشهر أو نحوه في سنة تسع وعشرين، فسمع بقراءتي وسمعت بقراءته مدة مقامنا بها، إلى أن اتفق خروجه إلى هراة وخروجي إلى أصبهان. واجتمعت به ببغداد بعد رجوعه في سنة ثلاث وثلاثين. وسمعت منه كتاب " المجالسة " بدمشق، و" معجم شيوخه ". وكان قد شرع في " التاريخ الكبير " لمدينة دمشق، وصنف التصانيف، وخرج التخاريج.وقرأت بخط ابن الحاجب قال: حدثني زين الأمناء قال: حدثني ابن القزويني عن والده مدرس النظامية، يعني أبا الخير، قال: حكى لنا أبو عبد الله الفراوي قال: قدم أبو القاسم ابن عساكر فقرأ علي ثلاثة أيام، فأكثر وأضجرني، وآليت على نفسي أن أغلق الغد بابي وأمتنع. فلما أصبحت قدم علي شخص فقال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك. قلت: مرحبا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: امض إلى الفراوي وقل له: قدم بلدكم رجل من الشام أسمر اللون يطلب حديثي، فلا يأخذك منه ضجر ولا ملل. قال القزويني: فوالله ما كان الفراوي يقوم من المجلس حتى يقوم الحافظ ابتداء منه.وقال ابنه القاسم أبو محمد الحافظ: كان رحمه الله مواظبا على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن، يختم في كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية. وكان كثير النوافل والأذكار.وكان يحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والذكر، وكان يحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة. وقال لي: لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلا يقول لها: تلدين غلاما يكون له شأن.وحدثني أن أباه رأى رؤيا معناها: يولد لك ولد يحيي الله به السنة. حدثني أبي رحمه الله قال: كنت يوما أقرأ على أبي الفتح المختار بن عبد الحميد وهو يتحدث مع الجماعة، فقال: قدم علينا أبو علي ابن الوزير، فقلنا: ما رأينا مثله. ثم قدم علينا أبو سعد ابن السمعاني، فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا، فلم نر مثله.وحكى لي أبو الحسن علي بن إبراهيم الأنصاري الحنبلي عن أبي الحسن سعد الخير

قال: ما رأينا في سن الحافظ أبي القاسم مثله. وحدثنا محمد بن عبد الرحمن المسعودي قال: سمعت أبا العلاء الهمذاني يقول لرجل، وقد استأذنه أن يرحل، فقال: إن عرفت -[٤٩٨]- أستاذا أعرف مني أو في الفضل مثلي فحينئذ آذن لك أن تسافر إليه، إلا أن تسافر إلى الحافظ ابن عساكر؛ فإنه حافظ كما يجب. فقلت: من هذا؟ فقال: حافظ الشام أبو القاسم يسكن دمشق. وأثنى عليه.وكان يجري ذكره عند خطيب الموصل أبي الفضل، فيقول: ما نعلم من يستحق هذا اللقب اليوم، أعني الحافظ، ويكون به حقيقا سواه. كذا حدثني أبو المواهب بن صصرى، وقال: لما دخلت همذان أثنى عليه الحافظ أبو العلاء، وقال لي: أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحد، فلو خالق الناس ومازجهم كما أصنع إذا لاجتمع عليه الموافق والمخالف.وقال لي يوما: أي شيء فتح له، وكيف ترى الناس له؟ قلت: هو بعيد من هذا كله، لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتصنيف والتسميع حتى في نزهه وخلواته. فقال: الحمد لله، هذا ثمرة العلم، ألا إنا قد حصل لنا هذا المسجد والدار والكتب، هذا يدل على قلة حظوظ أهل العلم في بلادكم. ثم قال لي: ما كان يسمى أبو القاسم ببغداد إلا شعلة نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه.وقال أبو المواهب: أما أنا فكنت أذاكره في خلواته عن الحفاظ الذين لقيهم، فقال: أما ببغداد فأبو عامر العبدري، وأما بإصبهان فأبو نصر اليونارتي، لكن إسماعيل الحافظ كان أشهر منه. فقلت له: فعلى هذا ما رأى سيدنا مثله؟ فقال: لا تقل هذا، قال الله تعالى: " فلا تزكوا أنفسكم ". قلت: وقد قال تعالى: " وأما بنعمة ربك فحدث ". فقال: نعم، لو قال قائل: إن عيني لم تر مثلي – لصدق.قال أبو المواهب: وأنا أقول: لم أر مثله، ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر، والاعتكاف في رمضان وعشر ذي الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور.وقد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة، وأباها بعد أن عرضت عليه. وقلة التفاته إلى الأمراء، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم.قال لي: لما عزمت على التحديث، والله المطلع أنه ما حملني على ذلك **حب الرياسة** والتقدم، بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟ وأي فائدة -[٤٩٩]- في كوني أخلفه بعدي صحائف؟ فاستخرت الله تعالى، وأستأذنت أعيان شيوخي ورؤساء البلد، وطفت عليهم، فكل قال: ومن أحق بهذا منك؟ فشرعت في ذلك في سنة ثلاث وثلاثين.وقال عمر بن الحاجب الحافظ: حكى لي زين الأمناء أن الحافظ لما عزم على الرحلة اشترى جملا، وتركه بالخان. فلما رحل القفل تجهز، وخرج فوجد الجمال قد مات. فقال له الجماعة الذين خرجوا لوداعه: ارجع؛ فما هذا فأل مبارك! وفندوا عزمه، فقال: والله، لو مشيت راجلا لا أثنيت عزمي، وحمل خرجه لما شرع، وتبع الركب، واكترى منهم في القصير. وكانت طريقه مباركة.وقال أبو محمد القاسم: قال لي والدي: لما قدمت في سفري: قال لي جدي القاضي أبو المفضل يحيى بن علي: اجلس إلى سارية من هذه السواري حتى نجلس إليك. فلما عزمت على الجلوس اتفق أنه مرض ولم يقدر له بعد ذلك خروج إلى المسجد.وكان أبي رحمه الله قد سمع أشياء لم يحصل منها نسخا اعتمادا على نسخ رفيقه الحافظ أبي علي ابن الوزير، وكان ما حصله ابن الوزير لا يحصله أبي وما حصله أبي لا يحصله ابن الوزير. فسمعته يقول: رحلت، وما كأني رحلت.كنت أحسب أن ابن الوزير يقدم بالكتب مثل الصحيحين، وكتب البيهقي والأجزاء، فاتفق سكناه بمرو، وكنت أؤمل وصول رفيق آخر يوسف بن فارو الجياني، ووصول رفيقنا المرادي، وما أرى أحدا منهم قدم.

فلا بد من الرحلة ثالثا وتحصيل الكتب والمهمات. فلم يمض إلا أيام يسيرة حتى قدم أبو الحسن المرادي، فأنزله أبي عندنا، فقدم بأربعة أسفاط كتب مسموعة، ففرح أبي بذلك، وكفاه الله مؤونة السفر.وأقبل على النسخ والاستنساخ، وقابل، وبقي من مسموعاته نحو ثلاثمائة جزء، فأعانه عليها ابن السمعاني، ونقل إليه منها جملة حتى لم يبق عليه أكثر من عشرين جزءا. وكان كلما حصل له جزء منها كأنه قد حصل على ملك الدنيا.قلت: وله شعر جيد يملي منه عقيب مجالسه، فمنه:- [٥٠٠]-أيا نفس ويحك جاء المشيب ... فماذا التصابي وماذا الغزلتولى شبابي كأن لم يكن ... وجاء مشيبي كأن لم يزلفيا ليت شعري ممن أكون ... وما قدر الله لي في الأزل.سمعت أبا الحسين اليونيني يقول: سمعت أبا محمد المنذري الحافظ يقول: سألت شيخنا أبا الحسن علي بن المفضل الحافظ عن أربعة تعاصروا أيهم أحفظ؟ فقال: من؟ قلت: الحافظ ابن ناصر، وابن عساكر. فقال: ابن عساكر. فقلت: الحافظ أبو موسى المديني، وابن عساكر. قال: ابن عساكر. فقلت: الحافظ أبو الطاهر السلفي، وابن عساكر. فقال: السلفي شيخنا، السلفي شيخنا!قلت: يعني أنه ما أحب أن يصرح بأن ابن عساكر أفضل من السلفي، ولوح بأنه شيخه، ويكفي هذا في الإشارة.قلت: والرجل ورع ثبت. وما أطلق أنه ما رأى مثل نفسه في جواب الحافظ أبي المواهب إلا وهو بار صادق. وكذلك رأيت شيخنا أبا الحجاج المزي يميل إلى هذا. وأنا جازم بذلك أنه ما رأى مثل نفسه. هو أحفظ من جميع الحفاظ الذين رآهم من شيوخه وأقرانه.وقال الحافظ أبو محمد عبد القادر الرهاوي: رأيت الحافظ السلفي، والحافظ أبا العلاء، والحافظ أبا موسى، ما رأيت فيهم مثل ابن عساكر.قرأت بخط عمر بن الحاجب: قال: حكى لي من أثق به أن الحافظ عبد الغني قال: الحافظ ابن عساكر برجال الشام أعرف من البخاري لهم، وندم على ترك السماع منه ندامة كلية.وذكره ابن النجار في " تاريخه "، فقال: إمام المحدثين في وقته، ومن انتهت إليه الرياسة في الحفظ الإتقان والمعرفة التامة والثقة، وبه ختم هذا الشأن. روى عنه جماعة وهو في الحياة، وحدثوا عنه بالإجازة في حياته.قال: وقرأت بخط الحافظ معمر بن الفاخر في " معجمه ": أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي الحافظ من لفظه بمنى إملاء يوم النفر الأول، -[٥٠١]- وكان أحفظ من رأيت من طلبة الحديث والشبان، وكان شيخنا الإمام إسماعيل بن محمد يفضله على جميع من لقيناهم من أهل إصبهان وغيرها. قدم إصبهان، وسمع ونزل في داري، وما رأيت شابا أورع ولا أتقن ولا أحفظ منه.وكان مع ذلك فقيها أديبا سنيا، جزاه الله خيرا، وكثر في الإسلام مثله. أفادني في الرحلة الأولى والثانية ببغداد كثيرا، وسألته عن تأخره في الرحلة الأولى عن المجيء إلى إصبهان، فقال: لم تأذن لي أمي.قلت: وهو مع جلالته وحفظه يروي الأحاديث الواهية والموضوعة ولا يبينها، وكذا كان عامة الحفاظ الذين بعد القرون الثلاثة، إلا من شاء ربك فليسألنهم الله تعالى عن ذلك. وأي فائدة بمعرفة الرجال ومصنفات التاريخ والجرح والتعديل إلا كشف الحديث المكذوب وهتكه؟قال ابنه أبو محمد: توفي أبي في حادي عشر رجب، وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين، وصليت عليه في الجامع، والشيخ قطب الدين في الميدان الذي يقابل المصلى. ورأى له جماعة من الصالحين منامات حسنة، ورثي بقصائد، ودفن بمقبرة باب الصغير.قلت: قبره مشهور يزار، رحمه الله.." (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٢/٤٩٣

"٥٣٢ - الخضر بن أبي بكر بن أحمد، القاضي كمال الدين الكردي، [المتوفى: ٦٦٠ هـ]قاضي المقس.قال قطب الدين: كان محترما عند الملك المعز، فعلق به **حب الرياسة**، فصنع خاتما وجعل تحت فصه وريقة فيها أسماء جماعة عندهم - فيما زعم - ودائع للوزير الفائزي، وأظهر أن الخاتم للفائزي، وأن تلك الوريقة تذكرة، ثم أظهر بذلك التقرب إلى السلطان، ودخل في أذية الناس، وجرت له -[٩٣٢]-خطوب بمصر ثم وضح أمره، فصفع وحبس، وكان في الحبس شخص يدعي أنه من أولاد الخلفاء، وكانت الأمراء والأجناد الشهرزورية أرادت مبايعته بغزة، فلم يتم ذلك، فلما جمعهما الحبس تكلم معه في تمام أمره، فمات العباسي في الحبس وله ولد، فخرج الكمال الكردي، فأخذ في السعي لولده وتحدث مع جماعة من الأعيان، وكتب مناشير وتواقيع بأمور، واتخذ بنودا، فبلغ ذلك السلطان، وألب عليه الوزير وغيره، فشنق، وعلقت البنود والتواقيع في حلقة، شنقوه بمصر في جمادي الآخرة.." (١)

"٣ - ت: إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي البلخي الزاهد، [الوفاة: ١٦١ - ١٧٠ هـ]أحد الأعلام.روى عن: أبيه، ومنصور، ومحمد بن زياد الجمحي، وأبي إسحاق، وأبي جعفر الباقر، ومالك بن دينار، والأعمش، وجماعة.وعنه: سفيان الثوري وهو من طبقته، وشقيق البلخي، وأبو إسحاق الفزاري، وبقية، وضمرة بن ربيعة، ومحمد بن حمير، وخلف بن تميم، ومحمد بن يوسف الفريابي، وإبراهيم بن بشار الخراساني تلميذه، وآخرون.قال البخاري: قال لي قتيبة: إبراهيم بن أدهم تميمي.وقال ابن معين: هو عجلي.وقال المفضل بن غسان: أخبرني أبو محمد اليمامي أن إبراهيم بن أدهم خرج مع جهضم من خراسان هاربا من أبي مسلم الخراساني، فنزل الثغور، وهو من بني عجل.وساق ابن منده نسبه إلى بني عجل.وقال إبراهيم بن شماس: سمعت الفضل بن موسى يقول: حج أدهم بأم إبراهيم وهي حبلى، فولدت له إبراهيم بن أدهم بمكة، فجعلت تطوف به على الخلق في المسجد تقول: ادعوا لابني أن يجعله الله عبدا صالحا. -[٢٨٩]-وقال ابن منده: سمعت عبد الله بن محمد البلخي، يقول: سمعت عبد الله بن محمد العابد يقول: سمعت يونس بن سليمان البلخي يقول: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه شريفا كثير المال والخدم والجنائب والبزاة، بينما إبراهيم يأخذ كلابه وبزاته للصيد، وهو على فرسه يركضه، إذا بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا " اتق الله، وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابته، ورفض الدنيا.أخبرنا أحمد بن هبة الله، عن زينب بنت الشعري، قالت: أخبرنا عبد الوهاب بن شاه، قال: أخبرنا أبو القاسم القشيري قال: ومنهم إبراهيم بن أدهم، كان من أبناء الملوك، فخرج يتصيد، وأثار ثعلبا أو أرنبا، وهو في طلبه، فهتف به هاتف: ألهذا خلقت أم لهذا أمرت؟ فنزل عن دابته، وصادف راعيا لأبيه، وأخذ جبته الصوف فلبسها، وأعطاه فرسه وما معه، ثم إنه دخل البادية إلى أن قال: ومات بالشام، وكان يأكل من عمل يده، مثل الحصاد، وحفظ البساتين، ورأى في البادية رجلا علمه اسم الله الأعظم، فدعا به بعده فرأى الخضر، وقال: إنما علمك أخي داود الاسم الأعظم.قلت: أسندها أبو القاسم في " رسالته "، فقال: أخبرني بذلك أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا محمد بن الحسن الخشاب، قال: حدثنا علي بن محمد المصري، قال: حدثني أبو سعيد الخراز، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار قال: صحبت إبراهيم بن أدهم، فسألته عن بدو أمره، فذكر

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٤/٩٣١

هذا.قلت: رواها هلال الحفار، عن المصري الواعظ، وروى قريبا منها أبو الفتح القواس، عن أبي طالب بن شهاب، قال: حدثني علي بن محمد بن خالد، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار قال: سألت إبراهيم بن أدهم، فذكر نحوها، وزاد: فسألت بعض المشايخ عن الحلال، فقال: عليك بالشام، فصرت إلى المصيصة، فعملت بها أياما، ثم قيل لي: عليك بطرسوس فإن بها المباحات، قال: فبينا أنا قاعد على باب البحر جاءني -[٢٩٠]- رجل فاكتراني لنظارة بستان.المسيب بن واضح: سمعت أبا عتبة الخواص، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من أراد التوبة فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد.النسائي: حدثنا علي بن محمد بن علي، قال: سمعت خلف بن تميم، يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: رآني ابن عجلان فسجد، ثم قال: تدري لم سجدت؟ سجدت شكرا لله حين رأيتك.سليمان بن أيوب: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: قلت لابن المبارك: ممن سمع إبراهيم بن أدهم؟ قال: قد سمع من الناس، ولكن له فضل في نفسه، صاحب سرائر، ما رأيته يظهر تسبيحا، ولا شيئا من الخير، ولا أكل مع قوم إلا كان آخر من يرفع يده.محمد بن سهل الموصلي: حدثنا أبو حاتم، قال: سمعت أبا نعيم يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: إبراهيم بن أدهم كان يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة لكان فاضلا.قال بشر الحافي: ما أعرف عالما إلا قد أكل بدينه سوى وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، وسلم الخواص، ويوسف بن أسباط.أبو يعلى الموصلي: حدثنا عبد الصمد بن يزيد الصائغ، سمعت شقيقا البلخي يقول: لقيت إبراهيم بن أدهم في الشام، فقلت: تركت خراسان، قال: ما تهنيت بالعيش إلا هنا، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول: جمال، يا شقيق، لم ينبل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج، بل من كان يعقل ما يدخل بطنه، يا شقيق، ماذا أنعم الله على الفقراء؟ لا يسألهم عن زكاة، ولا عن جهاد، ولا عن صلة، إنما يسأل عن هذا هؤلاء المساكين.قلت: هذا القول من إبراهيم رحمه الله ليس على إطلاقه، بل قد نبل بالجهاد والقرب عدد من الصفوة.وعن إبراهيم قال: الزهد منه فرض وهو ترك الحرام، وزهد سلامة وهو الزهد في الشبهات، وزهد فضل وهو الزهد في الحلال. -[٢٩١]-قال بقية: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعام له وجلس، فوضع رجله اليسرى تحت إليته، ونصب اليمنى ووضع مرفقه عليها، ثم قال: هذه جلسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يجلس جلسة العبيد. فلما أكلنا قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته، قال: نعم، كنا يوما صياما، فلما كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلما أصبحنا قلت: يا أبا إسحاق، هل لك في أن نأتي الرستن فنكري أنفسنا مع الحصادين؟ قال: نعم، فأتينا باب الرستن، فجاء رجل فاكتراني بدرهم، فقلت: وصاحبي، قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفا، فما زلت به حتى اكتراه بثلثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت به، فاشتريت حاجتي، وتصدقت بالباقي، فهيأته، وقدمته إليه، فلما نظر إليه بكى، قلت: ما يبكيك؟ قال: أما نحن، فقد استوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا؟ قال: فغضبت، قال: ما يغضبك؟ أتضمن لي أنا وفيناه؟ فأخذت الطعام فتصدقت به.ضمرة: سمعت إبراهيم بن أدهم قال: أخاف أن لا يكون لي أجر في تركي أطايب الطعام، لأني لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.محمد بن ميمون المكي: حدثنا سفيان بن عيينة قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: لو تزوجت، فقال: لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت.أحمد بن مروان: حدثنا هارون بن الحسن، قال: حدثنا خلف بن تميم قال: دخل إبراهيم بن أدهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى به ناطفا، وقدمه إلى أصحابه، فقال: كلوا كأنكم تأكلون في رهن.عصام بن رواد بن الجراح: حدثنا أبي قال:

كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافئه، فنظر إلى سرجي فقال: خذ لك ذاك السرج، فأخذه، فما داخلني سرور قط مثله حين علمت أنه صير مالي وماله واحدا.علي بن بكار قال: كان الحصاد أحب إلى ابن أدهم من اللقاط، وكان سليمان الخواص لا يرى باللقاط بأسا، وكان إبراهيم أفقه، وكان من العرب من بني عجل، كريم الحسب، وكان إذا عمل ارتجز، وقال: -[٢٩٢]-اتخذ الله صاحبا ... ودع الناس جانباوكان يلبس في الشتاء فروا بلا قميص، وفي الصيف شقتين بأربعة دراهم، يتزر بواحدة، ويرتدي بأخرى، ويصوم في السفر والحضر، ولا ينام الليل، وكان يتفكر، فإذا فرغ من الحصاد أرسل بعض أصحابه يحاسب صاحب الزرع، ويجيء بالدراهم فلا يمسها بيده.قال ابن بكار: كان إبراهيم يقول لأصحابه: اذهبوا فكلوا بها - يعني أجرته - شهواتكم، وإذا لم يحصد أجر نفسه في حفظ البساتين والمزارع. وكان يطحن بيد واحدة مدين من قمح.وقال أبو يوسف الغسولي: دعا الأوزاعي إبراهيم بن أدهم، فقصر في الأكل، فقال: لم قصرت؟ قال: رأيتك قصرت في الطعام.بشر الحافي: حدثنا يحيى بن يمان قال: كان سفيان إذا قعد مع إبراهيم بن أدهم تحرز من الكلام.عبد الرحمن بن مهدي، عن طالوت: سمعت إبراهيم بن أدهم قال: ما صدق الله عبد أحب الشهرة.محمد بن عقيل البلخي: سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: قيل لإبراهيم بن أدهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله؟ قال: أن يقول للجبل تحرك فيتحرك، قال: فتحرك الجبل، فقال: ما إياك عنيت.عصام بن رواد: سمعت عيسى بن حازم النيسابوري يقول: كنا مع إبراهيم بن أدهم بمكة، فنظر إلى أبي قبيس، فقال: لو أن مؤمنا مستكمل الإيمان هز الجبل لزال، فتحرك أبو قبيس، فقال إبراهيم: اسكن، ليس إياك أردت.يحيى بن عثمان الحمصي: حدثنا بقية قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبت ريح وهاجت الأمواج، واضطربت السفينة، وبكى الناس، -[٢٩٣]- فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى ما الناس فيه؟ فرفع رأسه، وقد أشرفنا على الهلاك، فقال: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي، يا حي، يا قيوم، يا محسن، يا مجمل، قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فهدأت السفينة من ساعته.ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن منصور، قال: حدثنا الحارث بن النعمان قال: كان إبراهيم بن أدهم يجتني الرطب من شجر البلوط.وعن إبراهيم قال: كل ملك لا يكون عادلا فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون ورعا فهو والذئب سواء، وكل من يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة.وقيل: إن إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمسا وعشرين مرة، كل مرة يجدد الوضوء، فلما أحس بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفي وهو في يده، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.أخبرونا عن ابن اللتي، قال: أخبرنا جعفر المتوكلي، قال: أخبرنا ابن العلاف، قال: حدثنا الحمامي، قال: حدثنا جعفر الخلدي، قال: حدثني إبراهيم بن نصر، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الصوفي، قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأي دين لو كان له رجال، من طلب العلم لله كان الخمول أحب إليه من التطاول، وقال: والله ما الحياة بثقة فيرجى نومها، ولا المنية بعذر فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء، قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.قال: وأمسينا ليلة مع إبراهيم وليس لنا شيء نفطر عليه، فرآني حزينا، فقال: يا ابن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة؟ لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حج، ولا صدقة، ولا صلة رحم، لا تغتم، فرزق

الله مضمون، سيأتيك، نحن والله الملوك الأغنياء، نحن والله الذين تعجلنا الراحة، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله، ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فما -[٢٩٤]- لبثنا إلا ساعة، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعه، فقال: كل يا مغموم، فدخل سائل، فقال: أطعمونا فدفع إليه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين.وكنت مارا مع إبراهيم، فأتينا على قبر مسنم، فترحم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرقا في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها، بلغني أنه سر ذات يوم بشيء ونام، فرأى رجلا بيده كتاب، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانيا على باق، ولا تغترن بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده هلك، وفرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين "، فانتبه فزعا، وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات.إسحاق بن الضيف: حدثنا علي بن محمد المعلم، عن أبيه، أن إبراهيم بن أدهم حصد ليلة ما يحصد غيره في عشرة أيام، فأخذ أجرته دينارا.أخبرنا إسحاق الصفار، قال: أخبرنا يوسف الحافظ، قال: أخبرنا عبد الرحيم بن محمد، قال: أخبرنا أبو علي الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم،، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن إسحاق السراج، قال: سمعت إبراهيم بن بشار، قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدو أمرك؟ قال: غير ذا أولى بك، قلت: أخبرني لعل الله أن ينفعنا به يوما، فقال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان المياسير، وحبب إلينا الصيد، فخرجت راكبا فرسي ومعي كلبي، فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحركت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنة ويسرة، فلم أر أحدا، فقلت: لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم، ليس لذا خلقت، ولا -[٢٩٥]- بذا أمرت، فوقفت أنظر، فلا أرى أحدا، فقلت: لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي، فأسمع نداء من قربوس سرجي: يا إبراهيم ما لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت وقلت: أنبهت أنبهت، جاءني نذير من رب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي ذا ما عصمني ربي، فرجعت إلى أهلي، فخليت عن فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت من أحدهم جبة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياما، فلم يصف لي منها الحلال، فقيل لي: عليك بالشام، فصرت إلى المصيصة، فعملت بها، فلم يصف لي الحلال، فسألت بعض المشايخ، فقال: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإن فيها المباحات والعمل الكثير، فأتيتها فعملت بها أنظر في البساتين وأحصد، فبينا أنا على باب البحر فجاءني رجل أنظر له، فكنت في البستان مدة، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقعد في مجلسه فصاح: يا ناطور، اذهب فآتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيته بأكبر رمان، فكسر رمانة فوجدها حامضة، فقال: أنت عندنا كذا وكذا تأكل فاكهتنا ورماننا، لا تعرف الحلو من الحامض، قلت: والله ما ذقتها، فأشار إلى أصحابه تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم زاد على هذا؟ فانصرف، فلما كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عنق من الناس، فلما رأيته قد أقبل اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب.روى يونس بن سليمان البلخي، عن إبراهيم بن أدهم نحوها.إبراهيم بن نصر المنصوري، ومحمد بن غالب قالا: حدثنا إبراهيم بن بشار قال: بينا أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري، ونحن متوجهون نريد الإسكندرية، فصرنا

إلى نهر الأردن، فقعدنا نستريح فقرب أبو يوسف كسيرات يابسات، فأكلنا وحمدنا الله، وقام بعضنا ليسقي إبراهيم، فسارعه فدخل في الماء إلى ركبتيه ثم -[٢٩٦]- قال: بسم الله وشرب، ثم حمد الله، ثم خرج فمد رجليه ثم قال: يا أبا يوسف: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم، إذا لجالدونا عليه بأسيافهم.ابن بشار: سمعت ابن أدهم يقول: ما قاسيت شيئا من أمر الدنيا، ما قاسيت من نفسي، مرة لي ومرة علي.قال عطاء بن مسلم: ضاعت نفقة إبراهيم بن أدهم بمكة، فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل.وقال بشر الحافي، عن أبي معاوية الأسود قال: مكث إبراهيم بن أدهم يأكل الطين عشرين يوما.وقال محبوب بن موسى، عن أبي إسحاق الفزاري: أخبرني إبراهيم بن أدهم أنه أصابته مجاعة بمكة، فمكث أياما يأكل الرمل بالماء.وعن شعيب بن حرب قال: قدم ابن أدهم مكة، فإذا في جرابه طين فقيل له، فقال: أما إنه طعامي منذ شهر.عن: سهل بن إبراهيم قال: صحبت إبراهيم بن أدهم في سفر، فأنفق علي نفقته، ثم مرضت، فاشتهيت شهوة، فباع حماره، واشترى شهوتي، فقلت: فعلى أي شيء نركب؟ قال: على عنقي، قال: فحمله ثلاثة منازل.عصام بن رواد: سمعت عيسى بن خارجة قال: بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسلما عليه وقالا: أنت إبراهيم بن أدهم؟ قال: نعم، قالا: فإنا مملوكان لأبيك، ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان، فإن كنتما صادقين فأنتما حران والمال لكما، لا تشغلاني عن عملي.وعن مروان قال: كان إبراهيم سخيا جدا.قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا الوليد يقول: ربما جلس إبراهيم بن أدهم من أول الليل إلى آخره يكسر الصنوبر فيطعمنا، وغزوت معه ولي فرسان وهو على رجليه، فأردته أن يركب فأبى، فحلفت فركب حتى جلس على السرج، فقال: قد أبررت يمينك، ثم نزل.أحمد بن إبراهيم الدورقي: حدثنا خلف بن تميم، قال: سمعت -[٢٩٧]- إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل بالدنانير فأقول: ما لي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول: ما لي فيه حاجة، ويجيئني ذا، فلما رأى القوم أني لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إلي كأني دابة من الأرض، أو كأني آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواما ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول.أحمد الدروقي: حدثني أبو أحمد المروزي، قال: حدثني علي بن بكار قال: غزا معنا إبراهيم بن أدهم غزاتين، كل واحدة منهما أشد من الأخرى، فلم يأخذ سهما ولا نفلا، وكان لا يأكل من متاع الروم، نجيء بالطرائف والعسل والدجاج فلا يأكل منه، ويقول: هو حلال، لكني أزهد فيه، وكان يصوم، وغزا على برذون ثمنه دينار، وغزا في البحر غزاتين.الدورقي: حدثنا خلف تميم، قال: حدثني أبو رجاء الخراساني، عن رجل أنه كان مع إبراهيم بن أدهم في سفينة في غزاة، فعصفت عليهم الريح، وأشرفوا على الغرق، فسمعوا هاتفا بصوت عال: تخافون وفيكم إبراهيم.وقد ساق له أبو نعيم عدة كرامات.قال بشر بن المنذر قاضي المصيصة: كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح، لو نفحته الريح لوقع، قد اسود، متدرع بعباءة، فإذا خلا بأصحابه فمن أبسط الناس.محمد بن يزيد: حدثنا يعلى بن عبيد قال: دخل إبراهيم بن أدهم على المنصور فقال: كيف شأنكم يا أبا إسحاق؟ قال: يا أمير المؤمنين:نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعقال ابن بشار: سمعت إبراهيم بن أدهم يتمثل:للقمة بجريش الملح آكلها ... ألذ من تمرة تحشى بزنبورقال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من تعود أفخاذ النساء لم يفلح. -[٢٩٨]-يحيى بن آدم: سمعت شريكا يقول: سألت إبراهيم بن أدهم عما كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فبكى فندمت على سؤالي إياه، فرفع رأسه، فقال: من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربه اشتغل بربه عن غيره.وعن إبراهيم قال: حب لقاء الناس من حب الدنيا، وتركهم ترك

الدنيا.وقال لرجل: روعة تروعك من عيالك أفضل مما أنا فيه.وعن أبي سليمان الداراني قال: صلى إبراهيم بن أدهم بوضوء واحد خمس عشرة صلاة.وقال محمد بن حمير: حدثني إبراهيم بن أدهم قال: من حمل شاذ العمل حمل شرا كبيرا.قال إبراهيم بن بشار: أوصانا إبراهيم بن أدهم: اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضاري، ولا تخلفوا عن الجمعة، والجماعة.عن: المعافى بن عمران قال: شكا الثوري إلى إبراهيم بن أدهم، فقال: نشكو إليك ما يفعل بنا، وكان سفيان مختفيا، فقال: أنت شهرت نفسك بحدثنا وحدثنا.عن: إبراهيم قال: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل، قال الله تعالى: " لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ".وعنه قال: رأيت في النوم كأن قائلا يقول لي: أيحسن بالحر المريد أن يتذلل للعبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد؟!وقال النسائي: إبراهيم بن أدهم أحد الزهاد، ثقة مأمون.وقال الدارقطني: ثقة. -[٢٩٩]-وعن البخاري أنه مات سنة إحدى وستين ومائة.وقال أبو توبة الحلبي، وابن يونس المصري: سنة اثنتين.قلت: سيرته في " تاريخ دمشق "، ثلاث وثلاثون ورقة، وهي طويلة في " حلية الأولياء ".." (١)

"٣٤٦ - عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ. البصري المتكلم المعتزلي، [الوفاة: ٢٤١ - ٢٥٠ هـ]صاحب التصانيف المشهورة.أخذ عن أبي إسحاق النظام، وغيره،وحدث عن: أبي يوسف القاضي، وثمامة بن أشرس، وحجاج بن محمد.وعنه: أبو العيناء محمد بن القاسم، ويموت بن المزرع، وأبو بكر بن أبي داود، وأبو سعيد العدوي، وغيرهم.وكان واسع النقل كثير الإطلاع، من أذكياء بني آدم وأفرادهم وشياطينهم.قال أبو العباس ثعلب: ليس بثقة ولا مأمون. -[١١٩٤]- قال الخطيب: حدثنا علي بن أحمد النعيمي من حفظه، قال: حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: دخلت على عمرو بن بحر الجاحظ فقلت له: حدثني بحديث، فقال: حدثنا الحجاج بن محمد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ".وأما ما رواه محمد بن عبد الله الشيباني الكذاب فقال: حدثنا ابن أبي داود، قال: أتيت منزل الجاحظ، فاطلع إلي من خوخة فقال: من هذا؟ قلت: رجل من أصحاب الحديث. فقال: ومتى عهدتني أقول بالحشوية؟ قلت: إني ابن أبي داود. قال: مرحبا بك وبأبيك. فنزل وفتح لي وقال: أدخل، إيش تريد؟ فقلت: حدثني بحديث. قال: اكتب: حدثنا حجاج، عن حماد، عن ثابت، عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على طنفسة. فقلت: حدثني حديثا آخر. فقال: ابن أبي داود لا يكذب.قال يموت بن المزرع: كان جد الجاحظ جمالا أسود.وعن الجاحظ قال: نسيت كنيتي ثلاثة أيام، فأتيت أهلي فقلت: بمن أكنى؟ قالوا: بأبي عثمان.وقال المبرد: حدثني الجاحظ قال: وقفت أنا وأبو حرب على قاص، فأردت الولوع به، فقلت لمن حوله: إنه رجل صالح لا **يحب الشهرة**، فتفرقوا عنه. فقال لي: الله حسيبك، إذا لم ير الصياد طيرا كيف يمد شبكته.وذكر المبرد أنه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ، وكان إذا وقع بيده كتاب قرأه كله؛ وإسماعيل القاضي، ما دخلت إليه إلا وبيده كتاب ينظر فيه؛ والفتح بن خاقان، كان

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٢٨٨/٤

يحمل الكتاب في خفه، فإذا قام من بين يدي المتوكل لأمر نظر فيه وهو يمشي، وكذلك في رجوعه.وقال يموت بن المزرع: سمعت خالي الجاحظ يقول: أمليت على إنسان مرة: أنا عمرو، فاستملى: أبا بشر وكتب أبا زيد.وقال إسماعيل ابن الصفار: حدثنا أبو العيناء قال: أنا والجاحظ وضعنا -[١١٩٥]- حديث فدك، فأدخلنا على الشيوخ ببغداد، فقبلوه إلا ابن شيبة العلوي، فإنه قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله. فلم يقبله.قال الصفار: كان أبو العيناء يحدث بهذا بعدما تاب.وأنشد المبرد للجاحظ:إن حال لون الراس عن حاله ... ففي خضاب الرأس مستمتعهب من له شيب له حيلة ... فما الذي يحتاله الأصلع؟وقال رجل للجاحظ: كيف حالك؟ فقال: يتكلم الوزير برأيي، وصلات الخليفة متواترة إلي، وآكل من لحم الطير أسمنها، وألبس من ألينها، وأنا صابر حتى يأتي الله بالفرج. فقال له: الفرج ما أنت فيه. قال: بل أحب أن لي الخلافة، ويختلف إلى محمد بن عبد الملك، يعني الوزير، فهذا هو الفرج.وقال أبو العيناء: أنشدنا الجاحظ:يطيب العيش أن تلقى حكيما ... وفضل العلم يعرفه الأديبسقام الحرص ليس له دواء ... وداء الجهل ليس له طبيبوقد عمر الجاحظ وبقي كلحم على وضم.قال المبرد: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت: كيف أنت؟ قال: كيف يكون من نصفه مفلوج ونصفه الآخر منقرس، لو طار عليه الذباب لآلمه، والآفة في هذا أني قد جزت التسعين.وعن عبدان الطبيب قال: دخلنا على الجاحظ نعوده فأتى إليه رسول المتوكل يطلبه، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل؟ ما تقولون في رجل له شقان، أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس والآخر يمر به الذباب فيغوث. وأكثر ما أشكوه الثمانون.قال ابن زبر في الوفيات: توفي سنة خمسين.وقال الصولي: سنة خمس وخمسين. -[١١٩٦]-قال أبو هفان: ثلاثة لم أر قط ولا سمعت أحب إليهم من الكتب والعلوم: الجاحظ، لم يقع بيده كتاب إلا استوفى مطالعته، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر، والفتح بن خاقان، كان يمشي والكتاب في كمه ينظر فيه، وإسماعيل القاضي، ما جئت إليه إلا رأيته يطالع، أو نحو ذلك.." (١)

"متثاقلا عن مرافقته، غير قابل على التوجه معه إلى الحيّ، والمشاركة له في المشاق والأخطار، فأخذ يعظه بمثل هذا الكلام، إنْ قلت: إنّ الكلام لصاحبه، وإنْ قلت: أنه قطع الكلام عنه، وأخذ يخاطب نفسه، كأن الإنسان يجرد من نفسه مخاطَبا إقامة للمواجهة بالقول، وأحسن ما جاء فيه قول الصمة بن عبد الله القشيري من الحماسة (١): (من الطويل)حَنَنْتَ إلى رَيّا وَنَفسُكَ باعَدَت ... مَزارَكَ مِن رَيّا وَشَعباكُما/ مَعا ... [٥١ ب]الأبيات، ولعمري إنّ السلامة في الخمول خير من العطب في المعالي، فما يفي الوصل بالصدود، وقال الشاعر (٢): (من الخفيف)إنْ مدحتُ الخمولَ نبَّهتُ قوما غفْلا عنه سابقوني إليههو قد دلّني على لذة العيش فما لي أدلُّ غيري عليهوقال أبو العلاء المعري (٣): (من الوافر)ولو جرت النباهة في طريق ال ... خمول إليَ لاخترت الخمولاوقد رضي بالخمول جماعة من الرؤساء الأكابر المتقدمين في العلم والمنصب، منهم: أبو السعادات بن الأثير، صاحب جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث، قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه إنّ عليَّ ديناً فأوفوه وأنتم في حلٍّ من الخلافة، فأوفوا دينه، وترك لهم الخلافة، وقد فعل ذلك جماعة من الأعيان، قال بعض العارفين: أول ما نزع الله من قلوب العارفين **حب الرياسة**، قال إبراهيم الغزي (

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١١٩٣/٥

٤): (من مجزوء الكامل)المجد سهل والطريـ ... ق إليه بالإجماع وعرُوقال ابن وكيع (٥): (من المتقارب)لقد رضيت همتي بالخمول ... ولم ترض بالرتب العاليةوكن في مكان إذا ما وقعتَ تقومُ ورجلكَ في عافيةوهذا يشبه قول ابن رشيق (٦): (من المتقارب) ـــــــــــــــــــ(١) ديوان الحماسة ٢/ ٦٠(٢) الأبيات في الغيث المسجم ٢/ [٤٦ ب] لا عزو.(٣) ديوان سقط الزند، ص ١٥٩.(٤) البيت في الغيث المسجم ٢/ ٤٧(٥) الأبيات في الغيث المسجم ٢/ ٤٧ ـ ٤٨ابن وكيع التنيسي: الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف أبو محمد الضبي التنيسي المعروف بابن وكيع الشاعر، أصله من بغداد ومولده بتنيس. له كتاب المنصف، بين فيه سرقات المتنبي. قال ابن رشيق في كتاب أبكار الأفكار: وهو أجور من سدوم. قلت: لأنه تحامل فيه على أبي الطيب كثيراً وهو خلاف التسمية، إلا أنه دل على أنه كان له اطلاع عظيم إلى الغاية، ولم يرض له بالسرقة من شاعر واحد، حتى يعد الجملة من الشعراء ذلك المعنى المسروق. وكان في لسانه عجمة، ويقال له العاطس، وتوفي بعلة الفالج سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. الوافي بالوفيات، ص ٩٤٣٧ ـ ٩٤٣٨ (م).(٦) ديوانه (م)..." (١)

"٦٥٣٦ - (ز): محمد بن أبي البركات بن أبي الخير بن حمد الهمذاني - بفتح الميم والمعجمة - الصوفي البطائحي.شيخ معمر ، جاوز المئة وجاور بمكة.فحمله الشره وحب الرياسة على ادعاء لقي أبي الوقت والإجازة منه ثم تجاوز ذلك إلى أن ادعى السماع منه وحدث عنه أولا بالصحيح بالإجازة العامة ثم في الأخير حدث عنه بها بالإجازة الخاصة وأنه لقنه هذه الكلمات: سمعت الشيخ أبا الوقت الهروي يقول: أجزت لك رواية صحيح البخاري عني.حمل عنه شيوخ شيوخنا كالفخر عثمان التوزري، وغيره.وقد كشف أبو بكر بن مسدي أمره فقال في معجمه: هو شيخ مسن ذكر لي أنه قرأ في صغره سورة الفاتحة على أبي العلاء بهمذان وأنه سافر بعد وفاته لما ترعرع فقرأ بواسط وصحب الشيخ أحمد الرفاعي ولبس منه وأذن له أن يلبس عنه. هذا الذي سمعت منه بديار مصر. -[١١]-وكان قد سكن دمياط وتمشيخ فيها للنساء فملن إليه وكان جماعة أهل الطريق ينكرون عليه كالشيخ أبي الحسن بن قفل، وغيره ، ثم تردد إلى مكة مرات.وعلى ما ذكر لي من لقي أبي العلاء يكون مولده بعد سنة خمسين فإنه قال: وقد ترعرعت وكانت وفاة أبي العلاء سنة تسع وستين فادعى بمكة أن مولده سنة ست وأربعين وخمس مئة ، ثم سمعته بمكة يقول في سنة ثمان وخمسين وست مئة: زدت على المئة ثلاث عشرة سنة وأسمع في هذه السنة صحيح البخاري بإجازته العامة من أبي الوقت وسمع منه جماعة من العوام الذين لا يفهمون هذا الشأن.ثم سافر من مكة إلى مصر في صدر سنة تسع وخمسين ثم عاد إليها سنة ستين فشهد الموسم وحج وجاور إلى أن مات.." (٢)

"(واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل إن المخاطبين بهذا هم المؤمنون وقيل اليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر، وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر، وأفرد الصلاة بالذى تعظيما لشأنها، والمعنى استعينوا على حوائجكم إلى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلايا، وقيل على طلب الآخرة

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدَّمِيري ص/٨٩

(٢) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ١٠/٧

بالصبر.والصبر في اللغة الحبس والمراد هنا استعينوا بحبس أنفسكم عن الشهوات وقصرها على الطاعات، على دفع ما يرد عليكم من المكروهات، وقيل الصبر هنا هو خاص بالصبر على تكاليف الصلاة وأداء الفرائض، واستدل هذا القائل بقوله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وليس في هذا الصبر الخاص بهذه الآية ما ينفي ما يفيده الألف واللام الداخلة على الصبر من الشمول، كما أن المراد بالصلاة هنا جميع ما يصدق عليه الصلاة الشرعية من غير فرق بين فريضة ونافلة، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.وعن ابن عباس أنه نعى له أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام إلى راحلته وهو يقول (واستعينوا بالصبر والصلاة) وقد وردت أحاديث كثيرة في مدح الصبر والترغيب فيه والجزاء للصابرين، ولم نذكرها ههنا لأنها ليست بخاصة بهذه الآية، بل هي واردة في مطلق الصبر، وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ههنا." (١)

"(ولو آمن أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى إيمانا كإيمان المسلمين بالله ورسله وكتبه (لكان خيرا لهم) من الرياسة التي هم عليها؛ وقيل من الكفر الذي هم عليه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قالوا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض؛ وإنما حملهم على ذلك **حب الرياسة** واستتباع العوام، فالخيرية إنما هي باعتبار زعمهم، وفيه ضرب تهكم بهم، ولم يتعرض للمؤمن به إشعارا بشهرته قاله أبو السعود.وقال الكرخي: لكان هذا الإيمان خيرا لهم من الإيمان بموسى وعيسى فقط وحينئذ فأفعل التفضيل على بابه، أو هو لبيان أن الإيمان فاضل كما في قوله تعالى: (أفمن يلقى في النار خير).ثم بين حال أهل الكتاب بقوله (منهم المؤمنون) وهم الذين آمنوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهم، فإنهم آمنوا بما أنزل عليه وما أنزل قبله كابن سلام وأصحابه من اليهود، والنجاشي وأصحابه من النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أي الخارجون عن طريق الحق المتمردون في باطلهم، المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما جاء به، فيكون هذا التفصيل على هذا كلاما مستانفا جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل هل منهم من آمن واستحق ما وعده الله، وعبر عن كفرهم بالفسق إشارة إلى أنهم فسقوا في دينهم أيضا فليسوا عدولا فيه فخرجوا عن الإسلام وعن دينهم.." (٢)

"٢ – ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه، وعن غيره.٣ – ينوي بذلك الدِّفاع عن الدين بالعلم.٤ – العمل بالعلم.٥ – العبادة مبنية على: الإخلاص، والمتابعة للنبي – صلى الله عليه وسلم –.٦ – الدعوة إلى العلم.٧ – الصبر على التعلم.جـ – عقبات في طريق العلم:١ – فساد النية.٢ – **حب الشهرة**.٣ – التفريط في حلقات العلم.٤ – التذرّع بكثرة الأشغال.٥ – التفريط في طلب العلم في الصغر.٦ – العزوف عن طلب العلم.٧ – تزكية النفس.٨ – عدم العمل بالعلم.٩ – اليأس [واحتقار الذات].." (٣)

"٢ – ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه، وعن غيره.٣ – ينوي بذلك الدِّفاع عن الدين بالعلم.٤ – العمل بالعلم.٥ – العبادة مبنية على: الإخلاص، والمتابعة للنبي – صلى الله عليه وسلم –.٦ – الدعوة إلى العلم.٧ – الصبر على

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/١٥٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢/٣١٢

(٣) أبراج الزجاج في سيرة الحجاج، عبد الرحمن بن وهف القحطاني ص/١٦

التعلم.جـ – عقبات في طريق العلم:١ – فساد النية.٢ – **حب الشهرة**.٣ – التفريط في حلقات العلم.٤ – التذرّع بكثرة الأشغال.٥ – التفريط في طلب العلم في الصغر.٦ – العزوف عن طلب العلم.٧ – تزكية النفس.٨ – عدم العمل بالعلم.٩ – اليأس [واحتقار الذات]..." (١)

"٣ – وفي الصوم تميز صوم النذر عن صوم النفل، وصوم الكفارة عنهما، وصوم رمضان عما سواه.٤ – وفي الحج تميز الحج عن العمرة، والحج المفروض عن المنذور والنافلة.سابعًا: تأثير النية فى الأعمال:النية تؤثر في الفعل، فيصير تارة حراما، وتارة حلالا، وصورته واحدة،كالذبح مثلا، فإنه يحل الحيوان إذا ذبح لأجل الله، ويحرمه إذا ذبح لغير الله، والصورة واحدة.وكذلك القرض في الذمة، وبيع النقد بمثله إلى أجل، صورتهما واحدة، والأول قربة صحيحة، والثاني معصية باطلة.والرجل يشتري الجارية لموكله فتحرم عليه، ولنفسه فتحل له، وصورة العقد واحدة، وقال ابن القيم في كتاب الروح: "الشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فمن ذلك التوكل والعجز، والرجا والتمني، والحب لله والحب مع الله، والنصح والتأديب، وحب الدعوة إلى الله **وحب الرياسة**، وعلو أمر الله والعلو في الأرض، والعفو والذل، والتواضع والمهانة، والموجدة والحقد، والاحتراز وسوء الظن، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، والتحدث بالنعم شكرا والفخر بها. فإن الأول من كل ما ذكر محمود، وقرينه مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلا القصد" (١).

ـــــــــــــ(١) منتهى الآمال (٢٠/ ب).." (٢)

" فصل : قوله [وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا] ينبغي أن يعرف أن هذا الحديث شريف القدر عظيم المنزلة ولهذا كان الإمام أحمد يقول : هو أشرف حديث لأهل الشام وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث به جثى على ركبتيه وراويه أبو ذر الذي ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه وهو من الأحاديث الإلهية التي رواها الرسول صلى الله عليه و سلم عن ربه وأخبر أنها من كلام الله تعالى وإن لم تكن قرآنا وقد جمع في هذا الباب زاهر السحامي وعبد الغني المقدسي وأبو عبدالله المقدسي وغيرهما

وهذا الحديث قد تضمن من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال والأصول والفروع فإن تلك الجملة الأولى وهي قوله : حرمت الظلم على نفسي

يتضمن جل مسائل الصفات والقدر إذا أعطيت حقها من التفسير وإنما ذكرنا فيها ما لا بد من التنبيه عليه من أوائل النكت الجامعة

وأما هذه الجملة الثانية وهي قوله : وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا فإنها تجمع الدين كله فإن ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم وكل ما أمر به راجع إلى العدل ولهذا قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ فأخبر أنه أرسل الرسل

---

(١) الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة، عبد الرحمن بن وهف القحطاني ص/١٦

(٢) مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، سليمان الأشقر، عمر ص/٧١

وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا

ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد كما قال من قال من السلف : صنفان إذا صلحوا صلح الناس : الأمراء والعلماء وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ أقوالا تجمع العلماء والأمراء

ولهذا نص الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله صلى الله عليه و سلم في حياته كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتاب بن أسيد وعثمان بن أبي العاص وأمثالهم يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونوابهم ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس صاحب الكتاب وهو الذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد إلى أن تفرق الأمر بعد ذلك فإذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك

وكذلك من قام بجمع الأموال وقسمها يجب أن يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأوامره وبيانها يجب أن يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به من طاعة الله في ذلك

والمقصود هنا أن المقصود بذلك كله هوأن يقوم الناس بالقسط ولهذا لما كان المشركون يحرمون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ويأمرون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان أنزل الله في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما يذمهم على ذلك وذكر ما أمر به هو وما حرمه هو فقال : ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وهذه الآية تجمع أنواع المحرمات كما قد بيناه في غير هذا الموضع وتلك الآية تجمع أنواع الواجبات كما بيناه أيضا وقوله : ﴿ أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له

وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾

وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾

ولهذا ترجم البخاري في صحيحه (باب ما جاء في أن دين الأنبياء واحد) وذكر الحديث الصحيح في ذلك وهو الإسلام العام الذي اتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ وقال تعالى في قصة إبراهيم ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ وقال موسى : ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ وقال

تعالى : ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ وقال في قصه بلقيس : ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ وقال : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾

وهذا التوحيد الذي هو أصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجا في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال : [ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم]

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قلت : [يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي ؟ قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزني بحليلة جارك] فأنزل الله تصديق ذلك : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ الآية

وقد جاء عن غير واحد من السلف وروي مرفوعا : الظلم ثلاثة دواوين : فديوان لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئا فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فهو ظلم العباد بعضهم بعضا فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أي : مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب هذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له

وقد بسطنا الكلام في هذه الأبواب الشريفة والأصول الجامعة في القواعد وبينا أنواع الظلم وبينا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم ؟ ومسمى الشرك جليله ودقيقه فقد جاء في الحديث : [الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل] وروي أن هذه الآية نزلت في أهل الرياء : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ وكان شداد بن أوس يقول : يا بقايا العرب يا بقايا العرب إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود السجستاني صاحب السنن المشهورة : الخفية **حب الرياسة**

وذلك أن **حب الرياسة** هو أصل البغي والظلم كما أن الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح ولهذا قال تعالى : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ إلى أن ختم السورة بقوله ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ﴾ وقال : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ وقال : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ وقالت الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ فأصل الصلاح التوحيد والإيمان وأصل الفساد الشرك والكفر كما قال عن المنافقين : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾

وذلك أن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراده منه ولهذا يقول الفقهاء : العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده والفاسد ما لم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصوده والصحيح المقابل للفاسد في إصطلاحهم هو الصالح : وكان يكثر في كلام السلف : هذا لا يصلح أو يصلح كما كثر في كلام المتأخرين يصح ولا يصح

والله تعالى إنما خلق الإنسان لعبادته وبدنه تبع لقلبه كما قال النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح : [ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب]

وصلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وفي فساده في ضد ذلك فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط

والقلب له قوتان : العلم والقصد كما أن للبدن الحس والحركة الإرادية فكما أنه متى خرجت قوى الحس والحركة عن الحال الفطري الطبيعي فسدت فإذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي أن يكون مقرا لربه مريدا له فيكون هو منتهى قصده وإرادته وذلك هي العبادة إذ العبادة كمال الحب بكمال الذل فمتى لم تكن حركة القلب ووجهه وإرادته لله تعالى كان فاسدا إما بأن يكون معرضا عن الله وعن ذكره غافلا عن ذلك مع تكذيب أو بدون تكذيب أو بأن يكون له ذكر وشعور ولكن قصده وإرادته غيره لكون الذكر ضعيفا لم يجتذب القلب إلى إرادة الله ومحبته وعبادته وإلا فمتى قوي علم القلب وذكره أوجب قصده وعلمه قال تعالى : ﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم ﴾ فأمر نبيه بأن يعرض عمن كان معرضا عن ذكر الله ولم يكن له مراد إلا ما يكون في الدنيا

وهذه حال من فسد قلبه ولم يذكر ربه ولم ينب إليه فيريد وجهه ويخلص له الدين ثم قال وذلك مبلغهم من العلم فأخبر أنهم لم يحصل لهم علم فوق ما يكون في الدنيا فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم

وأما المؤمن فأكبر همه هو الله وإليه إنتهى علمه وذكره وهذا الآن باب واسع عظيم قد تكلمنا عليه في مواضعه

وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والإشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد إذ التوحيد أصل العدل وإرادة العلو مقرونة بالفساد إذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالملزوزين في قرن فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات وهو البر وهو العدل والذنوب التي فيها تفريط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده وهي فساد وظلم ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقا لله تعالى لاجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ إذ ليس كونك عاليا عليه بأولى من كونه عاليا عليك وكلاكما من جنس واحد فالقسط والعدل أن يكونوا إخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك والتوحيد وإن كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل ولهذا قال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾

ولهذا كان تخصيصه بالذكر في مثل قوله : ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ لا يمنع أن يكون داخلا في القسط كما أن ذكر العمل الصالح بعد الإيمان لا يمنع أن يكون داخلا في الإيمان كما في قوله : ﴿ وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾ ﴿ من النبيين ميثاقهم ومنك ﴾

هذا إذا قيل إن اسم الإيمان يتناوله سواء قيل انه في مثل هذا يكون داخلا في الأول فيكون مذكورا مرتين أو قيل : بل عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تتنوع دلالته بالأفراد والاقتران

لكن المقصود أن كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم ولهذا كان العدل أمرا واجبا في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرما في كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أوكان ظالما بل الظلم إنما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضا

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن ﴾ أي : يحملنكم شنان أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل : ﴿ قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ وقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ وقال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾

وقد دل على هذا قوله في الحديث : [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا] فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحدا وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال والابضاع والأنساب والأعراض ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله لكن المماثلة قد يكون علمها أو عملها متعذرا ومتعسرا ولهذا يكون الواجب ما يكون أقرب إليها بحسب الإمكان ويقال هذا أمثل وهذا أشبه وهذه الطريقة المثلى لما كان أمثل بما هو العدل والحق في نفس الأمر إذ ذاك محجوز عنه ولهذا قال تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها ﴾ فذكر أنه لم يكلف نفسا إلا وسعها حين أمر بتوفية الكيل والميزان بالقسط لأن الكيل لا بد له أن يتفضل أحد المكيلين على الآخر ولو بحبة أو حبات وكذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال تعالى : ﴿ لا نكلف نفسا إلا وسعها ﴾

ولهذا كان القصاص مشروعا إذا أمكن استيفاؤه من غير جنف كالاقتصاص في الجروح التي تنتهي إلى عظم وفي الأعضاء التي تنتهي إلى مفصل فإذا كان الجنف واقعا في الإستيفاء عدل إلى بدله وهو الدية لأنه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقتص منه وهذه حجة من رأى من الفقهاء أنه لا قود إلا بالسيف في العنق قال : لأن القتل بغير السيف وفي غير العنق لا نعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحريق والتغريق والتوسيط ونحو ذلك أشد إيلاما لكن الذين قالوا : يفعل به مثل ما فعل قولهم أقرب إلى العدل فإنه مع تحري التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل مايقدر عليه من العدل وما حصل من تفاوت الألم خارج عن قدرته وأما إذا قطع يديه ورجليه ثم وسطه فقوبل ذلك بضرب عنقه بالسيف أو رض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف فهنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا قد فعلنا ما تيقنا انتفاء المماثلة فيه وأنه يتعذر معه وجودها بخلاف الأول فإن المماثلة قد تقع إذ التفاوت فيه غير متيقن

وكذلك القصاص في الضربة واللطمة ونحو ذلك عدل عنه طائفة من الفقهاء إلى التعزيز لعدم إمكان المماثلة فيه والذي عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو منصوص أحمد ما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم من ثبوت القصاص به لأن ذلك أقرب إلى العدل والمماثلة فإنا إذا تحرينا أن نفعل به من جنس فعله ونقرب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتي بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنسا وقدرا وصفة

وهذا النظر أيضا في ضمان الحيوان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريبا أو بالقيمة كما نص أحمد على ذلك في مواضع ضمان الحيوان وغيره ونص عليه الشافعي فيمن خرب حائط غيره أنه يبنيه كما كان وبهذا قضى سليمان عليه السلام في حكومة الحرث التي حكم فيها هو وأبوه كما قد بين ذلك في موضعه

فجميع هذه الأبواب المقصود للشريعة فيها تحري العدل بحسب الإمكان وهو مقصود العلماء لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه بالعدل في نفس الأمر وإن كان منهم قد أوتي علما وحكما لأنه هو الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل

وضده الظلم كما قال سبحانه : [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا]

ولما كان العدل لابد أن يتقدمه علم إذ من لا يعلم لا يدري ما العدل والإنسان ظالم جاهل إلا من تاب الله عليه فصار عالما عادلا صار الناس من القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف : العالم العادل والجاهل والظالم فهذان من أهل النار كما قال النبي صلى الله عليه و سلم : [القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار]

فهذان القسمان كما قال : من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ومن قال في القرآن برأيه فأخطأ فليتبوأ مقعده من النار

وكل من حكم بين إثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولي ديوان أو منتصبا للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط فإن الصحابة كانوا يعدونه من الحكام ولما كان الحكام مأمورين بالعدل بالعلم وكان المفروض إنما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه و سلم : [إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر] ." (١)

" الوجه الثالث والعشرون

إنك إذا تأملت عامة الحيل وجدتها رفعا للتحريم أو الوجوب مع قيام المعنى لا المقتضى للوجوب أو التحريم فتصير حراما من وجهين :

من جهة أن فيها فعل المحرم وترك الواجب

ومن جهة أنها مع ذلك تدليس وخداع وخلابة ومكر ونفاق واعتقاد فاسد وهذا الوجه أعظمها إثما فإن الأول بمنزلة سائر العصاة وأما الثاني فبمنزلة البدع والنفاق

---

(١) الفتاوى الكبرى، ٨٩/١

ولهذا كان التغليظ على من يأمر بها ويدل عليها متبوعا في ذلك أعظم من التغليظ على من يعمل بها مقلدا فأما إذا عمل بها معتقدا جوازها فهذا هو النهاية في الشر وهذا معنى قول أيوب لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون علي وإن كان المجتهد معذورا إذا استفرغ وسعه في طلب الحق فذاك من باب المانع للحوق الذم وإلا فالمقتضي للذم قائم في مثل هذا الموضع وإذا خفي على بعض الناس ما في الفعل من القبح كان ذلك مؤكدا، لإيضاح قبحه وهذا الوجه مما اعتمد عليه الإمام أحمد رضي الله عنه قال أبو طالب سمعت أبا عبد الله قال له رجل في كتاب الحيل إذا اشترى الرجل أمة فأراد أن يقع بها يعتقها ثم يتزوجها فقال أبو عبد الله : بلغني أن المهدي اشترى جارية فأعجبته فقيل له أعتقها وتزوجها فقال سبحان الله ما أعجب هذا أبطلوا كتاب الله والسنة جعل الله على الحرائر العدة من جهة الحمل فليس من امرأة تطلق أو يموت زوجها إلا تعتد من جهة الحمل ففرج يوطأ يشتريه ثم يعتقه على المكان فيتزوجها فيطأها فإن كانت حاملا كيف يصنع يطأها رجل اليوم ويطأها الآخر غدا هذا نقض للكتاب والسنة قال النبي صلى الله عليه و سلم : [لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير حامل حتى تحيض] ولا يدري حامل أم لا سبحان الله ما أسمج هذا وقال في رواية أبي داود وذكر الحيل من أصحاب الرأي فقال يحتالون لنقض سنن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال في رواية صالح وأبي الحارث هذه الحيل التي وضعوها عمدوا إلى السنن فنقضوها والشيء الذي قيل لهم أنه حرام إحتالوا فيه حتى أحلوه وسبق تمام كلامه وهذا كثير في كلامه

وبيان ذلك : إنا نعلم باضطرار أن النبي صلى الله عليه و سلم لما نهى عن وطء الحبالى وقال : [لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تستبرىء بحيضة] ان من أكثر المقاصد بالإستبراء أن لايختلط الماآن ولا يشتبه النسب ثم إن الشارع بالغ في هذه الصيانة حتى جعل العدة ثلاثة قروء وأوجب العدة على الكبيرة والصغيرة وإن كان له مقصود آخر غير استبراء الرحم فإذا ملك أمة يطأها سيدها وأعتقها عقب ملكها وتزوجها ووطئها الليلة صار الأول قد وطئها البارحة وهذا قد وطئها الليلة وباضطرار نعلم أن المفسدة التي من أجلها وجب الاستبراء قائمة في هذا الوطء ومن توقف في هذا كان في الشرعيات بمنزلة التوقف في الضروريات من العقليات وكذلك نعلم أن الشارع حرم الربا لما فيه من أخذ فضل على ما له مع بقاء ماله في المعنى فيكون أكلا للمال بالباطل كأخذه بالقمار وهو يسد طريق المعروف والإحسان إلى الناس فإنه متى جوز لصاحب المال الربا لم يكن أحد يفعل معروفا من قرض ونحوه إذا أمكنه أن يبذل له كما يبذل القروض مع أخذ فضل له ولهذا قال سبحانه : ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ فجعل الربا نقيض الصدقة لأن المربي يأخذ فضلا في ظاهر الأمر يزيد به ماله والمتصدق ينقص ماله في الظاهر لكن يمحق الله الربا ويربي الصدقات وقال سبحانه في الآية الأخرى : ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ فكما أن الشارع أوجب الصدقة التي فيها الإعطاء للمحتاجين حرم الربا الذي فيه أخذ المال من المحتاجين لأنه سبحانه علم أن صلاح الخلق في أن الغني يؤخذ منه ما يعطى للفقير وأن الفقير لايؤخذ منه ما يعطى للغني

ثم رأيت هذا المعنى مأثورا على علي بن موسى الرضى رضي الله عنه وعن آبائه أنه سئل لم حرم الله الربا ؟ فقال : لئلا يتمانع الناس المعروف فهذا في الجملة ينبه على بعض علل الربا فحرم أن يعطي الرجل آخر ألفا على أن يأخذ منه بعد شهر ألفا ومائة وعلى أن يأخذ منه كل شهر مائة غير الألف وربا النسأ هو الذي يتم به غرض المربي في أكثر الأمور وإنما

حرم ربا الفضل لأنه قد يفضي إلى الربا ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين ولا الدينار بالدينارين إني أخاف عليكم الرما - والرما هو الربا] - رواه الإمام أحمد وهذه الزيادة وهي قوله إني أخاف عليكم الرما محفوظة عن عمر بن الخطاب من غير وجه وأسقط اعتبار الصفات مع إيجاد الجنس وان كانت مقصودة لئلا يفضي إعتبارها إلى الربا ولهذا قال صلى الله عليه و سلم : [إنما الربا في النسيئة] متفق عليه

وبالجملة فلا يشك المؤمن أن الله إنما حرم على الرجل أن يعطي درهما ليأخذ درهمين إلى أجل إلا لحكمة فإذا جاز أن يقول بعني ثوبك بألف حالة ثم يبيعه إياه بألف ومائتين ومؤجلة بالغرض الذي كان للمتعاقدين في إعطاء ألف بألف ومائتين هو بعينه موجود ها هنا وما أظهراه من صورة العقد لا غرض لهما فيه بحال وليس عقدا ثابتا ومعلوم أن الله سبحانه إنما حرم الربا وعظمه زجرا للنفوس عما تطلبه من أكل المال بالباطل فإذا كانت هذه الحيلة يحصل معها غرض النفوس من الربا علم قطعا أن مفسدة الربا موجودة فيها فتكون محرمة

وكذلك السفاح حرمه الله تعالى بحكم كثيرة وقطع تشبيهه بالنكاح بكل طريق فأوجب في النكاح الولي والشاهدين والعدة وغير ذلك ومعلوم أن الرجل لو تزوج المرأة ليقيم معها ليلة أو ليلتين ثم يفارقها بولي وشاهدين وغير ذلك كان سفاحا وهو المتعة المحرمة فإذا لم يكن له غرض معها ألم يكن أولى باسم السفاح ؟

وكذلك نعلم أن الله سبحانه إنما أوجب الشفعة للشريك لعلمه بأن مصير هذا الشقص للشريك مع حصول مقصود البائع من الثمن خير من حصوله لأجنبي ينشأ بسببه ضرر الشركة والقسمة فأوجب هذا الخير الذي لاشر فيه فإذا سوغ الاحتيال على إسقاطها ألم يكن فيه بقاء فساد الشركة والقسمة وعدم صلاح الشفعة والتكميل مع وجود حقيقة سببها وهو البيع

وهذا كثير في جميع الشرعيات فكل موضع ظفرت للمكلفين حكمته أو غابت عنهم لا يشك مستبصر أن الإحتيال يبطل تلك الحكمة التي قصدها الشارع فيكون المحتال مناقضا للشارع مخادعا في الحقيقة لله ورسوله وكلما كان المرء أفقه في الدين وأبصر بمحاسنه كان فراره عن الحيل أشد واعتبر هذا بسياسة الملوك بل بسياسة الرجل أهل بيته فإنه لو عارضه بعض الأذكياء المحتالين في أوامره ونواهيه بإقامة صورها دون حقائقها لعلم أنه ساع في فساد أوامره وأظن كثيرا من الحيل إنما استحلها من لم يفقه حكمة الشارع ولم يكن له بد من التزام ظاهر الحكم فإقام رسم الدين دون حقيقته ولو هدى رشده لسلم لله ورسوله وأطاع الله ظاهرا وباطنا في كل أمره وعلم أن الشرائع تحتها حكم وإن لم يهتد هو لها فلم يفعل سببا يعلم أنه مزيل لحكمة الشارع من حيث الجملة وإن لم يعلم حقيقة ما أزال إلا أن يكون منافقا يعتقد أن رأيه أصلح في هذه القضية خصوصا أو فيها وفي غيرها عموما لما جاءت به الشريعة أو صاحب شهوة قاهرة تدعوه إلى تحصيل غرضه ولا يمكنه الخروج عن ظاهر رسم الإسلام أو يكون ممن يحب الرياسة والشرف بالفتيا التي ينقاد له بها الناس ويرى أن ذلك لا يحصل عند الذين اتبعوا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين إلا بهذه الحيل أو يعتقد أن الشيء ليس محرما في هذه القضية المخصوصة لمعنى رآه لكنه لا يمكنه إظهار ذلك لأن الناس لا يوافقونه عليه ويخاف الشناعة فيحتال لحيلة يظهر بها ترك الحرام ومقصوده إستحلاله فيرضي الناس ظاهرا أو يعمل بما يراه باطنا ولهذا قال صلى الله عليه و سلم : [من يرد الله به خيرا يفقهه في

الدين] وإنما الفقه في الدين فهم معاني الأمر والنهي ليستبصر الإنسان في دينه ألا ترى قوله تعالى : ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ فقرن الإنذار بالفقه فدل على أن الفقه ما وزع عن محرم أو دعى إلى واجب وخوف النفوس مواقعه المحظورة لا ما هون عليها استحلال المحارم بأدنى الحيل

ومما يقضى منه العجب أن الذين ينتسبون إلى القياس واستنباط معاني الأحكام والفقه من أهل الحيل هم أبعد الناس عن رعاية مقصود الشارع وعن معرفة العلل والمعاني وعن الفقه في الدين فإنك تجدهم يقطعون عن الإلحاق بالأصل مايعلم بالقطع إن معنى الأصل موجود فيه ويهدرون اعتبار تلك المعاني ثم يربطون الأحكام بمعاني لم يومىء إليها شرع ولم يستحسنها عقل : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ وإنما سبب نسبة بعض الناس لهم إلى الفقه والقياس ما انفردوا به من الفقه وليس له أصل في كتاب ولا سنة وإنما هو رأي محض صدر عن فطنة وذكاء كفطنة أهل الدنيا في تحصيل أغراضهم فتسموا بأشرف صفاتهم وهو الفهم الذي هو مشترك في الأصل بين فهم طرق الخير وفهم طرق الشر إذ أحسن ما فيهم من هذا الوجه فهمهم لطرق تلك الأغراض والتوصل إليها بالرأي

فأما أهل العلم بالله وبأمره فعلمهم متلقى عن النبوة إما نصا أو استنباطا فلا يحتاجون إلى أن يضيفوه إلى أنفسهم وإنما لهم فيه الأتباع فمن فهم حكمة الشارع منهم كان هو الفقيه حقا ومن اكتفى بالإتباع لم يضره أن لا يتكلف علم ما لا يلزمه إذا كان على بصيرة من أمره مع أنه هو الفقه الحقيقي والرأي السديد والقياس المستقيم – والله سبحانه أعلم ." (١)

"وقوله مجرور لأنه عطف على قوله باب الصبر والتقدير وباب قوله تعالى واستعينوا (البقرة ٥٤) الآية ويجوز أن يكون مرفوعا عطفا على قوله الصبر عند الصدمة الأولى على تقدير قطع الإضافة في لفظ باب كما ذكرنا فيه الوجهين وجه ذكر هذه الآية الكريمة هنا هو أنه لما كان المعبر من الصبر هو الصبر عند الصدمة الأولى الذي ذكرنا معناه أتى الصابر بصبر مقرون بالصلاة ولهذا كان النبي إذا حزبه أمر صلى رواه أبو داود وروى الطبراني في (تفسيره) بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نعى إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة (البقرة ٥٤) الآية قال المفسرون معنى الآية استعينوا على ما يستقبلكم من أنواع البلايا بالصبر والصلاة وقيل في أمر الآخرة وقيل في ترك الرياسة والصبر الحبس لأن الصابر حابس نفسه على ما تكرهه وسمى الصوم صبرا لحبس النفس فيه عن الطعام وغيره ونهى عن قتل شيء من الدواب صبرا وهو أن يحبس حيا وقيل المراد بالصبر في هذه الآية الصوم قاله مجاهد قوله وإنها أي وإن الصلاة ولم يقل وإنهما مع أن المذكور الصبر والصلاة فقيل لأنه رد الضمير إلى ما هو الأهم والأغلب كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها (التوبة ٤٣) رد الضمير إلى الفضة لأنها أعم وأغلب فإن قلت ما وجه الاستعانة بالصلاة قلت لما كان فيها تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى كان ذلك معونة على ما تنازع إليه النفس من **حب الرياسة** والأنفة من الانقياد إلى الطاعة قوله لكبيرة أي شديدة ثقيلة على الكافرين إلا على الخاشعين ليست بكبيرة والخاشع الذي يرى أثر الذل والخضوع عليه والخشوع

---

(١) الفتاوى الكبرى، ١٦٨/٦

في اللغة السكون قال خشعت الأصوات للرحمن وقيل الخشوع في الصوت والبصر والخضوع في البدن فإن قلت قد علمت أن العبد منهي عن الهجر وتسخط قضاء الرب في كل حال فما وجه خصوص." (١)

"قوله "باب الصبر عند الصدمة الأولى" أي هو المطلوب المبشر عليه بالصلاة والرحمة، ومن هنا تظهر مناسبة إيراد أثر عمر في هذا الباب، وقد تقدم الكلام على المتن المرفوع مستوفى في زيارة القبور. قوله: "وقال عمر" أي ابن الخطاب. قوله: "العدلان" بكسر المهملة أي المثلان، و قوله: "العلاوة" بكسرها أيضا أي ما يعلق على البعير بعد تمام الحمل. وهذا الأثر وصله الحاكم في المستدرك من طريق جرير عن منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر كما ساقه المصنف وزاد: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ نعم العدلان ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ نعم العلاوة. وهكذا أخرجه البيهقي عن الحاكم، وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره من وجه آخر عن منصور من طريق نعيم بن أبي هند عن عمر نحوه، وظهر بهذا مراد عمر بالعدلين وبالعلاوة وأن العدلين الصلاة والرحمة والعلاوة الاهتداء. ويؤيده وقوعهما بعد "على" المشعرة بالفوقية المشعرة بالحمل قاله الزين بن المنير. وقد روي نحو قول عمر مرفوعا أخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت أمتي شيئا لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون – إلى قوله: – المهتدون"، قال فأخبر أن المؤمن إذا سلم لأمر الله واسترجع كتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله والرحمة، وتحقيق سبل الهدى. فأغنى هذا عن التكلف في ذلك كقول المهلب: العدلان إنا لله وإنا إليه راجعون والعلاوة الثواب عليهما، وعن قول الكرماني: الظاهر أن المراد بالعدلين القول وجزاؤه، أي قول الكلمتين ونوعا الثواب لأنهما متلازمان. قوله: "وقوله تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ الآية" هو بالجر عطفا على أول الترجمة، والتقدير: وباب قوله تعالى، أي تفسيره أو نحو ذلك. وقوله وإنها قيل أفرد الصلاة لأن المراد بالصبر الصوم وهو من التروك أو الصبر عن الميت ترك الجزع، والصلاة أفعال وأقوال فلذلك ثقلت على غير الخاشعين، ومن أسرارها أنها تعين على الصبر لما فيها من الذكر والدعاء والخضوع وكلها تضاد **حب الرياسة** وعدم الانقياد للأوامر والنواهي، وكأن المصنف أراد بإيراد هذه الآية ما جاء عن ابن عباس أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر، فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام وهو يقول: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ الآية، أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد حسن، وعن حذيفة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى" أخرجه أبو داود بإسناد حسن أيضا. قال الطبري: الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها، ولذلك قيل لمن لم يجزع صابر لكفه نفسه، وقيل لرمضان شهر الصبر لكف الصائم نفسه عن المطعم والمشرب.." (٢)

"تقوى رواية القاف ووقع في رواية الأصيلي عن أبي زيد المروزي "وإذا شيت" بمثناة فوقانية بدل الكاف وهو تغيير فاحش، وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا وفي قوله: "طوبى لعبد إلخ " إشارة إلى الحض على العمل بما يحصل به خير الدنيا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٥٣/١٢

(٢) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١٧٢/٣

والآخرة. قوله: "أشعث" صفة لعبد وهو مجرور بالفتحة لعدم الصرف و "رأسه " بالرفع الفاعل، قال الطيبي "أشعث رأسه مغبرة قدماه" حالان من قوله: "لعبد" لأنه موصوف وقال الكرماني: يجوز الرفع ولم يوجهه وقال غيره: ويجوز في أشعث الرفع على أنه صفة رأس، أي رأسه أشعث، وكذا قوله: "مغبرة قدماه". قوله: "إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة" هذا من المواضع التي اتحد فيها الشرط والجزاء لفظا لكن المعنى مختلف، والتقدير إن كان المهم في الحراسة كان فيها، وقيل معنى "فهو في الحراسة" أي فهو في ثواب الحراسة، وقيل هو للتعظيم أي إن كان في الحراسة فهو في أمر عظيم، والمراد منه لازمه أي فعليه أن يأتي بلوازمه ويكون مشتغلا بخويصة عمله وقال ابن الجوزي: المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فإن أنفق له السير سار؛ فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة استمر فيها. قوله: "إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع" فيه ترك **حب الرياسة** والشهرة وفضل الخمول والتواضع، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى. قوله: "فتعسا كأنه يقول فأتعسهم الله" وقع هذا في رواية المستملي، وهي على عادة البخاري في شرح اللفظة التي توافق ما في القرآن بتفسيرها، وهكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿والذين كفروا فتعسا لهم﴾ . قوله: "طوبى" فعلى من كل شيء طيب وهي ياء حولت إلى الواو وهو من يطيب" كذا في رواية المستملي أيضا والقول فيه كالقول في الذي قبله. وقال غيره: المراد الدعاء له بالجنة، لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه، فدعا له أن ينالها، ودخول الجنة ملزوم نيلها. "تكميل": ورد في فضل الحراسة عدة أحاديث ليست على شرط البخاري، منها حديث عثمان مرفوعا: "حرس ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها" أخرجه ابن ماجة والحاكم، وحديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعا: "من حرس وراء المسلمين متطوعا لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم" أخرجه أحمد، وحديث أبي ريحانه مرفوع "حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله" أخرجه النسائي، ونحوه للترمذي عن ابن عباس، وللطبراني من حديث معاوية بن حيدة، ولأبي يعلى من حديث أنس وإسنادها حسن وللحاكم عن أبي هريرة نحوه.." (١)

"قوله : (باب الصبر عند الصدمة الأولى)أي هو المطلوب المبشر عليه بالصلاة والرحمة ، ومن هنا تظهر مناسبة إيراد أثر عمر في هذا الباب ، وقد تقدم الكلام على المتن المرفوع مستوفى في زيارة القبور .قوله : (وقال عمر)أي ابن الخطاب .قوله : (العدلان)بكسر المهملة أي المثلان ، وقوله : (العلاوة)بكسرها أيضا أي ما يعلق على البعير بعد تمام الحمل . وهذا الأثر وصله الحاكم في المستدرك من طريق جرير عن منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر كما ساقه المصنف وزاد : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) نعم العدلان (وأولئك هم المهتدون) نعم العلاوة . وهكذا أخرجه البيهقي عن الحاكم ، وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره من وجه آخر عن منصور من طريق نعيم بن أبي هند عن عمر نحوه ، وظهر بهذا مراد عمر بالعدلين وبالعلاوة وأن العدلين الصلاة والرحمة والعلاوة الاهتداء . ويؤيده وقوعهما بعد " على " المشعرة بالفوقية المشعرة بالحمل قاله الزين بن المنير . وقد روي نحو قول عمر مرفوعا أخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أعطيت أمتي شيئا لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون – إلى قوله – المهتدون " ، قال فأخبر أن المؤمن إذا سلم لأمر الله واسترجع كتب له ثلاث خصال من

---

(١) فتح الباري– تعليق ابن باز، ٨٣/٦

الخير : الصلاة من الله والرحمة ، وتحقيق سبل الهدى . فأغنى هذا عن التكلف في ذلك كقول المهلب : العدلان إنا لله وإنا إليه راجعون والعلاوة الثواب عليهما ، وعن قول الكرماني : الظاهر أن المراد بالعدلين القول وجزاؤه ، أي قول الكلمتين ونوعا الثواب لأنهما متلازمان .قوله : (وقوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) الآية)هو بالجر عطفا على أول الترجمة ، والتقدير : وباب قوله تعالى ، أي تفسيره أو نحو ذلك . وقوله وإنها قيل أفرد الصلاة لأن المراد بالصبر الصوم وهو من التروك أو الصبر عن الميت ترك الجزع ، والصلاة أفعال وأقوال فلذلك ثقلت على غير الخاشعين ، ومن أسرارها أنها تعين على الصبر لما فيها من الذكر والدعاء والخضوع وكلها تضاد **حب الرياسة** وعدم الانقياد للأوامر والنواهي ، وكأن المصنف أراد بإيراد هذه الآية ما جاء عن ابن عباس أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر ، فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام وهو يقول (واستعينوا بالصبر والصلاة) الآية ، أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد حسن ، وعن حذيفة قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى " أخرجه أبو داود بإسناد حسن أيضا . قال الطبري : الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ، ولذلك قيل لمن لم يجزع صابر لكفه نفسه ، وقيل لرمضان شهر الصبر لكف الصائم نفسه عن المطعم والمشرب .." (١)

"٢٦٧٣ – ثانيهما عن أبي هريرة :قوله : (وزاد لنا عمرو)ابن مرزوق هكذا وعمرو هو من شيوخ البخاري وقد صرح بسماعه منه في مواضع أخرى وجميع الإسناد سواه مدنيون وفيه تابعيان عبد الله بن دينار وأبو صالح والمراد بالزيادة قوله في آخره " تعس وانتكس إلخ " وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي مسلم الكجي وغيره عن عمرو بن مرزوق وسيأتي مزيدا لهذا في التمني إن شاء الله تعالى .قوله : (تعس عبد الدينار)الحديث سيأتي بهذا الإسناد والمتن في كتاب الرقاق ونذكر شرحه هناك إن شاء الله تعالى والغرض منه هنا قوله في الطريق الثانية " طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه " الحديث لقوله " إن كان في الحراسة كان في الحراسة " .قوله : (تعس)بفتح أوله وكسر المهملة ويجوز فتحها وهو ضد سعد تقول تعس فلان أي شقي وقيل معنى التعس الكب على الوجه قال الخليل : التعس أن يعثر فلا يفيق من عثرته وقيل التعس الشر وقيل البعد وقيل الهلاك وقيل التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه وقيل تعس أخطأ حجته وبغيته .وقوله " وانتكس "بالمهملة أي عاوده المرض وقيل إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أخرى وحكى عياض أن بعضهم رواه " انتكش " بالمعجمة وفسره بالرجوع وجعله دعاء له لا عليه والأول أولى .قوله : (وإذا شيك فلا انتقش)شيك : بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها كاف وانتقش : بالقاف والمعجمة والمعنى إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش تقول نقشت الشوك إذا استخرجته وذكر ابن قتيبة أن بعضهم رواه بالعين المهملة بدل القاف ومعناه صحيح لكن مع ذكر الشوكة تقوى رواية القاف ووقع في رواية الأصيلي عن أبي زيد المروزي " وإذا شيت " بمثناة فوقانية بدل الكاف وهو تغيير فاحش وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا وفي قوله " طوبى لعبد إلخ " إشارة إلى الحض على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة .قوله : (أشعث)صفة لعبد وهو مجرور بالفتحة لعدم الصرف و " رأسه " بالرفع الفاعل قال الطيبي " أشعث

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٥١/٤

رأسه مغبرة قدماه " حالان من قوله " لعبد " لأنه موصوف وقال الكرماني : يجوز الرفع ولم يوجهه وقال غيره : ويجوز في أشعث الرفع على أنه صفة رأس أي رأسه أشعث وكذا قوله " مغبرة قدماه " .قوله : (إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة)هذا من المواضع التي اتحد فيها الشرط والجزاء لفظا لكن المعنى مختلف والتقدير إن كان المهم في الحراسة كان فيها ، وقيل معنى " فهو في الحراسة " أي فهو في ثواب الحراسة وقيل هو للتعظيم أي إن كان في الحراسة فهو في أمر عظيم والمراد منه لازمه أي فعليه أن يأتي بلوازمه ويكون مشتغلا بخويصة عمله وقال ابن الجوزي : المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فإن اتفق له السير سار ؛ فكأنه قال : إن كان في الحراسة استمر فيها وإن كان في الساقة استمر فيها .قوله : (إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع)فيه ترك **حب الرياسة** والشهرة وفضل الخمول والتواضع وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى .قوله : (فتعسا كأنه يقول فأتعسهم الله)وقع هذا في رواية المستملي وهي على عادة البخاري في شرح اللفظة التي توافق ما في القرآن بتفسيرها وهكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى (والذين كفروا فتعسا لهم .قوله : (طوبى فعلى من كل شيء طيب وهي ياء حولت إلى الواو وهو من يطيب)كذا في رواية المستملي أيضا والقول فيه كالقول في الذي قبله وقال غيره : المراد الدعاء له بالجنة لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه فدعا له أن ينالها ، ودخول الجنة ملزوم نيلها .(تكميل) :ورد في فضل الحراسة عدة أحاديث ليست على شرط البخاري منها حديث عثمان مرفوعا " حرس ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها " أخرجه ابن ماجه والحاكم وحديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعا " من حرس وراء المسلمين متطوعا لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم " أخرجه أحمد ، وحديث أبي ريحانة مرفوع " حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله " أخرجه النسائي ونحوه للترمذي عن ابن عباس وللطبراني من حديث معاوية بن حيدة ولأبي يعلى من حديث أنس وإسنادها حسن وللحاكم عن أبي هريرة نحوه .." (١)

"الذبحين فإن الذبح بالسكين عناء ساعة والآخر عناء عمر بله ما يعقبه من الندامة يوم القيامة الثالث قال الأشرف يمكن أن يقال المراد به أن من جعل قاضيا فينبغي أن يموت جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الرديئة فهو مذبوح بغير سكين قال الطيبي رحمه الله فعلى هذا القضاء مرغوب فيه ومحثوث عليه وعلى الوجهين الأولين تحذير على الحرص عليه وتنبيه على التوقي منه لما تضمن من الأخطار المردية قال المظهر خطر القضاء كثير وضرره عظيم لأنه قلما عدل القاضي بين الخصمين لأن النفس مائلة إلى من يحبه أو يخدمه أو من له منصب يتوقى جاهه أو يخاف سلطنته وربما يميل إلى قبول الرشوة وهو الداء العضال رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه وكذا الحاكم في مستدركه وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله من ابتغى أي طلب في نفسه القضاء أي الحكومة الشاملة للإمارة وسأل أي وطلبه من الناس وفي رواية وسأل فيه شفعاء وكل بضم واو فكاف مخففة مكسورة إلى نفسه أي لم يعنه الله وخلي مع طبعه وما اختاره لنفسه ومن أكره عليه أي واختاره بحكم إجباره أو تعينه معتقدا إن الخير فيما اختاره الله له أنزل الله عليه ملكا أي من حيث لا يعلم يسدده أي يحمله على السداد والصواب قال الطيبي رحمه الله وإنما جمع بين ابتغى وسأل إظهارا لحرصه فإن النفس ماثلة إلى **حب الرياسة** وطلب الترفع على الناس فمن منعها سلم من هذه الآفات ومن اتبع هواها وسأل القضاء هلك فلا سبيل إلى الشروع فيه

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٢/٩

إلا بالإكراه وفي الإكراه قمع هوى النفس فحينئذ يسدد ويوفق لطريق الصواب وإلى هذا نظر من قال من جعل قاضيا فينبغي أن يموت جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الرديئة قلت ويؤيده ما رواه الدارقطني والبيهقي والطبراني عن أم سلمة مرفوعا من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده ومجلسه وفي رواية أخرى للطبراني والبيهقي عنها أيضا من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما." (١)

"وما روي عن عدي بن حاتم ما دخلت على رسول الله إلا قام إلي أو تحرك فإن ذلك مما لا يصح الاحتجاج به لضعفه والمشهور عن عدي إلا وسع لي ولو ثبت فالوجه فيه أن يحمل على الترخيص حيث يقتضيه الحال وقد كان عكرمة من رؤساء قريش وعدي كان سيد بني طيء فرأى تأليفهما بذلك على الإسلام أو عرف من جانبهما تطلعا إليه على حسب ما يقتضيه حب الرياسة اه والظاهر أن قيامه لعكرمة إنما كان لكونه قادما مهاجرا كما سبق أنه قال له مرحبا بالراكب المهاجر وقد تعقب الطيبي التوربشتي بأن إلى في هذا المقام أفخم من اللام وأتى بما يرجع عليه الملام وخرج عن مقام المرام وقال بعض العلماء في الحديث إكرام أهل الفضل من علم أو صلاح أو شرف بالقيام لهم إذا أقبلوا هكذا احتج بالحديث جماهير العلماء وقال القاضي عياض القيام المنهي تمثلهم قياما طول جلوسه وقال النووي هذا القيام للقادم من أهل الفضل مستحب وقد جاءت أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء وأجبت فيه عما يوهم النهي عنه اه وتعقبه ابن الحاج المالكي في مدخله ورد عليه ردا بليغا ثم اختلفوا في الذين عناهم النبي بقوله قوموا إلى سيدكم هل هم الأنصار خاصة أم جميع من حضر من المهاجرين معهم قلت هذا وهم فإنه مع صريح قوله للأنصار قوموا كيف يتصور العموم الشامل للمهاجرين نعم يحتمل عموم الأنصار وخصوص قومه منهم على ما قدمناه والله أعلم وقال الإمام حجة الإسلام القيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام ولعله أراد بالإكرام القيام للتحية بمزيد المحبة كما تدل عليه المصافحة وبالإعظام التمثل له بالقيام هو جالس على." (٢)

"الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي عن سالم بن عبيد الأشجعي وفي رواية للطبراني عن ابن عباس مرفوعا فقال الحمد لله قالت الملائكة رب العالمين فإذا قال رب العالمين قالت الملائكة رحمك الله وعن أبي موسى قال كان اليهود يتعاطسون أي يطلبون العطسة من أنفسهمعند النبي يرجون أي يتمنون بهذا السبب أن يقول لهم يرحمك الله فيقول أي النبي عند عطاسهم وحمدهم يهديكم الله ويصلح بالكم ولا يقول لهم يرحمكم الله لأن الرحمة مختصة بالمؤمنين بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية والتوفيق للإيمان قال الطيبي لعل هؤلاء هم الذين عرفوه حق معرفته لكن منعهم عن الإسلام إما التقليد وإما حب الرياسة وعرفوا أن ذلك مذموم فتحروا أن يهديهم الله تعالى ويزيل عنهم ذلك ببركة دعائه اه وفيه بحث لأنهم كانوا يرجون دعاءه بالرحمة لا بالهداية على ما سبق وإلا فدعاؤه بالهداية لجميع أمته قد وقع في قوله اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ولكن كما قال تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء القصص ففي الجملة دعوته مستجابة رواه الترمذي وأبو داود وعن هلال بن يساف بكسر الياء وقيل

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٧١/١١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤٨٢/١٣

بفتحها وهو نسخة وجزم به المؤلف في أسمائه ففي القاموس هلال بن يساف بالكسر وقد يفتح تابعي كوفي اه والياء أصلية فيتعين الصرف وفي المغني بفتح المثناة التحتية وتخفيف السين المهملة وبالفاء أو هو بفتح ياء وكسرها وبكسر همزة مكان ياء قال المؤلف هو مولى أشجع أدرك علي بن أبي طالب وروى عن مسلم بن قيس وسمع أبا مسعود الأنصاري وعنه جماعة قال كنا مع سالم بن عبيد بالتصغير قال المؤلف هو أشجعي من أهل الصفة وعداده في أهل الكوفة روى عنه هلال بن يساف وغيره فعطس رجل من القوم فقال السلام عليكم ظنا أنه يجوز أن يقال بدل الحمد لله ذكره ابن الملك ويحتمل أنه وقع من سبق اللسان كما قد يشاهد من غيره لكن يرجح الأول حيث اعترض عليه." (١)

"ويعرف أن الغير لا يقدر على دفع الشر ولا جلب الخير ولا اعتبار بالخلق مدحا وذما لا في العبارة ولا في الإشارة فإنه ما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى فهذه حالة فيها إشارة إلى كمال البشارة لكنه مزلة الأقدام للرجال ومزلقة أفهام الجبال كما ورد لا يؤمن أحدكم حتى يكون الخلق عنده كالأباعر وتوضيحه ما ذكره الطيبي رحمه الله بأحسن عبارة وأزين إشارة حيث قال وبين الحال يعني حب الرئاسة والجاه في قلوب الناس هو من أخر غوائل النفس ومواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة من الزهاد فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العباداتعجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الإستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلائق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وألذ الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وعباداته وإنما حياته بهذه الشهوات الخفية التي تعمى عن دركها إلا العقول الناقدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين فهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها إلا الصديقون من المخلصين ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين **حب الرياسة** وهو أعظم شبكة للشياطين فإذا المحمود هو المخمول إلا من شهره الله تعالى بنشر دينه من غير تكلف منه كالأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين والعلماء المحققين والسلف الصالحين والحمد لله رب العالمين رواه البيهقي في شعب الإيمان أي عن أنس وعن أبي هريرة أيضا على ما في الجامع$الفصل الثالث." (٢)

"الموالي وتستنكف عن أتباعهم كل الاستنكاف فلما جاء الله بالإسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرةوالعلم والتقى وعرف حقهم المحفوظون من أهل الدين فأما المرتهنون بالعادة الممتحنون **بحب الرياسة** من الأعراب ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك لا سيما أهل النفاق فإنهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدة النكير عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث زيد بن حارثة رضي الله عنه أميرا على عدة سرايا وأعظمها جيش مؤتة وسار تحت رايته في تلك الغزوة خيار الصحابة منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكان خليقا بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان يبعث أسامة وقد أمره في مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/٩

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٥/٢٥٣

الصحابة وفضلائهم وكأنه رأى في ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة أن يمهد الأمر ويوطئه لمن يلي الأمر بعده لئلا ينزع أحد يدا من طاعة وليعلم كل منهم أن العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها وإن كان أي أبوه لمن أحب الناس إلي وإن هذا أي أسامة لمن أحب الناس إلي بعده أي بعد أبيه زيد متفق عليه وعند النسائي عن عائشة قالت ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم قال بعض المحققين فيه جواز إمارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضول على الفاضل قلت ولعل تأميره مع تأمير ابنه وقع جبرا لما اختاره من عبوديته صلى الله عليه وسلم حين خيره فقد قال المؤلف زيد بن حارثة أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن خرجت به تزور قومها فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات من بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يقال له ثمان سنين فوافوا به سوق عكاظ فعرض للبيع فاشتراه حكيم بن حزام ابن خويلد لعمته خديجة بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فقبضه ثم إن خبره اتصل بأهله فحضر أبوه حارثة وعمه كعب في." (١)

" ٣١٢٦ - (بحسب امرئ من الشر) أي يكفيه منه في أخلاقه ومعاشه ومعاده (أن يشار إليه بالأصابع) أي يشير الناس بعضهم لبعض بأصابعهم (في دين أو دنيا) فإن ذلك شر وبلاء ومحنة (إلا من عصمه الله تعالى) لأنه إنما يشار إليه في دين لكونه أحدث بدعة عظيمة فيشار إليه بها وفي دنيا لكونه أحدث منكرا من الكبائر غير متعارف بينهم بخلاف ما تقارب الناس فيه ككثرة صلاة أو صوم فليس محل إشارة ولا تعجب لمشاركة غيره له فأشار المصطفى صلى الله عليه و سلم بالإشارة بالأصابع إلى أنه عبد هتك الله ستره فهو في الدنيا في عار وغدا في النار ومن ستره الله في هذه الدار لم يفضحه في دار القرار كما في عدة أخبار قال الغزالي : حب الرياسة والجاه من أمراض القلوب وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد فيشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وحملوها على العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة وطلبت الاستراحة إلى إظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تعتقد [ص ١٩٧] باطلاع الخالق فأحبت مدح الخلق لهم وإكرامهم وتقديمهم في المحافل فأصابت النفس بذلك أعظم اللذات وهو يظن أن حياته بالله وبعبادته وإنما حياته الشهوة الخفية وقد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عنده من المقربين فإذن المحمود المحو والخمول إلا من شهره الله لينشر دينه من غير تكلف منه كالأنبياء والخلفاء الراشدين والعلماء المحققين والأولياء العارفين

(هب عن أنس) وفيه يوسف بن يعقوب فقد قال النيسابوري : قال أبو علي الحافظ : ما رأيت بنيسابور من يكذب غيره وإن كان القاضي باليمن فمجهول وابن لهيعة وسبق ضعفه (د عن أبي هريرة) رواه عنه من طريقين وضعفه وذلك لأن في أحدهما كلثوم بن محمد بن أبي سدرة أورده الذهبي في الضعفاء وقال : قال أبو حاتم : تكلموا فيه وعطاء بن مسلم الخراساني فيهم أيضا وقال ضعفه بعضهم وفي الطريق الآخر عبد العزيز بن حصين ضعفه يحي والناس ومن ثم جزم

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢١/١٨

الحافظ العراقي بضعف الحديث ورواه الطبراني أيضا باللفظ المزبور عن أبي هريرة وقال الهيثمي : وفيه عبد العزيز بن حصين وهو ضعيف اه ." (١)

" ٣٦٦٢ - (حب الدنيا رأس كل خطيئة) بشاهد التجربة والمشاهدة فإن حبها يدعو إلى كل خطيئة ظاهرة وباطنة سيما خطيئة يتوقف تحصيلها عليها فيسكر عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها واجتنابها وحبها يوقع في الشبهات ثم في المكروه ثم في المحرم وطالما أوقع في الكفر بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم حب الدنيا فإن الرسل لما نهوا عن المعاصي التي كانوا يلتمسون بها حب الدنيا حملهم على حبها تكذيبهم فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا ولا تنسى خطيئة الأبوين فإن سببها حب الخلود في الدنيا ولا تنسى خطيئة إبليس فإن سببها **حب الرياسة** التي هي شر من حب الدنيا وكفر فرعون وهامان وجنودهما فحبها هو الذي عمر النار بأهلها وبغضها هو الذي عمر الجنة بأهلها ومن ثم قيل الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها لم يفق من سكرتها إلا في عسكر الموتى خاسرا نادما (٢) قال الغزالي : قد قال المصطفى صلى الله عليه و سلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا هلك العالم وبطل المعاش إلا أنه علم أن حب الدنيا مهلك وإن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الأكثر إلا الأقلين الذي لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله ﴿ ولكن حق القول مني ﴾ الآية . (٣)أخذ بعضهم من الحديث أنه ينبغي أن [ص ٣٦٩] لا يؤخذ العلم إلا عن أقل الناس رغبة في الدنيا فإنه أنور قلبا وأقل إشكالات في الدين فكيف يؤخذ علم عمن جمع في قلبه رأس خطيئات الوجود كيف وذلك يمنع من دخول حضرة الله وحضرة رسوله فإن حضرته تعالى كلامه وحضرة رسوله كلامه ومن لم يتخلق بأخلاق صاحب الكلام لا يمكنه دخول حضرته ولو في صلاته إذ لا يفهم أحد عن أعلى صفة إلا أن صلح لمجالسته فمن زهد في الدنيا كما زهد فيها المصطفى صلى الله عليه و سلم فقد أهل لفهم كلامه ولو رغب فيها كغالب الفقهاء لا يؤهل لذلك ولا يفهم مراد الشارع إلا إن فسر له بكلام مغلق قلق ضيق كذا في إرشاد الطالبين قال : وسمعت نصرانيا يقول لفقيه : كيف يزعم علماؤكم أنهم ورثة نبيهم وهم يرغبون فيما زهد رهباننا قال : كيف قال : لأنهم يأخذون في إقامة شعار دينهم من تدريس وخطابة وإمامة ونحوها عرضا من الدنيا ولو منعوه لعطلوها وجميع الرهبان يقومون بأمر ديننا مجانا فانظر قوة يقين أصحابنا وضعف يقين أصحابكم فلو صدقوا ربهم أن ما عنده خير وأبقى لزهدوا في الدنيا كما زهد فيها نبيهم والرهبان وشكى بعضهم لعارف كثرة خواطر الشيطان فقال : طلق بنته يهجر زيارتك وهي الدنيا تريد أن يقطع رحمه لأجلك قال : هو يأتي لمن لا دنيا عنده قال : إن لم تكن عنده فهو خاطب لها ومن خطب بنت رجل فتح باب مودته وإن لم يدخل بها وكان الربيع بن خيثم يقول : أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم يدخلها حب الآخرة

---

(١) فيض القدير، ٣/١٩٦

(٢) تنبيه

(٣) تنبيه

(هب عن الحسن) البصري (مرسلا) ثم قال أعني البيهقي ولا أصل له من حديث النبي صلى الله عليه و سلم قال الحافظ الزين العراقي : ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح ومثل به في شرح الألفية للموضوع من كلام الحكماء وقال هو من كلام مالك بن دينار كما رواه ابن أبي الدنيا أو من كلام عيسى عليه السلام كما رواه البيهقي في الزهد وأبو نعيم في الحلية وعد ابن الجوزي الحديث في الموضوعات وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن والإسناد إليه حسن وأورده الديلمي من حديث علي وبيض لسنده ." (١)

" ٤٧٢٢ - (سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) أي أنه يعود عليه بالإحباط قال العسكري : أراد أن المبتدئ بفعل [ص ١١٤] الخير إذا قرنه بسوء الخلق أفسد عمله وأحبط أجره كالمتصدق إذا اتبعه بالمن والأذى وأخرج البيهقي في الشعب عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال موسى : يا رب أمهلت فرعون أربع مئة سنة وهو يقول أنا ربكم الأعلى ويكذب بآياتك ويجحد رسلك فأوحى الله إليه إنه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه وقال وهب : مثل السيء الخلق كمثل الفخار المكسرة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضل : لأن يصحبني فاحش حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق (٢) حاول بعضهم استيعاب جميع الأخلاق الذميمة فقال : هي الانتقاد على أهل الله واعتقاد كمال النفس والاستنكاف من التعلم والاتعاظ والتماس عيوب الناس وإظهار الفرح وإفشاؤه وإكثار الضحك وإظهار المعصية والإيذاء والاستهزاء والإعانة على الباطل والانتقام للنفس وإثارة الفتن والاحتيال والاستماع لحديث قوم وهم له كارهون والاستطالة والأمن من مكر الشيطان والإصرار على الذنب مع رجاء المغفرة واستعظام ما يعطيه وإظهار الفقر مع الكفاية والبغي والبهتان والبخل والشح والبطالة والتجسس والتبذير والتعمق والتملق والتذلل للأغنياء لغناهم والتعيير والتحقير وتزكية النفس والتجبر والتبختر والتكلف والتعرض للتهم والتكلم بالمنهي والتشدق وتضييع الوقت بما لا يعني والتكذيب والتسفيه والتنابز بالألقاب والتعبيس والتفريط والتسويف في الأجل والتمني المذموم والتخلق بزي الصالحين زورا وتناول الرخص بالتأويلات والتساهل في تدارك الغيرة والتهور والتدبير للنفس والجهل وجحد الحق والجدال والجفاء والجور والجبن والحرص والحقد والحسد والحمق وحب الشهوة وحب الدنيا **وحب الرياسة** والجاه وإفشاء العيب والحزن الدائم والخديعة والخيبة والخيانة وخلف الوعد والخيلاء والدخول فيما لا يعني والذم والذل والرياء والركون للأغيار ورؤية الفضل على الأقران وسوء الظن والسعاية والشماتة والشره والشرك الخفي ومحبة الأشرار والصلف وطول الأمل والطمع والطيرة وطاعة النساء وطلب العوض على الطاعة وسوء الظن والظلم والعجلة والعجب والعداوة في غير الدين والغضب والغرور والغفلة والغدر والفسق والفرح المذموم والقسوة وقطع الرحم والكبر وكفران النعمة والعشيرة والكسل وكثرة النوم واللوم والمداهنة والملاحاة ومجالسة الأغنياء لغناهم والمزاح المفرط والنفاق والنية الفاسدة وهجر المسلم وهتك السر والوقوع في العرض والوقوع في غلبة الدين واليأس من الرحمة

---

(١) فيض القدير، ٣٦٨/٣

(٢) تنبيه

(الحارث) ابن أبي أسامة في سنده (والحاكم في) كتاب (الكنى) والألقاب وكذا أبو نعيم والديلمي (عن ابن عمر) بن الخطاب ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب عن ابن عباس وابن عمر وضعفها " (١).

" ٩٦٥٤ - (ويل لأمتي من علماء السوء) وهم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة فالواحد منهم أسير الشيطان أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ومن هذا حاله فضرره على الأمة من وجوه كثيرة منها الاقتداء به في أفعاله وأقواله ومنها تحسينه للحكام ظلم الأنام وتساهله في الفتوى لهم وإطلاقه القلم واللسان بالجور وبالبهتان استكبارا أن يقول فيما لا علم عنده به لا أدري قال الغزالي : آفة العلم الخيلاء فلم يلبث العالم أن يتعزز بالعلم ويستعظم نفسه ويحتقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجهلهم ويترفع أن يبدأه بالسلام فإن بدأ أحدهم بالسلام أو رد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده وبرا عليه يلزمه شكره واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقونه وأنه ينبغي أن يخدموه شكرا له على صنيعته بل الغالب أيهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه ولا يزورهم ويستخدم من خالطه منهم ويسخره في حوائجه فإن قصر استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكأن تعلمه العلم صنيعة منه لديه ومعروف إليه أو استحقاق حق عليه . وقال الماوردي : الدنيا دار مرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرض القلوب أكثر من مرض الأبدان والعلماء أطباء القلوب وقد مرضوا في هذه العصور مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم أسوة في عموم المرض حتى ظهر نقصانهم فاضطروا إلى إغراء الخلق وإرشادهم إلى ما يزيدهم مرضا وهو حب الدنيا الذي تلبسوا به لما لم يقدروا على التحذير منه حذرا أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم ؟ فلذلك عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يزعق العوام ويستميل قلوبهم من تسجيع الكلام وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع لينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومتى كان الطبيب جاهلا أو خائنا يضع الدواء في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان لكن لشخصين متضادي العلة

(تتمة) قال الحكيم : علماء السوء ضربان ضرب مكب على حطام الدنيا لا يسأم ولا يمل قد أخذ بقليه حبها وألزمه خوف الفقر فهو كالهمج يتقلب في المزابل من عذرة إلى عذرة ولا يتأذى بسوء رائحتها وإكبابه عليها كإكباب الخنازير فمسخوا في صورة الخنازير وضرب أهل تصنع ودهاء ومخادعة وتزين للمخلوقين شحا على رياستهم يتبعون الشهوات ويلتقطون الرخص ويخادعون الله بالحيل في أمور دينهم فاطمأنوا إلى الدنيا وأسبابها ورضوا من العلم بالقول دون الفعل فإذا حل بهم السخط مسخوا قردة فإن القردة جبلت على الخداع واللعب والبطالة وشأن الخنزير الإكباب على المزابل والعذرة . واعلم أن قضية كلام المصنف أن ذا هو الحديث بتمامه والأمر بخلافه بل بقيته عند مخرجه الحاكم يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحا لأنفسهم لا أربح الله تجارتهم اه بنصه

---

(١) فيض القدير، ١١٣/٤

(١) روى سحنون عن ابن وهب عن عبد العزيز بن أبي حازم سمعت أبي يقول كان العلماء فيما مضى إذا لقى العالم من هو فوقه في العلم يقول هذا يوم غنيمة وإذا لقى مثله ذاكره وإذا لقى دونه لم يزه عليه واليوم يعيب الرجل من فوقه ابتغاء أن ينقطع عنه حتى يرى الناس أنه ليس بهم حاجة إليه ولا يذاكر مثله ويزهو على من هو دونه فهلك [ص ٣٧٠] الناس اه هذا في ذاك الزمان فما بالك بالناس الآن وما انطووا عليه من جحد الفضائل مع قيام الدلائل **وحب الرياسة** والتعظيم والتسارع إلى نبذ من تلوح عليه شواهد العلم بالقصور ويلتمسون بكثرة الانتقاد العثرات ويسترون رسوم الحسنات ببعض السقطات وربما رأى بعضهم استحقاق العلم بالتوارث من الآباء لكون المنصب كان لأبيه وقد نص القرافي أنه من البدع المحرمة

(ك في تاريخه) أي تاريخ نيسابور (عن أنس بن مالك) وفيه إبراهيم بن طهمان مختلف فيه وحجاج بن حجاج قال الذهبي : مجهول ." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٨٤ """""""وفيه ترك **حب الرياسة** والشهرة ، وفضل الخمول ولزوم التواضع لله بأن يجهل المؤمن فى الدنيا ولا تعرف عينه فيشار إليه بالأصابع ، وبهذا أوصى (صلى الله عليه وسلم) ابن عمر فقال له : (يا عبد الله ، كن فى الدنيا كأنك غريب) والغريب مجهول العين فى الأغلب فلا يؤبه لصلاحه فيكرم من أجله ويبجل ، فمن لزم هذه الطريقة كان حريا إن استأذن ألا يؤذن له ، وإن شفع ألا يشفع .٦٦ - باب فضل الخدمة فى الغزو٧٣٨ / فيه : أنس ، صحبت جرير بن عبدالله ، فكان يخدمنى ، وهو أكبر من أنس ، قال جرير : إنى رأيت الأنصار يصنعون شيئا بالنبي (صلى الله عليه وسلم) لا أجد أحدا منهم إلا أكرمته . ١٧٣٩ / وفيه : أنس ، خرجت مع النبي ، (صلى الله عليه وسلم) ، إلى خيبر أخدمه ، وقال : كنا مع النبي ، (صلى الله عليه وسلم) ، أكثرنا ظلا الذى يستظل بكسائه ، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئا ، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا ، فقال النبي ، (صلى الله عليه وسلم) : (ذهب المفطرون اليوم بالأجر) . قال أبو عبد الله بن أبي صفرة : فيه أن أجر الخدمة فى الغزو أعظم من أجر الصيام ؛ إذا كان المفطر أقوى على الجهاد وطلب العلم وسائر الأعمال الفاضلة من معونة ضعيف أو حمل ما بالمسلمين إلى حمله حاجة . وفيه : أن التعاون فى الجهاد والتفاضل فى الخدمة من حل وترحال واجب على جميع المجاهدين . وفيه : جواز خدمة الكبير للصغير إذا رعى له شرفا فى قومه أو فى." (٣)

" الحاصلة بذكر الله والصلاة باقية دافعة للهموم والاحزان ليس دفعه اياه وقت الصلاة فقط كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة سورة البقرة ٤٥ وقال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر سورة العنكبوت ٤٥ ففي هذه اللذة والمنفعة العظيمة الشريفة الدافعة للمضار ما يغني عن تلك القاصرة المانعة مما هو اكمل منها والجالبة لمضرة تربي عليها وهذا السكر جسماني

---

(١) فائدة

(٢) فيض القدير، ٣٦٩/٦

(٣) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٨٤/٥

ومن السكر ما يكون بحب الصور اما النساء واما الصبيان فإنه اذا استحكم الحب وحصل للمحب اتصال فقد يسكر كما قال بعضهم ... سكران سكر هوى وسكر مدامة ... فمتى إفاقة من به سكران ...

ووقت الجماع ينقص تمييز اكثر الناس ايضا وهو مبدأ سكر

ومن السكر ايضا ما يكون **بحب الرياسة** والمال او شفاء الغيظ فإنه اذا قوى ذلك اوجب سكرا وانما كانت هذه الاشياء قد توجب سكرا لأن السكر شبيه ما يوجب اللذة القاهرة التي تغمر العقل ." (١)

"وإن كان قولُ الرافضة راجَ بعد ذلك على قومٍ فيهم إيمانٌ لفرطِ جهلهم ، ومما يبين ذلك أن يقالَ : أيُّ داعٍ كان للقوم في أن ينصروا عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، ويقاتلوا معها عليا ، ولا ينصرون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقاتلون معها ومع زوجِها الوصيّ أبا بكر وعمر ؟؟!!فإن كان القومُ الذين فعلوا هذا يحبونَ الرياسةَ ويكرهون إمارةَ عليّ عليهم كان حبُّهم للرياسةِ يدعوهم إلى قتال أبي بكرٍ بطريق الأولى، فإن رياسةَ بيت عليّ أحبَّ إليهم من رياسةِ بيت أبي بكرٍ ، ولهذا قال صفوان بن أمية يوم حنين لما ولَّوا مدبرينَ وقالَ بعضُ الطلقاء : والله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من ثقيف، وصفوانُ رأسُ الطلقاء كان أن يربيه رجلٌ من بني عبد مناف أحبَّ إليه من أن يربه رجلٌ من بني تيم ، **فحبُّ الرياسةِ** إذا كان هو الداعي كان يدعوهم إلى تقديم بني هاشمَ على بني تيم باتفاقِ العقلاءِ ، ولو لم يقدِّموا عليًّا لقدموا العباسَ، فإن العباسَّ كان أقربَ إلى موافقتهم على المطالب الدنيويةِ من أبي بكرٍ، فإن كانوا قد أقدموا على ظلمِ الوصيّ الهاشميّ لئلا يحملَهم على الحقّ الذي يكرهونه، كان تقديمُ من يحصّلُ مطالبهمْ مع الرياسةِ الهاشميةِ وهو العباسُ أولى وأحرى من أبي بكر، الذي لا يعينهم على مطالبهم كإعانةِ العباسِ ، ويحملهم على الحقّ المرّ أكثرَ مما يحملهم عليه عليٌّ، فلو كرهَ من عليّ حقٌّ مرٌّ لكان ذلك من أبي بكر أكرهُ ، ولو أريدَ من أبي بكر دنيا حلوةً، لكان طلبُها عند العباس وعليّ أقربَ، فعدولِهم عن عليّ وعن العباسِ وغيرِهما إلى أبي بكرٍ دليلٌ على أنَّ القومَ وضعوا الحقَّ في نصابهِ ، وأقرُّوه في إهابهِ ، وأتوا الأمرَ الأرشدَ من بابهِ ، وأنهم علموا أن الله ورسوله كانا يرضيانِ تقديمَ أبي بكرٍ رضي الله عنه ، وهذا أمرٌ كان معلوماً لهم علماً ظاهراً بيِّناً، لما رأوه وسمعوهُ من النبيّ صلى الله عليه وسلم مدةَ صحبتِهم له، فعلموا من تفضيلِ النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكرٍ بطولِ المشاهدةِ والتجربةِ والسماعِ ما أوجبَ تقديمَهُ وطاعتَهُ ، ولهذا قال عمرُ رضي الله عنه: ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر(١)__________(١) - عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَجَعَ إِلَى رَحْلِهِ – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – وَكُنْتُ أُقْرِئُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَنْتَظِرُهُ وَذَلِكَ بِمِنًى فِى آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إِنَّ رَجُلاً أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ إِنَّ فُلاَنًا يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا. فَقَالَ عُمَرُ إِنِّى قَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِى النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أَمْرَهُمْ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ وَإِنَّهُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ إِذَا قُمْتَ فِى النَّاسِ فَأَخْشَى أَنْ تَقُولَ مَقَالَةً يَطِيرُ بِهَا أُولَئِكَ فَلاَ يَعُوهَا وَلاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا وَلَكِنْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ وَتَخْلُصَ بِعُلَمَاءِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّناً فَيَعُونَ

---

(١) الاستقامة، ٢/١٤٦

مَقَالَتَكَ وَيَضَعُوهَا مَوَاضِعَهَا.فَقَالَ عُمَرُ لَئِنْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ سَالِماً صَالِحاً لأُكَلِّمَنَّ بِهَا النَّاسَ فِى أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ. فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِى عَقِبِ ذِى الْحِجَّةِ وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَجَّلْتُ الرَّوَاحَ صَكَّةَ الأَعْمَى - فَقُلْتُ لِمَالِكٍ وَمَا صَكَّةُ الأَعْمَى قَالَ إِنَّهُ لاَ يُبَالِى أَىَّ سَاعَةٍ خَرَجَ لاَ يَعْرِفُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ وَنَحْوَ هَذَا - فَوَجَدْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ عِنْدَ رُكْنِ الْمِنْبَرِ الأَيْمَنِ قَدْ سَبَقَنِى فَجَلَسْتُ حِذَاءَهُ تَحُكُّ رُكْبَتِى رُكْبَتَهُ فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ طَلَعَ عُمَرُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ لَيَقُولَنَّ الْعَشِيَّةَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ مَقَالَةً مَا قَالَهَا عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ. قَالَ فَأَنْكَرَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ذَلِكَ فَقَالَ مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ. فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ قَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّى قَائِلٌ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِى أَنْ أَقُولَهَا لاَ أَدْرِى لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَىْ أَجَلِى فَمَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ وَمَنْ لَمْ يَعِهَا فَلاَ أُحِلُّ لَهُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَىَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً -صلى الله عليه وسلم- بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ فَقَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ لاَ نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ قَدْ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالرَّجْمُ فِى كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الاِعْتِرَافُ أَلاَ وَإِنَّا قَدْ كُنَّا نَقْرَأُ لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّ كُفْراً بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ أَلاَ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لاَ تُطْرُونِى كَمَا أُطْرِىَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ». وَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّ قَائِلاً مِنْكُمْ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَناً فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّ بَيْعَةَ أَبِى بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً أَلاَ وَإِنَّهَا كَانَتْ كَذَلِكَ أَلاَ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَقَى شَرَّهَا وَلَيْسَ فِيكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تُقْطَعُ إِلَيْهِ الأَعْنَاقُ مِثْلُ أَبِى بَكْرٍ أَلاَ وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا تَخَلَّفُوا فِى بَيْتِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَتَخَلَّفَتْ عَنَّا الأَنْصَارُ بِأَجْمَعِهَا فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِى بَكْرٍ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الأَنْصَارِ فَانْطَلَقْنَا نَؤُمُّهُمْ حَتَّى لَقِيَنَا رَجُلاَنِ صَالِحَانِ فَذَكَرَا لَنَا الَّذِى صَنَعَ الْقَوْمُ فَقَالاَ أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَقُلْتُ نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ. فَقَالاَ لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمْ وَاقْضُوا أَمْرَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ. فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى جِئْنَاهُمْ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ فَإِذَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ رَجُلٌ مُزَمَّلٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ. فَقُلْتُ مَا لَهُ قَالُوا وَجِعٌ. فَلَمَّا جَلَسْنَا قَامَ خَطِيبُهُمْ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَقَالَ أَمَا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ مِنَّا وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا وَيَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ. فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِى أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا بَيْنَ يَدَىْ أَبِى بَكْرٍ وَقَدْ كُنْتُ أُدَارِى مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ وَهُوَ كَانَ أَحْلَمَ مِنِّى وَأَوْقَرَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رِسْلِكَ.فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ وَكَانَ أَعْلَمَ مِنِّى وَأَوْقَرَ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِى فِى تَزْوِيرِى إِلاَّ قَالَهَا فِى بَدِيهَتِهِ وَأَفْضَلَ حَتَّى سَكَتَ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَا ذَكَرْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَلَمْ تَعْرِفِ الْعَرَبُ هَذَا الأَمْرَ إِلاَّ لِهَذَا الْحَىِّ مِنْ قُرَيْشٍ هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَباً وَدَاراً وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَيَّهُمَا شِئْتُمْ. وَأَخَذَ بِيَدِى وَبِيَدِ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا وَكَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِى لاَ يُقَرِّبُنِى ذَلِكَ إِلَى إِثْمٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ إِلاَّ أَنْ تَغَيَّرَ نَفْسِى عِنْدَ الْمَوْتِ فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. - فَقُلْتُ لِمَالِكٍ مَا مَعْنَى أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ قَالَ كَأَنَّهُ يَقُولُ أَنَا دَاهِيَتُهَا. - قَالَ وَكَثُرَ اللَّغَطُ

وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ حَتَّى خَشِيتُ الاِخْتِلاَفَ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَهُ الأَنْصَارُ وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ قَتَلْتُمْ سَعْداً. فَقُلْتُ قَتَلَ اللَّهُ سَعْداً. وَقَالَ عُمَرُ أَمَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا أَمْراً هُوَ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُحْدِثُوا بَعْدَنَا بَيْعَةً فَإِمَّا أَنْ نُتَابِعَهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى وَإِمَّا أَنْ نُخَالِفَهُمْ فَيَكُونَ فِيهِ فَسَادٌ فَمَنْ بَايَعَ أَمِيراً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ بَيْعَةَ لَهُ وَلاَ بَيْعَةَ لِلَّذِى بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ. قَالَ مَالِكٌ وَأَخْبَرَنِى ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقِيَاهُمَا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ.رواه أحمد في مسنده (٣٩٨) وهو حديث صحيح." (١)

"وكذلك المشركون من أهل الكتاب ومن مبتدعة هذه الأمة وضلالها هذا غاية شركهم، فإن النصارى يصورون في الكنائس صور من يعظمونه من الإنس غير عيسى وأمه، مثل مارجرجس وغيره من القداديس، ويعبدون تلك الصور، ويسألونها ويدعونها ويقربون/ لها القرابين، وينذرون لها النذور، ويقولون : هذه تذكرنا بأولئك الصالحين، والشياطين تضلهم .كما كانت تضل المشركين تارة . بأن يتمثل الشيطان في صورة ذلك الشخص الذي يدعي ويعبد فيظن داعيه أنه قد أتي، أو يظن أن الله صور ملكا على صورته، فإن النصراني . مثلا . يدعو في الأسر وغيره مارجرجس أو غيره فيراه قد أتاه في الهواء، وكذلك آخر غيره، وقد سألوا بعض بطارقتهم عن هذا : كيف يوجد في هذه الأماكن ؟ فقال : هذه ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيث من يدعوه، وإنما تلك شياطين أضلت المشركين .وهكذا كثيرا من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت، أو يستغيث به عند قبره ويسأله، وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره، أو كلمه ببعض ما سأله عنه، ونحو ذلك، فيظنه الشيخ نفسه أتي إن كان حيا، حتى إني أعرف من هؤلاء جماعات يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أتاهم في الهواء فيذكرون ذلك له . هؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ، وهؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية، فإن كان يحب الرياسة سكت وأوهم أنه نفسه أتاهم وأغاثهم، وإن كان فيه صدق مع جهل وضلال قال : هذا ملك صوره الله علي/صورتي . وجعل هذا من كرامات الصالحين، وجعله عمدة لمن يستغيث بالصالحين، ويتخذهم أربابا، وأنهم إذا استغاثوا بهم بعث الله ملائكة على صورهم تغيث المستغيث بهم .." (٢)

"جاءت به الشريعة أو صاحب شهوة قاهرة تدعوه إلى تحصيل غرضه ولا يمكنه الخروج عن ظاهر رسم الإسلام ، أو يكون ممن يحب الرياسة والشرف بالفتيا التي ينقاد له بها الناس ويرى أن ذلك لا يحصل عند الذين اتبعوا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين إلا بهذه الحيل أو يعتقد أن الشيء ليس محرما في هذه القضية المخصوصة لمعنى رآه لكنه لا يمكنه إظهار ذلك ؛ لأن الناس لا يوافقونه عليه ويخاف الشناعة فيحتال بحيلة يظهر بها ترك الحرام ومقصوده استحلاله فيرضي الناس ظاهرا أو يعمل بما يراه باطنا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ﴾ . وإنما الفقه في الدين فهم معاني الأمر والنهي ليستبصر الإنسان في دينه ألا ترى قوله تعالى : ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم

---

(١) الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الرافضة، ص/٧٥

(٢) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/٦٥

يحذرون ﴾ فقرن الإنذار بالفقه فدل على أن الفقه ما وزع عن محرم أو دعا إلى واجب وخوف النفوس مواقعه المحظورة لا ما هون عليها استحلال المحارم بأدنى الحيل ومما يقضي منه العجب أن الذين ينتسبون إلى القياس واستنباط معاني الأحكام والفقه من أهل الحيل هم أبعد الناس عن رعاية مقصود الشارع وعن معرفة العلل." (١)

"وقال ابن حجر – أيضاً – :منهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم ، ولقوله : إنه كان مخذولا حيث ما توجه ، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها ، وإنما قاتل للرياسة لا للديانة ، ولقوله : إنه كان يحب الرياسة ، وإن عثمان كان يحب المال ، ولقوله : أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول وعلى أسلم صبياً ، والصبي لا يصح إسلامه على قول ، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل ، ومات مانسبها من الثناء على ..... وقصة أبي العاص ابن الربيع وما يؤخذ من مفهومها ، فإنه شنع في ذلك ، فألزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم " ولا يبغضك إلا منافق ")ومنهم : ابن حجر الهيتمي الذي قال في فتاواه الحديثية :(ابن يتمية عبد خذله الله تعالى وأضله وأعماه وأصمه وأذله وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله ، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية .ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما – والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن ، بل يرمى في كل وعر وحزن ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضل جاهل غال ، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته)قال : (ولا زال يتتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسقوه وبدعوه ، بل كفره كثير منهم ، وقد كتب إليه بعض أجلاء عصره علماً ومعرفة سنه خمس وسبعمائة :." (٢)

" وكنوزه فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم

النوع الثاني حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والنفقة في مراد الشارع فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به

فصل في القسم الثاني من هؤلاء أيضا

القسم الثاني من رده ظاهرا وباطنا وكفر به ولم يرفع به رأسا وهؤلاء أيضا نوعان

أحدهما عرفه وتيقن صحته وأنه حق ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين

النوع الثاني أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبراؤنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه ولنا أسوة بهم ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم ولو كان حقا لكانوا هم أهله وأولى بقبوله وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم

---

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل، ٥/٨

(٢) ابن تيمية لم يكن ناصبيا، ص/١١

راعيهم وهم الذين قال الله عز و جل فيهم إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار وقال تعالى فيهم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا ". (١)

"ص -٢٤- والتعليم، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده وبلغوه إلى الأمة واستنبطوا أسراره وكنوزه، فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم؛ وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم." النوع الثاني " حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة فحفظوا عليهم النصوص، وليسوا من أهل الاستنباط والنفقة في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه، والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه، وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.(فصل) القسم الثاني: من رده ظاهرا وباطنا وكفر به ولم يرفع به رأسا، وهؤلاء أيضا نوعان أحدهما: عرفه وتيقن صحته، وأنه حق ولكنه حمله الحسد والكبر **وحب الرياسة** والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبراؤنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه، ولنا أسوة بهم ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقا لكانوا هم أهله وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم وهم الذين قال الله فيهم ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ وقال تعالى فيهم ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا." (٢)

"النوع الثاني حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والنفقة في مراد الشارع فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا بهفصل في القسم الثاني من هؤلاء أيضاالقسم الثاني من رده ظاهرا وباطنا وكفر به ولم يرفع به رأسا وهؤلاء أيضا نوعاناًحدهما عرفه وتيقن صحته وأنه حق ولكن حمله الحسد والكبر **وحب الرياسة** والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقينالنوع الثاني أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبراؤنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه ولنا أسوة بهم ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم ولو كان حقا لكانوا هم أهله وأولى بقبوله وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم وهم الذين قال الله عز وجل فيهم إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص/٢٧

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ٢/٣٦

منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار وقال تعالى فيهم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا." (١)

" فصل وترية صورة للصدق مع الله وجهاد من خرج عن دينه وأمره في

قالب الانتصاب لعداوة الخلق وأذاهم وحربهم وأنه يعرض نفسه من البلاء لما لا يطيق وأنه يصير غرضا لسهام الطاعنين وأمثال ذلك من الشبه التي تقيمها النفس السحارة والخيالات التي تخيلها وترية حقيقة الجهاد في صورة تقتل فيها النفس وتنكح المرأة ويصير الأولاد يتامى ويقسم المال وترية حقيقة الزكاة والصدقة في صورة مفارقة المال ونقصه وخلو اليد منه واحتياجه إلى الناس ومساواته للفقير وعوده لمنزلته وتربه حقيقة إثبات صفات الكمال لله في صورة التشبيه والتمثيل فينفر من التصديق بها وينفر غيره وتريه ! حقيقة التعطيل والإلحاد فيها في صورة التنزيه والتعظيم

وأعجب من ذلك أنها تضاهي ما يحبه الله ورسوله من الصفات والأخلاق والأفعال بما يغضه منها وتلبس على العبد أحد الأمرين بالآخر ولا يخلص من هذا إلا أرباب البصائر فإن الأفعال تصدر عن الإرادات وتظهر على الأركان من النفسين الأمارة والمطمئنة فيتباين الفعلان في البطلان ويشتبهان في الظاهر ولذلك أمثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة فالأول من المطمئنة والثاني من الأمارة وخشوع الإيمان وخشوع النفاق وشرف النفس والتيه والحمية والجفاء والتواضع والمهانة والقوة في أمر الله والعلو في الأرض والحمية لله والغضب له والحمية للنفس والغضب لها والجود والسرف والمهابة والكبر والصيانة والتكبر والشجاعة والجرأة والحزم والجبن والاقتصاد والشح والاحتراز وسوء الظن والفراسة والظن والنصيحة والغيبة والهدية والرشوة والصبر والقسوة والعفو والذل وسلامة القلب والبله والغفلة والثقة والغرة والرجاء والتمني والتحدث بنعم الله والفخر بها وفرح القلب وفرح النفس ورقة القلب والجزع والموجدة والحقد والمنافسة والحسد وحب الرياسة وحب الإمامة والدعوة إلى الله والحب لله والحب مع الله والتوكل والعجز والاحتياط الوسوسة وإلهام الملك وإلهام الشيطان والأناة والتسويف والاقتصاد والتقصير والاجتهاد والغلو والنصيحة والتأنيب والمبادرة والعجلة والإخبار بالحال عند الحاجة والشكوى

فالشيء الواحد تكون صورته واحدة وهو منقسم إلى محمود ومذموم كالفرح والحزن والأسف والغضب والغيرة والخيلاء والطمع والتجمل والخشوع والحسد والغبطة والجرأة ." (٢)

" والحسد خلق نفس ذميمة وضيعه ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لوفاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه فهو ينافس غيره أن يعلو عليه ويحب لحاقه به أو مجاوزته له في الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصا من أهل الفضل والسبق فنافسه انتفع

---

(١) التفسير القيم لابن القيم، ١/١٨٦

(٢) الروح، ص/٢٣٠

به كثيرا فإنه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا نذمه وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما في الصحيح عن النبي لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به أناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للتشبه بأهل الفضل

فصل والفرق بين **حب الرياسة** وحب الإمارة للدعوة إلى الله هو الفرق بين

تعظيم أمر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها فإن الناصح لله المعظم له المحب له يحب أن يطاع ربه فلا يعصى وأن تكون كلمته هي العليا وأن يكون الدين كله لله وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه فقد ناصح الله في عبوديته وناصح خلقه في الدعوة إلى الله فهو يحب الإمامة في الدين بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين أما ما يقتدي به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلا وفي قلوبهم مهيبا وإليهم حبيبا وأن يكون فيهم مطاعا لكي يأتموا به ويقتفوا أثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد عليه لأنه داع إلى الله يحب أن يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عونا على ذلك موصلا إليه ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه وأثنى عليهم في تنزيله وأحسن جزاءهم يوم لقائه فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم ثم قال والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما فسألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته فإن الإمام والمؤتم متعاونان على الطاعة فإنما سألوه وما يعانون به المتقين على مرضاته وطاعته وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين كما قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا ." (١)

"ص –٣٥– فإذا تدبر الإنسان حال نفسه وحال جميع الناس، وجدهم لا ينفكون عن هذين الأمرين : لابد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها، وهو إلهها . ولابد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه فى نيل مطلوبها هو مستعانها، سواء كان ذلك هو الله أو غيره، وإذا فقد يكون عاما وهو الكفر، كمن عبد غير الله مطلقا، وسأل غير الله مطلقا . مثل : عباد الشمس والقمر، وغير ذلك الذين يطلبون منهم الحاجات، ويفزعون إليهم فى النوائب .وقد يكون خاصا فى المسلمين، مثل : من غلب عليه حب المال، أو حب شخص، أو **حب الرياسة**، حتى صار عبد ذلك، كما قال صلى الله عليه وسلم : " تعس عبد الدرهم ! تعس عبد الدينار ! تعس عبد الخميصة ! تعس عبد الخميلة ! : إن أعطى رضي، وإن منع سخط ! تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش " ، وكذلك من غلب عليه الثقة بجاهه وماله، بحيث يكون عنده مخدومه من الرؤساء ونحوهم، أو خادمه من الأعوان والأجناد ونحوهم، أو أصدقاؤه أو أمواله، هى التى تجلب المنفعة الفلانية وتدفع المضرة الفلانية، فهو معتمد عليها ومستعين بها والمستعان هو مدعو ومسؤول .وما أكثر ما تستلزم العبادة الاستعانة، فمن اعتمد عليه القلب فى رزقه ونصره ونفعه وضره، خضع له وذل، وانقاد وأحبه من هذه الجهة وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب عليه الحال حتى يحبه لذاته، وينسى مقصوده منه، كما يصيب كثيرا ممن يحب المال أو يحب من يحصل له به العز

---

(١) الروح، ص/٢٥٢

والسلطان .وأما من أحبه القلب وأراده وقصده، فقد لا يستعينه ويعتمد عليه إلا إذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه، كاستشعار المحب قدرة المحبوب على وصله،." (١)

"ص -٤٤٥- ثم خائنة؛ لها في السر أهواء وأفعال باطنة تخفى على الناس، فلا يجوز المجادلة عنها، قال تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [غافر : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ [الأنعام : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، وقد قال تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقمعاذيره ﴾ [القيامة : ١٤، ١٥] ، فإنه يعتذر عن نفسه بأعذار ويجادل عنها، وهو يبصرها بخلاف ذلك، وقال تعالى : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [الإسراء : ١٤] وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ [البقرة : ٢٠٤] .وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم " ، فهو يجادل عن نفسه بالباطل، وفيه لدد . أي : ميل واعوجاج عن الحق، وهذا على نوعين : أحدهما : أن تكون مجادلته وذبه عن نفسه مع الناس، والثاني : فيما بينه وبين ربه، بحيث يقيم أعذار نفسه ويظنها محقة وقصدها حسنا، وهي خائنة ظالمة، لها أهواء خفية قد كتمتها حتى لا يعرف بها الرجل حتى يرى وينظر، قال شداد بن أوس : إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية، قال أبو داود : هي حب الرياسة .." (٢)

"ص -٤٥٦- لها القرابين، وينذرون لها النذور، ويقولون : هذه تذكرنا بأولئك الصالحين، والشياطين تضلهم كما كانت تضل المشركين تارة بأن يتمثل الشيطان في صورة ذلك الشخص الذي يدعي ويعبد فيظن داعيه أنه قد أتي، أو يظن أن الله صور ملكا على صورته، فإن النصراني مثلا يدعو في الأسر وغيره مارجرجس أو غيره فيراه قد أتاه في الهواء، وكذلك آخر غيره، وقد سألوا بعض بطارقتهم عن هذا : كيف يوجد في هذه الأماكن ؟ فقال : هذه ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيث من يدعوه، وإنما تلك شياطين أضلت المشركين .وهكذا كثيرا من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت، أو يستغيث به عند قبره ويسأله، وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره، أو كلمه ببعض ما سأله عنه، ونحو ذلك، فيظنه الشيخ نفسه أتي إن كان حيا، حتى إني أعرف من هؤلاء جماعات يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أتاهم في الهواء فيذكرون ذلك له . هؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ، وهؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية، فإن كان يحب الرياسة سكت وأوهم أنه نفسه أتاهم وأغاثهم، وإن كان فيه صدق مع جهل وضلال قال : هذا ملك صوره الله علي." (٣)

"ص -٤٧- وثالثها : الترغيب والترهيب لمن يظن جواز ذلك .ورابعها : الأغراض الدنيوية لجمع الحطام .وخامسها : حب الرياسة بالحديث الغريب .فصلالراوي إما أن تقبل روايته مطلقا، أو مقيدا، فأما المقبول إطلاقا فلابد أن يكون

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ١٨/٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٨٥/٢٣٤

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٤٦٢/٢٣٨

مأمون الكذب بالمظنة، وشرط ذلك العدالة وخلوه عن الأغراض والعقائد الفاسدة التي يظن معها جواز الوضع، وأن يكون مأمون السهو بالحفظ والضبط والإتقان، وأما المقيد فيختلف باختلاف القرائن، ولكل حديث ذوق، ويختص بنظر ليس للآخر .فصلكم من حديث صحيح الاتصال ثم يقع في أثنائه الزيادة والنقصان . فرب زيادة لفظة تحيل المعني ونقص أخرى كذلك، ومن مارس هذا الفن لم يكد يخفي عليه مواقع ذلك، ولتصحيح الحديث وتضعيفه أبواب تدخل، وطرق تسلك، ومسالك تطرق .." (١)

"ص -٣٤٦- كذلك يجهمانه فيجعلانه منكرا لما في قلبه من معرفة الرب ومحبته وتوحيده . ثم المعرفة يطلبها بالدليل، والمحبة ينكرها بالكلية . والتوحيد المتضمن للمحبة ينكره من لا يعرفه، وإنما ثبت توحيد الخلق، والمشركون كانوا يقرون بهذا التوحيد وهذا الشرك .فهما يشركانه، ويهودانه، وينصرانه، ويمجسانه . وقد بسط الكلام على هذا الحديث وأقوال الناس فيه في غير هذا الموضع .وأيضا، مما يبين أن الإنسان قد يخفي عليه كثير من أحوال نفسه، فلا يشعر بها . إن كثيرا من الناس يكون في نفسه **حب الرياسة** كامن لا يشعر به، بل إنه مخلص في عبادته وقد خفيت عليه عيوبه، وكلام الناس في هذا كثير مشهور؛ ولهذا سميت هذه : [الشهوة الخفية] .قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟ قال : **حب الرياسة** . فهي خفية تخفي على الناس، وكثيرا ما تخفي على صاحبها .بل كذلك حب المال والثروة، فإن الإنسان قد يحب ذلك ولا يدرى . بل نفسه ساكنة ما دام ذلك موجودا، فإذا فقده ظهر من." (٢)

"ص -١٦٢- ربه " أي : مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضا الخلق؛ فإن شاء عذب هذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له .وقد بسطنا الكلام في هذه الأبواب الشريفة والأصول الجامعة في القواعد، وبينا أنواع الظلم، وبينا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم، ومسمي الشرك جليله ودقيقه؛ فقد جاء في الحديث : " الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل " . وروي أن هذه الآية نزلت في أهل الرياء ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وكان شداد بن أوس يقول : يا بقايا العرب، يا بقايا العرب، إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قال أبو داود السجستاني صاحب السنن المشهورة : الخفية **حب الرياسة** . وذلك أن **حب الرياسة** هو أصل البغي والظلم، كما أن الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك .والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ [القصص : ٤] ، إلى أن ختم السورة بقوله : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ﴾ [القصص : ٨٣] ، وقال : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ [الإسراء : ٤] ، وقال :." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٥/٢٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٩٧/٢٥٤

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد)، ٢٩/٢٥٥

" الله صلى الله عليه و سلم ويقاتلون معها ومع زوجها الوصي أبا بكر وعمر فإن كان القوم الذين فعلوا هذا يحبون الرياسة ويكرهون إمارة علي عليهم كان حبهم للرياسة يدعوهم إلى قتال أبي بكر بطريق الأولى فإن رياسة بيت علي أحب اليهم من رياسة بيت أبي بكر

ولهذا قال صفوان بن أمية يوم حنين لما ولوا مدبرين وقال بعض الطلقاء والله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من ثقيف وصفوان رأس الطلقاء كان أن يربه رجل من بني عبد مناف أحب إليه من أن يربه رجل من بني تيم **فحب الرياسة** إذا كان هو الداعي كان يدعوهم إلى تقديم بني هاشم على بني تيم باتفاق العقلاء ولو لم يقدموا عليا لقدموا العباس فإن العباس كان أقرب إلى موافقتهم على المطالب الدنيوية من أبي بكر فإن كانوا قد أقدموا على ظلم ." (١)

" وأما معاوية فكان المسلمون أعلم وأعدل من أن يقولوا لعلي بايع معاوية بل يقولوا له بايع طلحة والزبير وهما من أهل الشورى

فعبد الرحمن بن عوف مات في خلافة عثمان وبقي بعد موت عثمان أربعة

فأما سعد فاعتزل الفتنة ولم يدخل في قتال أحد من المسلمين وعاش بعدهم كلهم وهو آخر العشرة موتا واعتزل بالعقيق ولما مات حمل على الأعناق فدفن بالبقيع

وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص كان سعد ابن أبي وقاص في إبله فجاء ابنه عمر فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون في الملك بينهم فضرب سعد في صدره وقال اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي

وابنه عمر هذا كان **يحب الرياسة** ولو حصلت على الوجه المذموم ولهذا لما ولى ولاية وقيل له لا نوليك حتى تتولى قتال الحسين وأصحابه كان هو أمير تلك السرية

وأما سعد رضي الله عنه فكان مجاب الدعوة وكان مسددا في زمنه ." (٢)

" عليه وضعف القلب عن التمكين بحبه فمن لم يجد ذلك قد يكون لكمال قوته وكمال إيمانه وقد يكون لضعف إيمانه مثل كثير من البطالين والفساق وأهل البدع وليس هذا من لوازم الطرق بل قد يستغنى عنه كثير من السالكين وليس هو الغاية بل كمال الشهود بحيث يميز بين المخلوق والخالق ويشهد معاني أسماء الله وصفاته ولا يشغله هذا عن هذا هو أكمل في الشهود وأقوى في الإيمان ولكن من عرض له تلك الحال التي تعرض احتاج إلى ما يناسبها وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع

لكن المقصود أن تعرف مرتبة الخوارق وأنها عند أولياء الله الذين يريدون وجهه ويحبون ما أحبه الله ورسوله في مرتبة الوسائل التي يستعان بها كما يستعان بغير الخوارق فإن لم يحتاجوا إليها استغناء بالمعتادات لم يتلفتوا إليها وأما عند كثير ممن يتبع هواه **ويحب الرياسة** عند الجهال ونحو ذلك فهي عندهم أعلى المقاصد

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٤/٣٦٤

(٢) منهاج السنة النبوية، ٦/٣٣٥

كما أن كثيرا من طلبة العلم ليس مقصودهم به إلا تحصيل رياسة أو مال ولكل امرىء ما نوى وأما أهل العلم والدين الذين هم أهله فهو مقصود عندهم لمنفعته لهم وحاجتهم إليه في الدنيا والآخرة كما قال معاذ بن جبل في صفة العلم إن طلبة لله عبادة ومذكراته ." (١)

"لقد ذكرت هذا الكلام في الحلقة الأولى ، عندما ذكرت خارطة فهم الدين قلت أن كل شيء في الدين يكون على الخريطة في حجمها الصحيح و موضعها الصحيح ، فعندما ذكرنا أين نضع علم التزكية على الخارطة ؟ أين نضع علم القلوب على الخارطة ؟ فأين نضعه ؟ قلنا نضعه بعد علم التوحيد مباشرة وقلنا ما هو حجمه ؟! قلنا أن حجمه يستوعب الدين كله ، فنحن نقول أن علم القلوب هو علم العلوم فإذا درس الإنسان فقه بدون قلب يسوقه الهوى ، وإن كنت تدرس عقيدة وبدون قلب يفسده ويضله الهوى ، لابد من إخلاص والخوف من الله والرجاء والانكسار والذل والخشوع ولابد أن ينتفي منه العجب والغرور والكبر ورؤية النفس والحقد وطلب العلو على الناس **وحب الشهرة** ، كل هذه علوم قلبية تكتنف كل علوم الشرع ، لذلك فإن هذا العلم من أشرف علوم العباد ، هذا كلام ابن القيم في كتاب (طريق الهجرتين و باب السعادتين) [صفحة ١٧٦] يقول : ((هذا العلم هو أشرف علوم العباد و ليس بعد علم التوحيد أشرف منه ، و هو لا يناسب إلا النفوس الشريفة ، لا يناسب النفوس الدنيئة المهينة، فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم و تشتاق إليه و تحبه و تأنس بأقله فليبشر بالخير فقد أُهل له))فإذا وجدت نفسك متطلع إلى حال عباد الله الصالحين ، طالبٌ لرضا الله سبحانه وتعالى ، مشتاقٌ ومحتاج فاعرف أن نفسك شريفة ، فقل لنفسك : ((يا نفس قد حصل لكِ شطر السعادة فاحرصي على الشطر الآخر، فإن السعادة شطرين في العلم بهذا الشأن و العمل به ، فإذا علمتِ فقد قطعتِي نصف المسافة فهلا تقطعين باقيها فتفوزين فوزاً عظيماً))إذا سمعت هذا الكلام و علمته و تعلمته – نقصد المدارج – فبقي عليك أن تعمل فقط ، فإذا علمتها فقد قطعت نصف المسافة و بقي لك نصفها لتقطعه في العمل .ومن فوائد معرفة هؤلاء القوم :٦ – أن العلم بكل حال خير من الجهل.." (٢)

" الى الفتنة والخسارة وقال اسحق بن هانئ فى مسائلة قال أبو عبد الله وأنا أخرج من داره قال الحسن أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون حين تهان وقال الحسن والله ما أبالى شرقت أم غربت قال وقال لى أبو عبد الله يا اسحق ما أهون الدنيا على الله عز و جل وقال الدنيا قليلها يجزى وكثيرها لا يجزى

قالوا وقد تواتر عن السلف أن حب الدنيا رأس الخطايا وأصلها وقد روى فيه حديث مرفوع لا يثبت ولكنه يروى عن المسيح قال عبد الله بن احمد حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى ابى عن بديل بن ميسرة قال حدثنى جعفر بن خرفاش أن عيسى بن مريم عليه السلام قال رأس الخطيئة حب الدنيا والنساء حبالة الشيطان والخمر جماع كل شر

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٨/٢٠٩

(٢) شرح كتاب مدارج السالكين، ص/٣٣

وقال الامام أحمد حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفرى عن سفيان قال كان عيسى بن مريم يقول حب الدنيا أصل كل خطيئة والمال فيه داء كثير قالوا وما داؤه قال لا يسلم من الفخر والخيلاء قالوا فان سلم قال يشغله اصلاحه عن ذكر الله عزوجل قالوا وذلك معلوم بالتجربة والمشاهدة فان حبها يدعو الى خطيئة ظاهرة وباطنة ولا سيما خطيئة يتوقف تحصيلها عليها فيسكر عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها واجتنابها وحبها يوقع فى الشبهات ثم فى المكروهات ثم فى المحرمات وطالما أوقع فى الكفر بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم انما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا فان الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصى التى كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم فكل خطيئة فى العالم أصلها حب الدنيا ولا تنس خطيئة الأبوين قديما فإنما كان سببها حب الخلود فى الدنيا ولا تنس ذنب ابليس وسببه حب الرياسة التي محبتها شر من محبة الدنيا وبسببها كفر فرعون وهامان وجنودهما وأبو جهل وقومه واليهود فحب الدنيا والرياسة هو الذى عمر النار بأهلها والزهد فى الدنيا والرياسة هو الذى عمر الجنة بأهلها والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر بكثير وصاحب هذا السكر لا يفيق منه الا فى ظلمة اللحد ولو انكشف عنه غطاؤه فى الدنيا لعلم ما كان فيه من السكر وانه اشد من سكر الخمر والدنيا تسحر العقول أعظم سحر ." (١)

"ص -٢١٩- الاخرة فإن الدنيا ليست بأهل الكرامة وكل يوم تدعو الى الفتنة والخسارةوقال اسحق بن هانئ فى مسائلة قال أبو عبد الله وأنا أخرج من داره قال الحسن أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون حين تهان وقال الحسن والله ما أبالى شرقت أم غربت قال وقال لى أبو عبد الله يا اسحق ما أهون الدنيا على الله عز وجل وقال الدنيا قليلها يجزى وكثيرها لا يجزىقالوا وقد تواتر عن السلف أن حب الدنيا رأس الخطايا وأصلها وقد روى فيه حديث مرفوع لا يثبت ولكنه يروى عن المسيح قال عبد الله بن احمد حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا معاذ بن هشام حدثنى ابى عن بديل بن ميسرة قال حدثنى جعفر بن خرفاش أن عيسى بن مريم عليه السلام قال رأس الخطيئة حب الدنيا والنساء حبالة الشيطان والخمر جماع كل شروقال الامام أحمد حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفرى عن سفيان قال كان عيسى بن مريم يقول حب الدنيا أصل كل خطيئة والمال فيه داء كثير قالوا وما داؤه قال لا يسلم من الفخر والخيلاء قالوا فان سلم قال يشغله اصلاحه عن ذكر الله عزوجل قالوا وذلك معلوم بالتجربة والمشاهدة فان حبها يدعو الى خطيئة ظاهرة وباطنة ولا سيما خطيئة يتوقف تحصيلها عليها فيسكر عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها واجتنابها وحبها يوقع فى الشبهات ثم فى المكروهات ثم فى المحرمات وطالما أوقع فى الكفر بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم انما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا فان الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصى التى كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم فكل خطيئة فى العالم أصلها حب الدنيا ولا تنس خطيئة الأبوين قديما فإنما كان سببها حب الخلود فى الدنيا ولا تنس ذنب ابليس وسببه حب الرياسة التي محبتها شر من محبة الدنيا وبسببها كفر." (٢)

---

(١) عدة الصابرين، ص/١٨٥

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ٤٠/٢٥

"ومنهم من يختاره راحة ودعة، فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في **حب الرياسة** والمأكلة .*١*المسألة الثانية*٢*TOP - http://www.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp?BID=132&CID=4من آمن بالنبي من رؤساء النصارى – http://www.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp?BID=132&CID=4 TOP -حديث النجاشيوأما (المسألة الثانية) وهي قولكم :هب أنهم اختاروا الكفر لذلك فهل لا اتبع الحق من لا رياسة له، ولا مأكلة، إما اختيارا وإما قهرا، فجوابه من وجوه :(أحدها)إنا قد بينا أن أكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختيارا لا، اضطرارا، وأكثرهم أولوا العقول والأحلام والعلوم ممن لا يحصيهم إلا الله، فرقعة الإسلام إنما انتشرت في الشرق والغرب بإسلام أكثر الطوائف، فدخلوا في دين الله أفواجاً، حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار .وقد بينا أن الذين أسلموا من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، أكثر من الذين لم يسلموا، وأنه إنما بقي منهم أقل القليل، وقد دخل في دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كثير، وهذا (ملك النصارى على إقليم الحبشة) في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما تبين له أنه رسول الله، آمن به، دخل في دينه، وآوى أصحابه، ومنعهم من أعدائهم .وقصته أشهر من أن تذكر .ولما مات أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر، ثم خرج بهم إلى المصلى، وصلى عليه، فروى الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت :." (١)

" الشهوة ففي قوله يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض أي لا تلن في الكلام فيطمع الذي في قلبه فجور وزناء قالوا والمرأة ينبغي لها اذا خاطبت الاجانب ان تغلظ كلامها وتقويه ولا تلينه وتكسره فان ذلك ابعد من الريبة والطمع فيها وللقلب امراض اخر من الرياء والكبر والعجب والحسد والفخر والخيلاء **وحب الرياسة** والعلو في الارض وهذا مرض مركب من مرض الشبهة والشهوة فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وارادة باطلة كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم فلا يخرج مرضه عن شهوة او شبهة او مركب منهما وهذه الامراض كلها متولدة عن الجهل ودواؤها العلم كما قال النبي صلى الله عليه و سلم في حديث صاحب الشجة الذي افتوه بالغسل فمات قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذ لم يعلموا انما شفاء العي السؤال فجعل العي وهو عي القلب عن العلم واللسان عن النطق به مرضا وشفاؤه سؤال العلماء فأمراض القلوب اصعب من امراض الابدان لان غاية مرض البدن ان يفضي بصاحبه الى الموت وأما مرض القلب فيفضي بصاحبه الى الشقاء الابدي ولا شفاء لهذا المرض الا بالعلم ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لامراض الصدور وقال تعالى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم منه وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ولهذا السبب نسبة العلماء الى القلوب كنسبة الاطباء الى الابدان وما يقال للعلماء اطباء القلوب فهو لقدر ما جامع بينهما والا فالامر اعظم فان كثيرا من الامم يستغنون عن الاطباء ولا يوجد الاطباء الا في اليسير من البلاد وقد يعيش الرجل عمره او برهة منه لا يحتاج الى طبيب واما العلماء بالله وامره فهم حياة الموجود وروحه ولا يستغنى عنهم طرفة عين فحاجة القلب الى العلم ليست كالحاجة الى التنفس في الهواء بل اعظم

---

(١) مختصر هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، ص/٥

وبالجملة فالعلم للقلب مثل الماء للسمك اذا فقده مات فنسبة العلم الى القلب كنسبة ضوء العين اليها وكنسبة سمع الاذن وكنسبة كلام اللسان اليه فإذا عدمه كان كالعين العمياء والاذن الصماء واللسان الاخرس ولهذا يصف سبحانه اهل الجهل بالعمى والصم والبكم وذلك صفة قلوبهم حيث فقدت العلم النافع فبقيت على عماها وصممها وبكمها قال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا والمراد عمى القلب في الدنيا وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم لانهم هكذا كانوا في الدنيا والعبد يبعث على ما مات عليه واختلف في هذا العمى في الاخرة فقيل هوعمى البصيرة بدليل اخباره تعالى عن رؤية الكفار ما في القيامة ورؤية الملائكة ورؤية النار وقيل هو عمي البصر ورجح هذا بان الاطلاق ينصرف اليه وبقوله قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وهذا عمي العين فان الكافر لم يكن بصيرا بحجته واجاب هؤلاء عن رؤية الكفار ." (١)

" علمائهم وهم اقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الايمان بعد تبين الهدى وأي اشكال يقع للعقل في ذلك فلم يزل في الناس من يختار الباطل فمنهم من يختاره جهلا وتقليدا لمن يحسن الظن به ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبرا وعلوا ومنهم من يختاره طمعا ورغبة في مأكل أو جاه أو رياسة ومنهم من يختاره حسدا وبغيا ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودعة فلم تنحصر اسباب اختبار الكفر في حب الرياسة والمأكلة من آمن بالنبي من رؤساء الناصى

فصل وأما المسألة الثانية وهي قولكم هب أنهم اختاروا الكفر لذلك فهل لا اتبع الحق من لا رياسة له ولا مأكلة اما اختبارا واما قهرا فجوابه من وجوه

أحدها انا قد بينا ان أكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختيارا لا اضطرارا وأكثرهم اولوا العقول والاحلام والعلوم ممن لا يحصيهم الا الله فرقعة الاسلام انما انتشرت في الشرق والغرب باسلام اكثر الطوائف فدخلوا في دين الله افواجا حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار وقد بينا ان الذين اسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا وانه انما بقي منهم أقل القليل وقد دخل في دين الاسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم خلق كثير وهذا ملك النصارى علىإقليم الحبشة في زمن النبي صلى الله عليه و سلم لما تبين له انه رسول الله آمن به دخل في دينه وآوى اصحابه ومنعهم من أعدائهم وقصته اشهر من أن تذكر ولما مات اعلم رسول الله صلى الله عليه و سلم اصحابه بالساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر ثم خرج بهم الى المصلى وصلى عليه فروي الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا على أن يبعثوا الى التجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارته بطريقا الا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وأمروهما أمرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا الى النجاشي هداياه ثم سلوه

---

(١) مفتاح دار السعادة، ١/١١١

أن يسلمهم اليكم قبل أن يكلمهم قالت فخرجنا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جوار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته ." (١)

" **حب الرياسة** والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة ويستعينوا بالصبر والصلاة ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها والآخرة واقبالها ودوامها وهؤلاء لا بد أن يبتدعوا فى الدين مع الفجور في العمل فيجتمع لهم الأمران فان اتباع الهوى يعمى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة فهذه آفة العلماء اذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات وهذه الآيات فيهم الى قوله

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الي الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه

وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمة وذلك من وجوه أحدها انه ضل بعد العلم واختار الكفر على الايمان عمدا ولا جهلا وثانيها أنه فارق الايمان مفارقه من لا يعود اليه أبدا فانه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها ولو بقى معه منها شيء لم ينسلخ منها وثالثها أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه ولهذا قال فاتبعه الشيطان ولم يقل تبعه فان فى معنى اتبعه أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظا ومعنى ورابعها أنه غوى بعد الرشد والغى الضلال فى العلم والقصد وهو أخص بفساد القصد والعمل كما أن الضلال أخص فساد العلم والاعتقاد فاذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر وإن اقترنا فالفرق ما ذكر وخامسها أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه لأنه لم رفع به فصار وبالا عليه فلو لم يكن عالما كان خيرا له وأخف لعذابه وسادسها انه سبحانه اخبر عن خسة همته وأنه اختار الاسفل الادني على الاشرف الاعلى وسابعها أن اختياره للادني لم يكن عن خاطر وحديث نفس ولكنه كان عن اخلاد الى الارض وميل بكليته الى ما هناك وأصل الاخلاد اللزوم على الدوام ." (٢)

"فإذا تدبر الإنسان حال نفسه وحال جميع الناس ؛ وجدهم لا ينفكون عن هذين الأمرين : لا بد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها ؛ وهو إلهها . ولا بد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها ؛ سواء كان ذلك هو الله أو غيره وإذا فقد يكون عاما وهو الكفر ، كمن عبد غير الله مطلقا ، وسأل غير الله مطلقا ، مثل عباد الشمس والقمر وغير ذلك الذين يطلبون منهم الحاجات ، ويفزعون إليهم في النوائب . وقد يكون خاصا في المسلمين ، مثل من غلب عليه حب المال ، أو حب شخص ، أو **حب الرياسة** ، حتى صار عبد ذلك ، كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة : إن أعطي رضي ، وإن منع سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ﴾ وكذلك من غلب عليه الثقة بجاهه وماله ، بحيث يكون عنده مخدومه من الرؤساء ونحوهم ، أو خادمه من الأعوان والأجناد ونحوهم ، أو أصدقائه أو أمواله هي التي تجلب المنفعة الفلانية وتدفع المضرة

---

(١) هداية الحيارى، ص/٢٣

(٢) الفوائد، ص/١٠١

الفلانية ، فهو معتمد عليها ومستعين بها والمستعان هو مدعو ومسئول . وما أكثر ما تستلزم العبادة الاستعانة ، فمن اعتمد عليه القلب في رزقه ونصره ونفعه وضره ؛ خضع له وذل ؛ وانقاد وأحبه من هذه الجهة وإن لم يحبه لذاته لكن قد يغلب عليه الحال حتى يحبه لذاته ، وينسى مقصوده منه ؛ كما يصيب كثيرا ممن يحب المال أو يحب من يحصل له به العز والسلطان . وأما من أحبه القلب وأراده وقصده ؛ فقد لا يستعينه ويعتمد عليه إلا إذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه ؛ كاستشعار المحب قدرة المحبوب على وصله." (١)

"خائنة : لها في السر أهواء وأفعال باطنة تخفى على الناس فلا يجوز المجادلة عنها قال تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ وقال تعالى : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ فإنه يعتذر عن نفسه بأعذار ويجادل عنها وهو يبصرها بخلاف ذلك وقال تعالى : ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ﴾ فهو يجادل عن نفسه بالباطل وفيه لدد : أي ميل واعوجاج عن الحق وهذا على نوعين : أحدهما أن تكون مجادلته وذبه عن نفسه مع الناس و " الثاني " فيما بينه وبين ربه بحيث يقيم أعذار نفسه ويظنها محقة وقصدها حسنا وهي خائنة ظالمة لها أهواء خفية قد كتمتها حتى لا يعرف بها الرجل حتى يرى وينظر قال شداد بن أوس : إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية قال أبو داود : هي **حب الرياسة** . وهذا من شأن النفس حتى إنه يوم القيامة يريد أن يدفع عن نفسه ويجادل الله بالباطل قال تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾." (٢)

"كذلك يجهمانه فيجعلانه منكرا لما في قلبه من معرفة الرب ومحبته وتوحيده . ثم المعرفة يطلبها بالدليل والمحبة ينكرها بالكلية . والتوحيد المتضمن للمحبة ينكره من لا يعرفه وإنما ثبت توحيد الخلق والمشركون كانوا يقرون بهذا التوحيد وهذا الشرك . فهما يشركانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه . وقد بسط الكلام على هذا الحديث وأقوال الناس فيه في غير هذا الموضع . وأيضا مما يبين أن الإنسان قد يخفى عليه كثير من أحوال نفسه فلا يشعر بها أن كثيرا من الناس يكون في نفسه **حب الرياسة** كامن لا يشعر به بل إنه مخلص في عبادته وقد خفيت عليه عيوبه . وكلام الناس في هذا كثير مشهور . ولهذا سميت هذه " الشهوة الخفية " . قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟ قال : **حب الرياسة** . فهي خفية تخفى على الناس وكثيرا ما تخفى على صاحبها . بل كذلك حب المال والصورة فإن الإنسان قد يحب ذلك ولا يدري . بل نفسه ساكنة ما دام ذلك موجودا فإذا فقده ظهر من." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٥/١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٤٤٥/١٤

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ٣٤٦/١٦

"لها القرابين وينذرون لها النذور ويقولون هذه تذكرنا بأولئك الصالحين . والشياطين تضلهم كما كانت تضل المشركين : تارة بأن يتمثل الشيطان في صورة ذلك الشخص الذي يدعى ويعبد فيظن داعيه أنه قد أتى أو يظن أن الله صور ملكا على صورته فإن النصراني مثلا يدعو في الأسر وغيره مار جرجس أو غيره فيراه قد أتاه في الهواء وكذلك أخر غيره وقد سألوا بعض بطارقتهم عن هذا كيف يوجد في هذه الأماكن فقال : هذه ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيث من يدعوه وإنما تلك شياطين أضلت المشركين . وهكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت أو يستغيث به عند قبره ويسأله وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره أو كلمه ببعض ما سأله عنه ونحو ذلك فيظنه الشيخ نفسه أتى إن كان حيا حتى أني أعرف من هؤلاء جماعات يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أتاهم في الهواء فيذكرون ذلك له . هؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ وهؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية فإن كان **يحب الرياسة** سكت وأوهم أنه نفسه أتاهم وأغاثهم وإن كان فيه صدق مع جهل وضلال قال : هذا ملك صوره الله على." (١)

"وثالثها : الترغيب والترهيب لمن يظن جواز ذلك . ورابعها : الأغراض الدنيوية لجمع الحطام . وخامسها : **حب الرياسة** بالحديث الغريب .فصل :الراوي إما أن تقبل روايته مطلقا أو مقيدا فأما المقبول إطلاقا فلا بد أن يكون مأمون الكذب بالمظنة وشرط ذلك العدالة وخلوه عن الأغراض والعقائد الفاسدة التي يظن معها جواز الوضع وأن يكون مأمون السهو بالحفظ والضبط والإتقان وأما المقيد فيختلف باختلاف القرائن ولكل حديث ذوق ويختص بنظر ليس للآخر .فصل :كم من حديث صحيح الاتصال ثم يقع في أثنائه الزيادة والنقصان فرب زيادة لفظة تحيل المعنى ونقص أخرى كذلك ومن مارس هذا الفن لم يكد يخفى عليه مواقع ذلك ولتصحيح الحديث وتضعيفه أبواب تدخل وطرق تسلك ومسالك تطرق.." (٢)

"ربه ﴾ أي : مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق ؛ فإن شاء عذب هذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له . وقد بسطنا الكلام في هذه الأبواب الشريفة والأصول الجامعة في القواعد وبينا أنواع الظلم وبينا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم ومسمى الشرك جليله ودقيقه ؟ فقد جاء في الحديث : " ﴿ الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ﴾ " . وروي أن هذه الآية نزلت في أهل الرياء ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ وكان شداد بن أوس يقول : يا بقايا العرب يا بقايا العرب إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قال أبو داود السجستاني صاحب السنن المشهورة : الخفية **حب الرياسة** . وذلك أن **حب الرياسة** هو أصل البغي والظلم كما أن الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك . والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ إلى أن ختم

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٧/٤٥٦

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٨/٤٧

السورة بقوله : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ﴾ وقال : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ وقال :." (١)

"الشَّيْخِ نَفْسِهِ الَّذِي اسْتَغَاثُوا بِهِ وَقَدْ رَأَوْهُ أَتَاهُمْ فِي الْهَوَاءِ فَيَذْكُرُونَ ذَلِكَ لَهُ . هَؤُلَاءِ يَأْتُونَ إلَى هَذَا الشَّيْخِ وَهَؤُلَاءِ يَأْتُونَ إلَى هَذَا الشَّيْخِ فَتَارَةً يَكُونُ الشَّيْخُ نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِتِلْكَ الْقَضِيَّةِ فَإِنْ كَانَ **يُحِبُّ الرِّيَاسَةَ** سَكَتَ وَأَوْهَمَ أَنَّهُ نَفْسَهُ أَتَاهُمْ وَأَغَاثَهُمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِ صِدْقٌ مَعَ جَهْلٍ وَضَلَالٍ قَالَ : هَذَا مَلَكٌ صَوَّرَهُ اللَّهُ عَلَى صُورَتِي . وَجَعَلَ هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ وَجَعَلَهُ عُمْدَةً لِمَنْ يَسْتَغِيثُ بِالصَّالِحِينَ وَيَتَّخِذُهُمْ أَرْبَابًا وَأَنَّهُمْ إذَا اسْتَغَاثُوا بِهِمْ بَعَثَ اللَّهُ مَلَائِكَةً عَلَى صُوَرِهِمْ تُغِيثُ الْمُسْتَغِيثَ بِهِمْ . وَلِهَذَا أَعْرِفُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ الشُّيُوخِ الْأَكَابِرِ الَّذِينَ فِيهِمْ صِدْقٌ وَزُهْدٌ وَعِبَادَةٌ لَمَّا ظَنُّوا هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ صَارَ أَحَدُهُمْ يُوصِي مُرِيدِيهِ يَقُولُ : إذَا كَانَتْ لِأَحَدِكُمْ حَاجَةٌ فَلْيَسْتَغِثْ بِي وليستنجدني وَلْيَسْتَوْصِنِي وَيَقُولُ : أَنَا أَفْعَلُ بَعْدَ مَوْتِي مَا كُنْت أَفْعَلُ فِي حَيَاتِي وَهُوَ لَا يَعْرِف أَنَّ تِلْكَ شَيَاطِينُ تَصَوَّرَتْ عَلَى صُورَتِهِ لِتُضِلَّهُ وَتُضِلَّ أَتْبَاعَهُ فَتُحَسِّنُ لَهُمْ الْإِشْرَاكَ بِاَللَّهِ وَدُعَاءَ غَيْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ وَأَنَّهَا قَدْ تُلْقِي فِي قَلْبِهِ أَنَّا نَفْعَلُ بَعْدَ مَوْتِك بِأَصْحَابِك مَا كُنَّا نَفْعَلُ بِهِمْ فِي حَيَاتِك فَيَظُنُّ هَذَا مِنْ خِطَابٍ إلَهِيٍّ أُلْقِيَ فِي قَلْبِهِ فَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَأَعْرِفُ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ لَهُ شَيَاطِينُ تَخْدُمُهُ فِي حَيَاتِهِ بِأَنْوَاعِ الْخَدَمِ مِثْلَ خِطَابِ أَصْحَابِهِ الْمُسْتَغِيثِينَ بِهِ وَإِعَانَتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا مَاتَ صَارُوا يَأْتُونَ أَحَدَهُمْ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ وَيُشْعِرُونَهُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَيُرْسِلُونَ إلَى أَصْحَابِهِ رَسَائِلَ بِخِطَابِ وَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ بِي بَعْضُ أَتْبَاعِ هَذَا الشَّيْخِ وَكَانَ فِيهِ زُهْدٌ وَعِبَادَةٌ وَكَانَ يُحِبُّنِي وَيُحِبُّ هَذَا الشَّيْخَ وَيَظُنُّ أَنَّ هَذَا مِنْ الْكَرَامَاتِ وَأَنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَمُتْ وَذَكَرَ لِي الْكَلَامَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقَرَأَهُ فَإِذَا هُوَ كَلَامُ الشَّيَاطِينِ بِعَيْنِهِ وَقَدْ ذَكَرَ لِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ اسْتَغَاثُوا بِي فَرَأَوْنِي فِي الْهَوَاءِ وَقَدْ أَتَيْتهمْ وَخَلَّصْتهمْ مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ مِثْلَ مَنْ أَحَاطَ بِهِ النَّصَارَى الْأَرْمَنُ لِيَأْخُذُوهُ وَآخَرُ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْعَدُوُّ وَمَعَهُ كُتُبٌ مُلَطِّفَاتٌ مِنْ مناصحين لَوْ اطَّلَعُوا عَلَى مَا مَعَهُ لَقَتَلُوهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَذَكَرْت لَهُمْ أَنِّي مَا دَرَيْت بِمَا جَرَى أَصْلًا وَحَلَفْت لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَظُنُّوا أَنِّي كَتَمْت ذَلِكَ كَمَا تُكْتَمُ الْكَرَامَاتُ وَأَنَا قَدْ عَلِمْت أَنَّ الَّذِي فَعَلُوهُ لَيْسَ بِمَشْرُوعِ بَلْ هُوَ شِرْكٌ وَبِدْعَةٌ ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي فِيمَا بَعْدُ وَبَيَّنْت لَهُمْ أَنَّ هَذِهِ شَيَاطِينُ تَتَصَوَّرُ عَلَى صُورَةِ الْمُسْتَغَاثِ بِهِ . وَحَكَى لِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الشُّيُوخِ أَنَّهُ جَرَى لِمَنْ اسْتَغَاثَ بِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ وَحَكَى خَلْقٌ كَثِيرٌ أَنَّهُمْ اسْتَغَاثُوا بِأَحْيَاءِ وَأَمْوَاتٍ فَرَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَفَاضَ هَذَا حَتَّى عُرِفَ أَنَّ هَذَا مِنْ الشَّيَاطِينِ وَالشَّيَاطِينُ تُغْوِي الْإِنْسَانَ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ أَوْقَعَتْهُ فِي الشِّرْكِ الظَّاهِرِ وَالْكُفْرِ الْمَحْضِ فَأَمَرَتْهُ أَنْ لَا يَذْكُرَ اللَّهَ وَأَنْ يَسْجُدَ لِلشَّيْطَانِ وَيَذْبَحَ لَهُ وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَأْكُلَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَيَفْعَلَ الْفَوَاحِشَ وَهَذَا يَجْرِي كَثِيرًا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ الْمَحْضِ وَبِلَادٍ فِيهَا كُفْرٌ وَإِسْلَامٌ ضَعِيفٌ وَيَجْرِي فِي بَعْضِ مَدَائِنِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَضْعُفُ إيمَانُ أَصْحَابِهَا حَتَّى قَدْ جَرَى ذَلِكَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ عَلَى أَنْوَاعٍ يَطُولُ وَصْفُهَا وَهُوَ فِي أَرْضِ الشَّرْقِ قَبْلَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ فِي التَّتَارِ كَثِيرٌ جِدًّا وَكُلَّمَا ظَهَرَ فِيهِمْ الْإِسْلَامُ وَعَرَفُوا حَقِيقَتَهُ قَلَّتْ آثَارُ الشَّيَاطِينِ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا يَخْتَارُ." (٢)

" تعليق ابن تيمية

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز)، ١٦٢/١٨

(٢) رسالة في تفسير سورة الإخلاص، ص/١١٣

قلت : بيان هذا أنه إذا قيل : صنعة أو فعل كان هذا اللفظ متضمنا صانعا فاعلا كما إذا قيل : فاعل صانع كان ذلك متضمنا فعلا وصنعة وذلك لأن المصدر يستلزم الفاعل كما يستلزم الفاعل المصدر فكما أن العقل يعلم امتناع فاعل لا فعل له فهو يعلم امتناع فعل لا فاعل له

و القاضي أبو بكر قرر هذا الوجه أيضا بناء على أن العلم بافتقار المحدث إلى محدث ليس بضروري وزعم أن الأشعري يقول بذلك كما تقدم من قوله : (إنا لا ندعي – ولا صاحب الكتاب – أن العلم باستحالة وقوع الصنعة لا من صانع شيء يدرك من جهة الضرورات)

ومن المعلوم أن كلام الأشعري ليس فيه شيء من هذا ولم يذكر في كلامه أن العلم بافتقار الصنعة إلى صانع يقرر بأن استلزام الصنعة للصانع كاستلزام الصانع للصنعة ولا بأن ذلك يتضمن تقديما وتأخيرا فيفتقر إلى مقدم ومؤخر

ثم إن القاضي قرر ذلك بأن ذلك التقدم والتأخر لا يجوز أن يكون لعلة تقوم بالمتقدم والمتأخر لأنه ليس وجود العلة به بأولى من وجودها بغيره إذا لم يكن هناك موجد وكذلك وجود سائر العلل المجانسة لها لسائر ما يحتمله ذلك الجنس الذي وجدت به العلة ولأن ذلك يتضمن تقدم علة على علة فتفتقر أيضا إلى لعة متقدمة وذلك يفضي إلى وجود حوادث لا نهاية لها وهو محال

وهذه المقدمة فيها نزاع مشهور لكنه احتج بها على من يسلمها من المعتزلة ولأنه عند نفسه قد أقام الدليل عليها في موضع آخر

وأيضا فإنه بنى دليله على تماثل الجواهر وهذا فيه نزاع مشهور لكنه أحال على تقريره لذلك في موضع آخر

وإبطال هذا القسم يظهر بدون هذه الأدلة التي اعتمد عليها وذلك أن الكلام في حدوث ما يحدث من الحوادث التي تقدمت وتأخرت وهذه لا تقوم بها العلل في حال عدمها إنما تقوم بها في حال وجودها فيمتنع أن يكون حدوثها لمعنى قام بها قبل حودثها لأن المعدوم لا يحدث الموجود ولا يكون المعدوم علة للموجود

ولكن سلوك هؤلاء لهذه الطرق البعيدة التي فيها شبهة وطول دون الطرق القريبة التي هي أقرب وأقطع قد يكون لكون المناظر لهم لا يسلم صحة الطرق القريبة الواضحة القطعية إما عنادا منه وإما لشبهة عرضت له افسدت عقله وفطرته مثلما يعرض كثيرا لهؤلاء فيحتاج مع من يكون كذلك إلى أن يعدل معه إلى طريق طويلة دقيقة يسلم مقدماتها مقدمة مقدمة إلى أن تلزمه النتيجة بغير اختياره وإن كانت المقدمات التي مانعها أبين وأقطع من المقدمات التي سلمها لكن هذا يحتاج إليه كثيرا في مخاطبة الخلق فكم من شخص لا يقبل شهادة العدول الذين لا يشك في صدقهم ويقبل شهادة من هو دونهم : إما لجهله وإما لظلمه وكذلك كم من الخلق من يرد أخبارا متواترة مستفيضة ويقبل خبر من يحسن به الظن لاعتقاده أنه لا يكذب وكم من الناس من يرد ما يعلم بالدلائل السمعية والعقلية ويقبله إذا رآى مناما يدل على ثبوته أو قاله من يحسن به الظن لثقة نفسه بهذا أكثر من هذا وكم ممن يرد نصوص الكتاب والسنة حتى يقول ما يوافقها شيخه أو إمامه فيقبلها حينئذ لكون نفسه اعتادت قبول ما يقوله ذلك المعظم عنده ولم يعتد تلقي العلم من الكتاب والسنة ومثل هذا كثير

فكذلك كثير من الناس قد يألف نوعا من النظر والاستدلال فإذا أتاه العلم على ذلك الوجه قبله وإذا أتاه على غير ذلك الوجه لم يقبله وإن كان الوجه الثاني أصح وأقرب كمن تعود أن يحج من طريق بعيدة معطشة مخوفة وهناك طرق أقرب منها آمنة وفيها الماء لكن لما لم يعتدها نفرت نفسه عن سلوكها

وكذلك الأدلة التي فيها دقة وغموض وخفاء قد ينتفع بها من تعودت نفسه الفكرة في الأمور الدقيقة ومن يكون تلقيه للعلم عن الطرق الخفية التي لا يفهمها أكثر الناس أحب إليه من تلقيه له من الطرق الواضحة التي يشركه فيها الجمهور ومثل هذا موجود في المطاعم والمشارب والملابس والعادات لما في النفوس من **حب الرياسة**

فهذه الطرق الطويلة الغامضة التي تتضمن تقسيمات أو تلازمات أو إدراج جزيئات تحت كليات قد ينتفع بها من هذا الوجه في حق طائفة من الناظرين والمناظرين وإن كان غير هؤلاء من أهل الفطر السليمة والأذهان المستقيمة لا يحتاج إليها بل إذا ذكرت عنده مجها سمعه ونفر عنها عقله ورأى المطلوب أقرب وأيسر من أن يحتاج إلى هذا فإن علم العقول بافتقار المحدث إلى محدث أبين وأظهر من علم العقول بأن تخصيص أحد المثلين بشيء دون الآخر يحتاج إلى مخصص ومن تصور هاتين القضيتين حق التصور لم يمكنه – مع الشك في الأولى – أن يجزم بالثانية بل قد لا يتصور إحداهما حق التصور

ألا ترى أنه إذا قيل لمن صدق بالثانية : لم قلت : إن التقديم والتأخير لا بد له من مقدم ومؤخر ؟ رجع إلى فطرته السليمة وحكم بذلك وغايته أن يقول : الأشياء المتساوية لا يترجح بعضها على بعض إلا بمرجح فلو قال قائل : لما قلت ذلك ؟ ولم لا يجوز أن يترجح هذا على هذا إلا بمرجح أصلا ؟ ويختص بما اختص به لا لمخصص أصلا ؟ لكان إنكاره لقول هذا القائل دون إنكاره لقول من قال : لم قلت : إن هذه الحوادث لا تحدث إلا بمحدث ؟

وهذا التأليفات والتركيبات الحادثة كانت بعد أن لم تكن لا بمؤلف ولا مركب فإن ترجيح أحد المتساويين الحادثين على الآخر بلا مرجح هو نوع من حدوث الحادث بلا محدث فإن سوغ العقل حدوث حادث بلا محدث سوغ ان يحدث أحد المثلين دون الآخر بلا مخصص لحدوثه

وهل تخصيص أحد الحادثين بوقت دون وقت أو شكل دون شكل أو وصف دون وصف إلا نوع من حدوث حادث ؟ فإن الصفات والأشكال حوادث والتقدم والتأخر إضافة للحوادث إلى وقتها فهو صفة في الحدوث كإضافة الحادث إلى مكانه وكل ذلك مما يعلم بصريح العقل وفطرته السليمة أنه لا بد له من محدث مخصص فاعل مؤلف سواه

ولهذا لم يحتج الأشعري إلى أن يقيم على ذلك دليلا كما فعله القاضي أبو بكر وأتباعه إلا أن يكون في موضع آخر فعل كما فعلوا ولعله إن فعل ذلك لأجل عناد المناظرين أو جهلهم فسلك بهم الطريق البعيدة لما لم يسلكوا الطريق القريبة لا لأنه عنده يحتاج إلى الطريق البعيدة

ولهذا لا توجد هذه الطريق البعيدة في كلام أحد من السلف والأئمة ولا ذكرت في القرآن فإنها من باب تضييع الزمان وإتعاب الحيوان في غير فائدة والقرآن لا يذكر فيه مخاطبة كل مبطل بكل طريق ولا ذكر كل ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها فإن هذا لا نهاية له ولا ينضبط وإنما يذكر الحق والأدلة الموصلة إليه لذوي الفطر السليمة ثم إذا اتفق

معاند أو جاهل كان من يخاطبه من المسلمين مخاطبا له بحسب ما تقتضيه المصلحة كما يحتاج إلى الترجمة أحيانا وكما قد يستدل على أهل الكتاب بما يوجد عندهم من التوراة والإنجيل

ففي الجملة : الطرق التي تختص بطائفة طائفة مع طولها وثقلها على جمهور الخلق لا تكون في مثل الكتاب العزيز الذي جعله الله شفاء ورحمة ودعا به الخلق جميعهم ليخرجهم به من الظلمات إلى النور فإن مثل هذا الكتاب العزيز لا يليق أن يذكر فيه من الطرق ما يثقل على جمهور الخلق ويستركونه ويعدونه لكنة وعيا لا يحتاج إليه ويرونه من باب إيضاح الواضحات كما لو ذكر فيه الرد على السوفسطائية ببيان أن الشمس موجودة والقمر موجود والبحار موجودة والجبال موجودة والكواكب موجودة وأن الإنسان يعلم هذا بالمشاهدة - ونحو ذلك - لكن هذا مما يستقبح ذكره ويستثقله ويستركه جمهور العقلاء لأن هذا عندهم أمر معلوم مستقر في عقولهم لا يحتاجون فيه إلى خطاب عالم من العلماء فضلا عن كتاب منزل من السماء

وإذا قدر أن بعض الناس احتاج إلى إزالة ما عرض له من هذه الشبه السوفسطائية كان هذا من الأمراض النادرة التي لا تعرض لجمهور العقلاء وعلاج هذا لا يحتاج إلى كتاب منزل من السماء يقصد به هدى الخلق وبيان ما يحتاجون إليه في صلاح أمورهم

ولو ذكر في القرآن مثل هذا لم يكن لما يذكر من ذلك غاية لأن الخواطر الفاسدة لا نهاية لها ولا ضابط فكان يضيع زمان الناس في القراءة والسماع لما لا ينتفع به جماهيرهم ويشتغلون بذلك عما لا بد لهم منه ولا يصلح أمرهم إلا به

ونحن لم يكن بنا حاجة - في الإيمان بالله ورسوله - إلى مثل هذه الطرق وإنما ذكرناها لما كان الذين سلكوها يعارضون كلام الله ورسوله بمقتضاها يزعمون أنه قد قامت عندهم أدلة عقلية تناقض ما جاءت به الرسل فكشفنا حقائق هذه الطرق التي يعرضون بها لنبين أن ما عارض النصوص منها لا يكون إلا باطلا وما لم يعارض النصوص : فقد يكون حقا وقد يكون باطلا وماكان حقا ولم يعارض النصوص فقد لا يحتاج إليه بل في الطرق العقلية التي دلت النصوص عليها وهدت إليها ما يغني عن ذلك بل تلك الطرق أقوى وأقرب وأنفع فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

وقد قال تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ والصراط المستقيم هو أقرب الطرق إلى المطلوب بخلاف الطرق المنحرفة الزائفة فإنها إما أن لا توصل وإما أن توصل بعد تعب عظيم وتضييع مصالح أخر فالطرق المبتدعة إن عارضت كانت باطلا وإن لم تعارض فقد تكون باطلا وقد تكون حقا لا يحتاج إليه مع سلامة الفطرة

ولهذا كل من كان إلى طريق الرسالة والسلف أقرب كان إلى موافقة صريح المعقول وصحيح المنقول أقرب ف القاضي أبو بكر وإن كان أقرب إلى صريح المعقول وصحيح المنقول في أصول الدين - بخلاف أصول الفقه - من أبي المعالي وأتباعه و الأشعري أقرب إلى ذلك من القاضي أبي بكر و أبو محمد بن كلاب أقرب إلى ذلك من أبي الحسن والسلف والأئمة أقرب إلى ذلك من ابن كلاب فكل من كان إلى الرسول أقرب كان أولى بصريح المعقول وصحيح المنقول لأن كلام المعصوم هو الحق الذي لا باطل فيه وهو المبلغ عن الله كلامه وخير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة

ومما يبين ذلك أن ما ذكره القاضي أبو بكر من الطريقين البعيدين اقربهما مبني على أن دلالة الصنعة على الصانع كدلالة الصانع على الصنعة وهذا إنما يدل من جهة الاشتقاق اللفظي كما تقدم

ومن المعلوم أن من شاهد الحوادث قبل أن يعلم أن لها صانعا لا يعلم أنها صنعة ولا مفعولة لفاعل حتى يتضمن علمه بأحدهما علمه بالآخر فإن لم يعلم أن الحادث لا بد له من محدث لم يعلم أنها مفعولة ولا مصنوعة فضلا عن أن يعلم أن لها صانعا فاعلا وإذا علم أنها مصنوعة مفعولة امتنع مع ذلك أن لا يعلم أن لها صانعا فاعلا

يوضح ذلك أن علم الناس بأن الصنعة مفتقرة إلى الصانع ليس بدون علمهم بأن الصانع لا بد له من صنعة بل علمهم بالأول قد يكون أقوى من الثاني وذلك لأنه أراد بكلامه أن الصانع لا يكون صانعا الإبصنعة والفاعل لا يكون فاعلا إلا بفعل وهذا صحيح ولكن ليس هذا بأبين من كون المصنوع لا يكون مصنوعا إلا بصانع والمفعول لا يكون مفعولا إلا بفاعل والفعل لا يكون فعلا إلا بفاعل والصنعة لا تكون صنعة إلا بصانع بل إذا رأوا الحادث علموا بعقولهم أنه لا بد له من فاعل أحدثه وقد يرون ما يصلح أن يكون فاعلا ولا يعلمون : هل فعل شيئا أو لم يفعله ؟ فكان فيما ذكره بيان الأبين الأظهر بالأخفى وهم يمنعون من تحديد الأظهر بالأخفة وقد قلنا : إن مثل هذا قد يستعمل مع جهل المخاطب أو عناده ونحو ذلك

وأما الطريق الثانية التي جعلها القاضي أبو بكر معتمدة فهي مع طولها يمكن تقريرها بمقدمات صحيحة لكنه أدخل في بعض مقدماتها تماثل الجواهر وتناهي الحوادث ومعلوم لكل مؤمن عاقل أن الإقرار بالصانع لا يفتقر إلى هذا وهذا بل وعلم الخلق بأن الحادث لا بد له من محدث لا يفتقر لا إلى هذا ولا إلى هذا وهو ذكر هاتين المقدمتين مع غيرهما وفيما ذكره من غيرهما غنية عنهما فإن تماثيل الأعراض كأجزاء السواد يغنيه عن تماثل الجواهر وما ذكره من الوجه الأول في امتناع التقدم لعلة يغنيه عن الوجه الثاني المبني على تناهي الحوادث

ثم مما ينبغي أن يعرف أن الذين سلكوا الطرق المبتدعة في إثبات الصانع وتصديق رسله إذا اعتقدوا أنه لا طريق إلا ذلك الطريق جعلوا من خالفهم في صحة تلك الطريق ملحدا أو دهريا أو نحو ذلك وهذا يذكرونه في مواضع

منها : أنهم لما اعتقدوا أن إثبات الصانع تعالى موقوف على إثبات الجوهر الفرد جعلوا إثبات ذلك من أقوال المسلمين ونفي ذلك من أقوال الملحدين

وكذلك قد يقولون : إن تماثل الجواهر والأجسام من أقوال المسلمين ونفي ذلك من أقوال الملحدين وكذلك قد يقولون : إن تناهي الحوادث من أقوال المسلمين والقول بعدم تناهيها من أقوال الدهرية الملحدين ولهذا نظائر مع أن الذين يضيفونه إلى المسلمين قد يكون إنما ابتدعه طائفة من أهل الكلام الذي ذمه السلف والأئمة والقول الآخر هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها وجمهور الخلق

وكذلك قد يضيفون إلى السنة ما لا يوجد في كتاب ولا سنة ولا قول أحد من السلف بل قد يكون المأثور ضد ذلك حتى يتناقض أحدهم في النقل فيحكي إجماع المسلمين أو إجماع أهل الملل على شيء ثم يحكي النزاع عنهم في موضع آخر ." (١)

"يقبله وان كان الوجه الثاني أصح وأقرب كمن تعود أن يحج من طريق بعيدة معطشة مخوفة وهناك طرق اقرب منها آمنة وفيها الماء لكن لما لم يعتدها نفرت نفسه عن سلوكها

وكذلك الأدلة التي فيها دقة وغموض وخفاء قد ينتفع بها من تعودت نفسه الفكرة في الأمور الدقيقة ومن يكون تلقيه للعلم عن الطرق الخفية التي لا يفهمها اكثر الناس احب اليه من تلقيه له من الطرق الواضحة التي يشركه فيها الجمهور ومثل هذا موجود في المطاعم والمشارب والملابس والعادات لما في النفوس من **حب الرياسة**

فهذه الطرق الطويلة الغامضة التي تتضمن تقسيمات أو تلازمات أو إدراج جزئيات تحت كليات قد ينتفع بها من هذا الوجه في حق طائفة من الناظرين والمناظرين وان كان غير هؤلاء من أهل الفطر السليمة والاذهان المستقيمة لا يحتاج اليها بل إذا ذكرت عنده مجها سمعه ونفر عنها عقله ورأى المطلوب أقرب وأيسر من أن يحتاج إلى هذا فإن علم العقول بافتقار المحدث إلى محدث أبين

". (٢)

"وإن كان قول الرافضة راج بعد ذلك على قوم فيهم إيمان لفرط جهلهم ، ومما يبين ذلك أن يقال : أي داع كان للقوم في أن ينصروا عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، ويقاتلوا معها عليا ، ولا ينصرون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقاتلون معها ومع زوجها الوصي أبا بكر وعمر ؟؟!!فإن كان القوم الذين فعلوا هذا يحبون الرياسة ويكرهون إمارة علي عليهم كان حبهم للرياسة يدعوهم إلى قتال أبي بكر بطريق الأولى، فإن رياسة بيت علي أحب إليهم من رياسة بيت أبي بكر ، ولهذا قال صفوان بن أمية يوم حنين لما ولوا مدبرين وقال بعض الطلقاء : والله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من ثقيف، وصفوان رأس الطلقاء كان أن يربيه رجل من بني عبد مناف أحب إليه من أن يربه رجل من بني تيم ، **فحب الرياسة** إذا كان هو الداعي كان يدعوهم إلى تقديم بني هاشم على بني تيم باتفاق العقلاء ، ولو لم يقدموا عليا لقدموا العباس، فإن العباس كان أقرب إلى موافقتهم على المطالب الدنيوية من أبي بكر، فإن كانوا قد أقدموا على ظلم الوصي الهاشمي لئلا يحملهم على الحق الذي يكرهونه، كان تقديم من يحصل مطالبهم مع الرياسة الهاشمية وهو العباس أولى وأحرى من أبي بكر، الذي لا يعينهم على مطالبهم كإعانة العباس ، ويحملهم على الحق المر أكثر مما يحملهم عليه علي، فلو كره من علي حق مر لكان ذلك من أبي بكر أكره ، ولو أريد من أبي بكر دنيا حلوة، لكان طلبها عند العباس وعلي أقرب، فعدولهم عن علي وعن العباس وغيرهما إلى أبي بكر دليل على أن القوم وضعوا الحق في نصابه ، وأقروه

---

(١) درء التعارض، ١٤٣/٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨٦/٨

في إهابه ، وأتوا الأمر الأرشد من بابه ، وأنهم علموا أن الله ورسوله كانا يرضيان تقديم أبي بكر رضي الله عنه ، وهذا أمر كان معلوما لهم علما ظاهرا بينا، لما رأوه وسمعوه من." (١)

"٨٣/٤٥٥- الفضائل ثلاث : فضيلة العقل والعلم والإيمان : التي هي كمال القوة المنطقية ، وفضيلة الشجاعة التي هي كمال القوة الغضبية ، وكمال الشجاعة هو الحلم ..وفضيلة السخاء والجود التي هي كمال القوة الطلبية الحِبِّية . (١٥ / ٤٣٢)٨٤/٤٥٦- كمال الشجاعة هو الحلم . (١٥ / ٤٣٢)٨٥/٤٥٧- لا تَكُفُّ النفوس عن الظلم إلا بالقوة الغضبية الدفعية (١٥ / ٤٣٥)٨٦/٤٥٨- لا تعجز عن مأمور ، ولا تجزع من مقدور . (١٦ / ٣٨) وانظر (٤٠٨)٨٧/٤٥٩- ولا يجعل همته فيما حُجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن ، إما بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها ... فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه . (١٦ / ٥٠)٨٨/٤٦٠- التقي لا يُحرم ما يحتاج إليه من الرزق ، وإنما يُحمى من فضول الدنيا رحمة به وإحساناً إليه. (١٦ / ٥٣)٨٩/٤٦١- ليس من الأعضاء أشد ارتباطاً بالقلب من العينين . (١٦ / ٢٢٥) ولذا جمع بينهما (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) (تتقلب فيه القلوب والأبصار)٩٠/٤٦٢- كثير من الناس يكون في نفسه **حب الرياسة** كامنٌ ، لا يشعر به ؛ بل إنه مخلص في عبادته ، وقد خفيت عليه عيوبه .(١٦ / ٣٤٦) وانظر (٤٤٧)٩١/٤٦٣- قيل : النعاس في مجلس الذكر من الشيطان . (١٧ / ٥٢٢) وانظر (٤٥٠)٩٢/٤٦٤- قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن والإرادة . (١٨ / ٥٨) (٩ / ٣٧)٩٣/٤٦٥- ليس كل مالا يملكه الإنسان لا يحصل له من جهته منفعة (١٨ / ١٤٣)٩٤/٤٦٦- **حب الرياسة** هو أصل البغي والظلم . (١٨ / ١٦٢)٩٥/٤٦٧- متى قوي علم القلب وذكره أوجب قصده وعلمه . (١٨ / ١٦٤)٩٦/٤٦٨- الإخلاص في النفع المعتدي أقل منه في العبادات البدنية . (١٨ / ٢٦١)٩٧/٤٦٩- لو كُلِّف العباد أن يعملوا عملاً بغير نية كُلِّفوا مالا يطيقون . (١٨ / ٢٦٢)٩٨/٤٧٠- الوسوسة إنما تحصل للعبد من جهل بالشرع أو خبل بالعقل . قاله بعض العلماء (١٨ / ٢٦٣)." (٢)

" محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوب من العبادة كما قال النبي في الحديث الصحيح

تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش

وذلك كما جاء في الحديث إن الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقا للتوحيد من هذه الأمة ولهذا كان شداد بن أوس يقول يا نعايا العرب يا نعايا العرب إن أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود الشهوة الخفية **حب الرياسة**

وفي حديث الترمذى عن كعب بن مالك أن النبي قال ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه قال الترمذي حديث حسن صحيح والحرص يكون على قدر قوة الحب والبغض

---

(١) رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة، ١/١٤٠

(٢) عبارات رائقات لابن تيمية، ص/٤٢

وقد قال الله تعالي وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي إذا كان ." (١)

"ولهذا ينبغي للمؤمن أن يقدم على أمور الخير ويخلص فيها نيته وقصده ويجاهد نفسه في ذلك فإنه على شعبة من شعب الخير ، وإذا رأى من نفسه **حب الشهرة** أو حب الجاه أو حب السمعة أو حب الرفعة حتى في كلمة تقولها بين أصحابك فإنه يوم القيامة لا بد وأن تحاسب على كل شيء والإخلاص هو الذي به تصلح الأعمال وتحسن وفرق بين المقامات ، والله جل وعلا هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .أسأل الله جل وعلا لنا جميعا أن يغفر ذنوبنا وأن يكفر عنا سيئاتنا وأن يجعلنا ممن كتب له المقام العظيم في جنات عدن ، نسأل الله جل وعلا الفردوس الأعلى من الجنة ونسأله جل وعلا أن يجعلنا من الذين تعلموا فعملوا ومن الذين كانوا أئمة للمتقين بغير حب لنظر الخلق وفي غير محبة لإعجاب الناس أسأل الله جل وعلا لي ولكم ذلك وأن يعفو عنا ويتسامح .وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ...شفاعاتالنبي صلى الله عليه وسلم- ٢ -وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات:أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.وهاتان الشفاعتان خاصتان له.وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.." (٢)

"وَ (الْفَوَاحِشَ) جَمْعُ فَاحِشَةٍ ؛ وَهِيَ الْفِعْلَةُ الْمُتَنَاهِيَةُ فِي الْقُبْحِ ، وَخَصَّهَا بَعْضُهُمْ بِمَا تَضَمَّنَ شَهْوَةً وَلَذَّةً مِنَ الْمَعَاصِي ؛ كَالزِّنَا ، وَاللِّوَاطِ ، وَنَحْوِهِمَا مِنَ الْفَوَاحِشِ الظَّاهِرَةِ ، وَكَالْكِبْرِ وَالْعَجَبِ **وَحُبِّ الرِّيَاسَةِ** مِنَ الْفَوَاحِشِ الْبَاطِنَةِ .وَأَمَّا (وَالْإِثْمَ) ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهُ بِمُطْلَقِ الْمَعْصِيَةِ ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْهُ مَا دُونَ الْفَاحِشَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَصَّهُ بِالْخَمْرِ ؛ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْإِثْمِ .وَأَمَّا الْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ ؛ فَهُوَ التَّسَلُّطُ وَالِاعْتِدَاءُ عَلَى النَّاسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ الْقِصَاصِ وَالْمُمَاثَلَةِ .." (٣)

"وعلو بعضهم على بعض يقتضي أن يكون الإله هو العالي وحده.وأما قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ ﴾ ؛ فهو نهيٌ لهم أن يشبِّهوه بشيء من خلقه؛ فإنه سبحانه له المثل الأعلى الذي لا يشركه فيه مخلوق.وقد قدَّمنا أنه لا يجوز يستعمل في حقه من الأقيسة ما يقتضي المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره؛ كقياس التمثيل وقياس الشمول.وإنما يستعمل في ذلك قياس الأولى الذي مضمونه أن كل كمالٍ وجوديّ غيرِ مستلزمٍ للعدم ولا للنقص بوجهٍ من الوجوه اتَّصف به المخلوق فالخالق أولى أن يتَّصف به؛ لأنه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال، ولأنه لو لم يتَّصف بذلك الكمال - مع إمكان أن يُتَّصف به - لكان في الممكنات من هو أكمل منه، وهو محالٌ، وكذلك كل نقصٍ يتنزَّه عنه المخلوق، فالخالق

---

(١) قاعدة في المحبة، ص/٩٩

(٢) شرح العقيدة الواسطية /صالح آل الشيخ، ٢/٥٩

(٣) شرح العقيدة الواسطية /هراس، ص/١٥٨

أولى بالتنزُّه عنه.وأما قوله: ﴿ قلْ إِنَّمَا حَرَّمَ... ﴾ إلخ؛ ف ﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصرٍ تفيد اختصاص الأشياء المذكورة بالحرمة، فيفهم أن مَن عداها من الطَّيِّبات فهو مباحٌ لا حرج فيه؛ كما أفادته الآية التي قبلها.و ﴿ الْفَوَاحِشَ ﴾ جمع فاحشة؛ وهي الفعلة المتناهية في القبح، وخصَّها بعضهم بما تضمَّن شهوة ولذة من المعاصي؛ كالزنا، واللواط، ونحوهما من الفواحش الظاهرة، وكالكبر والعجب **وحب الرياسة** من الفواحش الباطنة.وأما ﴿ وَالإِثْمَ ﴾ ؛ فمنهم مَن فسره بمطلق المعصية، فيكون المراد منه ما دون الفاحشة، ومنهم مَن خصَّه بالخمر؛ فإنها جِماع الإثم.وأما ﴿ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ فهو التسلُّط والاعتداء على الناس من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص والمماثلة.." (١)

"مشهور ذكره ابن إسحاق في السير وغيره مضمنة أن سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا يا محمد إن كنت **تحب الرياسة** وليناك علينا وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في باب الاحتجاج عليه فقالوا له ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق وتريد التماس الرزق أي إن من كان رسول الله مستغن عن جميع ذلك ثم قالوا له سل ربك أن ينزل معك ملكا ينذر معك أو يلقي إليك كنزا تنفق منه أو يرد لك جبال مكة ذهبا أو تزال الجبال ويكون مكانها جنات تطرد فيها المياه وأشاعوا هذا المحاجة فنزلت الآية وكتبت اللام مفردة من قولهم " مال " هذا إما لأن على المصحف قطع لفظه فاتبعه الكاتب وإما لأنهم رأوا أن حروف الجر بابها الانفصال نحو في ومن وعلى وعن وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر يأكل منها بالياء وقرا حمزة والكسائي نأكل منها بالنون وهي قراءة ابن وثاب وابن مصرف وسليمان بن مهران ثم أخبر تعالى عنهم وهم " الظالمون " الذين أشير إليهم أنهم قالوا حين يئسوا من محمد صلى الله عليه وسلم " إن يتبعون إلا رجلا مسحورا " أي قد سحر فهو لا يرى مراشدة ويحتمل " مسحورا " أن يكون من السحر وهي الرؤية فكأنهم ذهبوا إلى تحقيره أي رجلا مثلكم في الخلقة ذكره مكي وغيره ثم نبهه الله تعالى مسليا عن مقالتهم فقال " انظر كيف ضربوا لك الأمثال " بالمسحور والكاهن والساحر وغيره " فضلوا " أي أخطئوا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال وقوله تعالى " تبارك الذي " الآية رجوع بأمور محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أي هذه جهتك لا هؤلاء الضالون في أمرك والإشارة في ذلك قال مجاهد هي إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا وقال ابن عباس هي إلى أكله الطعام ومشيه في الأسواق وقال الطبري والأول أظهر .قال القاضي أبو محمد لأن هذا التأويل الثاني." (٢)

"ج ٢ ، ص : ١٥٥لكن قليلا من الذين أنجيناهم مع رسلهم كانوا أولى بقية نهوا عن المنكر وأمروا بالمعروف ، واتبع الذين ظلموا أنفسهم - وهم الأكثرية الكثيرة في تلك الأمم - ما أترفوا فيه ، من نعمة وعافية ودولة وسلطان ، فكانت الأكثرية لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر ، ولكنهم عقدوا عزمهم على اتباع الشهوات ، وساروا وراء ما فيه التنعم والترف من **حب الرياسة** والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا ما وراء ذلك ، ونبذوه وراءهم ظهريا ، وكانوا مجرمين! وأى إجرام أكثر من هذا ؟ومن هنا يعلم أن الترف هو الذي يدعو إلى السرف المفضى إلى الفسوق والعصيان والظلم والإجرام

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية تأليف محمد خليل هراس، ص/٨٥

(٢) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤/٢٤٤

، يظهر هذا في الكبار والموسرين ثم ينتقل إلى الفقراء المعوزين فتسوء حال الأمم وتتدهور أخلاقها وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا[سورة الإسراء آية ١٦] .وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ، نعم ليس من شأنه سبحانه وتعالى ، أن يهلك القرى ظالما لها وأهلها مصلحون. وقيل المعنى : وما كان ربك مهلكا القرى بسبب الظلم الذي هو الشرك والحال أن أهلها مصلحون في المعاملة بينهم وبين الناس بمعنى أنهم لا يطففون الكيل كما فعل قوم شعيب ، ولا يأتون الرجال كما فعل قوم لوط ، ولا يتبعون كل جبار عنيد كما فعل قوم فرعون ، ولا يبطشون بالناس بطش الجبارين كما فعل قوم هود ، بل لا بد أن يضموا إلى الشرك الإفساد في الأعمال والأحكام ، وهو الظلم المقوض للأمم ولذا قيل الأمم تبقى مع الكفر. ولا تبقى مع الظلم.وتحتمل الآية : وما كان ربك مهلكا لهم بظلم قليل يقع من الأقلية البسيطة ، والأكثرون مصلحون ، والآية الكريمة تحتمل كل هذا وفوق هذا ، وسبحان من هذا كلامه – تبارك وتعالى – !! ولو شاء ربك أيها الحريص على إيمان قومه لجعل الناس أمة واحدة ، وآمن من في الأرض كلهم جميعا.ولو شاء ربك لخلق الناس وفي غريزتهم وفطرتهم قبول الدين بلا تفكير ولا نظر فكانوا كالنمل والنحل أو الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، ولكنه شاء لهم ذلك وقدر لهم." (١)

"ج ٢ ، ص : ٣٩٢مخرج ، كدخوله المدينة ، وخروجه من مكة مثلا ، واجعل لي في هذا سلطانا وحجة قوية.وقل يا محمد : جاء الحق وزهق الباطل وقد قالها النبي صلى الله عليه وسلم حين كسر الأصنام وهو يفتح مكة.والمراد بالحق : الإسلام أو كل ما هو حق. والمراد بالباطل : الشرك أو كل متناف مع الحق ، إن الباطل شأنه الزهوق ، وعدم الثبات.واعلموا أن القرآن هدى وشفاء لما في الصدور ورحمة وخير للمؤمنين. وهو الوسيلة إلى الله والدواء والعلاج من كل داء فالله يقول : وننزل من القرآن ما هو شفاء من كل داء نفسي ورسمي وشفاء من كل مرض ، وعلاج للأمة والفرد ورحمة للمؤمنين وقد كان رحمة وأى رحمة فهو الذي أخرج العرب الجاهلين الحفاة العراة إلى أمة ذات علم وحضارة وعز وسلطان ، قهرت الأكاسرة والقياصرة ، فهو الرحمة للناس جميعا خاصة المؤمنين وهو السبيل لاكتساب الدين والدنيا.هذا مع المؤمن الذي يتوجه إليه بقلب خال من الكبر والحسد والبغضاء **وحب الرياسة** أما مع هذه الأمراض فلا يزيد الظالمين أصحابها إلا خسارا وعتوا واستكبارا.وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن ذكر الله متكبرا. ؟ ونأى بجانبه وولى ظهره ، وتلك عادة المتكبرين ، وإذا مسه الشر من فقر أو مرض كان شديد اليأس قانطا من رحمة الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.قل كل يعمل على شاكلته وطريقته التي جبل عليها فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا وهو يجازى كلا على قدر عمله وإخلاصه ..ولقد كانت اليهود تكثر من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وحقيقتها ، الروح التي بها يحيا الجسم ويتحرك.والقرآن يرشدهم إلى ما هو خير لهم وأجدى عليهم فليس هو كتاب علم تحدد فيه الحقائق العلمية الدقيقة ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد يبحث الأشياء بحثا يتفق مع المصلحة الدينية العامة ، على أن حقيقة الضوء والظلام والكهرباء لم تعرف إلى الآن ، وإنما عرفناها بآثارها وشواهدها.." (٢)

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٢/١٥٥

(٢) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٢/٣٩٢

"ج ٣ ، ص : ٣١٣بالباطل ، قد دفعهم الكبر **وحب الرياسة** إلى هذا الجدال الممقوت ، ما هم ببالغي ما يريدون ، لأن الله أذلهم ، وقضى على أطماعهم.وقيل : إن الآية نزلت في يهود المدينة ، وهي مدينة ، الحق أن كل جدال في آيات الله من مشركي مكة أو يهود المدينة أو من غيرهم كبر مقته عند الله وعظم جرمه مطلقا ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.إذا كان الأمر كذلك فاستعذ بالله ، والجأ إليه من كيد الكائدين ، وحسد المشركين ، وفيه رمز إلى أن ذلك كان من همزات الشياطين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله « ١ » . إنه هو السميع لكل قول ونية ، البصير بكل فعل وعمل ، ولو كان من إشارات العيون وخطرات القلوب.لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس بدءا وإعادة فلا تجادلوا في أمر البعث فإن الله خلق السموات وما فيها ، والأرض وما عليها وما في باطنها من عوالم ، فلا تظنوا أن الله هذا ليس بقادر على أن يحيي الموتى ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.ولا يستوي الأعمى عن الحق ، والبصير به ، ولا يستوي المؤمنون الذين عملوا الصالحات ، وأحسنوا العمل ، ولا المسيئون الذين أساءوا الفهم والتقدير حتى جادلوا في آيات الله كلها وكان تذكرهم قليلا جدا.إن الساعة لآتية لا شك فيها ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لقصور نظرهم ، وسوء رأيهم.وقال ربكم : ادعوني أثبكم ثوابا يتكافأ مع أعمالكم ، وفعلكم الطاعات ، وترك الذنوب والآثام هو الدعاء ، فمن ترك الذنب فقد دعا. وأخلص في الدعاء ، ومن يقترف ذنبا فليس بداع إلى الله وإن دعا ألف سنة. وبعضهم فسر الدعاء بالعبادة ، ويؤيد هذا قوله تعالى : إن الذين يستكبرون عن عبادتي ودعائي سيدخلون جهنم داخرين أذلاء صاغرين ، وحق من يستكبر عن دعاء ربه الذي رباه وخلقه ، وصوره فأحسن صوره أن يدخل جهنم صاغرا ذليلا ، ومهينا حقيرا.______________(١) - سورة الأعراف آية ٢٠٠.." (١)

"نقذف نرمي رميا بعيدا بالحق الإيمان على الباطل الكفر فيدمغه يذهبه ويقهره ويهلكه ، وأصل الدمغ : كسر الشيء الرخو ، وإصابة الدماغ بالضرب ، وهو مقتل فإذا هو زاهق ذاهب وهالك وزائل ولكم يا كفار مكة الويل العذاب الشديد مما تصفون الله به من الزوجة أو الولد.وله لله تعالى من في السماوات والأرض ملكا لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون ولا يستحسرون لا يكلون ولا يعيون ولا يتعبون يسبحون ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون لا يضعفون.المناسبة : هذه الآيات مبالغة في زجر الكفار عن عصيانهم وكفرهم ، فبعد أن أبان الله تعالى أنه أهلك المسرفين في تكذيبهم وكفرهم بالله ، ونصر الأنبياء المرسلين عليهم ، وأسقط اعتراضاتهم التي أظهرت إعجاز القرآن ، وأوضحت أن إيراد تلك الاعتراضات كان لحب الدنيا **وحب الرياسة** فيها ، بالغ تعالى في زجرهم عن ذلك ، فقال : وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ، وأنشأنا بعدها قوما آخرين أي كثيرا ما أهلكنا من أهل القرى الذين كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر بالله وتكذيب ج ١٧ ، ص : ٢٥الرسل ، وأوجدنا وأحدثنا بعد إهلاكهم قوما آخرين مكانهم ، كما قال تعالى في آية أخرى : وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح [الإسراء ١٧/ ١٧] وقال تعالى : فكأين من قرية أهلكناها ، وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها [الحج ٢٢/ ٤٥].." (٢)

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣/٣١٣

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٧/٢١

"أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا وهذا ذم أشد مما سبق ، لذا عبر عنه بقوله أم أي بل للإضراب عما سبق إليه ، والمعنى بل أتظن أن أكثرهم يسمعون سماع تدبر وفهم ، أو يتعقلون ويفكرون فيما تتلو عليهم ، وترشدهم إليه من الفضائل والأخلاق الحميدة ، فتجهد نفسك في إقناعهم بدعوتك ، ونقلهم إلى العقيدة الصحيحة ، فما حالهم إلا كالأنعام السائمة ، بل هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة ، وأخطأ طريقا منها ، فإن تلك البهائم تفعل ما هو خير لها ونفع ، وتتجنب ما هو ضار ج ١٩ ، ص : ٧٥بها وخطر عليها ، أما هؤلاء فلا يقدرون مصلحتهم حق التقدير ، فتراهم متهورين في المعاصي ، قاذفين أنفسهم في المهالك ، لا يشكرون نعمة الخالق عليهم ولا يعرفون إحسانه ، وإساءة الشيطان لهم ، ولا يفعلون ما يحقق لهم الثواب الأخروي ، ولا يتجنبون ما يؤدي بهم إلى العقاب والعذاب.والسبب في قوله أكثرهم لا الكل أن بعضهم عرف الله تعالى وعلم أن الإسلام حق ، لكنه لم يعلن إسلامه لمجرد **حب الرياسة**.وهذا دليل على فقدهم الإدراك الصحيح والوعي السليم ، وتعطيلهم طاقات الحواس والمواهب الإلهية التي لو فكروا بموجبها دون تأثر بعصبية ، أو تقليد موروث ، أو هوى متبع كحب الزعامة والسيطرة ، لانقادوا إلى رسالة الحق والتوحيد ، وآمنوا بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.فقه الحياة أو الأحكام : دلت الآيات على ما يأتي : ١- اتخذ المشركون النبي صلى الله عليه وسلم موضع استهزاء وسخرية ، فهل بعد هذا من جرم أفظع منه وأشنع ؟ ." (١)

"وكان خلافهم نابعا من الأغراض الذاتية ، كالحسد والعداوة **وحب الرياسة** ، لا من أجل المصلحة العامة.وتحذيرا من هذا الخلاف توعدهم الله بقضائه الحاسم وحكمه العادل يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين في الدنيا.٣- وبما أن الأمر المختلف فيه عقيدة وشريعة لا يصلح للبقاء والاستمرار ، أوصى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته والبشرية كلها باتباع شريعة القرآن. والشريعة : ما شرع الله لعباده من أمر الدين. وتلك الشريعة منهاج واضح يؤدي إلى الحق والسعادة والنجاة في الآخرة ، لأنها تتضمن أوامر الله ونواهيه وحدوده وفرائضه الثابتة ثبوتا قطعيا لا شك فيه ، أما ما قبلها فلم يقم دليل واحد على صحة ما يتناقله أهلها منها ، أو ثبوته ثبوتا صحيحا من عند الله تعالى ، لضياع ج ٢٥ ، ص : ٢٧١التوراة ، وكتابة الإنجيل كتابة متأخرة عن تاريخ نزوله على السيد المسيح عليه السلام. فإن فرض ثبوت شيء من شرائع من قبلنا ، فلا خلاف في أن الله تعالى جعل الشريعة واحدة في أصولها في التوحيد ومكارم الأخلاق ومصالح الناس ، وإنما خالف بينها في الفروع الجزئية لا في الأصول حسبما تقتضي المصلحة في علم الله تعالى.٤- قال ابن العربي المالكي الذي يرى كغيره من المالكية أن شرع من قبلنا شرع لنا : ظن بعض من يتكلم في العلم « ١ » أن هذه الآية : ثم جعلناك على شريعة دليل على أن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، لأن الله تعالى أفراد النبي صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية بشريعة ، ولا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته منفردان بشريعة ، وإنما الخلاف فيما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء ، هل يلزم اتباعه أم لا ؟ ولا إشكال في لزوم ذلك « ٢ » .." (٢)

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٧٤/١٩

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٧٧/٢٥

"" " صفحة رقم ٣٩٠ " " الصدق هو المعجز] فقط فهذا المعجو سواء ظهر على الملك ، أو على البشر ، وجب الإقرار برسالته ، فقولهم : " لا بد وأن يكون الرسول من الملائكة " : تحكم فاسد باطل .والجواب الثاني عن شبهتهم ، وهي أن أهل الأرض لو كانوا ملائكة ، لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة ؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل ، فلما كان [أهل الأرض] من البشر ، فوجب أن يكون رسولهم من البشر ؛ وهذا هو المراد من قوله تعالى : (لو كان فى لأرض ملا ائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السمآء ملكا رسولا ([الإسراء : ٩٥] .الجواب الثالث : قوله تعالى : (قل كفى ب الله شهيدا بيني وبينكم) .وتقريره أن الله تعالى ، لما أظهر المعجزة على وفق دعواى ، كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقا ، ومن شهد الله على صدقه ، فهو صادق ، فقولكم بأن الرسول يجب أن يكون ملكا ، فذلك تحكم فاسد ؛ لا يلتفت إليه . ولما ذكر الله تعالى هذه الأجوبة الثلاثة ، أردفها بما يجري مجرى التهديد ، والوعيد ؛ فقال : (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ([الإسراء : ٩٦] . أي : يعلم ظواهرهم وبواطنهم ، ويعلم أنهم لا يذكرون هذه الشبهات إلا لمحض الحسد ، وحب الرياسة .قوله : (أن يؤمنو ا (: مفعول ثان ل " منع " ، أي : ما منعهم إيمانهم ؛ و " أن قالوا " هو الفاعل ، و " إذ " ظرف ل " منع " ، والتقدير : وما منع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى إياهم إلا قولهم : أبعث الله .وهذه الجملة المنفية يحتمل أن تكون من كلام الله ، فتكون مستأنفة ، وأن تكون من كلام الرسول ، فتكون منصوبة المحل ؛ لاندراجها تحت القول في كلتا القراءتينزقوله : (بشرا رسولا (تقدم في نظيره وجهان ، وكذلك قوله) لنزلنا عليهم من السمآء ملكا رسولا) .قوله تعالى : (قل لو كان فى لأرض (: يجوز في "كان " هذه التمام ، أي : لو وجد ، وحصل ، و " يمشون " صفة ل " ملائكة " و " في الأرض " متعلق به ، " مطمئنين " حال من فاعل " يمشون " ، ويجوز أن تكون الناقصة ، وفي خبرها أوجه ، أظهرها : أنه الجار ، و " يمشون " و " مطمئنين " على ما تقدم . وقيل : الخبر " يمشون " و " في الأرض " متعلق به .وقيل : الخبر " مطمئنين " و " يمشون " صفة ، وهذان الوجهان ضعيفان ؛ لأن المعنى على الأول .فإن قيل : إنه تعالى لو قال : قل لو كان في الأرض ملائكة ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا كان كافيا في هذا المعنى . فما الحكمة في قوله : (يمشون مطمئنين (؟ .." (١)

"" " صفحة رقم ٤٥٦ " " قوله : " كانت ظالمة " في محل جر صفة ل " قرية " ، ولا بد من مضاف محذوف قبل " قرية " أي : وكم قصمنا من أهل قرية بدليل عود الضمير في قوله : " فلما أحسوا " ولا يجوز أن يعود على قوله " قوما " لأنه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك .فصللما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة ، لكونها في مقابلة ما ثبت إعجازه ، وهو القرآن ظهر لكل عاقل أن اعتراضهم كان لأجل حب الرياسة والدنيا .والمراد بقوله : " قصمنا " أهلكنا .قال ابن عباس : المراد منه القتل بالسيوف ، والمراد بالقرية : حضور وسحول باليمن ينسب إليهما الثياب ، وفي الحديث : "كفن رسول الله – (صلى الله عليه وسلم) – في ثوبين سحولين " ، وروي " حضورين " بعث الله إليهما نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم .وروي " أنه لما أخذتهم السيوف ناداه مناد من السماء يا لثارات الأنبياء " فندموا واعترفوا بالخطأ ، و) قالوا ى ويلنآ إنا كنا ظالمين) .وقال الحسن : المراد عذب الاستئصال . وهذا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٢/٣٩٠

أقرب ، أن إضافة ذلك إلى الله أقرب من إضافته إلى القائل ، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين اللتين ذكرهما ابن عباس .وقوله : "كانت ظالمة " أي كافرة ، يعني أهلها " وأنشأنا بعدها " أي : أحدثنا بعد علاك أهلها " قوما آخرين " .) فلمآ أحسوا بأسنآ (أي : عذابنا بحاسة البصر) إذا هم منها يركضون (أي : يسرعون هاربين .والركض ضرب الدابة بالرجل ، يقال : ركض الدابة يركضها ركضا ، ومنه قوله تعالى : " اركض برجلك " . فيجوز أن يركبوا دوابهم فيركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب . ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين .." (١)

"" " صفحة رقم ١٩٥ " " ثم سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله بالطوفان فندم على ذلك .وقيل : لمراجعة ربه في شأن ابنه . وقيل : لأنه مر بكلب مجذوم ، فقال له : اخسأ يا قبيح ، فعوتب على ذلك ، وقال الله تعالى : أعبتني إذ خلقته ، أم عبت الكلب ، وهذه وجوه متكلفة ، لأن الأعلام لا تفيد صفة في المسمى .قوله : (ى قوم اعبدوا الله (: وحدوه) ما لكم من إل اه غيره (أي : أن عبادة غير الله لا تجوز إذ لا إله سواه . وقرئ " غيره " بالرفع على المحل ، وبالجر على اللفظ .ثم إنه لما لم ينفع فيهم الدعاء واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله : " أفلا تتقون " زجرهم وتوعدهم باتقاء العقوبة لينصرفوا عما هم عليه ثم إنه تعالى حكى عنهم شبههم في إنكار نبوة نوح – عليه السلام – : وهي قولهم : (ما ه اذا إلا بشر مثلكم (وهذه الشبهة تحتمل وجهين :أحدهما : أن يقال : إنه لما كان سائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض سواء امتنع كونه رسولا لله ، لأن الرسول لا بد وأن يكون معظما عند الله وحبيبا له ، والحبيب لا بد وأن يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة ، فلما انتفت هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة .والثاني : أن يقال : إن هذه الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور ، ولكنه **أحب الرياسة** والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلا إلا بادعاء النبوة ، فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته ، ويؤكد هذا الاحتمال قولهم : (يريد أن يتفضل عليكم (أي : يطلب الفضل عليكم ويرأسكم . الشبهة الثانية : قولهم : (ولو شآء الله لأنزل ملائكة (أي : ولو شاء الله أن لا يتعبد سواه لأنزل ملائكة بإبلاغ الوحي ، لأن بعثة الملائكة أشد إفضاء إلى المقصود من بعثة البشر ، لأن الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم ، وكثرة علومهم ينقاد الخلق إليهم ، ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا .." (٢)

"" " صفحة رقم ٥٤١ " " يفعلون فإن قيل : لم قال : (أم تحسب أن أكثرهم (فحكم بذلك على الأكثر دون الكل ؟ فالجواب : لأنه كان فيهم من يعرف الله ويعقل الحق إلا أنه ترك الإسلام **لحب الرياسة** لا للجهل . فإن قيل : إنه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الإعراض عن الدين ، وكيف بعث الرسول إليهم ، فإن من شرط التكليف العقل ؟ فالجواب : ليس المراد أنهم لا يعقلون بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل ، فهو كقول الرجل لغيره إذا لم يفهم : إنما أنت أعمى وأصم .(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شآء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٤٥٦/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١٩٥/١٤

قبضناه إلينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وأنزلنا من السمآء مآء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنآ أنعاما وأناسي كثيرا (قوله تعالى : (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل (الآية . لما بين جهل المعرضين عن دلائل التوحيد ، وبين فساد طريقهم ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع ، فأولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه ، وتغير أحواله قوله : " ألم تر " فيه وجهان :أحدهما : أنه من رؤية العين .والثاني : أنه من رؤية القلب ، يعني : العلم ، فإن حملناه على رؤية العين ، فالمعنى : ألم تر إلى الظل كيف مده ربك ، وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج ، فالمعنى : ألم تعلم ، وهذا أولى ، لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث أن كل مبصر فله مؤثر ، فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذا الوجه . وهذا الخطاب وإن كان ظاهره للرسول فهو عام في المعنى ، لأن المقصود بيان نعم الله تعالى بالظل ، وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم لهذه النعمة و "كيف " منصوبة ب " مد " ، وهي." (١)

" ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ كانت اليهود تقول لأقربائهم من المسلمين : اثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون به فأنزل الله تعالى توبيخا لهم : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ بالإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم ﴿ وتنسون ﴾ وتتركون ﴿ أنفسكم ﴾ فلا تأمروها بذلك ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ تقرؤون التوراة وفيها صفة محمد صلى الله عليه و سلم ونعته ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أنه حق فتتبعونه ؟ ! ثم أمرهم الله تعالى بالصوم والصلاة لأنهم إنما كان يمنعهم عن الإسلام الشره وخوف ذهاب مأكلتهم **وحب الرياسة** فأمروا بالصوم الذي يذهب الشره وبالصلاة التي تورث الخشوع وتنفي الكبر وأريد بالصلاة الصلاة التي معها الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم فقال ." (٢)

"١-أول هذه الأمور أن هذا الذي ذكرناه لا يصلح أن يكون تفسيراً عاماً تفسر في ضوئه كل الجرائم كما يريد البعض أن يقول،فكما أن للعوامل البيئية دورها فإن للعوامل النفسية والوراثية وغيرها دوراً في فعل الجريمة ، وهذا مشاهد مألوف ،والإشارة في حديثنا إنما هي إلى أن بعض الجرائم قد يكون باعثها بيئياً،بينما هناك أدلة أخرى تشير إلى بواعث أخرى لبعض الجرائم ؛ فنحن نعلم أن الحسد كان دافع اليهود إلى عدم الدخول في الإسلام **،وحب الرياسة** والجاه كان المانع من دخول كبراء قريش في الإسلام ، كما أن البغي والحسد قد دفعا بابن آدم الأول إلى قتل أخيه ،وغير ذلك كثير

.٢- لا شك أن الغرض من دراسة أسباب الجريمة هو محاولة سد منافذها بمنع أسبابها،ففي مثل حديثنا يصح أن يقال لأهل العلو :عليكم أن تتحملوا بعض الأذى من صعود أولئك القوم ونزولهم ،فذلك خير من خرقهم للسفينة.وإذا كنا نطالب البعض بالصبر على بعض الأذى حتى لا يقع غيرهم في الفعل الإجرامي فإننا من باب أولى نطالب أقواماً يرتكبون من الأفعال والأقوال ما يدفع غيرهم لارتكاب الجرائم ،نطالبهم بأن يتوبوا إلى الله وأن يرجعوا عن مثل تلك الأفعال ،وإن الناظر في مجتمعاتنا ليجد الكثير مما ألمحنا إليه،فهذه الأفلام والمسلسلات التي تبثها أجهزة الإعلام بما فيها من تزيين للمنكرات

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٤١/١٤

(٢) الوجيز للواحدي، ص/١٠٢

وتمجيد لهذه الفنون الهابطة المخافة للشرع،تعتبر دافعاً للكثيرين للوقوع في مثل ما تدعوا إليه هذه الأجهزة الإعلامية من الفواحش والمنكرات .." (١)

"الإشارة : اعلم أن نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ جمع الله له ما افترق في غيره ، فذاته الشريفة جمعت المحاسن كلها ظاهرة وباطنة ، وكتابه جمع ما في الكتب كلها فهو شاهد عليها ، وشريعته جمعت الشرائع كلها ، ولذلك كان الولي المحمدي هو أعظم الأولياء.١٨٤واعلم أن الحق ـ جل جلاله ـ جعل لكل عصر تربية مخصوصة بحسب ما يناسب ذلك ، العصر ، كما جعل لكل أمة شرعة ومنهاجا بحسب الحكمة ، فمن سلك بالمريدين تربية واحدة ، وأراد أن يسيرهم على تربية المتقدمين ، فهو جاهل بسلوك الطريق ، فلو كان السلوك على نمط واحد ما جدد الله الرسل بتجديد الأزمنة والأعصار ، فكل نبي وولي يبعثه الله تعالى بخرق عوائد زمانه ، وهي مختلفة جدا ، فتارة يغلب على الناس التحاسد والتباغض ، فيبعث بإصلاح ذات البين والتآلف والتودد ، وتارة يغلب **حب الرياسة** والجاه فيربى بالخمول وإسقاط المنزلة ، وتارة يغلب حب الدنيا وجمعها فيربى بالزهد فيها والتجريد والانقطاع إلى الله. وهكذا فليقس ما لم يقل. والله تعالى أعلم.جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٨٣قلت : ﴿وأن احكم﴾ : عطف على الكتاب ، أي : وأنزلنا إليكم الكتاب والحكم بينهم بما أنزل الله ، أو على الحق ، أي : أنزلناه بالحق وبالحكم بما أنزل الله ، و ﴿أن يفتنوك﴾ : بدل اشتمال من الضمير ، أي : احذر فتنتهم ، واللام في قوله : ﴿لقوم﴾ : للبيان : أي : هذا الاستفهام لقوم يوقنون ، فإنهم هم الذين يعلمون ألا أحسن حكما من الله.يقول الحق جل جلاله : لرسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿و﴾ أمرناك ﴿أن احكم بينهم﴾ أي : بين اليهود ﴿بما أنزل الله﴾ ، قيل هو ناسخ للتخيير المتقدم ، وقيل : لا ، والمعنى أنت مخير ، فإن أردت أن تحكم بينهم فاحكم بما أنزل الله ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ الباطلة ، التي أرادوا أن يفتنوك بها ، ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ ، فيصرفوك عن الحكم به.." (٢)

"وكان شيخ شيخنا يقول : نحب المريد أن يكون قدمه أعظم من صيته ، ولا يكون صيته أعظم من قدمه. هـ. وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : ما صدق الله من **أحب الشهرة**. وقال بعضهم : طريقتنا هذه لا تصلح إلا بأقوام كنست بأرواحهم المزابل. وقال أيوب رضي الله عنه : ما صدق عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه. وقال في القوت : ومتى ذل العبد نفسه ، واتضع عندها ، فلم يجد لذلته طعما ، ولا لضعته حسما ، فقد صار الذل٢٩٢والتواضع كونه ، فهذا لا يكره الذم من الخلق ؛ لوجود النقص في نفسه ، ولا يحب المدح منهم ؛ لفقد القدر والمنزلة في نفسه. فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه ، لازمة لزوم الزبالة للزبال ، والكساحة للكساح ، هما صنعتان له كسائر الصنائع. وربما فخروا بهما لعدم النظر إلى نقصهما. فهذه ولاية عظيمة له من ربه ، قد ولاه على نفسه ، وملكه عليها ، فقهرها بعزه ، وهذا مقام محبوب ، وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب. ثم قال : ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه ، كما يطلب المتكبر العز ، ويستحليه إذا وجده ، فإن فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله ، كما أن المتعزز إن فارق العز ساعة تكدر عليه

---

(١) االفوائد من حديث مثل القائم، ص/٦٤

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٢٠٩/٢

عيشه ؛ لأن ذلك عيش نفسه. هـ.جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٢قلت : وهذا مقام من المقامات ، والعارف الكامل لا يتغير قلبه على فقد شيء ؛ إذ لم يفقد شيئا بعد أن وجد الله ، (ماذا فقد من وجدك). والذي ذكره في القوت هو حال السائرين الصادقين. وبالله التوفيق.جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٢قلت : (ولا يصدنك) : مجزوم بحذف النون ، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، حين دخلت نون التوكيد.." (١)

"الإشارة : فذكر أيها العارف الدال على الله إن نفعت الذكرى ؛ إن رجوت أو توهمت نفع تذكيرك ، فإن تحققت عدم النفع فلا تتعب نفسك في التذكير ، فربما يكون بطالة ، كتذكير العدو الحاسد لك ، أو المعاند ، أو المنهمك في **حب الرياسة** ، فتذكير هؤلاء ضرب في حديد بارد. وينبغي للمذكر أن يكون ذا سياسة وملاطفة ، قال تعالى : ﴿ادع إلىا سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة...﴾ [النحل : ١٢٥]الخ ، والحكمة : هي أن تقر كل واحد في حكمته ، وتدسه منها إلى ربه ، فأهل الرئاسة تقرهم فيها وتدلهم على الشفقة والرحمة بعباد الله ، وأهل الدنيا تقرهم فيها وتدلهم على بذلها ، وأهل العلم تقرهم في علمهم وتحضهم على الإخلاص وبذل المجهود في نشره ، وأهل الفقر تقرهم فيه وترغبهم في الصبر... وهكذا ، فإن رأيت أحدا تشوف إلى مقام أعلى مما هو فيه فدله عليه ، وأهل التذكير لهم عند الله جاه كبير ، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله ، كما في الحديث. وفي٢٩٠حديث آخر : " إن أود الأوداء إلي من يحبني إلى عبادي ، ويحبب عبادي إلي ، ويمشي في الأرض بالنصيحة " أو كما قال عليه السلام : ." (٢)

"وعن بعض الحكماء : عظم العلم في ذاتك ، وصغر الدنيا في عينك ، وكن ضعيفا عند الهزل ، قويا عند الجد ، ولا تلم أحدا على فعل يمكن أن يعتذر منه ، ولا ترفع شكايتك إلا إلى من ترى نفعه عندك حتى تكون حكيما فاضلا . ولبعضهم : آفة الزعماء ضعف السياسة ، وآفة العلماء **حب الرياسة** . (وأما النكت) فالمعصية عند الجهل لا يرجى زوالها ، وعند السهو يرجى زوالها انظر إلى زلة آدم فإنه بعلمه استغفر ، والشيطان عصى وبقي في الغي أبدا ، لأن ذلك كان بسبب الجهل ، وإن يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج إلى وزير فسأل جبريل عن ذلك فقال : إن ربك يقول لا تختر إلا فلانا ، فرآه في أسوأ الأحوال . فقال لجبريل : كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله؟ فقال له جبريل : إن ربه عينه لذلك لأنه ذب عنك بعلمه حين قال ﴿ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ [يوسف : ٢٧] والنكتة أن من ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته ، فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والإحسان؟ وقيل : أراد واحد خدمة ملك فقال الملك : اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم ، بعث الملك إليه وقال : اترك التعلم فقد صرت أهلا لخدمتي . فقال كنت أهلا لخدمتك حين لم تربي أهلا لخدمتك ، وحين رأيتني أهلا لخدمتك رأيت نفسي أهلا لخدمة الله ، وذلك لأني كنت أظن أن الباب بابك لجهلي والآن علمت أن الباب باب الرب . (وقال الحكيم :) القلب ميت وحياته بالعلم ، والعلم ميت وحياته بالطلب ، والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة ، فإذا قوي بالمدارسة فهو محتجب ، وإظهاره بالمناظر وإذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ،

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، ٤٤٦/٥

(٢) البحر المديد . موافق للمطبوع، ٤٤٦/٨

ونتاجه بالعمل فإذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا أبديا لا آخر له . وإن نملة واحدة نالت الرياسة بمسألة واحدة علمتها وذلك قولها ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ [النمل : ١٨] كأنها إشارة إلى تنزيه الأنبياء عن المعصية وإيذاء البريء من غير جرم فقالت : لو حطمكم فإنما يصدر ذلك على سبيل السهو . فمن علم حقائق الأشياء من الموجودات والمعدومات ، كيف لا يستحق الرياسة في الدين والدنيا؟ وإن الكلب المعلم يكون صيده ماهرا ببركة العلم مع أنه نجس في الأصل ، فالنفس الطاهرة في الفطرة إذا تلوثت بأوزار المعصية ، كيف لا تطهر ببركة العلم بالله وبصفاته؟ وإذا كان السارق عالما لا تقطع يده لأنه يقول : كان المال وديعة لي ، وكذا الشارب يقول : حسبته حلالا ، وكذا الزاني يقول : تزوجتها فإنه لا يحد . وأما الحكايات ، (يحكى) أن هارون الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم أبو يوسف فأتي برجل فادعى عليه آخر أنه أخذ من بيتي مالا بالليل ، ثم أقر الآخذ بذلك في المجلس ، فاتفق العلماء على أنه تقطع يده ، فقال أبو يوسف : لا قطع عليه لأنه أقر بالأخذ ، وإنه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للآخذ : أسرقتها؟ فقال : نعم .." (١)

"﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] ﴿ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام : ٥٣] كالاستحقار لهم والأنفة منهم . ورابعها : التعجب ﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ﴾ [الأعراف : ٦٣] وخامسها : الخوف من فوت المقاصد وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد ، كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية ، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند الأبوين ، وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على أهل بلدة . وسادسها : **حب الرياسة** كمن يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون ، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته ، فإن الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه . ومن جملة أنواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله إلا لله تعالى ، ومن طمع في المحال خاب وخسر . وسابعها : شح النفس بالخير على عباد الله ، فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك ، وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم فرح به ، فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ، وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل : البخيل من بخل بمال غيره . وقد يجتمع بعض هذه الأسباب فيعظم الحسد ويتقوى بحسبه ، وقلما يقع التحاسد إلا في الأمور الدنيوية ، لأن الدنيا لا تفي بالمتزاحمين . وأما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين أرباب الدين وأصحاب اليقين ، وإنما يكونون بلقاء إخوانهم مستأنسين وببقاء أقرانهم فرحين ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ [الحجر : ٤٧] وأما علاج الحسد فأمران : العلم والعمل . أما العلم ففيه مقامان : إجمالي وهو أن يعلم أن الكل بقضاء الله وقدره ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا يرده كراهية كاره ولا يجره إرادة مريد . وتفصيلي وهو العلم بأن الحسد قذى في عين الإيمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للإخوان ، وعذاب أليم ، وحزن مقيم ، ومورث للوسواس ، ومكدر للحواس . ولا ضرر على المحسود في دنياه لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك ، ولا في دينه بل ينتفع به

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٦٧/١

لأنه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك . وقد ينتفع في دنياه أيضا من جهة أنك عدوه ، ولا يزال يزيد غمومك وأحزانك إلى أن يقضي بك إلى الدنف والتلف .اصبر على مضض الحسو ... د فإن صبرك قائلهالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكلهوقد يستدل بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل .لا مات أعداؤك بل خلدوا ... حتى يروا منك الذي يكمدلا زلت محسودا على نعمة ... فإنما الكامل من يحسد." (١)

"وإنما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والأنوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد وبتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله A : « العلماء ورثة الأنبياء » وقول موسى للخضر ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن ما علمت رشدا ﴾ [الكهف : ٦٦] ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ﴾ هي النفوس الأمارات بالسوء ﴿ فاستشهدوا عليهم أربعة منكم ﴾ أي من خواص العناصر الأربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصه الخسة والذلة ، والماء ومن خواصه اللين والأنوثة والشرة ، والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة ، والنار ومن خواصها الكبر والغضب **وحب الرياسة** ﴿ فإن شهدوا ﴾ بأن يظهر بعض هذه الصفات من النفوس ﴿ فأمسكوهن في البيوت ﴾ في سجن الدينا وأغلقوا عليهم أبواب الحواس الخمس حتى تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها ﴿ أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ بانفتاح روزنة القلوب إلى عالم الغيب ﴿ واللذان يأتيانها ﴾ أي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الأعمال وباطنا في الأحوال والأخلاق ﴿ فأذوهما ﴾ ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ ﴿ فأعرضوا عنهما ﴾ باللطف بعد العنف ، وباليسر بعد العسر ﴿ بجهالة ﴾ أي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لأن لاظلومية تقتضي المعصية والإصرار عليها ، والجهولية تقتضي المعصية فحسب . فالعمل السوء إذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقيبة التوبة كما قال : ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ أي عقيب المعصية . قال عليه السلام : « أتبع السيئة السنة تمحها » والحسنة التوبة . ويحتمل أن يقال : من قريب أي قبل أن يموت القلب بالإصرار فإن الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لأنها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ﴾ فيه إشارة إلى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الأمهات المتصرفة فيها آباؤكم العلوية ﴿ إلا ما قد سلف ﴾ من التدبير الإلهي في ازدواج الأرواح لضرورة اكتساب الكمالات ، فإن الركون إلى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله أعلم .." (٢)

"﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ [الرعد : ٤٣] لأنهم عرفوا الأمرين جميعا ﴿ يشترون الضلالة ﴾ يختارونها لأن من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قاله الزجاج . والمراد تكذيبهم الرسول A لأغراضهم الفاسدة من أخذ الرشا **وحب الرياسة** . وقيل : المراد يستبدلون الضلالة - وهو البقاء على اليهودية - بالهدى - وهو الإسلام - بعد وضوح الآيات لهم على صحته . ﴿ ويريدون أن تضلوا ﴾ أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ، ولا أقبح ممن جمع بين هذين الأمرين ، الضلال والإضلال . عن ابن عباس أن الآية نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه فيثبطانهم عن الإسلام . وقيل : المراد عوام اليهود كانوا يعطون أحبارهم بعض

(١) تفسير النيسابوري، ١/٣٠٠

(٢) تفسير النيسابوري، ٢/٤٦٥

أموالهم لينصروا اليهودية فكأنهم اشتروا بمالهم الشبهة والضلالة ﴿ والله أعلم ﴾ منكم ﴿ بأعدائكم ﴾ لأنه عالم بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ ، فإذا أطلعكم على أحوالهم فلا تستنصحوهم في أموركم واحذروهم ﴿ وكفى بالله وليا ﴾ متوليا لأمور العبد ﴿ وكفى بالله نصيرا ﴾ فثقوا بولايته ونصرته دونهم . وكرر « كفى » ليكون أشد تأثيرا في القلب وأكثر مبالغة ، وزيدت الباء في الفاعل إيذانا بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فكان الباء للسببية . وقال ابن السراج : التقدير كفى اكتفاؤك بالله . وقيل : فائدة الباء وهي للإلصاق أن يعلم أن هذه الكفاية صدرت من الله تعالى بغير واسطة .وقوله : ﴿ من الذين هادوا ﴾ إما بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب وقوله : ﴿ والله أعلم ﴾ إلى آخر الآية معترض بن البيان والمبين ، وإما بيان لأعدائكم والجملتان بينهما معترضتان ، وإما صلة ﴿ نصيرا ﴾ كقوله : ﴿ ونصرناه من القوم الذين كذبوا ﴾ [الأنبياء : ٧٧] وإما كلام مستأنف على أن ﴿ يحرفون ﴾ صفة مبتدأ محذوف تقديره : من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه . قال الواحدي : الكلم جمع حروفه أقل من حروف واحده ، وكل جمع يكون كذلك فإنه يجوز تذكيره . ومعنى هذا التحريف استبدال لفظ مكان لفظ كوضعهم « آدم طوالا » مكان « أسمر ربعة » وجعلهم الحد بدل الرجم . واختير « عن » للدلالة على الإمالة والإززالة . وأما في المائدة فقيل : ﴿ من بعد مواضعه ﴾ [المائدة : ٤١] نظرا إلى أن الكلم كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها ، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له . وقيل : المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة كما يفعله في زماننا أهل البدعة . وجعل بعض العلماء هذا القول أصح لاستبعاد تحريف المشهور المتواتر ، لكن دعوى التواتر بشروطه في التوراة ممنوعة . وقيل : كانوا يدخلون على النبي A فيسألونه عن أمر فيخبرهم به فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه . ومن جملة جهالاتهم أنه A كان إذا أمرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وفي الباطن عصينا ، أو كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهرا إظهارا للعناد والمرود والكفر والجحود ، ومنها قولهم للنبي A ﴿ اسمع غير مسمع ﴾ وهو كلام ذو وجهين : أما احتماله المدح فلقول العرب : أسمع فلان فلانا إذا سبه وإذا كان المراد : اسمع غير مسمع مكروها كان مدحا وتوقيرا ونصحا .." (١)

"[طه : ١] ولما أخذ قوم في المساهلة نزل : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ [المؤمنون : ١١٥] والمراد رعاية الوسط في كل الأمور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض العقلاء : الحكمة فيه أن رأس ذلك العضو جسم شديد الحس فإذا قطعت تلك الجلدة بقي رأسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف حسه ويقل شعوره فتقل لذة الوقاع فتقل الرغبة فيه . فالاختصاء وقطع الآلات كما ذهب إليه المانوية مذموم ، وإبقاء تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة مذموم ، والوسط العدل هو الختان . هذا ما قيل . وعندي أن الحكمة في الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة وإلا فلعل اللذة بعد الختان أكثر لملاقاة الحاس والمحسوس بلا حائل . ومن الكلمات المشهورة قولهم : « بالعدل قامت السموات والأرضون » . ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن معادلة مكافية بحسب الكمية والكيفية لا ستولى الغالب على المغلوب وتنقلب الطبائع كلها إلى طبيعة الجرم الغالب ، ولو كان بعد الشمس من الأرض أقل مما هو الآن لاحتراق كل ما في هذا العالم ، وإن كان أكثر استولى البرد والجمود ، وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣/٣

سرعتها وإبطائها فإن كلا منها مقدر على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه . فهذه إشارة مختصرة إلى تحقيق العدل .وأما الإحسان فهو المبالغة في أداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » فكأن المبالغ المخلص في أداء الطاعات يوصل الفعل الحسن إلى نفسه وبالحقيقة يدخل في الإحسان أنواع التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ، وأشرف أنواع الإشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم أفرد بالذكر كما مر . ثم إنه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعا : الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية . وهذه الأخيرة لا تحتاج إلى التهذيب لأنها من نتائج الأرواح القدسية ، وأما الثلاث الأول فتحتاج إلى التأديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة . والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن إذن الشريعة ، والنهي عن المنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوة الغضبية من إيذاء الناس وإيصال الشر إليهم من غير ما استحقاق ، والنهي عن البغي إشارة إلى المنع من إفراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع **وحب الرياسة** والتقدم ممن ليس أهلا لذلك ، واخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية ، وأوسطها الغضبية ، وأعلاها الوهمية فلهذا بدأ سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ، ولأن أصول الأخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الآية لا جرم ختمها بقوله : ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ لأنها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية إلى ذروة عالم الأرواح المقدسة . قال الكعبي : في الآية دلالة على أنه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء وإلا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم؟ وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا .." (١)

"﴿ جعلنا لأحدهما ﴾ وهو النفس ﴿ جنتين ﴾ هما الهوى والدنيا ﴿ من أعناب ﴾ الشهوات ﴿ وحففناهما بنخل ﴾ **حب الرياسة** ﴿ وجعلنا بينهما زرعا ﴾ من التمتعات البهيمية ﴿ وفجرنا خلالهما نهرا ﴾ من القوى البشرية والحواس . ﴿ وكان له ثمر ﴾ من أنواع الشهوات ﴿ وهو يحاوره ﴾ يجاذب النفس والقلب ﴿ أنا أكثر منك مالا ﴾ أي ميلا ﴿ وأعز نفرا ﴾ من أوصاف المذمومات ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى ﴿ لأجدن خيرا منها ﴾ لأنه غر بالله وكرمه فلا جرم يقال له ما غرك بربك الكريم ، هلا قلت ﴿ ما شاء الله ﴾ أي أتصرف في جنة الدنيا كما شاء الله ﴿ على ما أنفق فيها ﴾ من العمر وحسن الاستعداد ﴿ كما أنزلناه ﴾ هو الروح العلوي الذي نزل إلى أرض الجسد ﴿ فاختلط ﴾ الروح بالأخلاق الذميمة ﴿ فأصبح هشيما ﴾ تلاشت منه نداوة الأخلاق الروحانية ﴿ تذروه ﴾ رياح الأهوية المختلفة فيكون حاله خلاف روح أدركته العناية الأزلية فبعث إليه دهقان من أهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة . ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ أي ما فني منك وبقي بربك والله أعلم بالصواب .." (٢)

"ثم فسر ذلك الاستهزاء بأنهم يقولون مشيرين إليه على سبيل الاستحقار . هذا الذي بعثه الله حال كونه رسولا بزعمه . ويجوز أن يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث إنه تسليم وإقرار في معرض الجحود والإنكار . وفي هذا جهل عظيم لأنهم إن استحقروا صورته فإنه أحسنهم خلقا وأعدلهم مزاجا مع أنه لم يكن يدعي التميز بالصورة ، وإن استهزؤا

---

(١) تفسير النيسابوري، ٥/٥٩

(٢) تفسير النيسابوري، ٥/١٨٥

بالمعنى فبه قد وقع التحدي بظهور المعجز عليه وقامت الحجة عليهم فهم أحق بالاستهزاء منه حين اصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق ، ولقد شهد عليهم بمضمون هذا التقرير ابن أخت خالتهم إذ قالوا ﴿ إن كاد ﴾ هي مخففة من الثقيلة واللام في ﴿ ليضلنا ﴾ هي الفارقة كأنهم سلموا أنه لقوة العقل وسطوع الحجة شارف أن يغلبهم على دينهم ويقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة آلهتهم . أطلقوا المقاربة أولا ثم قيدوها بلولا الامتناعية ثانيا ، وفيه أنه A بذل قصارى مجهوده في دعوتهم حتى شارفوا على الإيمان بزعمهم . وحين وصفوه بالإضلال والمضل لا بد ان يكون ضالا في نفسه فكأنهم وصفوه بالضلال فلا جرم أوعدهم الله على ذلك بقوله ﴿ وسوف يعلمون ﴾ إلى آخر الآية . وإنما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة . ثم بين إنه لا تمسك لهم فيما ذهبوا إليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهة هواه ﴾ قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول : علمت منطلقا زيدا . ثم نفى أن يكون هو حافظا عليهم كقوله : ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ [الأنعام : ١٠٧] ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢٢] قال الكلبي : نسختها آية القتال . عن سعيد بن جبير : كان الرجل يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر . ثم أضرب عن ذمهم باتخاذ الهوى إلها إلى نوع آخر أشنع في الظاهر قائلا : ﴿ أم يحسب ﴾ وهي منقطعة ومعناه « بل » أيحسب وخص أكثرهم بالذكر إما لصون الكلام عن المنع على عادة الفصحاء العقلاء ، وإما لأن منهم من كان يعرف الحق إلا أن **حب الرياسة** يحمله على الخلاف . وإنما نفى عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما وأثرهما . وباقي الآية تفسيرها مذكور في آخر الأعراف في قوله ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ [الأعراف : ١٧٩] قال جار الله : جعلوا أضل من الأنعام لأنها تنقاد لأربابها التي تعلفها وترعف المحسن من المسيء وتجذب المنافع وتجتنب المضار وتهتدي للمراعي والمشارب ، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ، ولا يطلبون أعظم المنافع وهو الثواب ، ولا يتقون أشد المضار وهو العقاب ، ولا يهتدون للحق الذي هو المرتع الهني والشمرب الروي ، قلت : ويحسن أيضا ان يذكر في وجه التفضيل أن جهل الأنعام بسيط غير مضر وجهل هؤلاء مركب مضر . ومنهم من قال : إن الأنعام تسبح لله تعالى بخلاف الكفار .." (١)

"ثم بين أن يوم القيامة لا اعتذار فيه لأهل الظلم والغواية وإن فرض اعتذار فلا يقبل وسوء الدار عذاب الآخرة . ثم أخبر عن إعطاء موسى التوراة وإيراثها قومه بعده . والمراد بكون الكتاب هدى أنه دليل في نفسه ، وبكونه ذكرى أن يكون مذكرا للشيء المنسي . وحين فرغ من قصة موسى وما تعلق بها خاطب نبيه A مسليا له بقوله ﴿ فاصبر إن وعد الله ﴾ بالنصر وإعلاء كلمة الحق ﴿ حق ﴾ كما قص عليك من حال موسى وغيره . ثم أمره باستغفاره لذنبه وقد سبق البحث في مثله مرارا . والعشي والإبكار صلاتا العصر والفجر أو المراد الدوام . قوله ﴿ إن الذين يجادلون ﴾ عود إلى ما انجر الكلام إليه من أول السورة إلى ههنا . وفيه بيان السبب الباعث لكفار قريش على هذا الجدال وهو الكبر والحسد **وحب الرياسة** ، وأن يكون الناس تحت تصرفهم وتسخيرهم لا أن يكونوا تحت تصرف غيرهم فإن النبي A لا بد أن تكون الأمة تحت أمره ونهيه وذلك تخيل فاسد لأن الغلبة لدين الإسلام ولهذا قال ﴿ ما هم ببالغيه ﴾ ثم أمره أن يستعيذ في دفع شرورهم

---

(١) تفسير النيسابوري، ٦/٥٢

بالله السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم فيجازيهم على حسب ذلك . ثم إنهم كانوا أكثر ما يجادلون في أمر البعث فاحتج الله تعالى عليهم بقوله ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ ومن قدر على الأصعب في نظر المخالف وقياسه كان على الأسهل أقدر ، فظاهر أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا برهان بل لمجرد الحسد والكبير بل لا يعرفون ما البرهان وكيف طريق النظر والاستدلال ولهذا قال ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .ثم نبه على الفرق بين الجدال المستند على العناد والتقليد وبين الجدال المستند إلى الحجة والدليل قائلا ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾ وحين بين التفاوت بين الجاهل والعالم أراد أن يبين التفاوت بين المحسن والمسيء ثم قال ﴿ قليلا ما تتذكرون ﴾ وفيه مزيد توبيخ وتقريع ، وفيه أن هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معاندا مصرا . ثم صرح بوجود القيامة قائلا ﴿ إن الساعة لآتية ﴾ أدخل اللام في الخبر بخلاف ما في « طه » لأن المخاطبين ههنا شاكون بخلاف المخاطب هناك وهو موسى ، وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها . ومعنى ﴿ لا يؤمنون ﴾ لا يصدقون بالبعث . ثم إنه كان من المعلوم أن الإنسان لا ينتفع في يوم القيامة إلا بالطاعة فلا جرم أشار إليها بقوله ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ﴾ أكثر المفسرين على أن الدعاء ههنا بمعنى العبادة ، والاستجابة بمعنى الإنابة بقوله سبحانه ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله." (١)

" هود ١١٦ - ١٢٣

من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا مجرمين اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى اللام لتأكيد النفى بظلم حال من الفاعل أى لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون فى المعاملات فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فساد آخر ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة أى متفقين على الإيمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هى مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز ولا يزالون مختلفين فى الكفر والإيمان أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك إلا من رحم ربك إلا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم أى واما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذى علم أنهم سيصيرون إليه من اختلاف أواتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم أنهم سيصيرن إليه كذا فى شرك التأويلات وتمت كلمة ربك وهى قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فهي عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله نقص عليك وقوله من أنباء الرسل بيان لكل وقوله ما نثبت به فؤادك بدل من كلا وجاءك فى هذه الحق أى فى هذه السورة أو فى هذه الأنباء المقتصة ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وقل للذين لا يؤمنون من أهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها إنا عاملون على مكانتنا وانتظروا بنا

---

(١) تفسير النيسابوري، ٦/٤٣٧

الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم ولله غيب السموات والأرض لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيها فلا تخفى عليه أعمالكم واليه يرجع الأمر كله فلابد ." (١)

" الفرقان ٤٨ – ٤٥

ذكر الاكثر لأن فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا **حب الرياسة** وكفى به داء عضالا ولأن فيهم من آمن ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل أى بسطه فعم الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فى قول الجمهور لأنه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال فى ظل الجنة وظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة ولو شاء لجعله ساكنا أى دائما لا يزول ولا نذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس عليه على الظل دليلا لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالأشياء تعرف باضدادها ثم قبضناه أن أخذنا ذلك الظل الممدود الينا إلى حيث أردنا قبضا يسيرا سهلا غير عسير أو قليلا قليلا أى جزأ فجزأ بالشمس التى تأتى عليه وجاء بثم لتفاضل ما بين الحوادث فى الوقت وهو الذى جعل لكم الليل لباسا جعل الظلام الساتر كاللباس والنوم سباتا راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته وقيل السبات الموت المسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعضده ذكر النشور فى مقابلته وجعل النهار نشورا إذا لنشور انبعاث من النوم كنشور الميت أى ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته والحياة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه كما تنام فتوعظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى أرسل الرياح الريح مكى والمراد الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور بين يدى رحمته أى قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة ملحية وأنزلنا من السماء ماء مطر طهورا بليغا فى طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم كقولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار ومصدر بمعنى التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلاة و السلام إلا بطهور أى بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره وهو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان كان هذا زيادة بيان الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ليطهركم به و إلا فليس فعول من التفعيل فى شئ وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المعتدية كقطوع ومنوع غير سديد لأن بناء ." (٢)

"الصِّدق هو المعجز] فقط فهذا المعجو سواءٌ ظهر على الملكِ ، أو على البشرِ ، وجب الإقرارُ برسالته ، فقولهم : " لا بُدَّ وأن يكون الرسول من الملائكة " : تحكم فاسد باطل. والجواب الثاني عن شبهتهم ، وهي أنَّ أهل الأرض لو كانوا ملائكة ، لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة ؛ لأنّ الجنس إلى الجنس أميل ، فلما كان [أهل الأرض] من البشر ، فوجب أن يكون رسولهم من البشر ؛ وهذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلا ائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾ [الإسراء : ٩٥]. الجواب الثالث : قوله تعالى : ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾. وتقريره أنَّ الله تعالى ، لَمَّا أظهر المعجزة على وفق دعواي ، كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقاً ، ومن شهد الله على

---

(١) تفسير النسفي، ١٧٦/٢

(٢) تفسير النسفي، ١٧١/٣

صدقه ، فهو صادق ، فقولكم بأنَّ الرسول يجب أن يكون ملكاً ، فذلك تحكُّم فاسدٌ ؛ لا يلتفت إليه. ولَمَّا ذكر الله تعالى هذه الأجوبة الثلاثة ، أردفها بما يجري مجرى التهديد ، والوعيد ؛ فقال : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ [الإسراء : ٩٦]. أي : يعلم ظواهرهم وبواطنهم ، ويعلم أنَّهم لا يذكرون هذه الشبهات إلا لمحض الحسد ، **وحبِّ الرياسة**. قوله : ﴿أَن يُؤْمِنُوا اْ﴾ : مفعولٌ ثانٍ لـ " مَنَع " ، أي : ما منعهم إيمانهم ؛ و " أن قالوا " هو الفاعل ، و " إِذْ " ظرف لـ " مَنَعَ " ، والتقدير : وما منع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى إيَّاهم إلا قولهم : أبعث الله. وهذه الجملة المنفيَّة يحتمل أن تكون من كلام الله ، فتكون مستأنفة ، وأن تكون من كلام الرسول ، فتكون منصوبة المحلِّ ؛ لاندراجها تحت القول في كلتا القراءتينز قوله : ﴿بَشَراً رَّسُولاً﴾ تقدَّم في نظيره وجهان ، وكذلك قوله ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾. قوله تعالى : ﴿قُل لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ﴾ : يجوز في "كَانَ " هذه التمام ، أي : لو وجد ، وحصل ، و " يَمْشُونَ " صفة لـ " مَلائِكَة " و " في الأرض " متعلِّق به ، " مُطْمَئنينَ " حال من فاعل " يَمْشُونَ " ، ويجوز أن تكون الناقصة ، وفي خبرها أوجه ، أظهرها : أنه الجار ، و " يَمْشُون " و " مُطمَئِنِّينَ " على ما تقدم. وقيل : الخبر " يمشُون " و " في الأرض " متعلق به. وقيل : الخبر " مُطمئنِّين " و " يمشُونَ " صفة ، وهذان الوجهان ضعيفان ؛ لأنَّ المعنى على الأول. فإن قيل : إنَّه تعالى لو قال : قل لو كان في الأرض ملائكة ، لنزَّلنا عليهم من السَّماء ملكاً رسولاً كان كافياً في هذا المعنى. فما الحكمة في قوله : ﴿يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ ؟ !..٣٩٠." (١)

"قوله : "كَانَتْ ظَالِمَةٌ " في محل جر صفة لـ " قَرْيَةٍ " ، ولا بد من مضاف محذوف قبل " قَرْيَةٍ " أي : وكم قصمنا من أهل قرية بدليل عود الضمير في قوله : " فَلَمَّا أَحَسُّوا " ولا يجوز أن يعود على قوله " قوماً " لأنه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك. فصل لما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة ، لكونها في مقابلة ما ثبت إعجازه ، وهو القرآن ظهر لكل عاقل أن اعتراضهم كان لأجل **حب الرياسة** والدنيا. والمراد بقوله : " قصمنا " أهلكنا. قال ابن عباس : المراد منه القتل بالسيوف ، والمراد بالقرية : حضور وسحول باليمن ينسب إليهما الثياب ، وفي الحديث : "كفن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ثوبين سحولين " ، وروي " حضورين " بعث الله إليهما نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم. وروي " أنه لما أخذتهم السيوف ناداه مناد من السماء يا لثارات الأنبياء " فندموا واعترفوا بالخطأ ، و ﴿قَالُواْ يا وَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾. وقال الحسن : المراد عذب الاستئصال. وهذا أقرب ، أن إضافة ذلك إلى الله أقرب من إضافته إلى القائل ، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين اللتين ذكرهما ابن عباس. وقوله : "كَانَتْ ظَالِمَةٌ " أي كافرة ، يعني أهلها " وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا " أي : أحدثنا بعد علاك أهلها " قَوْمَاً آخَرِينَ ". ﴿فَلَمَّا أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي : عذابنا بحاسة البصر ﴿إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي : يسرعون هاربين. والركض ضرب الدابة بالرجل ، يقال : ركض الدابة يركضها ركضاً ، ومنه قوله تعالى : " ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ". فيجوز أن يركبوا دوابّهم فيركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب. ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين.٤٥٦قوله : " إِذَا هُمْ " : " إذَا " هذه فجائية ، وتقدم الخلاف فيها. و " هُمْ " مبتدأ ، و " يَرْكُضُونَ " خبره.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٣٧٧

وتقدم أول الكتاب أن أمثال هذه الآية دالة على أن " لَمَّا " ليست ظرفية بل حرف وجوب لوجوب ، لأن الظرف لا بد له من عامل ، ولا عامل هنا ، لأن ما بعد " إذا " لا يعمل فيما قبلها. والجواب أنه عمل فيها معنى المفاجَأة المدلول عليه بـ " إِذَا ". والضمير في " مِنْهَا " يعود على " قَرْيَةٍ " ، ويجوز أن يعود على " بَ ْسَنَا " لأنه في معنى النقمة والبأساء ، فأنث الضمير حملاً على المعنى. و " مِنْ " على الأول لابتداء الغاية ، وللتعليل على الثاني. قوله : " لا تَرْكُضُوا " أي : قيل لهم : لا تركضوا ، أي لا تهربوا. قال الزمخشري : القول محذوف ، فإن قلت : من القائل ؟ قلت : يحتمل أن يكون بعض الملائكة ، أو من ثم من المؤمنين ، أو يكون خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل ، أو بقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم. أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم.٤٥٧وقوله : ﴿وَارْجِعُوا اْ إِلَى مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾ من العيش الرافه والحال الناعمة. والإتراف انتظار النعمة ، وهي الترفه. وقوله : " لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ َ " تهكم بهم وتوبيخ. قال ابن عباس : تسألون عن قتل نبيكم. وقال غيره : هذا التهكم يحتمل وجوهاً : الأول : ارجعوا إلى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم ، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. الثاني : ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ، ويقولوا لكم : بم تأمرون ، وماذا ترسمون كعادة المخدومين. الثالث : تسألكم الناس ما في أيديكم ويستشيرونكم في المهمات. قوله : ﴿فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ اسم " زالت " " تلك " و " دعواهم " الخبر هذا هو الصواب. وقد قال الحوفي والزمخشري وأبو البقاء : يجوز العكس ، وهو مردود بأنه إذا أخفي الإعراب مع استوائهما في المسوغ لكون كل منهما اسماً أو خبراً ، وجب جعل المتقدم اسماً والمتأخر خبراً ، وهو من باب ضرب موسى عيسى وتقدم إيضاح هذا في أول سورة الأعراف فليلتفت إليه. و " تلك " إشارة إلى الجملة المقولة. قال٤٥٨." (١)

"قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ الآية ، لما ذكر النعم الحاصلة من الماء والنبات ، ذكر بعده النعم الحاصلة من الحيوان ، فذكر أنَّ فيها عبرة مجملاً ثم فصله من أربعة أوجه : أحدها : قوله : ﴿نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ المراد منه جميع وجوه الانتفاع ، ووجه الاعتبار فيه أنها تجتمع في الضروع ، وتخلص من بين الفرث والدم بإذن الله – تعالى – فتستحيل إلى طهارة ولون وطعم موافق للشهوة ، وتصير غذاء ، فَمَن استدل بذلك على قدرة الله وحكمته ، فهو من النعم الدينية ، ومن انتفع به فهو من النعم الدنيوية. وأيضاً : فهذه الألبان التي تخرج من بطونها إذا ذبحت لم تجد لها أثراً ، وذلك دليل على عظم قدرة الله. وتقدم الكلام في " نُسْقِيكُمْ " في النحل وقُرئ " تَسْقيكُم " بالتاء من فوق مفتوحة ، أي : تَسقِيكُم الأنعام. وثانيها : قوله : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أي : بالبيع ، والانتفاع بأثمانها. وثالثها : قوله – تعالى – : " ومِنْهَا تَأْكُلُونَ " أي : كما تنتفعون بها وهي حيّة تنتفعون بها بعد الذبح بالأكل. ورابعها : قوله : ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي : على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر ، ولمّا بيَّن دلائل التوحيد أردفها بالقصص كما هو العادة في سائر السور قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾. قيل : كان نوح اسمه يشكر١٩٤ثم سمي نوحاً لكثرة ما نَاحَ على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله بالطوفان فَندم على ذلك. وقيل : لمراجعة ربه في شأن ابنه. وقيل : لأنه مر بكلب مجذوم ، فقال له : اخسأ يا قبيح ، فعوتب على ذلك ، وقال الله تعالى : أعِبْتني إذ خلقته ، أم عِبْتَ الكلب ، وهذه وجوه متكلفة ، لأن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٦٢٦

الأعلام لا تفيد صفة في المسمى. قوله : ﴿يا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ﴾ : وَحِّدُوه ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَاهٍ غَيْرُهُ﴾ أي : أنَّ عبادة غير الله لا تجوز إذ لا إله سواه. وقُرئ " غَيْرُهُ " بالرفع على المحل ، وبالجر على اللفظ. ثم إنه لمّا لَمْ ينفع فيهم الدعاء واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله : " أَفَلاَ تَتَّقُونَ " زجرهم وتوعدهم باتقاء العقوبة لينصرفوا عما هم عليه ثم إنه تعالى حكى عنهم شبههم في إنكار نبوة نوح – عليه السلام – : وهي قولهم : ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وهذه الشبهة تحتمل وجهين : أحدهما : أن يقال : إنه لمّا كان سائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض سواء امتنع كونه رسولاً لله ، لأنّ الرسول لا بُدّ وأن يكون معظماً عند الله وحبيباً له ، والحبيب لا بد وأن يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة ، فلما انْتَفَتْ هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة. والثاني : أن يقال : إن هذه الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور ، ولكنه **أحب الرياسة** والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلاً إلا بادعاء النبوة ، فصار ذلك شُبهة لهم في القدح في نبوته ، ويؤكد هذا الاحتمال قولهم : ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي : يطلب الفضل عليكم ويرأسكم. الشبهة الثانية : قولهم : ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً﴾ أي : ولو شاء الله أن لا يتعبد سواه لأنزل ملائكة بإبلاغ الوحي ، لأنّ بعثة الملائكة أشد إفضاء إلى المقصود من بعثة البشر ، لأن الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم ، وكثرة علومهم ينقاد الخلق إليهم ، ولا يشكون في رسالتهم فلمّا لم يفعل ذلك عَلِمنا أنه ما أرسل رسولاً.١٩٥." (١)

"فصل لما وصفوه بالإضلال في قولهم : ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ بين تعالى أنه سيظهر لهم من المضل ومن الضال عند مشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه ، فقال : ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ، وهذا وعيد شديد على التعامي والإعراض عن الاستدلال والنظر.جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٥٣٥قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَاهَهُ هَوَاهُ﴾ الآية. " أَرَأَيْتَ "كلمة تصلح للإعلان والسؤال ، وههنا تعجب ممن هذا وصفه ونعته. وقوله : ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَاهَهُ هَوَاهُ﴾ مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير ، لاستوائهما في التعريف. وقال الزمخشري : فإن قلت : لم أخر " هَوَاهُ " والأصل قولك : اتخذ الهوى إلهاً. قلت : ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية (به) كما تقول : علمت منطلقاً زيداً لفضل عنايتك بالمنطلق. قال أبو حيان : وادعاء القلب ، يعني : أن التقديم ليس بجيد ، لأنه من ضرائر الأشعار. قال شهاب الدين : قد تقدم فيه ثلاثة مذاهب ، على أن هذا ليس من٥٣٩القلب المذكور في شيء إنما هو تقديم وتأخير فقط. وقرأ ابنُ هُرمز " إلاَهَةً هَوَاهُ " على وزن فعالة ، والإلهة بمعنى المَأْلُوه ، والهاء للمبالغة ك " عَلاَّمَة وَنسَّابة). و " إِلاَهَةً " مفعول ثاني قدم لكونه نكرة ولذلك صرف. وقيل : إلاهة هي الشمس ، ورد هذا بأنه كان ينبغي أن يمتنع من الصرف للعلمية والتأنيث. وأجيب بأنها يدخل عليها (أل) كثيراً فلما نزعت منها صارت نكرة جارية مجرى الأوصاف. ويقال : أُلاهة بضم الهمزة للشمس وقرأ بعض المَدَنيّين " آلِهَةً هَوَاهُ " جمعُ إله ، وهو أيضاً مفعول مقدم وجمع باعتبار الأنواع ، فقد كان الرجل يعبد آلهة شتى. ومفعول " أَرَأَيْتَ " الأول " مَنْ " والثاني الجملة الاستفهامية. فصل قال ابن عباس : الهوى إله يعبد. وقال سعيد بن جبير : كان الرجل من المشركين يعبد الحجر ، فإذا رأى حجراً أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر وعبده. ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ أي : حافظاً تحفظه من اتباع هواه ، أي لست كذلك ، ونظيره : ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٧٦١

بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية : ٢٢] ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق : ٤٥] ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، قال الكلبي : نسختها آية القتال. ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ يسمعون ما تقول سماع طالب الإفهام ، أو يعقلون ما يعاينون من الحجج والأعلام. و " أم " هنا منقطعة بعنى : بل. ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ﴾ في عدم انتفاعهم بالكلام ، وعدم تدبرهم ، وتفكرهم ، بل هم أضل سبيلاً لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها ، وتَنْقَاد لأربابها التي تتعهدها ، (وتطلب ما ينفعها ، وتجتنب ما يضرها ، وقلوب الأنعام خالية عن العلم ، وعن الاعتقاد الفاسد ، وهؤلاء قلوبهم خالية عن العلم ومليئة من الاعتقاد والباطل ، وعدم علم الأنعام لا يضر بأحد ، وجهل هؤلاء منشأ للضرر العظيم ، لأنهم يصدون الناس عن سبيل الله ، والبهائم لا تستحق عقاباً على عدم العلم ، وهؤلاء يستحقون على عدم العلم أعظم العقاب) ، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ، ولأن الأنعام تسجد وتسبح الله ، وهؤلاء الكفار لا ٥٤٠ يفعلون فإن قيل : لم قال : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ فحكم بذلك على الأكثر دون الكل ؟ فالجواب : لأنه كان فيهم من يعرف الله ويعقل الحق إلا أنه ترك الإسلام لحبّ الرياسة لا للجهل. فإن قيل : إنه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الإعراض عن الدين ، وكيف بعث الرسول إليهم ، فإن من شرط التكليف العقل ؟ فالجواب : ليس المراد أنهم لا يعقلون بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل ، فهو كقول الرجل لغيره إذا لم يفهم : إنما أنت أعمى وأصم.جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٥٣٩قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ الآية. لما بين جهل المعرضين عن دلائل التوحيد ، وبين فساد طريقهم ذكر أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع ، فأولها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه ، وتغير أحواله قوله : " ألم تر " فيه وجهان : أحدهما : أنه من رؤية العين. والثاني : أنه من رؤية القلب ، يعني : العلم ، فإن حملناه على رؤية العين ، فالمعنى : أَلَمْ تَرَ إلى الظل كيف مده ربُّك ، وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج ، فالمعنى : ألم تعلم ، وهذا أولى ، لأن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث أن كل مبصر فله مؤثر ، فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب أولى من هذا الوجه. وهذا الخطاب وإن كان ظاهره للرسول فهو عام في المعنى ، لأن المقصود بيان نعم الله تعالى بالظل ، وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم لهذه النعمة و " كَيْفَ " منصوبة بـ " مَدَّ " ، وهي٥٤١." (١)

"في " سبحان " (١).ذكره ابن إسحق في السيرة وغيره.مضمنه – أن سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا: يا محمد ! إن كنت تحب الرياسة وليناك علينا، وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا، فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج معه فقالوا: ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام، وتقف بالاسواق ! فعيروه بأكل الطعام، لانهم أرادوا أن يكون الرسول ملكا، وعيروه بالمشى في الاسواق حين رأوا الاكاسرة والقياصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن الاسواق، وكان عليه السلام يخالطهم في أسواقهم، ويأمرهم وينهاهم، فقالوا: هذا يطلب أن يتملك علينا، فماله يخالف سيرة الملوك، فأجابهم الله بقوله، وأنزل على نبيه: " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق " فلا تغتم ولا تحزن، فإنها شكاة ظاهر عنك عارها.الثانية – دخول الاسواق مباح للتجارة وطلب

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٨٩٢

المعاش.وكان عليه السلام يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل الله أن يرجع بهم إلى الحق.وفى البخاري في صفته عليه السلام: " ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ".وقد تقدم في " الاعراف " (٢).وذكر السوق مذكور في غير ما حديث، ذكره أهل الصحيح.وتجارة الصحابة فيها معروفة، وخاصة المهاجرين، كما قال أبو هريرة: وإنإخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق (٣) بالاسواق، خرجه البخاري.وسيأتى لهذه المسألة زيادة بيان في هذه السورة إن شاء الله.قوله تعالى: (لولا أنزل إليه ملك) أي هلا.(فيكون معه نذيرا) جواب الاستفهام.(أو يلقى) في موضع رفع، والمعنى: أو هلا يلقى (إليه كنز) (أو) هلا (تكون له جنة يأكل منها) " يأكل " بالياء قرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم.وقرأ سائر الكوفيين بالنون، والقراءتان حسنتان تؤديان عن معنى، وإن كانت القراءة بالياء أبين، لانه____________(١) راجع ج ١٠ ص ٣٢٨ طبعة أولى أو ثانية.(٢) راجع ج ٧ ص ٢٩٩ طبعة أولى أو ثانية.(٣) الصفق: التبايع.(*)."(١)

"" صفحة رقم ١٤٠ " قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حولهوأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أوعرفوا انه الحق الا ان **حب الرياسة** وهوى الألف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وإنهماك الفاسقين في غيهم وضلالهموالعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذبابوأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوضولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابيروالتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولاوعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله عز وجل هذه الآيةوالحياء تغير وإنكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذمواشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الإنكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، ٥/١٣

(٢) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ١/١٤٠

"" صفحة رقم ٦٨٥ " أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي (و) فسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل الا ان **حب الرياسة** وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا) ذلك (إشارة إلى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل (من) تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنة الله و) من لعنه الله (في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى) قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار (أو في محل الجر على البدل من شروقرىء (مثوبة) (ومثوبة) ومثالهما مشورة ومشورة فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت في الإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله(تحية بينهم ضرب وجيع)ومنه) فبشرهم بعذاب أليم (آل عمران ٢١فإن قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الإسلام في زعمكم ودعواكم) وعبد الطاغوت (عطف على صلة (من) كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة أبي (وعبدوا الطاغوت) على المعنى وعن ابن مسعود (ومن عبدوا) وقرىء (وعابد الطاغوت) عطفا على القردة (وعابدي) (وعباد) (وعبد) (وعبد) ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال(ابني لبيني إن امكمأمة وإن أباكموا عبد)." (١)

"" صفحة رقم ٤١٢ " الجودة والفضل . ويقال : فلان من بقية القوم ، أي من خيارهم . وبه فسر بيت الحماسة :إن تذنبوا ثم يأتيني بقيتكمومنه قولهم : في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا . ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى ، كالتقية بمعنى التقوى ، أي : فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ، وقرىء : (أولو بقية) ، بوزن لقية ، من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه :(٥٣٦) (بقينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) والبقية المرة من مصدره . والمعنى : فلو كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله ، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم) إلا قليلا (استثناء منقطع ، معناه : ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد ، وسائرهم تاركون للنهي . و) من (في) ممن أنجينا (حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض ؛ لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم ، بدليل قوله تعالى :) أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا ((الأعراف : ١٦٥) . فإن قلت : هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه ؟ قلت : إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام ، كان المعنى فاسدا ؛ لأنه يكون تخصيصا لأولى البقية على النهي عن الفساد ، إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول : هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم ، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت : في تحضيضهم على النهي على الفساد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل : ماكان من القرون أولو بقية إلا قليلا ، كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا ، وكان انتصابه على أصل الاستثناء ، وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل) واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه (أراد بالذين ظلموا : تاركي النهي عن المنكرات ، أي : لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعقدوا هممهم بالشهوات ، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف ، من **حب الرياسة** والثروة ، وطلب أسباب العيش الهنيء . ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم . وقرأ

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ١/٦٨٥

أبو عمرو في رواية الجعفي ، (واتبع الذين ظلموا) ، يعني : واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه . ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة : أنهم اتبعوا جزاء إترافهم . وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء ، كأنه قيل : إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك." (١)

"" صفحة رقم ٢٨٧ " للوعيد أن يلحقهم فلا يغرهم التأخير . وقوله :) من أضل سبيلا (كالجواب عن قولهم) إن كاد ليضلنا (لأنه نسبة لرسول الله إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه . ويروي أنه من قول جهل لعنه الله .) أرءيت من اتخذ إلاهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (الفرقان : (٤٣) أرأيت من اتخذ . . . . .من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي إلى برهان . فهو عابد هواه وجاعله آلهة ، فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين ؟ وهذا كقوله :) وما أنت عليهم بجبار ((ق : ٤٥) ،) لست عليهم ((الغاشية : ٢٢) ويروى أن الرجل منهم كن يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر . ومنهم الحرث بن قيس السهمي .) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالا نعام بل هم أضل سبيلا (الفرقان : (٤٤) أم تحسب أن . . . . .أم هذه منقطعة ، معناه : بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول ، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال ، ثم أرجح ضلالة منها . فإن قلت : لم أخر هواه والأصل قولك : اتخذ الهوى إلاها ؟ قلت : ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية ، كما تقول : علمت منطلقا زيدا ؛ لفضل عنايتك بالمنطلق . فإن قلت : ما معنى ذكر الأكثر ؟ قلت : كان فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا داء واحد : وهو **حب الرياسة** ، وكفى به داء عضالا . فإن قلت : كيف جعلوا أضل من الإنعام ؟ قلت : لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها ، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها ، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها (وتهتدي لمراعيها ومشاربها) . وهؤلاء لا ينقادون لربهم ، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني." (٢)

"برأيك ويعملون بأمرك إن أحللت أحلوا وإن حرمت حرموا، وليس ذلك عندك ولكنه إكبابهم عليك ورغبتهم فيما في يديك ذهاب عملهم وغلبة الجهل عليك وعليهم وطلب **حب الرياسة** وطلب الدنيا منك ومنهم، أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغِرَّه، وما الناس فيه من البلاء والفتنة، ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك وتاقت أنفسهم أن يدركوا بالعلم ما أدركت، وبلغوا منه مثل الذي بلغت، فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره، وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدِث في سِنّه والجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله.إنا لله وإنا إليه راجعون، على من المعول وعند من المستعتب نحتسب عند الله مصيبتنا ونشكو إليه بثنا وما نرى منك ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٤١٢/٢

(٢) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٢٨٧/٣

ورحمة الله وبركاته. (١)أرسل بعض الأمراء إلى أبي حازم فأتاه وعنده الإفريقي والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم، فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شرّ العلماء من أحب الأمراء، وإنه كان فيما ______________(

١) الحلية، ج٣، ص٢٤٩.." (١)

"حب الرئاسة والشهرةهذا الداء قَلّ من يتفطّن له أوْ قُلْ يتخلص منه لأنه مُغْري وفي الغالب خفاؤه على صاحبه.وحب الرئاسة والشهرة بينما هو داء يخافه السلف على نفوسهم غاية الخوف لعلمهم بأنه قاطع عن مطلوبهم إذا هو في زماننا مجال منافسة ومطلب مرغوب فيه أشدّ الرغبة، أما ترى هذه الشارات والتسابق إليها.قال علي رضي الله عنه: خفْق النعال مفسدة لقلوب نَوْكى الرجال. انتهوقال: وأيّ قلب يصلح على هذا؟وهذا كناية عن اتباع الناس للرجل وسيْرهم خلفه تعظيماً له.قال سفيان الثوري في كتابه إلى عباد بن عباد: وإياك وحب الرياسة فإن الرجل يكون حب الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فَتَفَقَّدْ بقلب واعمل بِنِيّة، واعلم أنه قدْ دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت، والسلام.وقال سفيان: من أحب الرياسة فَلْيُعِدّ راسه للنطاح. انتهيريد رحمه الله أنه يُبتلى بمن يُنافسه عليها فيكون بينه وبينه ما يكون." (٢)

"بين المتنافسين غالباً من المنازعات والصراع لأنها مطلب قاطع عند أرباب السلوك.قال إسحاق بن خلف: والله الذي لا إله إلا هو لإزلة الجبال الرواسي أيْسر من إزالة الرياسة. انتهالمراد هنا أنها في الغالب تخفى على صاحبها، وقد يعلم في نفسه ذلك لكن حبها متمكّن من قلبه، لكن من وفقه للإخلاص زال عنه ذلك.قال ابن عبدوس: كلما توقّر العالِم وارتفع كان العُجب إليه أسرع إلا من عصمه الله بتوفيقه وطرَحَ حب الرياسة من نفسه.قال أبو نعيم: والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة.قال الفضيل بن عياض: ما من أحد أحب الرياسة إلا حَسَد وبغى وتتبّع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير.قال عمر بن عبد العزيز: وليس هذا الأمر لمن وَدّ أن الناس احتاجوا إليه إنما هذا الأمر لمن وَدّ أنه وجد من يكفيه.قال ابن القيم رحمه الله: إذا عزم العبد على السفر إلى الله تعالى وإرادته عرضت له الخوادع والقواطع فينخدع أولاً بالشهوات والرياسات والملاذ والمناكح والملابس فإن وقف معها انقطع وإن رفضها ولم يقف معها وصدق في طلبه ابتلي بوطء عقبه وتقبيل يده والتوسعه له في المجلس." (٣)

"والإشارة إليه بالدعاء ورجاء بركته ونحو ذلك فإن وقف معه انقطع به عن الله وكان حظه منه وإن قطعه ولم يقف معه ابتلي بالكرامات والكشوفات فإن وقف معها انقطع بها عن الله وكانت حظه وإن لم يقف معها ابتلي بالتجريد والتخلي ولذة الجمعيه وعزة الوحدة والفراغ من الدنيا فإن وقف مع ذلك انقطع به عن المقصود وإن لم يقف معه وسار ناظراً إلى مراد الله منه وما يحبه منه بحيث يكون عبده الموقوف على محابه ومراضيه أين كانت وكيف كانت تعب بها أو استراح تنعم أو تألم أخرجته إلى الناس أو عزلته عنهم لا يختار لنفسه غير ما يختاره له وليه وسيده واقف مع أمره ينفذه بحسب الإمكان

---

(١) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/٣٦

(٢) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/٦١

(٣) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/٦٢

ونفسه عنده أهون عليه أن يقدم راحتها ولذتها على مرضاة سيده وأمره فهذا هو العبد الذي قد وصل ونفذ ولم يقطعه عن سيده شيء البتة وبالله التوفيق.قال يوسف بن أسباط: الزهد في الرئاسة أشد منه في الدنيا. انتهيوضحه أن الإنسان يزهد في الدنيا لأجل الرياسة.قال بعضهم:أمرانِ مفترقان لستَ تراهماطلب المعاد مع الرياسة والعلى ... يتشوّفان لِخُلطة وتلاقيفدَع الذي يفنى لما هو باقيقال إبراهيم بن أدهم: ما صَدَقَ الله من **أحب الشهرة**.قال القاسم بن عثمان: **حب الرياسة** أصل كل مُوبقة.." (١)

"وقال بشر: سكون النفس إلى المدح وقبول المدح لها أشد عليها من المعاصي. (١)قال بشر: ما أتقى الله من أحب الشهره. (٢)وقال أيضاً: لو سقطت قلنسوة من السماء ما سقطت إلا على رأس من لا يريدها. (٣) انتهيالقلنسوة كان يتميز بها بعض العلماء.قال إبراهيم بن أدهم: ما صَدَق الله عبد **يحب الشهرة** بعلم أو عمل أو كرم.قال إبراهيم بن أدهم:تَوَقَّ لِمحظورٍ صُدور المجالسِ ... فإن عُضول الداء حُبَ القلانسِالقلانس هي ما يتميز بها بعض العلماء أو القضاة خاصة، فطلبها علامة **حب الرياسة**.قال ابن تيمية: أصل البغي والظلم **حب الرياسة**.قال الفضيل بن عياض: من أحب أن يُذكر لم يُذكر ومن كَرِه أن يُذكر ذُكِر.قال الإمام أحمد: إنما عُرِفوا لأنهم أحبوا ألا يُعرفوا. انتهى ___________(١) الحلية ٨/ ٣٤٤.(٢) الحلية ٨/ ٣٤٦.(٣) الحلية ص٣٥٥.." (٢)

"٢٩ - (السلف): الحق في قلوبهم أجَلّ من أن يشوبوه بما لا يصلح له ممَّا يدنسه.(أهل الوقت): يخلطون الحق بالهزليات والمضحكات واللعب والصور، وهذا ظاهر جلي في مناهجهم وصحفهم ومجتمعاتهم يتخللها ذلك.٣٠ - (السلف): لا يُعلمون من يتصف بهذه الأوصاف فيكونون عوناً له على هواه ورئاسته ودنياه لأنَّ من جهّز غازياً فد غزى ولا يوادّونهم.(أهل الوقت): الذين يعلمون هؤلاء ولو لم ينتظموا في سلكهم فهم يعينونهم على مطالبهم بالعلوم الدينية مع مايحصل من الصحبة والمودة وهذا سببه زوال الفرقان **وحب الرياسة** ولو لم يكن من أضرار ذلك إلاّ قدوة السوء وتحسين أحوال هؤلاء.." (٣)

"ص -٤٦- في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودعة. لم تنحصر أسباب اختيار الكفر في **حب الرياسة** والمأكلة.[من آمن بالنبي من رؤساء النصارى]فصل:وأما المسألة الثانية، وهي قولكم: هب أنهم اختاروا الكفر لذلك، فهل لا أتبع الحق من لا رياسة له ولا مأكلة إما اختيارا وإما قهرا، فجوابه من وجوه:أحدها: أنا قد بينا أن أكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقة اختيارا لا اضطرارا، وأكثرهم ألوا العقول والأحلام والعلوم ممن لا يحصيهم إلا الله، فرقعة الإسلام إنما انتشرت في الشرق والغرب بإسلام أكثر الطوائف، فدخلوا في دين الله أفواجا، حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار، وقد بينا أن الذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا، وأنه إنما يبقي منهم أقل القليل، وقد دخل في دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله صلى الله عليه

---

(١) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/٦٣

(٢) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/٦٥

(٣) بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل، ص/١٣٨

وسلم خلق كثير، وهذا ملك النصارى على إقليم الحبشة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لما تبين له أنه رسول الله؛ آمن به، ودخل في دينه، وآوى أصحابه، ومنعهم من أعدائهم، وقصته أشهر من أن تذكر. ولما مات أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالساعة التي توفي فيها، وبينهما مسيرة شهر، ثم خرج بهم إلى المصلى وصلى عليه.[النجاشي مللك الحبشة]فروى الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار؛ النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله، لا نؤذى، ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا على أن يبعثوا إلى النجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها ألأدم، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ [٢٦]﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ أي : يذكر مثلا ما . يقال ضرب مثلا ، ذكره ، فيتعدى لمفعول واحد . أو صير ، فلمفعولين .قال أبو إسحاق في قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ [الكهف : ٣٢] أي : اذكر لهم . وعبارة الجوهري : ضرب الله مثلا أي : وصف وبين . وفي " شرح نظم الفصيح " : ضرب المثل : إيراده ليمتثل به ، ويتصور ما أراد المتكلم بيانه للمخاطب . يقال : ضرب الشيء مثلا ، وضرب به ، وتمثله ، وتمثل به . ثم قال : وهذا معنى قول بعضهم : ضرب المثل اعتبار الشيء بغيره ، وتمثيله به . وما : هذه اسمية إبهامية ، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما ، وزادته شياعا وعموما – كقولك : أعطني كتابا ما ، تريد أي : كتاب كان – كأنه قيل : مثلا ما من الأمثال ، أي : مثل كان . فهي صفة لما قبلها . أو حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ [النساء : ١٥٥] كأنه قيل : لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا ، أو البتة .و : ﴿ بعوضة ﴾ : بدل من : ﴿ مثلا ﴾ . أو هما مفعولا يضرب ؛ لتضمنه معنى الجعل والتصيير . ومعنى الآية : إنه تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ، ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها . أي : لا يستصغر شيئا يضرب به مثلا – ولو كان في الحقارة والصغر كالبعوضة كما لا يستنكف عن خلقها ، كذلك لا يستنكف عن ضرت المثل بها ، كما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت في قوله : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ [الحج : ٧٣] ، وقال : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [العنكبوت : ٤١] ، وغير ذلك من أمثال الكتاب العزيز ، فما استنكره السفهاء ، وأهل العناد والمراء ، واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء ، ومضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب . من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم من المشاهد . فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله ، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك ، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذا ، إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ٣٢/٣

إلى نفسها ، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ، ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا ، جليا أبلج ، كيف تمثل له بالضياء والنور ؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته ، كيف تمثل له بالظلمة ؟ أفاده الزمخشري .﴿ فأما الذين آمنوا ﴾ شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم إثر تحقيق حقية صدوره عنه تعالى ؛ أي : فأما المؤمنون : ﴿ فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ كسائر ما ورد منه تعالى ، والحق : هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، وذلك لأن التمثل به مسوق على قضية مضربه ، ومحتذى على مثال ما يستدعيه – كما جعل بيت العنكبوت مثل الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله تعالى – وجعلت أقل من الذباب ، وأخس قدرا ، وضربت لها البعوضة فما دونها مثلا ؛ لأنه لا حال أحقر من تلك الأنداد وأقل . . . . ! .فالمؤمنون الذين عادتهم الإنصاف ، والعمل على العدل والتسوية ، والنظر في الأمور بناظر العقل – إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته ، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله ﴿ وأما الذين كفروا ﴾ ممن غلبهم الجهل على عقولهم ، وغشيهم على بصائرهم فلا يتفطنون ، ولا يلقون أذهانهم ، أو عرفوا أنه الحق ، إلا أن **حب الرياسة** ، وهوى الإلف والعادة ، لا يخليهم أن ينصفوا : ﴿ فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أي : فإذا سمعوه عاندوا ، وكابروا ، وقضوا عليه بالبطلان ، وقابلوه بالإنكار ، ولا خفاء في أن التمثيل بالبعوضة وبأحقر منها مما لا تخفى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ، ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ، ولا متشبث بأمارة ولا إقناع ، أن يرمي لفرط الحيرة ، والعجز عن إعمال الحيلة ، بدفع الواضح ، وإنكار المستقيم ، والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولا .﴿ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ﴾ جواب عن تلك المقالة الباطلة ، ورد لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة ، وغاية جميلة ، هي كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية ، وإضلال المنهمكين في الغواية ، وقدم الإضلال على الهداية – مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ، ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمرا فظيعا يسوؤهم ، ويفت في أعضادهم ، وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر : ﴿ وما يضل به ﴾ أي : بالمثل أو بضربه : ﴿ إلا الفاسقين ﴾ تكملة للجواب والرد ، وزيادة تعيين لمن أريد إضلالهم ، ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له .." (١)

"القوة الباصرة وعلى العضوين وهو المراد ههنا لأنه أشد مناسبة للتغطية ﴿غشاوة﴾ أي : غطاء ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بها إحداث حالة تجعل أبصارهم بسبب كفرهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين وتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الأبصار ومعنى التنكير أن على أبصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات. قوله : ﴿غشاوة﴾ مبتدأ مؤخر خبره المقدم قوله : ﴿وعلى أبصارهم﴾ ولما اشترك السمع والقلب في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة. قال في التيسير : إنما ذكر في الآية القلوب والسمع والأبصار لأن الخطاب كان باستعمال هذه الثلاثة في الحق كما قال تعالى : ﴿أفلا تعقلون﴾ (البقرة : ٤٤) ﴿أنفسكم أفلا﴾ (الذاريات : ٢١) ﴿أفلا تسمعون﴾ (القصص : ٧١) ﴿ولهم عذاب

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

عظيم﴾ أي : عقوبة شديدة القوة ومنه العظم والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه وسمي العذاب عذابا لأنه يمنع عن الجناية إذا تأمل فيها العاقل ومنه الماء العذب لما أنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي : يكسره وفراتا لأنه يرفته على القلب يعني الفرات وهو الماء العذب مأخوذ من الرفت وهو قلبه وقيل إنما سمي به لأنه جزاء ما استعذبه المرء بطبعه أي : استطابه ولذلك قال : ﴿فذوقوا عذابي﴾ (القمر : ٣٧) وإنما يذاق الطيب على معنى أنه جزاء ما استطابه واستحلاه بهواه في الدنيا. والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير. قال في "التيسير" : عظيم أم كبير أو كثير أو دائم وهو التعذيب بالنار أبدا ثم عظمه بأهواله وبشدة أحواله وكثرة سلاسله وأغلاله فتكون هذه الآية وعيدا وبيانا لما يستحقونه في الآخرة وقيل هو القتل والأسر في الدنيا والتحريق بالنار في العقبى ومعنى التوصيف بالعظيم أنه إذا قيس سائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير أن لهم من الآلام نوعا عظيما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل. فعلى العاقل أن يجتنب عما يؤدي إلى العذاب الأليم والعقاب العظيم وهو الإصرار على الذنوب والإكباب على اقتراف الخطيئات والعيوب. قيل في سبب الحفظ من هذه العقوبة التي هي الختم على الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على اللسان فلا يطلقه في باطل قال السعدي : جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٧ بكمراه كفتن نكو ميرويكناه بزركست وجور قويمكو شهد شيرين شكر فأيقستكسى راكه سقمونيا لايقستقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد" قيل : وما جلاؤها قال : "تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله وكثرة ذكر الموت" وأمهات الخطايا ثلاث : الحرص ، والحسد ، والكبر ، فحصل من هؤلاء ست فصارت تسعا : الشبع ، والنوم ، والراحة ، وحب المال ، وحب الجاه ، **وحب الرياسة** فحب المال والرياسة من أعظم ما يجر صاحبه إلى الكفر والهلاك . حكي . أن ملكا شابا قال : إني لا أجد في الملك لذة فلا أدري أكذلك يجده الناس أم أنا أجده٤٩ فقالوا له : كذلك يجدها الناس قال : فماذا يقيمه؟ قالوا : يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه فدعا من كان في بلده من العلماء والصلحاء فقال لهم : كونوا بحضرتي ومجلسي فما رأيتم من طاعة الله فائمروني وما رأيتم من المعصية فازجروني عنها ففعل ذلك فاستقام له الملك أربعمائة سنة ثم إن إبليس أتاه يوما على صورة رجل وقال له : من أنت؟ قال الملك رجل من بني آدم قال : لو كنت من بني آدم لمت كما تموت بنو آدم ولكنك إله فادع الناس إلى عبادتك ، فدخل في قلبه شيء ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس إني أخفيت عليكم أمرا حان إظهاره وهو أني ملككم منذ كذا سنة ولو كنت من بني آدم لمت ولكني إله فاعبدوني فأوحى الله إلى نبي زمانه وقال : أخبره أني استقمت له ما استقام لي فتحول من طاعتي إلى معصيتي فبعزتي وجلالي لأسلطن عليه بخت نصر ولم يتحول عن ذلك فسلطه عليه فضرب عنقه وأوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب ، قال المولى جلال الدين قدس سره : جز عنايت كه كشايد شم راجز محبت كه نساند خشم راجهد بي توفيق خودكس را مباددر جهان والله أعلم بالرشادجزء : ١ رقم الصفحة : ٤٧." (١)

"﴿ولقد ءاتينا﴾ أي : بالله لقد أعطينا يا بني إسرائيل ﴿موسى﴾ لغة عبرانية قد سبق تفصيله عند قوله تعالى : ﴿وإذ واعدنا موسى﴾ (البقرة : ٥١) الآية ﴿الكتاب﴾ أي : التوراة جملة واحدة ﴿وقفينا منا بعده بالرسل﴾ يقال قفاه به

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١/٣٧

إذا أتبعه إياه أي : اتبعنا من بعد موسى رسولا بعد رسول مقتفين أثره وهم يوشع وشمويل وداود وسليمان وشمعون وعشيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام ﴿وءاتينا عيسى﴾ بالسريانية اليسوع ومعناه المبارك والأصح أنه لا اشتقاق له ولأمثاله في العربية ﴿ابن﴾ بإثبات الألف وإن كان وقعا بين العلمين لندرة الإضافة إلى الأم ﴿مريم﴾ بالسريانية بمعنى الخادمة والعابدة قد جعلتها أمها محررة لخدمة المسجد ولكمال عبادتها لربها سماها الحق تعالى في كتابه الكريم مع الأنبياء عليهم السلام سبع مرات وخاطبها كما خوطب الأنبياء كما قال تعالى : يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين﴾ (آل عمران : ٤٣) فشاركها مع الرجال ﴿البينات﴾ المعجزات الواضحات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات والإنجيل ﴿وأيدناه﴾ أي : قويناه ﴿بروح القدس﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة أي : بالروح المقدسة المطهرة وهي روح عيسى عليه السلام وصفت بالقدس للكرامة لأن القدس هو الله تعالى أو الروح جبريل ووصفه بالطهارة لأنه لم يقترف ذنبا وسمي روحا لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب ومعنى تقويته به أنه عصمه من أول حاله إلى كبره فلم يدن منه الشيطان عند الولادة ورفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله وتخصيص عيسى من بين الرسل ووصف بإيتاء البينات والتأييد بروح القدس لما أن بعثتهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى فقد نسخ بشرعه كثير من أحكامها وحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه ببيان حقيقته وإظهار كمال قبح ما فعلوا به وما بين موسى وعيسى أربعة آلاف نبي وقيل سبعون ألف نبيجزء : ١ رقم الصفحة : ١٧٧﴿أفكلما جآءكم﴾ خاطب أهل عصر النبي عليه السلام بهذا وقد فعله أسلافهم يعني لم يوجد منهم القتل إن وجد الاستكبار لأنهم يتولونهم ويرضون بفعلهم والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام أي : ألم تطيعوهم فكلما جاءكم ﴿رسولا بما لا تهوى﴾ أي : لا تريد ﴿أنفسكم﴾ ولا يوافق هواكم من الحق الذي لا انحراف عنه ﴿استكبرتم﴾ أي : تعظمتم عن الاتباع له والإيمان بما جاء به من عند الله ﴿ففريقا﴾ منهم ﴿كذبتم﴾ كعيسى ومحمد عليهما السلام ﴿وفريقا تقتلون﴾ كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام. وقدم فريقا في الموضعين١٧٧للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم لا للقصر ولم يقل قتلتم وإن أريد الماضي تفظيعا لهذه الحالة فكأنها وإن مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم بعدهم أو يراد وفريقا تقتلونهم بعد وإنكم على هذه النية لأنكم حاولتم قتل محمد عليه الصلاة والسلام لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة حتى قال عليه السلام عند موته : "ما زالت أكلة خيبر تعاودني" أي : يراجعني أثر سمها في أوقات معدودة "فهذا أوان قطعت أبهري" وهو عرق منبسط في القلب إذا انقطع مات صاحبه. وقصته أنه لما فتحت خيبر وهو موضع بالحجاز أهديت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله : "إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي فيه" قالوا : نعم يا أبا القاسم قال : "هل جعلتم في هذه الشاة سما" قالوا : نعم قال : "فما حملكم على ذلك" قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت صادقا لم يضرك.واعلم أن اليهود أنفوا من أن يكونوا أتباعا وكانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة أن تذهب عنهم الرياسة فما دام لم يخرج **حب الرياسة** من القلب لا تكون النفس مؤمنة بالإيمان الكامل وللنفس صفات سبع مذمومة العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه ولجهنم أيضا أبواب سبعة فمن زكى نفسه عن هذه السبع فقد أغلق سبعة أبواب جهنم ودخل الجنة وأوصى إبراهيم بن أدهم بعض

أصحابه فقال : كن ذنبا ولا تكن رأسا فإن الرأس يهلك والذنب يسلم ، قال في "المثنوي" : تاتواني بنده شو سلطان مباشجزء : ١ رقم الصفحة : ١٧٧زخم كش ون كوى شووكان مباشاشتهار خلق بند محكمستدر ره أين از بند آهن كى كم است وعن بعض المشايخ النقشبندية أنه قال : دخلت على الشيخ المعروف بدده عمر الروشني للعبادة فوجدته متغير الحال بسبب أنه داخله شيء من **حب الرياسة** لأنه كان مشهورا في بلدة تبريز مرجعا للأكابر والأصاغر فنعوذ بالله من الحور بعد الكور. وفي "شرح الحكم" ادفن وجودك أي : ما يكون سبب ظهور اختصاصك بين الخلق من علم أو عمل أو حال في أرض الخمول التي هي أحد ثلاثة أمور : ." (١)

"﴿إن الذين كفروا﴾ أي : استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة ﴿وماتوا وهم كفار﴾ مصرون على كفرهم لا يرتدعون عن حالتهم الأولى ﴿أوالائك﴾ مستقر ﴿لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ أي : هم المخصوصون باللعنة الأبدية أحياء وأمواتا فمن يعتد بلعنتهم وهم المؤمنون لأنهم هم الناس في الحقيقة لانتفاعهم بالإنسانية وأما الكفار فهم كالأنعام وأضل سبيلا فلا اعتداد بهم عند الله أو الناس عام لأن الكفار يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا والله تعالى يلعنهم يوم القيامة ثم يلعنهم الملائكة ثم تلعنهم الناس والظالم يلعن الظالمين ومن لعن الظالمين وهو ظالم فقد لعن نفسه.جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٦٤﴿خالدين فيها﴾ حال من المضمر في عليهم أي : دائمين في اللعنة لأنهم خلدوا في النار خلدوا في الإبعاد عن رحمة الله تعالى ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف إثر بيان كثرته من حيث الكم أي : لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ من الإنظار بمعنى الإمهال والتأجيل أي : لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة أو يعذبون على الدوام والاستمرار وأن كل وجه من وجوه عذابهم يتصل بوجه آخر مثله أو أشد منه وأنهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها أو من النظر بمعنى الانتظار أي : لا ينتظرون ليعتذروا أو بمعنى الرؤية أي : لا ينظر إليهم نظر رحمة وإنما خلدوا في النار لأن نيتهم كانت عبادة الأصنام أبدا إن عاشوا فجوزوا بتأبيد العذاب وأما الدركات في النيران فلتفاوت سوء الأحوال والتفاوت في شدة الكفر فيرجع إلى شدة العذاب في الدركات لأن النيات متفاوتة كالأعمال والتأديب في الحكمة واجب ولما أساء الكفار بسوء الاعتقاد في حقه تعالى أدبوا بالحرمان من الجنة والخلود في النار ونعم ما قيل :سفيها نرا بود تأديب نافعجنونانرا و شربت كشت دافع٢٦٥وإنما حمل هؤلاء اليهود على ما فعلوا من الكتمان وغيره **حب الرياسة** والدنيا لأنهم خافوا أن يذهب مأكلتهم من السفلة وما يغني عنهم ذلك شيئا إذا كان مصيرهم إلى النار.وفي الخبر أن مؤمنا وكافرا في الزمان الأول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى أخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله كثيرا فلا يجيء شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فأسف ملك المؤمن الموكل عليه فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة فقال : والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا وأراه مسكن الكافر في جهنم فقال : والله ما يغني عنه ما أصابه في الدنيا بعد أن يصير إلى هذا كذا في "شرح الخطب" :نركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصالخفته نابينا بود دولت به بيداران حسدجزء : ١ رقم

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٤١/١

الصفحة : ٢٦٥ومرتكب المعاصي لو عرف عذاب الجحيم حق المعرفة لما ارتكبها حتى أن من قوي ظنه أن في هذه الثقبة حية لا يدخل يده فيها فما ظنك في ارتكاب المعاصي بملاحظة عذاب النار.واعلم أن أحبار اليهود لما لم ينتفعوا بعلمهم ضلوا فأضلوا فخذلهم الله ولعنهم.وذكر في الخالصة لن يهلك قوم بظلمهم وإنما أهلكهم ظلم ولاتهم.قال الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره : وكذا الحال في الإرشاد فإن الضلال والفساد في الطالبين من فساد مرشدهم فما دام المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الله تعالى الطالب من الضلال فإن نزول البلاء على قوم من فساد رئيسهم. . وحكي . أن أمنا حواء أكلت أولا من الشجرة فلم يقع شيء فلما أكل منها أبونا آدم عليه السلام وقع الخروج من الجنة انتهى فويل لأرباب الرياسة الذين ظلموا أنفسهم وتجاوز ظلمهم إلى من عداهم فإنهم هم الواقعون في عذاب النار نار القطيعة والهجران وجهنم البعد عن الله ورحمته اللهم حفظنا.﴿وإلاهكم﴾ خطاب عام لكافة الناس أي : المستحق منكم للعبادة ﴿إلاه واحد﴾ فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمي غيره إلها فلا معبود إلا هو وهو خبر مبتدأ وواحد صفة وهو الخبر في الحقيقة لأنه محط الفائدة ألا يرى أنه لو اقتصر على ما قبله لم يفد ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير للوحدانية وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلها ولكن لا يستحق منهم العبادة يعني بهذا فاعرفوه ودائما فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا إلا إياه والاستثناء بدل من اسم لا على المحل إذ محله الرفع على الابتداء والخبر محذوف أي : لا إله كائن لنا أو موجود في الوجود إلا الله.." (١)

"تفسير سورة يونسمكية وهي مائة وتسع آيات بيناتجزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٤٨﴿ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (الأنعام : ٥٩) فوقع هذا الجواب عندهم في حيز القبول.علم دريست نيك باقيمتجهل درديست سخت بى درمانوفي التأويلات : هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الأزل وأورثته لك ولأمتك وقلت ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (فاطر : ٣٢)فاختص هذا الكتاب بأن يكون حكيما من سائر الكتب ، أي : حاكما يحكم على الكتب كلها بتبديل الشرائع والنسخ ولا يحكم عليه كتاب أبدا واختص هذه الأمة بالاصطفاء من سائر الأمم وأورثهم هذا الكتاب ومعنى الوراثة أنه يكون باقيا في هذه الأمة يرثه بعضهم من بعض ولا ينسخه كتاب كما نسخ هو جميع الكتب﴿أكان للناس﴾ (الزخرف : ٣١) : قال الحافظ قدس سره :تاج شاهى طلبى كوهر ذاتى بنمابدر خود از كوهر جمشيد فريدون بابوقال السعدي قدس سره :هنر بايد وفضل ودينكه كاه آيدوكه رودجاه ومالقال في "التأويلات النجمية" : يشير إلى أنهم يتعجبون من إيحائنا إلى محمد عليه السلام لأنه كان رجلا منهم ، وفيه رأينا رجوليته قبل الوحي وتبليغ الرسالة من بينهم ولهذا السر ما أوحى إلى امرأة بالنبوة قط انتهى ، والرجولية هي صدق اللسان ودفع الأذى عن الجيران والمواساة مع الإخوان هذا في الظاهر وأما في الحقيقة فالتنزه عن جميع ما سوى الله تعالى.وفي حديث المعراج "إن الله تعالى نظر إلى قلوب الخلق فلم يجد أعشق من قلب محمد عليه السلام فلذا أكرمه"بالرؤية" فالعبرة لحال الباطن لا لحال الظاهر.واعلم : أن حال الولاية كحال النبوة ولو رأيت أكثر أهل الولاية في كل قرن وعصر لوجدتهم ممن لا يعرف بجاه ، ومن عجب من ذلك ألقي في ورطة الإنكار وحجب بذلك الستر عن رؤية الأخيار يا أيها المدثر * قم

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١/٢١٤

فأنذر﴾ (يونس : ٢) ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينآ إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين ءامنوا أن لهم﴾ أي : بأن لهم قدم صدق عند ربهم أي : أعمالا صالحة سابقة قدموها ذخرا لآخرتهم ومنزلة رفيعة يقدمون عليها سميت قدما على طريق تسمية الشيء باسم آلته لأن السبق والقدوم يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا ؛ لأنها تعطي باليد وإضافة قدم إلى الصدق من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة في صدقها وتحققها كأنها في صدقها وتحققها مطبوعة منه وإذا قصد تبينها لا تبين إلا به.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٦وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قدم صدق شفاعة نبيهم لهم هو إمامهم إلى الجنة وهم بالأثر.كفتى كنتم شفاعت عاصى عذر خواهدل بر اميد آن كرم افتاد در كناهقال الكافرون هم المتعجبون ، أي : كفار مكة مشيرين إلى رسول الله عليه السلام إن هذا لساحر مبين (جاد ويست آشكارا) ، وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة.واعلم : أن الكفار سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ولذا صاروا صما بكما عميا عن الحق فهم لا يعقلون الحق ولا يتبعون داعي الحق والنفس جبلت على **حب الرياسة** وطلب التقدم فلا ترضى أن تكون مرؤوسة تحت غيرها فاصلاحها إنما هو بالعبودية لتي هي ضد الرياسة والانقياد للمرشد.وفي المثنوى :همو استورى كه بكر يزد زباراو سر خود كيرد اندر كوهسارصاحبش از ى دوان كاى خيره سرهر طرف كركيست اندر قصد خراستخوانت را بخايد ون شكركه نبيني زندكانى را دكرهين بمكريز از تصرف كردنموزكراني بار ون جانت منمتو ستورى هم كه نفست غالبستحكم الب را بود اي خود رستمير آخر بود حق را مصطفابهر استوران نفس ر جفالا جرم اغلب بلا بر انبياستكه رياضت دادن خامان بلاستقال عيسى عليه السلام للحواريين : أين تنبت الحبة؟قالوا : في الأرض فقال : كذلك الحكمة٦لا تنبت إلا في القلوب مثل الأرض يشير إلى التواضع وإلى هذه الإشارة يقول سيد البشر : من اخلصأربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والينابيع لا تكون إلا في الأرض وهو موضع نبع الماء فظهر أن الكفار لما لم ينزلوا أنفسهم إلى مرتبة التواضع والعبودية.ولم يقبلوا الأنذار بحسن النية ، حرموا من الورود إلى المنهل العذب الذي هو القرآن ، فبقوا عطشى الأكباد في زوايا الهجران ، وأين المتكبرون المتصعدون إلى جو هوأهم.من الشرب من ينبوع الهدى الذي أجراه من لسان حبيبه مولاهم؟ وكما أن الكفار بالكفر الجلي ادعوا كون القرآن سحرا وأنكروا مثل ذلك الخارق لعاداتهم ، فكذا المشركون بالشرك الخفي أنكروا الكرامات المخالفة لمعاملاتهم.." (١)

"قال الأمام اليافعي رحمه الله : ثم أن كثيرا من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطيرون في الهواء لقالوا هذا سحر وهؤلاء شياطين ولا شك أن من حرم التوفيق وكذب بالحق غيبا وحدسا كذب به عيانا وحسا فواعجبا كيف نسب السحر وفعل الشياطين إلى الأنبياء العظام والأولياء الكرام؟ نسأل الله العفو والعافية سرا وجهارا ، وأن يحفظنا من العقائد الزائغة والأعمال الموجبة بوارا.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٦وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قدم صدق شفاعة نبيهم لهم هو إمامهم إلى الجنة وهم بالأثر.كفتى كنتم شفاعت عاصى عذر خواهدل بر اميد آن كرم افتاد در كناهقال الكافرون هم المتعجبون ، أي : كفار مكة مشيرين إلى رسول الله عليه السلام إن هذا لساحر مبين (جاد ويست آشكارا) ، وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة.واعلم : أن الكفار سحرهم سحرة صفات فرعون

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٤/١

النفس ولذا صاروا صما بكما عميا عن الحق فهم لا يعقلون الحق ولا يتبعون داعي الحق والنفس جبلت على حب الرياسة وطلب التقدم فلا ترضى أن تكون مرؤوسة تحت غيرها فاصلاحها إنما هو بالعبودية لتي هي ضد الرياسة والانقياد للمرشد. وفي المثنوى : همو استورى كه بكر يزد زباراو سر خود كيرد اندر كوهسارصاحبش از ى دوان كاى خيره سرهر طرف كركيست اندر قصد خراستخوانت را بخايد ون شكركه نبيني زندكانى را دكرهين بمكريز از تصرف كردنموزكراني بار ون جانت منمتو ستورى هم كه نفست غالبستحكم الب را بود اي خود رستمير آخر بود حق را مصطفابهر استوران نفس ر جفالا جرم اغلب بلا بر انبياستكه راياضت دادن خامان بلاستقال عيسى عليه السلام للحواريين : أين تنبت الحبة؟قالوا : في الأرض فقال : كذلك الحكمة٦لا تنبت إلا في القلوب مثل الأرض يشير إلى التواضع وإلى هذه الإشارة يقول سيد البشر : من اخلصأربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والينابيع لا تكون إلا في الأرض وهو موضع نبع الماء فظهر أن الكفار لما لم ينزلوا أنفسهم إلى مرتبة التواضع والعبودية. ولم يقبلوا الأنذار بحسن النية ، حرموا من الورود إلى المنهل العذب الذي هو القرآن ، فبقوا عطشى الأكباد في زوايا الهجران ، وأين المتكبرون المتصعدون إلى جو هوأهم. من الشرب من ينبوع الهدى الذي أجراه من لسان حبيبه مولاهم؟ وكما أن الكفار بالكفر الجلي ادعوا كون القرآن سحرا وأنكروا مثل ذلك الخارق لعاداتهم ، فكذا المشركون بالشرك الخفي أنكروا الكرامات المخالفة لمعاملاتهم.قال الأمام اليافعي رحمه الله : ثم أن كثيرا من المنكرين لو رأوا الأولياء والصالحين يطيرون في الهواء لقالوا هذا سحر وهؤلاء شياطين ولا شك أن من حرم التوفيق وكذب بالحق غيبا وحدسا كذب به عيانا وحسا فواعجبا كيف نسب السحر وفعل الشياطين إلى الأنبياء العظام والأولياء الكرام؟ نسأل الله العفو والعافية سرا وجهارا ، وأن يحفظنا من العقائد الزائغة والأعمال الموجبة بوارا.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٦﴿إن ربكم الله الذى خلق السماوات والارض﴾ (الرحمن : ٢٩) وهو الزمن الفرد الغير المنقسم وسمى يوما لأن الشان يحدث فيه فبالآن تتقدر الدقائق وبالدقائق تتقدر الدرج وبالدرج تتقدر الساعات وبالساعات يتقدر اليوم فإذا انبسط الآن سمى اليوم وإذا انبسط اليوم سمى أسابيع وشهورا وسنين أدوارا فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل ويوم كألف سنة وهو يوم الآخرة ويوم كخمسين ألف سنة وهو يوم القيامة ، أي : أدنى مقدار ستة أيام لأن اليوم عبارة عن زمان مقدر مبدأه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف تكون حين لا شمس ولا نهار ولو شاء لخلقها في أقل من لحظة لكنه أشار إلى التأني في الأمور ، فلا يحسن التعجيل إلا في التوبة وقضاء الذين وقرى الضيف وتزويج البكر ودفن الميت والغسل من الجنابة. وفي المثنوى : مكر شيطانست تعجيل وشتابخوى رحمانست صبر واحتسابيا تأنى كشت موجود از خداتابشش روز اين زمين ورخهاورنه قادر بود كز كن فيكونصد زمين ورخ آوردى برونااين تأتني از ى تعليم تستطلب آهسته بايد بى شكست٧وقد جاء في الصحيح : "إن الله خلق التربة" يعني : الأرض "يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل". فإن قيل : القرآن يدل على أن خلق الأشياء في ستة أيام والحديث الصحيح المذكور على أنها سبعة.فالجواب

أن السموات والأرض وما بينهما خلق في ستة أيام وخلق آدم من الأرض فالأرض خلقت في ستة أيام وآدم كالفرع من بعضها كما في فتح القريب.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧." (١)

"قال السيد : إما لأن اللام بدل من المضاف إليه كما هو مذهب الكوفية ، وإما لأنها تغني غناء الإضافة في الإشارة إلى المعهود. واستوت واستقرت الفلك واختير استوت على سويت ، أي : أقرت مع كونه أنسب بأخواته المبنية للمفعول اعتبارا لكون الفعل المقابل للاستقرار أعني الجريان منسوبا إلى السفينة على صيغة المبنى للفاعل في قوله وهي تجري بهم مع أن استوت أخصر من سويت على الجودي هو جبل بالجزيرة بقرب الموصل أو بالشام أو بآمد وروى في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى الجبال إني أنزل السفينة على جبل فتشامخت الجبال وتواضع الجوديتعالى فأرست عليه السفينة. قال السعدي قدس سره : طريقت جزاين نيست درويش راكه افكنده داردتن خويش رابلنديت بايد تواضع كزينكه آن نام را نيست راهى جزاينوالتواضع آخر مقام ينتهي إليه رجال الله تعالى وحقيقته العلم بعبودية النفس ، ولا يصح مع العبودية رياسة أصلا ، لأنها ضد لها ، ولهذا قال المشايخ قدس الله أسررهم : آخر ما يخرج من قلوب الصديقين **حب الرياسة** ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وإنما هو تملق لسبب غاب عنك ، وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع سر من أسرار الله تعالى لا يهبه على الكمال إلا لنبي أو صديق كما في المواقع.وعن علي رضي الله عنه أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها إذ ينحت به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفى١٣٥النار والسحاب يحمل الماء والريح تحمل السحاب والإنسان يغلب الريح بالبنيان والنوم يغلب الإنسان والموت يغلب الكل.جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٣١وذكر أهل الحكمة أن مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وسبعون جبلا.وفي زهرة الرياض ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلا سوى التلول ، منها ما طوله عشرون فرسخا ومنها مائة فرسخ إلى ألف فرسخ.وفي أسئلة الحكم ، جعل الله الجبال كراسي أنبيائه كأحد لنبينا ، والطور لموسى ، وسر نديب لآدم ، والجودي لنوح عليهم السلام وكفى بذلك شرفا ، وإنها بمنزلة الرجال في الأكوان يقال : للرجال الكامل جبل.واختلفوا في أن أي : الجبال أفضل؟ فقيل أبو قبيس لأنه أول جبل وضع على الأرض وقيل عرفة وقيل : جبل موسى وقيل : قاف.وقال السيوطي : أفضل الجبال جبل أحد وهو جبل من جبال المدينة وسمى بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التي هناك ، وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة رضي الله عنه ومن فيه من الشهداء رضي الله عنهم وهو على نحو ميلين أو على نحو ثلاثة من المدينة واستدل على أفضليته بأنه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾(آل عمران : ١٥٣) أي : بضم الهمزة والحاء وبقوله عليه السلام : "أحد ركن من أركان الجنة" أي : جانب عظيم من جوانبها وقوله : الآخر "أن أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه ، فإذا مررتم به فكلوا من شجرة ولو من عضاهه" وهي كل شجرة عظيمة لها شوك ، والقصد الحث على عدم إهمال الأكل من شجره تبركا به ، ولا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وضع الحب فيه كما وضع التسبيح في الجبال مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية في الحجارة قال الله تعالى : ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ (البقرة : ٧٤) كما في "إنسان العيون".يقول الفقير للجمادات حياة حقانية عند أهل الله تعالى كما

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٤/٢

قال في "المثنوى" : بادرا بي شم اكر بينش ندادفرق ون ميكردد اندر قوم عادكر نبودي نيل را آن نورديدازه قبطي را زسبطى ميكزيدكرنه كوه سنك باديدار شدس را داود را و يار شداين زمين را كر نبودى شم جانازه قارونرا فرو خوردى نانومن هذا عرفت النداء في قوله تعالى يا أرض ويا سماء حقيقة عند العلماء بالله وكذا مقاله تعالى المنفهم من قوله وقيل.قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر : وكما نقول تجلى الله تعالى في صورة ، كما يليق بجلاله ، كذلك نقول تكلم بحرف وصوت كما يليق بجلالة ، وكلام الله تعالى عين المتكلم في مرتبة ، ومعنى قائم به في الأخرى كالكلام النفسي ، ومركب من الحروف ومتعين بها في عالمي المثال والحس بحسبهما كما في "الدرة الفاخرة" للمولى الجامي رحمه الله.جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٣١ثم إن نوحا هبط من السفينة إلى الجودي يوم عاشوراء.وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم ، واستقرت بهم على الجودي شهرا وذلك ستة أشهر ، وهبطت بهم يوم عاشوراء وسيأتي ما يتعلق بذلك. ﴿وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ قوله بعدا مصدر مؤكد لفعله ، المقدر أي : بعدوا بعدا أي : هلكوا من قولهم بعدا وبعدا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ، والمعنى : الدعاء عليهم بذلك وهو تعليم من الله تعالى لعباده أن يدعوا١٣٦." (١)

"جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٣٦ ﴿تلك الدار الاخرة﴾ إشارة تعظيم كأنه قيل : تلك الجنة التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر قوله : ﴿نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض﴾ أي ارتفاعا وغلبة وتسلطا كما أراد فرعون حيث قال تعالى في أول السورة : ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ (يونس : ٨٣) ﴿ولا فسادا﴾ أي ظلما وعدوانا على الناس كما أراد قارون حيث قال تعالى في حقه على لسان الناصح. ﴿ولا تبغ الفساد فى الأرض﴾ (القصص : ٧٧) وفي تعليق الوعد بترك إرادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما. ﴿والعاقبة﴾ الحميدة. وبالفارسية (سر انجام نيكو) ﴿للمتقين﴾ أي : للذين يتقون العلو والفساد وما لا يرضاه الله من الأقوال والأفعال. وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها يعني أن من تكبر بلباس يعجبه فهو ممن يريد علوا في الأرض.وعن علي رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ : ﴿تلك الدار﴾ إلخ ويقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل المقدرة من سائر الناس.وعن عمر بن عبد العزيز كان يردد هذه الآية حتى قبض وكان عليه السلام يحلب الشاة ويركب الحمار ويجيب دعوة المملوك ويجالس الفقراء والمساكين.قال بعض الكبار : احذر أن تريد في الأرض علوا أو فسادا والزم الذل والانكسار والخمول فإن أعلى الله كلمتك فما أعلاها إلا الحق وذلك أن يرزقك الرفعة في قلوب الخلق وإيضاح ذلك أن الله ما أنشأك إلا من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلو على أمك واحذر أن تتزهد أو تتعبد أو تتكرم وفي نفسك استجلاب ذلك لكونه يرفعك على أقرانك فإن ذلك من إرادة العلو في الأرض وما استكبر مخلوق على آخر إلا لحجابه عن معية مع الحق ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذلك وخضع.قال في "كشف الأسرار" : (فردا درساري عزت ساكنان مقعد صدق ومقربان حضرت جبروت قومي باشندكه در دنيا برتري ومهتري نجويند وخودرا ازهمه كس كهتر وكمترداننند وشم سند هركز

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٨٣/٤

درخود ننكرد نانكه آن جوانمرد طريقت كفت كه از موقف عرفات بازكشته بود أورا كفتند) كيف رأيت أهل الموقف قال : رأيت قوما لولا أني كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم. قال الشيخ سعدي : جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٣٦بزركي كه خودرا ز خرادن شمردبدنيي وعقبى زركي ببردتو آنكه شوي يش مردم عزيزكه مر خويشتن را نكيري بيز(يكي اتز بزركان دين إبليس را يديد كفت مارا ندي ده كفت مكو من تانشوي ون من شيخ حيف كفت مني بيفكندن درشريعت زندقه است ومنى اثبات كردن درحقيقت شرك است جون در مقام شريعت باشي همي كوي كه اوخود همه از وشريعت تعاليست وحقيقت أحوال أقوام أفعال بتو ونظام أحوال با و).قال بعضهم : العلو النظر إلى النفس والفساد النظر إلى الدنيا والدنيا خمر إبليس من شرب منها شربة لا يفيق إلا يوم القيامة ويقال : العلو الخطرات في القلب والفساد في الأعضاء فمن كان في قلبه **حب الرياسة** والجاه وحظوظ النفس٤٣٨وفي أعماله الرياء والسمعة فهو لا يصل إلى مقام القرب وكذا من كان في قلبه سوء العقيدة وفي جوارحه عبادة غير الله والدعوة إليها وأخذ الأموال وكسر الأعراض واستحلال المعاصي فهو لا يصل إلى الجنة أيضا وهو قرين الشيطان والشياطين في النار مع قرنائهم.واعلم أن العلو في أرض البشرية علو الفراعنة والجبابرة والأكاسرة والعلو في أرض الروحانية علو الأبالسة وبعض الأرواح الملكية مثل هاروت وماروت وكلاهما مذموم وكذا الفساد النظر إلى غير الله فالله تعالى لا يجعل مملكة عالم الغيب والملكوت إلا في تصرف من خلص من طلب العلو والنظر إلى الغير بنظر المحبة وسلم التصرف كله إلى المالك الحقيقي وخرج من البين.هره خواخي بكن كه ملك تراستجعلنا الله وإياكم من الآخذين بذيل حقيقة التقوى وعصمنا من الاعتراض والانقباض والدعوى.جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٣٦﴿من جآء بالحسنة﴾ (هركجا بيارد خصلت نيكو در روز قيامت) ﴿فله﴾ بمقابلتها ﴿خير منها﴾ ذاتا ووصفا وقدرا أما الخيرية ذاتا فظاهرة في أجزية الأعمال البدنية لأنها أعراض وأجزيتها جواهر وكذا في المالية إذ لا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفائس الآخرة في الحقيقة وأما وصفا فلأنها أبقى وأنقى من الآلام والأكدار وأما قدرا فللمقابلة بعشر أمثالها لا أقل يعني أنه يجازي بالحسنة الواحدة عشرا فيكون الواحد ثوابا مستحقا والتسعة تفضلا وجودا والتسعة خير من الواحد من ذلك الجنس.." (١)

"وفي "التأويلات النجمية" : الحكمة عدل الوحي قال عليه السلام : "أوتيت القرآن وما يعدله" وهو الحكمة بدليل قوله تعالى : ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة : ٢٠) فالحكمة موهبة للأولياء كما أن الوحي موهبة للأنبياء وكما أن النبوة ليست كسبية بل هي فضل الله يؤتيه من يشاء فكذلك الحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء إياه طريق تحصيلها بل بإيتاء الله تعالى كما علمنا النبي عليه السلام طريق تحصيلها بقوله : "من أخلصأربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه" وكما أن القلب مهبط الوحي من إيحاء الحق تعالى كذلك مهبط الحكمة بإيتاء الحق تعالى كما قال تعالى : ﴿ولقد ءاتينا لقمان الحكمة﴾ وقال : ﴿يؤتى الحكمة من يشآءا ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ (البقرة : ٢٦٩) فثبت أن الحكمة من المواهب لا من المكاسب لأنها من الأقوال لا من المقامات والمعقولات التي سمتها الحكماء حكمة ليست بحكمة فإنها من نتائج الفكر السليم من شوب آفة الوهم والخيال وذلك يكون للمؤمن

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٦/٣١٨

والكافر وقلما يسلم من الشوائب ولهذا وقع الاختلاف في أدلتهم وعقائدهم ومن يحفظ الحكمة التي أوتيت لبعض الحكماء الحقيقية لم تكن هي حكمة بالنسبة إليه لأنه لم يؤت الحكمة ولم يكن هو حكيما انتهى. قال في "عرائس البيان" : الحكمة ثلاث : حكمة القرآن وهي حقائقه ، وحكمة الإيمان وهي المعرفة ، وحكمة البرهان وهي إدراك لطائف صنع الحق في الأفعال وأصل الحكمة إدراك خطاب الحق بوصف الإلهام. قال شاه شجاع ثلاث من علامات الحكمة : إنزال النفس من الناس منزلتها ، وإنزال الناس من النفس منزلتهم ، ووعظهم على قدر عقولهم فيقوم بنفع حاضر. وقال الحسين بن منصور : الحكمة سهام وقلوب المؤمنين أهدافها والرامي الله والخطأ معدوم. وقيل : الحكمة هو النور الفارق بين الإلهام والوسواس ويتولد هذا النور في القلب من الفكر والعبرة وهما ميراث الحزن والجوع. قال حكيم : قوت الأجساد المشارب والمطاعم وقوت العقل الحكمة والعلم. وأفضل ما أوتي العبد في الدنيا الحكمة وفي الآخرة الرحمة والحكمة للأخلاق كالطب للأجساد. وعن علي رضي الله عنه : روحوا هذه القلوب واطلبوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان وفي الحديث : "ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وعيوب نفسه وإذا رأيتم أخاكم قد زهد فاقربوا إليه فاستمعوا منه فإنه يلقى الحكمة".جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٢والزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو بعض الدنيا والإعراض عنها وشرط الزاهد أن لا يحن إلى ما زهد فيه وأدبه أن لا يذم المزهود فيه لكونه من جملة أفعال الله تعالى وليشغل نفسه بمن زهد من أجله. قال عيسى عليه السلام : أين تنبت الحبة؟ قال : في الأرض فقال : كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض وهو موضع نبع الماء. والتواضع سر من أسرار الله المخزونة عنده لا يهبه على الكمال إلا لنبي أو صديق فليس كل تواضع تواضعا٧٤وهو أعلى مقامات الطريق وآخر مقام ينتهي إليه رجال الله وحقيقة العلم بعبودية النفس ولا يصح من العبودية رياسة أصلا لأنها ضد لها. ولهذا قال أبو مدين قدس سره : آخر ما يخرج من قلوب الصديقين **حب الرياسة** ولا تظن أن هذا التواضع الظاهر على أكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وإنما هو تملق بسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع شريف لا يقدر عليه كل أحد فإنه موقوف على صاحب التمكين في العالم والتحقق في التخلق كذا في "مواقع النجوم" لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر. . روي . أن لقمان كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي أي : جزم فسمعا وطاعة فإني أعلم إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان إن أصاب فبالحرى أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه ثم نام نومة أخرى فأعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها.." (١)

"والاستخفاف بالحق مع كثرة أعوانه صنيع المستبدِّين الهالكين.طعم الحقمن ذاق طعم الحق استسهل في سبيله الصعاب.غرس الأشواكمن غرس الأشواك صعب عليه اقتلاعها.عزة الحقعزّة الحق تطامن من كبرياء الباطل.هوان!من هان

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٥٦/٧

عليه الحق هان على الحق.خمسة لا يفلحونخمسة لا يفلحون أبداً: طاغية جاهل كذاب، وولد عاق لوالديه، ومغرور مبتلى **بحب الشهرة**، وحقود حسود حجود، ومتزهّد اتخذ الزهد شباكاً.أربعة لا يخفقونأربعة لا يخفقون أبداً: مكافح حدد هدفه وسلك الطريق الصحيح إليه، ومتفائل أعد للحياة عدتها، وعامل أتقن عمله وأحسن دعايته، وطالب علم مجتهد ذو ذكاء واستقامة.." (١)

" نقتضيه الحقائق فلا سبيل إلى تغييرها وتبديلها وأستشعر ذلك من ندائه بإبليسولم يكن أسمه من قبلبل كان أسمه عزازيل أو الحرث وكنيته أبا مرة ووراء ذلك ما لم يمكن كشفه والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل وفي قوله تعالى : أبى وأستكبر وكان من الكافرين ٤٣ نوع إشارة إلى بعض ما ذكر والجملة إستئناف جواب لمن قال ما فعل وقيل : إن الفعلين الأولين في موضع نصب على الحال أي آبيا مستكبرا وكان من الكافرين مستأنف أو في موضع الحال وقيل : الجمل الثلاث تذييل بعد تذييل والاباء الإمتناع مع الألفة والتمكن من الفعل ولهذا كان قول كأبي زيد الظلم أبلغ من لم يظلم ولإفادة الفعل النفي صح بعده الإستثناء المفرغ ك يأبى الله إلا أن يتم نوره وقوله : أبى الله إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع والفعل منه أبى بالفتح وعليه لا يكون يأبى قياسيا وقد سمع أبي كرضى فالمضارع حينئذ قياسي والمفعول هنا محذوف أي السجود والإستكبارالتكبر وهو مما جاء فيه أستفعل بمعنى تفعل وقيل : التكبر أن يرى الشخص نفسه أكبر من غيره وهو مذموم وإن كان أكبر في الواقع والإستكبار طلب ذلك بالتشبع وقدم الأباء عليه وإن كان متأخرا عنه في الرتبة لأنه من الأحوال الظاهرة بخلاف الإستكبار فإنه نفساني أو لأن المقصود الأخبار عنه بأنه خالف حاله حال الملائكة فناسب أن يبدأ أولا بتأكيد ما حكم به عليه في الإستثناء أو بإنشاء الأخبار عنه بالمخالفة فبدأ بذلك على أبلغ وجه وكان على بابها والمعنى كان في علم الله تعالى من الكافرين أو كان من القوم الكافرين الذين كانوا في الأرض قبل خلق آدم وقيل : بمعنى صار وهو مما أثبته بعض النحاة قال إبن فورك : وترده الاصول ولأنه كان الظاهر حينئذ فكان بالفاء ثم أن كفره ليس لترك الواجب كما زعم الخوارج متمسكين بهذه الآية لأنه لا يوجب ذلك في ملتنا على ما دلت عليه القواطع وإيجابه قبل ذلك غير مقطوع به بل بإستقباحه أمر الله تعالى بالسجود لمن يعتقد أنه خير منه وأفضلكما يدل عليه الأباء والإستكبار وقال أبو العالية : معنى من الكافرين من العاصين ثم الظاهر أن كفره كان عن جهل بأن أسترد سبحانه منه ما أعاره من العلم الذي كان مرتديا به حين كان طاوس الملائكة وأظافير القضاء إذا حكت أدمت وقسى القدر إذا رمت أصمت وكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من البين فأنطفى وقيل : عن عناد حمله عليه **حب الرياسة** والأعجاب بما أوتي من النفاسة ولم يدر المسكين إنه لو أمتثل أرتفع قدره وسما بين الملأ الأسمى فخره ولكن إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه إجتهاده وكم أدقت هذه القصة جفونا وأراقت من العيون عيونا فإن إبليس كان مدة في دلال طاعته يختال في رداء مرافقته ثم صار إلى ما ترى وجرى ما به القلم جرى وكنا وليلى في صعود من الهوى فلما توافينا ثبت وزلت ومن هنا قال الشافعية والأشعرية وبقولهم أقولفي هذه المسألة : إن العبرة بالإيمان الذي يوافي العبد عليه ويأتي متصفا به في آخر حياته وأول منازل آخرته ولذا يصح أنا مؤمن إن شاء الله تعالى بالشك ولكن ليس في الإيمان الناجز بل في الإيمان الحقيقي

---

(١) هكذا علمتني الحياة، ص/١٨٧

المعتبر عند الموت وختم الأعمال وقد صح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهكما أورده الزرقاني إن من تمام إيمان العبد أن يستثنى إذ عواقب المؤمنين مغيبة عندهم وهو القاهر فوق ." (١)

" من الربح بقرينة ما يأتي ومن الناس من حمل الموصول على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وإليه ذهب عكرمة وقتادة فالمراد من الكتاب حينئذ القرآن ومنهم من حمله على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وإليه ذهب إبن كيسان فالمراد من الكتاب حينئذ الجنس ليشمل الكتب المتفرقة ومنهم من قال بما قلنا إلا أنه جوز عود الضمير به إلى الهدى أو إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو إلى الله تعالى وعلى التقديرين يكون في الكلام إلتفات من الخطاب إلى الغيبة أو من التكلم إليها ولا يخفى ما في بعض هذه الوجوه من البعد البعيد

ومن يكفر به أي الكتاب بسبب التحريف والكفر بما يصدقه وإحتمالات نظير هذا الضمير مقولة فيه ايضا

فأولئك هم الخاسرون ١٢١ من جهة أنهم أشتروا الكفر بالإيمان وقيل : بتجارتهم التي كانوا يعملونها بأخذ الرشا على التحريف

يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ٢٢١

وأتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ٣٢١ تكرير لتذكير بني إسرائيل وإعادة لتحذيرهم للمبالغة في النصح وللإيذان بأن ذلك فذلكه القصة والمقصود منهاوقد تفنن في التعبير فجاءت الشفاعة اولا بلفظ القبول متقدمة علىالعدل وهنا بلفظ النفع متأخرة عنه ولعله كما قيل إشارة إلى إنتفاء أصل الشيء وإنتفاء ما يترتب عليه وأعطى المقدم وجودا تقدمه ذكرا والمتأخر وجودا تأخره ذكرا وقيل : إن ما سبق كان للأمر بالقيام بحقوق النعم السابقة وما هنا لتذكير نعمة بما فضلهم على العالمين وهي نعمة الإيمان بنبي زمانهم وإنقيادهم لأحكامه ليغتنموها ويؤمنوا ويكونوا من الفاضلين لا المفضولين وليتقوا بمتابعته عن أهوال القيامة وخوفها كما أتقوا بمتابعة موسى عليه السلام وإذ أبتلى إبراهيم ربه بكلمات في متعلق إذ إحتمالات تقدمت الإشارة إليها في نظير الآية وأختار أبو حيان تعلقها ب قال اني وبعضهم بمضمر مؤخر أي كان كيت وكيت والمشهور تعلقها بمضمر مقدم تقديره أذكر أو أذكروا وقت كذا والجملة حينئذ معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والجامع الإتحاد في المقصد فإن المقصد منتذكيرهم وتخويفهم تحريضهم على قبول دينه وإتباع الحق وترك التعصب **وحب الرياسة** كذلك المقصد من قصة إبراهيم عليه السلام وشرح أحواله الدعوة إلى ملة الإسلام وترك التعصب في الدين وذلك لأنه إذا علم أنه نال الأمامة بالإنقياد لحكمه تعالى وأنه لم يستجب دعاءه في الظالمين وأن الكعبة كانت مطافا ومعبدا في وقته مأمورا هو بتطهيره وأنه كان يحج البيت داعيا مبتهلا كما هو في دين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأن نبينا عليه الصلاة و السلام من دعوته وأنه دعا في حق نفسه وذريته بملة الإسلام كان الواجب على من يعترف بفضله وأنه من أولاده ويزعم إتباع ملته ويباهي بأنه من ساكن حرمه وحامي بيته أن يكون حاله مثل ذلك وذهب عصام الملة والدين إلى جواز العطف على نعمتي أي أذكروا وقت إبتلاء إبراهيم فإن فيه ما ينفعكم ويرد أعتقادكم الفاسد أن آباءكم شفعاؤكم يوم القيامة لأنه لم يقبل دعاء إبراهيم في الظلمةويدفع عنكم **حب**

---

(١) روح المعاني، ١/٢٣١

الرياسة المانع عن متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فأنه يعلم منه أنه لا ينال الرياسة الظالمين وأعترض بأنه خروج عن طريق البلاغة مع لزوم تخصيص الخطاب بأهل الكتاب وتخلل أتقوا بين المعطوفين والإبتلاء في الأصل الإختبار كما قدمنا ." (١)

" إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهذا النبي العظيم يعني محمدا عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأكمل التسليم أولى ايضا بمتابعة أبيه الخليل وسلوك منهجه الجليل لانه زبدة مخيض محبته وخلاصه حقيقة فطرته والذين آمنوا به صلى الله تعالى عليه وسلم واشرقت عليهم أنواره وأينعت في رياض قلوبهم اسراره والله ولي المومنين كافة يحفظهم عن آفات القهر ويدخلهم في قبات العصمة ويبيح لهم ديار الكرامة ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم جعله أهل الله سبحانه خطابا للمومنين كما قال بذلك بعض أهل الظاهر أي لا تفشوا أسرار الحق إلا إلى أهله ولا تقروا بمعاني الحقيقة للمحجوبين من الناس فيقعون فيكم ويقصدون سفك دمائكم قل إن الهدى اعني هدى الله أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم من علم الباطن أو مثل ما يحاجوكم به في زعمهم عند ربكم وهو علم الظاهر

وحاصل المعنى إن الهدى الجمع بين الظاهر والباطن وأما الاقتصار على علم الظاهر وإنكار الباطن فليس بهدى قل إن الفضل بيد الله فيتصرف به حسب مشيئته التابعة لعلمه التابع للمعلوم في أزل الآزال والله واسع عليم فكيف يتقيد بالقيود بل يتجلى حسبما تقتضيه الحكمة في المظاهر لاهل الشهود يختص برحمته الخاصة من يشاء من عباده وهي المعرفة به وهي فوق مكاشفة غيب الملكوت ومشاهدة سر الجبروت والله ذو الفضل العظيم الذي لا يكتنه بلى من أو في بعهده وهو عهد الوح بنعت الكشف وعهد القلب بتلقي الخطاب وعهد العقل بامتثال الاوامر والنواهي والتقى من خطرات النفوس وطوارق الشهوات فان الله يحب المتقين أي فهو بالغ مقام حقيقة المحبة إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية إشارة إلى من مال إلى خضرة الدنيا وآثرها على مشاهدة حضرة المولى وزين ظاهره بعبادة المقربين ومزجها **بحب الرياسة** فذلك الذي سقط عن رؤية اللقاء ومخاطبة الحق في الدنيا والآخرة ما كان لبشر ان يؤتيه الله كتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس مونوا عبادا لي من دون الله لان الاستنباء لا يكون إلا بعد الفناء في التوحيد فمن محا الله تعالى بشريته بإفنائه عن نفسه وأثابه وجودا نورانيا حقيا قابلا للكتاب والحكمة العقلية لا يمكن أن يدعو إلى نفسه إذ الداعي اليها لا يكون إلا محجوبا بها وبين الامرين تناقض ولكن يقول كونوا ربانيين أي منسوبين إلى الرب والمراد عابدين مرتاضين بالعلم والعمل والمواظبة على الطاعات لتغلب على أسراركم أنوار الرب ولهم في الرباني عبارات كثيرة فقال الشلبي : الرباني الذي لا يأخذ العلوم إلا من الرب ولا يرجع في شئ إلا إليه وقال سهل : الرباني الذي لا يختار على ربه حالا وقال لقاسم : هو المتخلق بأخلاق الرب علما وحكما وقيل : هو الذي محق في وجوده ومحق عن شهوده وقيل : هو الذي لا تؤثر فيه تصاريف الاقدار على اختلافها وقيل ك وقيل : وكل الأقوال ترد من منهل واحد ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا فانها بعض مظاهره وهو سبحانه المطلق حتى عن قيد الاطلاق أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أي ايأمركم بالاحتجاب برؤية الاشكال والنظر إلى الأمثال بعد أن لاح في اسراركم أنوار التوحيد وطلعت في قلوبكم شموس التفريد وإذ أخذ الله ميثاق

---

(١) روح المعاني، ٣٧٣/١

النبيين الآية فيه إشارة إلى أنه سبحانه أخذ العهد من نواب الحقيقة المحمدية في الازل بالانقياد والطاعة والايمان بها وخصهم بالذكر لكونهم أهل الصف الاول ورجال الحضرة وقيل : إن الله تعالى أخذ عليهم مثاق التعارف بينهم وإقامة الدين وعدم التفرق وتصديق بعضهم بعضا ودعوة الخلق إلى التوحيد وتخصيص العبادة بالله تعالى وطاعة النبي وتعريف بعضهم بعضا لأممهم وهذا غير الميثاق العام المشار اليه بقوله تعالى : وإذ أخذ ربك ." (١)

" بعض الناس أن الآية تؤيد مذهبهم لأنه تعالى خص فيها الملك بالإرسال إلى الملائكة فيتعين أن يكون هو الرسول إليهم لا البشر سواء كان بينه وبينهم مناسبة أم لا وقد سمعت ما نقل عن العلامة القطب وصاحب التقريب من أن المراد لنزلنا عليهم رسولا حال كونه ملكا لا بشرا وأجيب بأنه بعد إرخاء العنان لا تدل الآية إلا على تعين إرسال الملك إلى الملائكة إذا كانوا في الأرض يمشون مطمئنين بدل البشر ولا يلزم منه أن لا يصح إرسال البشر إليهم إذا لم يكونوا كذلك لجواز أن يكون حكمة التعين في الصورة الأولى سوى المناسبة المترتب عليها سهولة الإجتماع والتلقي شيء آخر لا يوجد في الصورة الثانية وذلك أنه إذا كان أهل الأرض ملائكة وأرسل إليهم بشر له قوة الإلقاء إليهم والإضافة عليهم نحو إرسال رسل البشر عليهم السلام صعب بحسب الطبع على ذلك الرسول بقاؤه معهم زمنا يعتد بهم كما يبقى رسل البشر مع البشر كذلك إلا أن يجعل مشاركا لهم فيما جبلوا عليه ويلحق بهم وهو أشبه شيء بإخراجه عن الطبيعة البشرية بالمرة فيكون العدول عن إرسال ملك إلى إرساله أشبه شيء بالعبث المنافي للحكمة ا ه فتدبر

فلعل الله سبحانه يمن عليك بما يروي الغليل وتأمل في جميع ما تقدم فلعلك توفق بعون الله تعالى إلى الجرح والتعديل قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا إليه رأسا كفى بالله عز و جل وحده شهيدا على أني قد أديت ما علي إليكم بإظهار المعجزة على وفق دعواى ورجح الأول بأنه أوفق بقوله تعالى : بيني وبينكم وكذا بقوله سبحانه تعليلا للكفاية إنه كان بعباده أي الرسل والمرسل إليهم خبيرا بصيرا ٦٩ أي محيطا بظواهرهم وبواطنهم فيجازيهم على ذلك وزعم الخفاجي أن الثاني أوفق بالسياق منه إذ يكون الكلام عليه كالسابق ردا لإنكارهم أن يكون الرسول بشرا وإلى ذلك ذهب الإمام وأن كون الأول أوفق بقوله تعالى إنه كان إلخ لا وجه له لأن معناه التهديد والوعيد بأنه سبحانه يعلم ظواهرهم وبواطنهم وإنهم إنما ذكروا هذه الشبهة للحسد وحب الرياسة والإستنكاف عن الحق وفيه من التسلية لحبيبه مافيه وأنت تعلم أن إنكار كون الأول أوفق بذلك مما لا وجه له لظهور خلافه ولا ينافيه تضمن الجملة الوعيد والتسلية وأيضا يبقى أمر أوفقيته بيني وبينكم في البين ومع ذلك في تصدير الكلام بقل نوع تأييد لإرادة الأول كما لا يخفى على الذكر هذا وإنما لم يقل سبحانه بيننا تحقيقا للمعارقة وإبانة للمبانية ونصب شهيدا إما على الحال أو على التمييز ومن يهد الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز قل يفصل ما أشار إليه الكلام السابق من مجازاة العباد لما أن علمه تعالى في مثل هذا الموضع مستعمل بمعنى المجازاة أي من يهد الله تعالى إلى الحق فهو المهتد إليه وإلى ما يؤدي إليه من الثواب أو المهتدي إلى كل مطلوب والأكثرون حذفوا ياء المهتدي ومن يضلل يخلق فيه الضلال لسوء إختياره قبح استعداده كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم أولياء أي أنصارا من دونه عزوجل يهدونهم إلى طريق الحق أو إلى طريق يوصلهم إلى

---

(١) روح المعاني، ٢٢١/٣

مطالبهم الدنيوية والأخروية أو إلى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لأحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد على الآحاد على ." (١)

" وادعيت ما ادعيت وهو كقوله : إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون

وقال الفراء والطبري : مسحورا بمعنى ساحرا على النسب أو حقيقة وهو يناسب قلب العصا ونحوه على تفسير الآيات بالمعجزات قال موسى عليه السلام ردا لقوله المذكور لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء أي الآيات التسع أو بعضها والإشارة إلى ذلك بما ذكر على حد قوله على إحدى الروايتين

والعيش بعد أولئك الأيام

وقد مر إلا رب السموات والأرض أي خالقهما ومدبرهما وحاصل الرد أن علمك بأن هاتيك الآيات من الله تعالى إذ لا يقدر عليها سواه تعالى يقتضي أني لست بمسحور ولا ساحر وأن كلامي غير مختل لكن حب الرياسة حملك على العناد في التعرض لعنوان الربوبية إيماء إلى أن إيزالها من آثار ذلك وفي البحر ما أحسن إسناد إنزالها إلى رب السموات والأرض إذ هو عليه السلام لما سأله فرعون في أول محاورته فقال له : وما رب العالمين قال : رب السموات والأرض تنبيها على نقصه وأنه لا تصرف له في الوجود فدعواه الربوبية دعوى مستحيل فبكته وأعلمه أنه يعلم آيات الله تعالى ومن أنزلها ولكنه مكابر معاند كقوله تعالى : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ أي أنت بحال من يعلم هذه أو هي من الوضوح بحيث تعلمها وليس خطابه على جهة إخباره عن علمه أو العلم بعلمه ليكو ن إفادة لازم الخبر كقولك لمن حفظ التوراة حفظت التوراة

وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وزيد بن علي رضي الله تعالى عنهما والكسائي لقد علمت بضم التاء فيكون موسى عليه السلام قد أخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور كما زعم عدو الله تعالى وعدوه بل هو يعلم أن ما أنزل تلك الآيات إلا خالق السموات والأرض ومدبرهما وروي عن الأمير كرم الله تعالى وجهه أنه قال : والله ما علم عدو الله تعالى ولكن موسى عليه السلام هو الذي علم وتعقبه أبو حيان بأنه لا يصح لأنه رواه كلثوم المرادي وهو مجهول وكيف يقول ذلك باب مدينة العلم كرم الله تعالى وجهه ووجه نسبة العلم إليه ظاهر

وقد ذكر الجلال السيوطي في الدر المنثور أن سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم أخرجوا عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه كان يقرأ بالضم ويقول ذلك ولم يتعقبه بشيء ولعل هذا المجهول الذي ذكره أبو حيا في أسانيدهم والله تعالى أعلم

وجملة ما أنزل الخ معلق عنها سادة مسد علمت وقوله تعالى بصائر حال من هؤلاء والعامل فيه أنزل المذكور عند الحوفي وأبي البقاء وابن عطية وما قبل ألا يعمل فيما بعدها إذا كان مستثنى منه أو تابعا له وقد نص الأخفش والكسائي على جواز ما ضرب هندا إلا زيد ضاحكة ومذهب الجمهور عدم الجواز فإن ورد ما ظاهره ذلك أول عندهم على إضمار فعل يدل عليه ما قبل والتقدير هنا أنزلها بصائر أي بينات مكشوفات تبصرك صدقي على أنه جمع بصيرة بمعنى مبصرة أي

---

(١) روح المعاني، ١٧٤/١٥

بينة وتطلق البصائر على الحجج بجعلها كأنها بصائر العقول أي ما أنزلها إلا حججا وأدلة على صدقي وتكون بمعنى العبرة كما ذكره الراغب هذا ولا يخفى عليك أنه إذا كان المراد من الآيات التسع ما اقتضاه خبر صفوان السابق يجوز أن تكون هؤلاء إشارة ." (١)

" وإذا هم كتموا يحدث عنهم ... عند الوشاة المدمع السحاح ...

وما ذكر أولا يكون مستمسكا في الذب عن الشيخ الأكبر قدس سره وأضرابه فانهم لم يبالوا في كشف الحقائق التي يدعونها بكونه سببا لضلال كثير من الناس وداعيا للانكار عليهم وقد استدل بعض بالآية في الرد عليهم بناء على أن المعنى الحق ما يكون من جهته تعالى وما جاؤا به ليس من جهته سبحانه لأنه لا تشهد له آية ولا يصدقه حديث ولا يؤيده أثر وأجيب بأن ذلك ليس إلا من الآيات والأحاديث إلا أنه لا يستنبط منها إلا بقوة قدسية وأنوار إلهية فلا يلزم من عدم فهم المنكرين لها من ذلك لحرمانهم تلك القوة واحتجاجهم عن هاتيك الأنوار عدم حقيتها فكم من حق لم تصل إليه أفهامهم واعترض بأنه لو كان الأمر كذلك لظهر مثل تلك الحقائق في الصدر الأول فإن أرباب القوى القدسية والأنوار الالهية فيه كثيرون والحرص على إظهار الحق أكثر وأجيب بأنه يحتمل أن يكون هناك مانع أو عدم مقتض لاظهار ما أظهر من الحقائق وفيه نوع دغدغة ولعله سيأتيك إن شاء الله تعالى ما عسى أن ينفعك هنا وبالجملة أمر الشيخ الأكبر وأضرابه قدس الله تعالى أسرارهم فيما قالوا ودونوا عندي مشكل لا سيما أمر الشيخ فإنه أتى بالداهية الدهياء مع جلالة قدره التي لا تنكر ولذا ترى كثيرا من الناس ينكرون عليه ويكرون وما ألطف ما قاله فرق جنين العصابة الفاروقية والراقي في مراقي التنزلات الموصلية في قصيدته التي عقد اكسيرها في مدح الكبريت الأحمر فغدا شمسا في آفاق مدائح الشيخ الأكبر وهو قوله ... ينكر المرء منه أمرا فينها ... ه نهاه فينكر الانكارا ... تنثني عنه ثم تثنى عليه ... ألسن تشبه الصحاة سكارى ...

يحلون فيها من أساور من ذهب قيل هي إشارة إلى أنهم يحلون حقائق التوحيد الذاتي ومعاني التجليات العينية الاحدية ويلبسون ثيابا خضرا إشارة إلى أنهم متصفون بصفات بهيجة حسنة نضرة موجبة للسرور من سندس الاحوال والمواهب وعبر عنها بالسندس لكونها ألطف واستبرق الاخلاق والمكاسب وعبر عنها بالاستبرق لكونها أكثف متكئين فيها على الأرائك قيل أي أرائك الاسماء الالهية واضرب لهم مثلا رجلين الخ فيه من تسلية الفقراء المتوكلين على الله تعالى وتنبيه الاغنياء المغرورين ما فيه وقال النيسابوري الرجلان هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا لأحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من أعناب الشهوات وحففناها بنخل **حب الرياسة** وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية فجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من أنواع الشهوات وهو يحاوره أي يجاذب النفس أنا أكثر منك مالا أي ميلا وأعز نفرا من الأوصاف المذمومة وهو ظالم نفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهدى لأجدن خيرا منها قال ذلك غرورا بالله تعالى وكرمه فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها من العمر وحسن الاستعداد انتهى

---

(١) روح المعاني، ١٨٥/١٥

وقد التزم هذا النمط في أكثر الآيات ولا بدع فهو شأن كثير من المؤولين هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا قال ابن عطاء للطالبين له سبحانه لا للجنة وخير عقبا للمريدين والباقيات الصالحات قيل هي المحبة الدائمة والمعرفة الكاملة والأنس بالله تعالى والاخلاص في توحيده سبحانه والانفراد به جل وعلا عن غيره فهي باقية للمتصف بها وصالحة لا اعوجاج فيها وهي خير المنازل وقد تفسر بما يعمها وغيرها ." (١)

"ودل قوله : ﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ [النساء : ١٠٧] ، أنه لا يجوز الجدال عن الخائن، ولا يجوز للإنسان أن يجادل عن نفسه إذا كانت خائنة؛لها في السر أهواء وأفعال باطنة تخفى على الناس، فلا يجوز المجادلة عنها، قال تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [غافر : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ [الأنعام : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، وقد قال تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقىمعاذيره ﴾ [القيامة : ١٤، ١٥] ، فإنه يعتذر عن نفسه بأعذار ويجادل عنها،وهو يبصرها بخلاف ذلك،وقال تعالى : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [الإسراء : ١٤] وقال تعالى : ﴿ ومنالناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ [البقرة : ٢٠٤] .وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) ، فهو يجادل عن نفسه بالباطل، وفيه لدد . أي : ميل واعوجاج عن الحق، وهذا على نوعين : أحدهما : أن تكون مجادلته وذبه عن نفسه مع الناس، والثاني : فيما بينه وبين ربه، بحيث يقيم أعذار نفسه ويظنها محقة وقصدها حسنا، وهي خائنة ظالمة، لها أهواء خفية قد كتمتها حتى لا يعرف بها الرجل حتى يرى وينظر، قال شداد بن أوس : إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية، قال أبو داود : هى حب الرياسة .." (٢)

"فهما يشركانه، ويهودانه، وينصرانه، ويمجسانه . وقد بسط الكلام على هذا الحديث وأقوال الناس فيه في غير هذا الموضع .وأيضا، مما يبين أن الإنسان قد يخفي عليه كثير من أحوال نفسه، فلا يشعر بها . إن كثيرا من الناس يكون في نفسه حب الرياسة كامن لا يشعر به، بل إنه مخلص في عبادته وقد خفيت عليه عيوبه، وكلام الناس في هذا كثير مشهور؛ ولهذا سميت هذه : [الشهوة الخفية] .قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرياسة . فهي خفية تخفي على الناس، وكثيرا ما تخفي على صاحبها .بل كذلك حب المال والثروة، فإن الإنسان قد يحب ذلك ولا يدرى . بل نفسه ساكنة ما دام ذلك موجودا، فإذا فقده ظهر من / جزع نفسه وتلفها ما دل على المحبة المتقدمة . والحب مستلزم للشعور، فهذا شعور من النفس بأمور وجب لها . والإنسان قد يخفي ذلك عليه من نفسه . لا سيما والشيطان يغطى على الإنسان أمورا .وذنوبه . أيضا . تبقى رينا على قلبه قال تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٤، ١٥] . وفي الترمذى وغيره عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ عن النبي صلى الله

---

(١) روح المعاني، ١٥/٣٠٩

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/١٨٧

عليه وسلم أنه قال : (إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء . فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه . فذلك الران الذي قال الله : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾) قال الترمذى : حديث حسن صحيح .ومنه قوله تعالى : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ﴾ [البقرة : ٨٨]." (١)

"وكذلك المشركون من أهل الكتاب ومن مبتدعة هذه الأمة وضلالها هذا غاية شركهم، فإن النصارى يصورون في الكنائس صور من يعظمونه من الإنس غير عيسى وأمه، مثل مارجرجس وغيره من القداديس، ويعبدون تلك الصور، ويسألونها ويدعونها ويقربون/ لها القرابين، وينذرون لها النذور، ويقولون : هذه تذكرنا بأولئك الصالحين، والشياطين تضلهم .كما كانت تضل المشركين تارة . بأن يتمثل الشيطان في صورة ذلك الشخص الذي يدعي ويعبد فيظن داعيه أنه قد أتي، أو يظن أن الله صور ملكا على صورته، فإن النصراني . مثلا . يدعو في الأسر وغيره مارجرجس أو غيره فيراه قد أتاه في الهواء، وكذلك آخر غيره، وقد سألوا بعض بطارقتهم عن هذا : كيف يوجد في هذه الأماكن ؟ فقال : هذه ملائكة يخلقهم الله على صورته تغيث من يدعوه، وإنما تلك شياطين أضلت المشركين .وهكذا كثيرا من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت، أو يستغيث به عند قبره ويسأله، وقد ينذر له نذرا ونحو ذلك، ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره، أو كلمه ببعض ما سأله عنه، ونحو ذلك، فيظنه الشيخ نفسه أتي إن كان حيا، حتى إني أعرف من هؤلاء جماعات يأتون إلى الشيخ نفسه الذي استغاثوا به وقد رأوه أتاهم في الهواء فيذكرون ذلك له . هؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ، وهؤلاء يأتون إلى هذا الشيخ، فتارة يكون الشيخ نفسه لم يكن يعلم بتلك القضية، فإن كان **يحب الرياسة** سكت وأوهم أنه نفسه أتاهم وأغاثهم، وإن كان فيه صدق مع جهل وضلال قال : هذا ملك صوره الله علي/صورتي . وجعل هذا من كرامات الصالحين، وجعله عمدة لمن يستغيث بالصالحين، ويتخذهم أربابا، وأنهم إذا استغاثوا بهم بعث الله ملائكة على صورهم تغيث المستغيث بهم .." (٢)

"﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ العدل : الفدية ، قاله ابن عباس وأبو العالية ، وسميت عدلا لأن المفدي يعدل بها : أي يساويها ، أو البدل : أي رجل مكان رجل. وروي عن ابن عباس : أو حسنة مع الشرك ثلاثة أقوال. ﴿ولا هم ينصرون﴾ : أتى بالضمير مجموعا على معنى نفس ، لأنها نكرة في سياق النفي فتعم ، كقوله تعالى : ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ ، وأتى به مذكرا لأنه أريد بالنفوس الأشخاص كقولهم : ثلاثة أنفس ، وجعل حرف النفي منسحبا على جملة اسمية ليكون الضمير مذكورا مرتين ، فيتأكد ذكر المنفي عنه النصر بذكره مرتين ، وحسن الحمل على المعنى كون ذلك في آخر فاصلة ، فيحصل بذلك التناسب في الفواصل ، بخلاف أن لو جاء ولا تنصر ، إذ كان يفوت التناسب. ويحتمل رفع هذا الضمير وجهين من الإعراب. أحدهما : وهو المتبادر إلى أذهان المعربين أنه مبتدأ ، والجملة بعده في موضع رفع على الخبر. والوجه الثاني : وهو أعمض الوجهين وأغربهما أنه مفعول لم يسم فاعله ، يفسر فعله الفعل الذي بعده ، وتكون المسألة من باب الاشتغال ، وذلك أن لا هي من الأدوات التي هي أولى بالفعل ، كهمزة الاستفهام. فكما يجوز في : أزيد

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٣٩/٤

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٤٤/٥

قائم ، وأزيد يضرب ، الرفع على الاشتغال ، فكذلك هذا ، ويقوي هذا الوجه أنه تقدم جملة فعلية.والحكم في باب الاشتغال أنه إذا تقدمت جملة فعلية وعطف١٩١عليها بشرط العطف المذكور في ذلك الباب ، فالأفصح الحمل على الفعل ، ويجوز الابتداء كما ذكرنا أولا ، ويقوي عود الضمير إلى نفس الثانية بناء الفعل للمفعول ، إذا لو كان عائدا على نفس الأولى لكان مبنيا للفاعل ، كقوله : لا تجزي. ومن المفسرين من جعل الضمير في ولاهم عائدا على النفسين معا ، قال : لأن التثنية جمع قالوا ، وفي معنى النصر للمفسرين هنا ثلاثة أقوال : أحدها : أن معناه لا يمنعون من عذاب الله. الثاني : لا يجدون ناصرا ينصرهم ولا شافعا يشفع لهم. الثالث : لا يعاونون على خلاصهم وفكاكهم من موبقات أعمالهم. وثلاثة الأقوال هذه متقاربة المعنى ، وجاء النفي لهذه الجمل هنا بلا المستعملة لنفي المستقبل في الأكثر ، وكذلك هذه الأشياء الأربعة هي مستقبلة ، لأن هذا اليوم لم يقع بعد. وترتيب هذه الجمل في غاية الفصاحة ، وهي على حسب الواقع في الدنيا ، لأن المأخوذ بحق ، إما أن يؤدى عنه الحق فيخلص ، أو لا يقضى عنه فيشفع فيه ، أو لا يشفع فيه فيفدى ، أو لا يفدى فيتعاون بالإخوان على تخليصه.جزء : ١ رقم الصفحة : ١٨٧فهذه مراتب يتلو بعضها بعضا. فلهذا ، والله أعلم ، جاءت مترتبة في الذكر هكذا. ولما كان الأمر مختلفا عند الناس في الشفاعة والفدية ، فمن يغلب عليه **حب الرياسة** قدم الشفاعة على الفدية ، ومن يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعة ، جاءت هذه الجمل هنا مقدما فيها الشفاعة ، وجاءت الفدية مقدمة على الشفاعة في جملة أخرى ، ليدل ذلك على اختلاف الأمرين. وبدىء هنا بالشفاعة ، لأن ذلك أليق بعلو النفس ، وجاء هنا بلفظ القبول ، وهناك بلفظ النفع ، إشارة إلى انتفاء أصل الشيء ، وانتفاء ما يترتب عليه. وبدىء هنا بالقبول ، لأنه أصل للشيء المترتب عليه ، فأعطى المتقدم ذكر المتقدم وجودا ، وأخر هناك النفع إعطاء للمتأخر ذكر المتأخر وجودا.." (١)

"ونص عليه بخصوصه وهي الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه ، فنبه على أن من استهزأ بالصلاة ينبغي أن لا يتخذ وليا ويطرد ، فهذه الآية جاءت كالتوكيد للآية قبلها. وقال بعض العلماء : في هذه الآية دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب ، لا بالمنام وحده انتهى. ولا دليل في ذلك على مشروعيته لأنه قال وإذا ناديتم ، ولم يقل نادوا على سبيل الأمر ، وإنما هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية لا على إنشائها بالشرط. والظاهر أن الضمير في اتخذوها عائد على الصلاة ، ويحتمل أن يعود على المصدر المفهوم من ناديتم أي : اتخذوا المناداة والهزء والسخرية واللعب الأخذ في غير طريق. ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ أي ذلك الفعل منهم ، ونفي العقل عنهم لما لم ينتفعوا به في الدين ، واتخذوا دين الله هزوا ولعبا ، فعل من لا عقل له.﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منآ إلا أن ءامنا بالله ومآ أنزل إلينا ومآ أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ قال ابن عباس : أتى نفر من يهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به من الرسل ؟ فقال : أؤمن بالله : ﴿ومآ أنزل إلينا﴾ إلى قوله : ﴿ونحن له مسلمون﴾ فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ، ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ، ولا دينا شرا من دينكم ، فنزلت. والمعنى : هل تعيبون علينا ، أو تنكرون ، وتعدون ذنبا ، أو نقيصة ما لا ينكر ولا يعاب ، وهو الإيمان بالكتب المنزلة كلها ؟ وهذه محاورة لطيفة وجيزة تنبه الناقم على أنه ما

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١/١٦١

نقم عليه إلا ما لا ينقم ولا يعد عيبا ونظيره قول الشاعر : جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥ولا عيب فيهم غير أن سيوفهمبهن فلول من قراع الكتائبوالخطاب قيل : للرسول ، وهو بمعنى ما النافية. وقرأ الجمهور : تنقمون بكسر القاف ، والماضي نقم بفتحها ، وهي التي ذكرها ثعلب في الفصيح. ونقم بالكسر ، ينقم بالفتح لغة حكاها الكسائي وغيره. وقرأ بها أبو حيوة والنخعي وابن أبي عبلة وأبو البر هشيم ، وفسر تنقمون بتسخطون وتتكرهون وتنكرون وتعيبون وكلها متقاربة. وإلا أن آمنا استثناء فرغ له الفاعل. وقرأ الجمهور : أنزل مبنيا للفاعل ، وذلك في اللفظين ، وقرأهما أبو نهيك : مبنيين للفاعل ، وقرأ نعيم بن ميسرة : وإن أكثركم فاسقون بكسر الهمزة ، وهو واضح المعنى ، أمره تعالى أن يقول لهم هاتين الجملتين ، وتضمنت الأخبار بفسق أكثرهم وتمردهم. وقرأ الجمهور : بفتح همزة أن وخرج ذلك على أنها في موضع رفع ، وفي موضع نصب ، وفي موضع جر. فالرفع على الابتداء. وقدر الزمخشري الخبر مؤخرا محذوفا أي : وفسق٥١٦أكثركم ثابت معلوم عندكم ، لأنكم علمتم أنا على الحق ، وأنكم على الباطل ، إلا أن **حب الرياسة** والرشا يمنعكم من الاعتراف. ولا ينبغي أن يقدم الخبر إلا مقدما أي : ومعلوم فسق أكثركم ، لأن الأصح أن لا يبدأ بها متقدمة إلا بعد أما فقط. والنصب من وجوه : أحدها : أن يكون معطوفا على أن آمنا أي : ما تنقمون منا إلا إيماننا وفسق أكثركم ، فيدخل الفسق فيما نقموه ، وهذا قول أكثر المتأولين. ولا يتجه معناه لأنهم لا يعتقدون فسق أكثرهم ، فكيف ينقمونه ، لكنه يحمل على أن المعنى ما تنقمون منا إلا هذا المجموع من إنا مؤمنون وأكثركم فاسقون ، وإن كانوا لا يسلمون إن أكثرهم فاسقون ، كما تقول : ما تنقم مني إلا أني صدقت وأنت كذبت ، وما كرهت مني إلا أني محبب إلى الناس وأنت مبغض ، وإن كان لا يعترف أنه كاذب ولا أنه مبغض ، وكأنه قيل : ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في الإسلام وأنتم خارجون. والوجه الثاني : أن يكون معطوفا على إن آمنا ، إلا أنه على حذف مضاف تقديره : واعتقادنا فيكم أن أكثركم فاسقون ، وهذا معنى واضح. ويكون ذلك داخلا في ما تنقمون حقيقة. الثالث : أن تكون الواو واو مع ، فتكون في موضع نصب مفعولا معه التقدير : وفسق أكثرهم أي : تنقمون ذلك مع فسق أكثركم والمعنى : لا يحسن أن تنقموا مع وجود فسق أكثركم كما تقول : تسيء إلي مع أني أحسنت إليك. الرابع : أن تكون في موضع نصب مفعول بفعل مقدر يدل عليه ، هل تنقمون تقديره : ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون. والجر على أنه معطوف على قوله : بما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وبأن أكثركم فاسقون ، والجر على أنه معطوف على علة محذوفة التقدير : ما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم. ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا. فهذه سبعة وجوه في موضع إو وصلتها ، ويظهر وجه ثامن ولعله يكون الأرجح ، وذلك أن نقم أصلها أن تتعدى بعلى ، تقول : نقمت على الرجل أنقم ، ثم تبنى منها افتعل فتعدى إذ ذاك بمن ، وتضمن معنى الإصابة بالمكروه.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥." (١)

"﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع﴾ : لولا هنا للتحضيض ، صحبها معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد ، وهذا نحو قوله : ﴿خامدون * ياحسرة على العباد﴾ والقرون : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، ومن تقدم ذكره. والبقية هنا يراد بها الخير

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٤١٣/٣

والنظر والجزم في الدين ، وسمي الفضل والجود بقية ، لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله ، فصار مثلا في الجودة والفضل. فلان من بقية القوم أي من خيارهم ، وبه فسر بيت الحماسة : إن تذنبوا ثم يأتيني بقيتكم. ومنه قولهم : في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا. وإنما قيل : بقية لأن الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها ، ثم لا تزال تضعف ، فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول. وبقية فعيلة اسم فاعل للمبالغة. وقال الزمخشري : ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوي ، كالتقية بمعنى التقوى أي : فلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه. وقرأت فرقة : بقية بتخفيف الياء اسم فاعل من بقي ، نحو : شجيت فهي شجية. وقرأ أبو جعفر ، وشيبة : بقية بضم الباء وسكون القاف ، وزن فعله. وقرىء : بقية على وزن فعله للمرة من بقاه يبقيه إذا رقبه وانتظره ، والمعنى : فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله ، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم. والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصي ، وفي ذلك تنبيه لهذه الأمة وحض لها على تغيير المنكر. إلا قليلا استثناء منقطع أي : لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالإضافة إلى جماعاتهم ، ولا يصح أن يكون استثناء متصلا مع بقاء التحضيض على ظاهره لفساد المعنى ، وصيرورته إلى أن الناجين لم يحرضوا على النهي عن الفساد. والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب ، وغيره يراه منفيا من حيث معناه : أنه لم يكن فيهم أولو بقية ، ولهذا قال الزمخشري بعد أن منع أن يكون متصلا : (فإن قلت) : في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل : ما كان من٢٧١القرون أولوا بقية إلا قليلا ، كان استثناء متصلا ، ومعنى صحيحا ، وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرجع على البدل انتهى. وقرأ زيد بن علي : إلا قليل بالرفع ، لحظ أن التحضيض تضمن النفي ، فأبدل كما يبدل في صريح النفي. وقال الفراء : المعنى فلم يكن ، لأن في الاستفهام ضربا من الجحد ، وأبي الأخفش كون الاستثناء منقطعا ، والظاهر أن الذين ظلموا هم تاركو النهي عن الفساد. وما أترفوا فيه أي : ما نعموا فيه من **حب الرياسة** والثروة وطلب أسباب العيش الهني ، ورفضوا ما فيه صلاح دينهم. واتبع استئناف أخبار عن حال هؤلاء الذين ظلموا ، وأخبار عنهم أنهم مع كونهم تاركي النهي عن الفساد كانوا مجرمين أي : ذوي جرائم غير ذلك. وقال الزمخشري : إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر ، لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد في الأرض ، واتبع الذين ظلموا شهواتهم ، فهو عطف على نهوا ، وإن كان معناه : واتبعوا جزاء الإتراف. قالوا وللحال ، كأنه قيل : أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم. وقال : وكانوا مجرمين ، عطف على أترفوا ، أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين ، لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام انتهى. فجعل ما في قوله : ما أترفوا ، فيه مصدرية ، ولهذا قدره : اتبعوا الإتراف ، والظاهر أنها بمعنى الذي لعود الضمير في فيه عليها. وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أي : اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك. قال : ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى. ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو ، لأنه آخر آية ، فليس بين شيئين يحتاج أحدهما إلى الآخر. وقرأ جعفر بن محمد ، والعلاء بن سيابة كذا في كتاب اللوامح ، وأبو عمر في رواية الجعفي : واتبعوا ساكنة التاء مبنية للمفعول على حذف مضاف ، لأنه مما يتعدى إلى مفعولين ، أي جزاء ما أترفوا فيه. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة

أنهم اتبعوا جزاء إترافهم ، وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل : إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر.جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٦٥." (١)

"الشر -إلا من عصم الله -أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم" (١) .وروي مثله عن إسحاق بن البهلول، عن ابن أبي فديك، عن محمد بن عبد الواحد الأخنسي، عن عبد الواحد بن أبي كثير، عن جابر بن عبد الله مرفوعا، مثله (٢) .وروي عن الحسن مرسلا نحوه (٣) ، فقيل للحسن: فإنه يشار إليك بالأصابع؟ فقال: إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق (٤) .وعن علي، رضي الله عنه، قال: لا تبدأ لأن تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم،واصمت تسلم، تسر الأبرار، وتغيظ الفجار.وقال إبراهيم بن أدهم، رحمه الله: ما صدق الله من أحب الشهرة.وقال أيوب: ما صدق الله عبده إلا سره ألا يشعر بمكانه.وقال محمد بن العلاء: من أحب الله أحب ألا يعرفه الناس.وقال سماك بن سلمة: إياك وكثرة الأخلاء.وقال أبان بن عثمان: إن أحببت أن يسلم لك دينك فأقل من المعارف؛ كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم.وقال: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن عوف، عن أبي رجاء قال: رأى طلحة قوما يمشون معه، فقال: ذباب طمع، وفراش النار.وقال ابن إدريس، عن هارون بن عنترة (٥) ، عن سليم بن حنظلة قال: بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال: إنها مذلة للتابع، وفتنة للمتبوع.وقال ابن عون، عن الحسن: خرج ابن مسعود فاتبعه أناس، فقال: والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي، ما اتبعني منكم رجلان.وقال حماد بن زيد: كنا إذا مررنا على المجلس، ومعنا أيوب، فسلم، ردوا ردا شديدا، فكان ذلك يغمه.وقال عبد الرزاق، عن معمر: كان أيوب يطيل قميصه، فقيل له في ذلك، فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص، واليوم في تشميره. واصطنع مرة نعلين على حذو نعلي النبي صلى الله عليه وسلم، فلبسهما أياما ثم خلعهما، وقال: لم أر الناس يلبسونهما.وقال إبراهيم النخعي: لا تلبس من الثياب ما يشهر في الفقهاء، ولا ما يزدريك السفهاء.وقال الثوري: كانوا يكرهون من الثياب الجياد، التي يشتهر بها، ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم. والثياب الرديئة التي يحتقر فيها، ويستذل دينه.______________(١) التواضع والخمول برقم (٣٠) وفيه سنان بن سعد ضعيف.(٢) التواضع والخمول برقم (٣١) وقال العراقي: "ليس معروفا من حديث جابر إنما هو معروف من حديث أبي هريرة".(٣) التواضع والخمول برقم (٣٢).(٤) التواضع والخمول برقم (٣٣).(٥) في أ: "هارون بن أبي عشيرة".." (٢)

"هذا هو الجواب المجمل ، وأما التفصيلي فقد ذكر في آيات أخر كقوله تعالى : ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم﴾ (الأنعام ، ٧)﴿ولو فتحنا عليهم بابا﴾ (الحجر ، ١٤)جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٧٣ونحو ذلك. ولما أمر بما تضمن أنه كإخوانه من الرسل في كونه بشرا أتبعه قوله عطفا على فأبى أو وقالوا : ﴿وما منع الناس﴾ أي : قريشا ومن قال بقولهم لما لهم من الاضطراب ﴿أن يؤمنوا﴾ أي : لم يبق لهم مانع من الإيمان والجملة مفعول منع ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ أي : الدليل القاطع على الإيمان وهو القرآن وغيره من الأدلة. وقرأ أبو عمرو وهشام بإدغام ذال إذ عند الجيم

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٥/٢٢٦

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٦/٣٤٣

والباقون بالإظهار وأمال الألف بعد الجيم حمزة وابن ذكوان محضة وإذا وقف حمزة على جاءهم سهل الهمزة مع المد والقصر. ﴿إلا أن قالوا﴾ فاعل منع أن قالوا ، أي : منكرين عليه غاية الإنكار متعجبين متهكمين ﴿أبعث الله بشرا رسولا﴾ لأن الكفار كانوا يقولون : لن نؤمن لك لأنك بشر ، ولو بعث الله تعالى رسولا إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجابهم الله تعالى بقوله : ﴿قل﴾ أي : لهؤلاء المطرودين عن الرحمة ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون﴾ عليها كالآدميين ﴿مطمئنين﴾ أي : مستوطنين فيها كالبشر ﴿لنزلنا عليهم﴾ مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل عليه السلام على الأنبياء من البشر وحقق الأمر بقوله تعالى : ﴿من السماء ملكا٣٧٥رسولا﴾ يعلمهم الخير ويهديهم المراشد لتمكنهم من التلقي منه لمشاكلتهم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لأن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم إذ الشيء عن شكله أفهم وبه آنس وإليه أحن وله آلف إلا من فضله الله تعالى بتغلب روحه على نفسه ، وبتغلب عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقي من الملك كالمرسلين ثم أجابهم الله تعالى جوابا آخر بقوله عز وجل : جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٧٣﴿قل كفى بالله﴾ أي : المحيط بكل شيء قدرة وعلما. وأمال الألف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ﴿شهيدا بيني وبينكم﴾ على أني رسوله إليكم ليظهر المعجزات على وفق دعواهم وإني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم ومن يشهد الله على صدقه فهو صادق فعند ذلك قول القائل بأن الرسول يجب أن يكون ملكا لا إنسانا تحكم فاسد لا يلتفت إليه. تنبيه : شهيدا نصب على الحال أو التمييز ، ثم إنه تعالى ذكر ما هو كالتهديد والوعيد بقوله تعالى : ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يعلم ظواهرهم وبواطنهم ، ويعلم من قلوبهم أنهم لا ينكرون هذا إلا لمحض الحسد وحب الرياسة والاستنكاف من الانقياد للحق. ولما تقدم أنه تعالى أعلم بالمهتدي والضال عطف عليه قوله تعالى : ﴿ومن يهد الله﴾ بأن يخلق الهداية في قلبه ﴿فهو المهتدى﴾ لا يمكن أحد غيره أن يضله. تنبيه : أثبت نافع وأبو عمرو الياء بعد الدال مع الوصل دون الوقف وحذفها الباقون وقفا ووصلا. ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم﴾ أي : الضالين ﴿أولياء﴾ يهدونهم ﴿من دونه﴾ ولا ينفعونهم بشيء أراد الله تعالى غيره. ولما كان يوم القيامة يظهر الله فيه لكل أحد ما كان يعمله نبه على ذلك بقوله تعالى : ﴿ونحشرهم﴾ بنون العظمة ، أي : نجمعهم بكره ﴿يوم القيامة﴾ الذي هو محط الحكمة ﴿على وجوههم﴾ مسحوبين عليها إهانة لهم فيها كما لم يذلوها بالسجود لنا. قال تعالى : ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ (القمر ، ٤٨)جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٧٦أي : يمشون عليها. روى أبو هريرة قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال : "إن الذي يمشيهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم". قال حكماء الإسلام : إن الكفار أرواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذاتها وليس لها تعلق بعالم الأنوار وحضرة الإله سبحانه وتعالى ، فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة إلى الدنيا لا جرم كان حشرهم على وجوههم ، وأما قوله تعالى : ﴿عميا وبكما وصما﴾ فقد استشكله شخص على ابن عباس فقال : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ورأى المجرمون النار﴾ (الكهف ، ٥٣)وقال تعالى : ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ (الفرقان ، ١٢)وقال تعالى : ﴿دعوا هنالك ثبورا﴾ (الفرقان ، ١٣)وقال تعالى : ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ (النحل ، ١١١). وقال تعالى حكاية عن الكفار : ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (الأنعام ، ٢٣). فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال تعالى هنا : ﴿عميا وبكما وصما﴾ ؟ أجاب ابن عباس وتلامذته عنه

من وجوه الأول : قال ابن عباس عميا لا يرون شيئا يسرهم صما لا يسمعون شيئا يسرهم بكما لا ينطقون بحجة. الثاني قال٣٧٦." (١)

"" صفحة رقم ٣٤٢ " حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه أو كان الأصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف أو على ما أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا إلا أن آمنا لقلة إنصافكم وفسقكم أو نصب بإضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن **حب الرياسة** والمال يمنعكم عن الإنصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمن يؤمن به فقال) آمنا بالله وما أنزل إلينا (إلى قوله) ونحن له مسلمون (فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكمالمائدة : (٦٠) قل هل أنبئكم . . . .) قل هل أنبئكم بشر من ذلك (أي من ذلك المنقوم) مثوبة عند الله (جزاء ثابتا عند الله سبحانه وتعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ها هنا موضعها على طريقة قوله " تحية بينهم ضرب وجيع " ." (٢)

"" صفحة رقم ٣٧٣ ") وأكثرهم لا يعقلون (أي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو الأمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم **حب الرياسة** وتقليد الآباء أن يعترفوا بهالمائدة : (١٠٤) وإذا قيل لهم . . . . .) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا (بيان لقصور عقولهم وانهماكهم في التقليد وأن لا سند لهم سواه) أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (الواو للحال والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل على هذه الحال أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف إلا بالحجة فلا يكفي التقليدالمائدة : (١٠٥) يا أيها الذين . . . . .) يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (أي احفظوها والزموا إصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لإلزموا ولذلك نصب أنفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء) لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر." (٣)

" صفحة رقم ٥٥ أن ينفذ موعظته إلى القلوب فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه) قوله فتندلق ، أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ٢٦٤/٢

(٢) تفسير البيضاوى ـ موافق للمطبوع، ٣٤٢/٢

(٣) تفسير البيضاوى ـ موافق للمطبوع، ٣٧٣/٢

الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس والخير ولا يعمل به كالسراج يضي للناس ويحرق نفسه) وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ، ومن وعظ بعفله نفذت سهامه ، (وقال بعضهم :ابدأ بنفسك فانهها عن غيهافإذا انتهت عنه فأنت حكيمفهناك يسمع ما تقول ويقتدبالقول منك وينفع التعليم)البقرة : (٤٥ - ٤٩) واستعينوا بالصبر والصلاة..." واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم " (قوله عز وجل : (واستعينوا بالصبر والصلاة (قيل إن المخاطبين بهذا هم المؤمنون لأن من ينكر الصلاة والصبر على دين على محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق محمدا (صلى الله عليه وسلم) وآمن به. وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين ، فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالإيمان بمحمد (صلى الله عليه وسلم) والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وإن ضممتم إلى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من **حب الرياسة** والجاه والمال. وعلى القول الأول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم إلى الله. وقيل : على ما يشغلكم من أنواع البلاء. وقيل : على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي. وقيل بالصبر على أداء الفرائض. وقيل الصبر هو الصوم لأن فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة ، أي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية وإحضار القلب ومراعاة الأركان والآداب مع الخشوع والخشية ، فإن اشتغل بالصلاة ترك ما سواها. وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، أي إذا أهمه امر لجأ إلى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نعي له أخوة قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق ، فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ، ثم قام إلى راحلته وهو يقول : فاستعينوا بالصبر والصلاة) وإنها (."(١)

" صفحة رقم ٤٠٥) تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر (هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول : زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم. والمعروف هو التوحيد ، والمنكر هو الشرك ، المعنى تأمرون الناس بقول لا إله إلا الله وتنهونهم عن الشرك) وتؤمنون بالله (أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة. فإن قلت لم قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع ان الإيمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات ؟. قلت الإيمان بالله أمر يشترك فيه جميع الأمم المؤمنة وإنما فضلت هذه الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الأمم ، وإذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأما الإيمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يضر شيء من الطاعات مقبولا فثبت أن

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ١/٥٥

الموجب لهذه الخيرية لهذه الأمة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ، فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان وقوله تعالى : (ولو آمن أهل الكتاب (يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وبالدين الذي جاء به) لكان خيرا لهم (يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وإنما حملهم على ذلك **حب الرياسة** واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا ، والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة) منهم (يعني من أهل الكتاب) المؤمنون (يعني عبدالله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى) وأكثرهم الفاسقون (أي المتمردون في الكفر ، وقيل إن الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون.)آل عمران : (١١١ – ١١٢) لن يضروكم إلا..." لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (قوله عز وجل : (لن يضروكم إلا أذى (سبب نزول هذه الآية أن رؤساء عمدوا إلى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم فأنزل الله تعالى) لن يضروكم إلا أذى (يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديد أو إلقاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الأذى والغم) وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار (يعني منهزمين مخذولين) ثم لا ينصرون (يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لأنهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى أنهم لا يقدرون أن يجاوزوا." (١)

" صفحة رقم ٦٨ يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله. وقيل : إن الكفار والمنافقين كانوا إذا سمعوا حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالوا : يا محمد لقد أبدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى من الأمم قبلك فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء فمن أين لك صياح كصياح العير فما أقبح هذا الصوت وما أسمج هذا الأمر ؟ فأنزل الله عز وجل : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله (" الآية وأنزل) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ( ) ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (يعني أن هزؤهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم.قوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب (الخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) يعني : قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذي اتخذوا دينك هزوا ولعبا) هل تنقمون منا (وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين إلا الإيمان بالله وبما أنزل إلينا وبما أنزل على جميع الأنبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر أو ينقم منه وهذا كما قال بعضهم :ولا عيب فيهم غير أن سيوفهمبهن فلول من قراع الكتائبيعني أنه ليس فيهم عيب إلا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم. قال ابن عباس : أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وعازوراء وزيد وخالد وأزار بن أبي أزار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال : أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط

(١) تفسير الخازن ـ موافق للمطبوع، ١/٤٠٥

– إلى قوله – ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : والله لا نؤمن بمن آمن به ، فأنزل الله هذه الآية. وقيل : إنهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فأنزل الله هذه الآية) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزلنا إلينا وما أنزل من قبل (وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا) وأن أكثركم فاسقون (يعني أنما كرهتم إيماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بأننا على الحق بسبب فسقكم وإقامتكم على الدين الباطل **لحب الرياسة** وأخذ الأموال بالباطل وإنما قال أكثركم لأن الله يعلم أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله. قوله عز وجل.) قل هل أنبئكم بشر من ذلكم (هذا." (١)

"السبب الثاني التعزز فإن واحدا من أمثاله إذا نال منصبا عاليا ترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك فيريد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد يرضى بمساواته ولكنه لا يرضى بترفعه عليهالسبب الثالث أن يكون في طبيعته أن يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض ومن هذا الباب كان حسد أكثر الكفار للرسول عليه الصلاة والسلام إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطيء له رؤوسنا فقالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا (الأنعام ٥٣) كالاستحقار بهم والأنفة منهمالسبب الرابع التعجب كما أخبر الله عن الأمم الماضية إذ قالوا ما أنتم إلا بشرا مثلنا (إبراهيم ١٠) وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (المؤمنون ٤٧) ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون (المؤمنون ٣٤) وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا (الإسراء ٩٤) وقالوا لولا نزل علينا الملئكة (الفرقان ٢١) وقال عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (الأعراف ٦٣ ٦٩)السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الباب تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين للتوصل إلى مقاصد المال والكرامة وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذ كان غرضهما نيل المال والقبول عندهماالسبب السادس **حب الرياسة** وطلب الجاه نفسه من غير توسل به إلى مقصوده وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو زهد أو ثروة ويفرح بسبب تفردهالسبب السابع شح النفس بالخير على عباد الله فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من بخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث النفس ورذالة جبلته في الطبع لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد ويقوى قوة لا يقوى صاحبها معها على

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ٦٨/٢

الإخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد واحد منهاالمسألة الخامسة في سبب كثرة الحسد وقلته وقوته وضعفه اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر فيهم الأسباب التي ذكرناها إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه يمتنع من قول المتكبر ولأنه يتكبر ولأنه." (١)

"وفي النبوات أما في الإلهيات فيدل على ضلالهم قوله سبحان ربي أي سبحانه عن أن يكون له إتيان ومجيء وذهاب وأما في النبوات فيدل على ضلالهم قوله هل كنت إلا بشرا رسولا وتقريره ما ذكرناهوما منع الناس أن يؤمنوا إذ جآءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السمآء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيراًاعلم أنه تعالى لما حكى شبهة القوم في اقتراح المعجزات الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة أخرى وهي أن القوم استبعدوا أن يبعث الله إلى الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا أن الله تعالى لو أرسل رسولا إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه الأول قوله وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى وتقرير هذا الجواب أن بتقدير أن يبعث الله ملكا رسولا إلى الخلق فالخلق إنما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لأجل قيام المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم إلى معرفة ذلك الملك في إدعاء رسالة الله تعالى فالمراد من قوله تعالى إذ جاءهم الهدى هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد الملك أو على يد البشر وجب الإقرار برسالته فثبت أن يكون قولهم بأن الرسول لا بد وأن يكون من الملائكة تحكما فاسدا وتعنتا باطلا الوجه الثاني من الأجوبة التي ذكرها الله في هذه الآية عن هذه الشبهة هو أن أهل الأرض لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لأن الجنس إلى الجنس أميل أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر وهو المراد من قوله لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا الوجه الثالث من الأجوبة المذكورة في هذه الآية قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وتقريره أن الله تعالى لما أظهر المعجزة على وفق دعواي كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقا ومن شهد الله على صدقه فهو صادق فبعد ذلك قول القائل بأن الرسول يجب أن يكون ملكا لا إنسانا تحكم فاسد لا يلتفت إليه ولما ذكر الله تعالى هذه الأجوبة الثلاثة أردفها بما يجري مجرى التهديد والوعيد فقال إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعني يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا يذكرون هذه الشبهات إلا لمحض الحسد **وحب الرياسة** والاستنكاف من الانقياد للحقومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أوليآء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزآؤهم بأنهم كفروا بأاياتنا وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا." (٢)

"اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم تلك الاعتراضات وكانت تلك الاعتراضات ظاهرة السقوط لأن شرائط الإعجاز لما تمت في القرآن ظهر حينئذ لكل عاقل كونه معجزا وعند ذلك ظهر أن اشتغالهم بإيراد تلك الاعتراضات كان لأجل حب الدنيا **وحب الرياسة** فيها فبالغ سبحانه في زجرهم عن ذلك فقال وكم قصمنا من قرية قال صاحب (الكشاف) القصم

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٢١٧/٣

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ٥٠/٢١

أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القصم وذكر القرية وأنها ظالمة وأراد أهلها توسعا لدلالة العقل على أنها لا تكون ظالمة ولا مكلفة ولدلالة قوله تعالى وكم قصمنا من قرية فالمعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وقال فلما أحسوا بأسنا إلى قوله قالوا يأبانا قالوا إنا كنا ظالمين وكل ذلك لا يليق إلا بأهلها الذين كلفوا بتصديق الرسل فكذبوهم ولولا هذه الدلائل لما جاز منه سبحانه ذكر المجاز لأنه يكون ذلك موهما للكذب واختلفوا في هذا الإهلاك فقال ابن عباس المراد منه القتل بالسيوف والمراد بالقرية حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب وفي الحديث (كفن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ثوبين سحوليين) وروى (حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم) وروى (أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء) فندموا واعترفوا بالخطأ وقال الحسن المراد عذاب الاستئصال واعلم أن هذا أقرب لأن إضافة ذلك إلى الله تعالى أقرب من إضافته إلى القاتل ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على قول ابن عباس ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله تعالى بهذه الآية وأما قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون فالمعنى لما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة ركضوا في ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين أما قوله لا تركضوا قال صاحب (الكشاف) القول محذوف فإن قلت من القائل قلنا يحتمل أن يكون بعض الملائكة ومن ثم من المؤمنين أو يكونوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثون به نفوسهم أما قوله وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم أي من العيش والرفاهية والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه أما قوله تعالى لعلكم تسألون فهو تهكم بهم وتوبيخ ثم فيه وجوه أحدها أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة وثانيها ارجعوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم بم تأمرون وماذا ترسمون كعادة المخدومين وثالثها تسألكم الناس في أنديتكم لتعاونوهم في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات ويستعينون بآرائكم ورابعها يسألكم الوافدون عليكم والطامعون فيكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ أما قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم فقال لأنها عدوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم." (١)

"القصة الأولى قصة نوح عليه السلامولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إلاه غيره أفلا تتقون فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هاذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شآء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهاذا فى ءابآئنا الا ولين إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حينقال قوم إن نوحا كان اسمه يشكر ثم سمي نوحا لوجوه أحدها لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم بالطوفان فندم على ذلك وثانيها لمراجعة ربه في شأن ابنه وثالثها أنه مر بكلب مجذوم فقال له إخسا يا قبيح فعوتب على ذلك فقال الله له أعبتني إذ خلقته أم عبت الكلب

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٢٦/٢٢

وهذه الوجوه مشكلة لما ثبت أن الأعلام لا تفيد صفة في المسمأما قوله اعبدوا الله فالمعنى أنه سبحانه أرسله بالدعاء إلى عبادة الله تعالى وحده ولا يجوز أن يدعوهم إلى ذلك إلا وقد دعاهم إلى معرفته أولا لأن عبادة من لا يكون معلوما غير جائزة وإنما يجوز ويجب بعد المعرفةأما قوله ما لكم من إلاه غيره فالمراد أن عبادة غير الله لا تجوز إذ لا إله سواه ومن حق العبادة أن تحسن لمن أنعم بالخلق والإحياء وما بعدهما فإذا لم يصح ذلك إلا منه تعالى فكيف يعبد ما لا يضر ولا ينفع وقرىء غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ ثم إنه لما لم ينفع فيهم هذا الدعاء واستمروا على عبادة غير الله تعالى حذرهم بقوله أفلا تتقون لأن ذلك زجر ووعيد باتقاء العقوبة لينصرفوا عما هم عليه ثم إنه سبحانه حكى عنهم شبههم في إنكار نبوة نوح عليه السلامالشبهة الأولى قولهم ما هاذا إلا بشر مثلكم وهذه الشبهة تحتمل وجهين أحدهما أن يقال إنه لما كان مساويا لسائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض امتنع كونه رسولا لله لأن الرسول لا بد وأن يكون عظيما عند الله تعالى وحبيبا له والحبيب لا بد وأن يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والمعزة فلما فقدت هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة والثاني أن يقال هذا الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور ولكنه أحب الرياسة والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلا إلا بادعاء النبوة فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته فهذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى خبرا عنهم يريد أن يتفضل عليكم أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء فى الارض." (١)

"السؤال الأول لم قال أم تحسب أن أكثرهم فحكم بذلك على الأكثر دون الكل والجواب لأنه كان فيهم من يعرف الله تعالى ويعقل الحق إلا أنه ترك الإسلام لمجرد حب الرياسة لا للجهلالسؤال الثاني لم جعلوا أضل من الأنعام الجواب من وجوه أحدها أن الأنعام تنقاد لأربابها وللذي يعلفها ويتعهدها وتميز بين من يحسن إليها وبين من يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يميزون بين إحسانه إليهم وبين إساءة الشيطان إليهم الذين هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يحترزون من العقاب الذي هو أعظم المضار وثانيها أن قلوب الأنعام كما أنها تكون خالية عن العلم فهي خالية عن الجهل الذي هو اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو عليه مع التصميم وأما هؤلاء فقلوبهم كما خلت عن العلم فقد اتصفت بالجهل فإنهم لا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون بل هم مصرون على أنهم يعلمون وثالثها أن عدم علم الأنعام لا يضر بأحد أما جهل هؤلاء فإنه منشأ للضرر العظيم لأنهم يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجا ورابعها أن الأنعام لا تعرف شيئا ولكنهم عاجزون عن الطلب وأما هؤلاء الجهال فإنهم ليسوا عاجزين عن الطلب والمحروم عن طلب المراتب العالية إذا عجز عنه لا يكون في استحقاق الذم كالقادر عليه التارك له لسوء اختياره وخامسها أن البهائم لا تستحق عقابا على عدم العلم أما هؤلاء فإنهم يستحقون عليه أعظم العقاب وسادسها أن البهائم تسبح الله تعالى على مذهب بعض الناس على ما قال وإن من شى ء إلا يسبح بحمده (الأسراء ٤٤) وقال ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات إلى قوله والدواب (الحج ١٨) وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه (النور ٤١) وإذا كان كذلك فضلال الكفار أشد وأعظم من ضلال هذه الأنعامالسؤال الثالث أنه سبحانه لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الإعراض عن الدين وكيف بعث الرسول إليهم فإن من شرط التكليف العقل الجواب ليس المراد

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢٣/٨٠

أنهم لا يعقلون بل إنهم لا ينتفعون بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره إذا لم يفهم إنما أنت أعمى وأصمألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شآء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم اليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى أرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته وأنزلنا من السمآء مآء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنآ أنعاما وأناسى كثيرا." (١)

"عماهم فلذلك عداه بمن دون عن لأن الفكر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائموقال الذين كفروا أءذا كنا ترابا وءابآؤنآ أءنا لمخرجون لقد وعدنا هاذا نحن وءابآؤنا من قبل إن هاذآ إلا أساطير الا ولين قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ويقولون متى هاذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون وإن ربك لذو فضل على الناس ولاكن أكثرهم لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غآئبة فى السمآء والأرض إلا فى كتاب مبيناعلم أنه سبحانه لما تكلم في حال المبدأ تكلم بعده في حال المعاد وذلك لأن الشك في المعاد لا ينشأ إلا من الشك في كمال القدرة أو في كمال العلم فإذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات وعالما بكل المعلومات ثبت أنه تعالى يمكنه تمييز أجزاء بدن كل واحد من المكلفين عن أجزاء بدن غيره وثبت أنه قادر على أن يعيد التركيب والحياة إليها وإذا ثبت إمكان ذلك ثبت صحة القول بالحشر فلما بين الله تعالى هذين الأصلين فيما قبل هذه الآية لا جرم لم يحكه في هذه الآية فحكى عنهم أنهم تعجبوا من إخراجهم أحياء وقد صاروا ترابا وطعنوا فيه من وجهين الأول قولهم لقد وعدنا هاذا نحن وءاباؤنا أي هذا كلام كما قيل لنا فقد قيل لمن قبلنا ولم يظهر له أثر فهو إذن من أساطير الأولين يريدون ما لا يصح من الأخبار فإن قيل ذكر ههنا لقد وعدنا هاذا نحن وءاباؤنا وفي آية أخرى لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هاذا (المؤمنون ٨٣) فما الفرق قلنا التقديم دليل على أن المقدم هو المقصود الأصلي وأن الكلام سيق لأجله ثم إنه سبحانه لما كان قد بين الدلالة على هذين الأصلين ومن الظاهر أن كل من أحاط بهما فقد عرف صحة الحشر والنشر ثبت أنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوها وكان سبب ذلك الإعراض حب الدنيا وحب الرياسة والجاه وعدم الانقياد للغير لا جرم اقتصر على بيان أن الدنيا فانية زائلة فقال قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين وفيه سؤالان." (٢)

"إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهمإشارة إلى أهل الكتاب الذي تبين لهم الحق في التوراة بنعت محمد (صلى الله عليه وسلم) وبعثه وارتدوا أو إلى كل من ظهرت له الدلائل وسمعها ولم يؤمن وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع محمد عليه السلام وكانوا يعلمون أنه الحق الشيطان سول لهم سهل لهم وأملى لهم يعني قالوا نعيش أياما ثم نؤمن به وقرىء وأملى لهم فإن قيل الإملاء والإمهال وحد الآجال لا يكون إلا من الله فكيف يصح قراءة من قرأ وأملى لهم فإن المملي حينئذ يكون هو الشيطان نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما جاز أن يكون المراد وأملى لهم الله فيقف على سول لهم وثانيها هو أن المسول أيضا ليس هو الشيطان وإنما أسند إليه من حيث إن

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٧٦/٢٤

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٨٣/٢٤

الله قدر على يده ولسانه ذلك فذلك الشيطان يمليهم ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم في آخر الأمر تؤمنون وقرىء وأملى لهم بفتح الياء وضم الهمزة على البناء للمفعولذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الا مر والله يعلم إسرارهمقال بعض المفسرين ذلك إشارة إلى الإملاء أي ذلك الإملاء بسبب أنهم قالوا للذين كرهوا وهو اختيار الواحدي وقال بعضهم ذالك إشارة إلى التسويل ويحتمل أن يقال ذلك الارتداد بسبب أنهم قالوا سنطيعكم وذلك لأنا نبين أن قوله سنطيعكم فى بعض الامر هو أنهم قالوا نوافقكم على أن محمدا ليس بمرسل وإنما هو كاذب ولكن لا نوافقكم في إنكار الرسالة والحشر والإشراك بالله من الأصنام ومن لم يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فهو كافر وإن آمن بغيره لا بل من لم يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) لا يؤمن بالله ولا برسله ولا بالحشر لأن الله كما أخبر عن الحشر وهو جائز أخبر عن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وهي جائزة فإذا لم يصدق الله في شيء لا ينفي الكذب بقول الله في غيره فلا يكون مصدقا موقنا بالحشر ولا برسالة أحد من الأنبياء لأن طريق معرفتهم واحد والمراد من الذين كرهوا ما نزل الله هم المشركون والمنافقون وقيل المراد اليهود فإن أهل مكة قالوا لهم نوافقكم في إخراج محمد وقتله وقتال أصحابه والأول أصح لأن قوله كرهوا ما نزل الله لو كان مسندا إلى أهل الكتاب لكان مخصوصا ببعض ما أنزل الله وإن قلنا بأنه مسند إلى المشركين يكون عاما لأنهم كرهوا ما نزل الله وكذبوا الرسل بأسرهم وأنكروا الرسالة رأسا وقوله سنطيعكم فى بعض الامر يعني فيما يتعلق بمحمد من الإيمان به فلا نؤمن والتكذيب به فنكذبه كما تكذبونه والقتال معه وأما الإشراك بالله واتخاذ الأنداد له من الأصنام وإنكار الحشر والنبوة فلا وقوله والله يعلم إسرارهم قال أكثرهم المراد منه هو أنهم قالوا ذلك سرا فأفشاه الله وأظهره لنبيه عليه الصلاة والسلام والأظهر أن يقال والله يعلم إسرارهم وهو ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه." (١)

"وفى أنفسكم أفلا تبصرونإشارة إلى دليل الأنفس وهو كقوله تعالى سنريهم ءاياتنا فى الافاق وفى أنفسهم (فصلت ٥٣) وإنما اختار من دلائل الآفاق ما في الأرض لظهورها لمن على ظهورها فإن في أطرافها وأكنافها ما لا يمكن عد أصنافها فدليل الأنفس في قوله وفى أنفسكم عام ويحتمل أن يكون مع المؤمنين وإنما أتى بصيغة الخطاب لأنها أظهر لكون علم الإنسان بما في نفسه أتم وقوله تعالى وفى أنفسكم يحتمل أن يكون المراد وفيكم يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات وقوله أفلا تبصرون بالاستفهام إشارة إلى ظهورهاوفى السمآء رزقكم وما توعدونوقوله تعالى وفى السماء رزقكم فيه وجوه أحدها في السحاب المطر ثانيها فى السماء رزقكم مكتوب ثالثها تقدير الأرزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت وفي الآيات الثلاث ترتيب حسن وذلك لأن الإنسان له أمور يحتاج إليها لا بد من سبقها حتى يوجد هو في نفسه وأمور تقارنه في الوجود وأمور تلحقه وتوجد بعده ليبقى بها فالأرض هي المكان وإليه يحتاج الإنسان ولا بد من سبقها فقال وفى الارض ءايات ثم في نفس الإنسان أمور من الأجسام والأعراض فقال وفى أنفسكم ثم بقاؤه بالرزق فقال وفى السماء رزقكم ولولا السماء لما كان للناس البقاءوقوله تعالى وما توعدون فيه وجوه أحدها الجنة الموعود بها لأنها في السماء ثانيها

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٥٨/٢٨

هو من الإيعاد لأن البناء للمفعول من أوعد يوعد أي وما توعدون إما من الجنة والنار في قوله تعالى يوم هم على النار (الذاريات ١٣) وقوله إن المتقين فى جنات (الذاريات ١٥) فيكون إيعادا عاما وأما من العذاب وحينئذ يكون الخطاب مع الكفار فيكون كأنه تعالى قال وفي الأرض آيات للموقنين كافية وأما أنتم أيها الكافرون ففي أنفسكم آيات هي أظهر الآيات وتكفرون لها لحطام الدنيا وحب الرياسة وفي السماء الأرزاق فلو نظرتم وتأملتم حق التأمل لما تركتم الحق لأجل الرزق فإنه واصل بكل طريق ولاجتنبتم الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل ثم قال تعالفورب السمآء والأرض إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقونوفي المقسم عليه وجوه أحدها ما توعدون أي ما توعدون لحق يؤيده قوله تعالى إنما توعدون لصادق (الذاريات ٥) وعلى هذا يعود كل ما قلناه من وجوه ما توعدون إن قلنا إن ذلك هو الجنة فالمقسم عليه هو هي ثانيها الضمير راجع إلى القرآن أي أن القرآن حق وفيما ذكرناه في قوله تعالى يؤفك عنه (الذاريات ٩) دليل هذه وعلى هذا فقوله مثل ما أنكم تنطقون معناه تكلم به الملك النازل من عند الله به مثل ما أنكم تتكلمون وسندكره ثالثها أنه راجع إلى الدين كما في قوله تعالى وإن الدين لواقع (الذاريات ٦) رابعها أنه راجع إلى اليوم المذكور في قوله أيان يوم الدين (الذاريات ١٢) يدل عليه وصف الله اليوم بالحق في قوله تعالى ذلك اليوم الحق (النبأ ٣٩) خامسها أنه راجع." (١)

"(الإسراء ٨٠) أي دخول صدق أو إدخال صدق وقال تعالى كل ممزق (سبأ ٧) أي تمزيق فالممزق بمعنى التمزيق كالمنزل بمعنى التنزيل وعلى العكس سواء وهذه البلاغة هي أن الفعل لا يرى والمفعول به يصير مرئيا والمرئي أقوى في العلم فيقال مزقهم تمزيقا وهو فعل معلوم لكل أحد علما بينا يبلغ درجة الرؤية ويصير التمزق هنا كما صار الممزق ثابتا مرئيا والكلام يختلف بمواضع الكلام ويستخرج الموفق بتوفيق الله وقوله من رب العالمين أيضا لتعظيم القرآن لأن الكلام يعظم بعظمة المتكلم ولهذا يقال لرسول الملك هذا كلام الملك أو كلامك وهذا كلام الملك الأعظم أو كلام الملك الذي دونه إذا كان الرسول رسول ملوك فيعظم الكلام بقدر عظمة المتكلم فإذا قال من رب العالمين تبين منه عظمة لا عظمة مثلها وقد بينا تفسير العالم وما فيه من اللطائف وقوله تنزيل رد على طائفة أخرى وهم الذين يقولون أنه فى كتاب و لا يمسه إلا المطهرون وهم الملائكة لكن الملك يأخذ ويعلم الناس من عنده ولا يكون من الله تعالى وذلك أن طائفة من الروافض يقولون إن جبرائيل أنزل على علي فنزل على محمد فقال تعالى هو من الله ليس باختيار الملك أيضا وعند هذا تبين الحق فعاد إلى توبيخ الكفارثم قال تعالىأفبهاذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبونوفيه مسائلالمسألة الأولى (هذا) إشارة إلى ماذا فنقول المشهور أنه إشارة إلى القرآن وإطلاق الحديث في القرآن على الكلام القديم كثير بمعنى كونه اسما لا وصفا فإن الحديث اسم لما يتحدث به ووصف يوصف به ما يتجدد فيقال أمر حادث ورسم حديث أي جديد ويقال أعجبني حديث فلان وكلامه وقد بينا أن القرآن قديم له لذة الكلام الجديد والحديث الذي لم يسمع الوجه الثاني أنه إشارة إلى ما تحدثوا به من قبل في قوله تعالى وكانوا يقولون أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون أو ءاباؤنا الاولون (الواقعة ٤٧ ٤٨) وذلك لأن الكلام مستقل منتظم فإنه تعالى رد عليهم ذلك بقوله تعالى قل إن الاولين والاخرين (الواقعة ٤٩) وذكر الدليل عليهم بقوله نحن خلقناكم (الواقعة ٥٧) وبقوله أفرءيتم ما تمنون (الواقعة ٥٨) أفرءيتم ما تحرثون (الواقعة ٦٣)

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٧٩/٢٨

وأقسم بعد إقامة الدلائل بقوله فلا أقسم (الواقعة ٧٥) وبين أن ذلك كله إخبار من الله بقوله إنه لقرءان (الواقعة ٧٧) ثم عاد إلى كلامهم وقال أفبهاذا الحديث الذي تتحدثون به أنتم مدهنون لأصحابكم تعلمون خلافه وتقولونه أم أنتم به جازمون وعلى الإصرار عازمون وسنبين وجهه بتفسير المدهن وفيه وجهان أحدهما أن المدهن المراد به المكذب قال الزجاج معناه أفبالقرآن أنتم تكذبون والتحقيق فيه أن الإدهان تليين الكلام لاستمالة السامع من غير اعتقاد صحة الكلام من المتكلم كما أن العدو إذا عجز عن عدوه يقول له أنا داع لك ومثن عليك مداهنة وهو كاذب فصار استعمال المدهن في المكذب استعمالا ثانيا وهذا إذا قلنا إن الحديث هو القرآن والوجه الثاني المدهن هو الذي يلين في الكلام ويوافق باللسان وهو مصر على الخلاف فقال أنتم فمنهم من يقول إن النبي كاذب وإن الحشر محال وذلك لما هم عليه من **حب الرياسة** وتخافون أنكم إن صدقتم ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر يفوت عليكم من كسبكم ما تربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم." (١)

"والثالث : أن يستوي عند العبد حامده وذامه في الحق ، وهذا من علامات الزهد في الدنيا ، واحتقارها ، وقلة الرغبة فيها ، فإن من عظمت الدنيا عنده أحب المدح وكره الذم ، فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم ، وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح ، فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق ، دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه ، وامتلائه من محبة الحق ، وما فيه رضا مولاه ، كما قال ابن مسعود : اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله (١) . وقد مدح الله الذين يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم .وقد روي عن السلف عبارات أخر في تفسير الزهد في الدنيا ، وكلها ترجع إلى ما تقدم ، كقول الحسن : الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال : هو أفضل مني ، وهذا يرجع إلى أن الزاهد حقيقة هو الزاهد في مدح نفسه وتعظيمها ، ولهذا يقال : الزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة (٢) ، فمن أخرج من قلبه **حب الرياسة** في الدنيا ، والترفع فيها على الناس ، فهو الزاهد حقا ، وهذا هو الذي يستوي عنده حامده وذامه في الحق ، وكقول وهيب بن الورد : الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فات منها ، ولا تفرح بما آتاك منها (٣) ، قال ابن السماك : هذا هو الزاهد المبرز في زهده .وهذا يرجع إلى أنه يستوي عند العبد إدبارها وإقبالها وزيادتها ونقصها ، وهو مثل استواء المصيبة وعدمها كما سبق .وسئل بعضهم – أظنه الإمام أحمد – عمن معه مال : هل يكون زاهدا ؟ قال : إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه ، أو كما قال .____________(١) سبق تخريجه .(٢) أخرجه : أبو نعيم في " الحلية " ٢٣٨/٨ من قول يوسف بن أسباط .(٣) أخرجه : أبو نعيم في " الحلية " ١٤٠/٨ .." (٢)

"أحدا ينحط عن إدراك هذا إذا عرف به فلا أحسبه أهلا لأن يتحمل عنه بإجازة ولا سماع، قال وهذا الذي أشبرت إليه من التوسع في الإجازة هو طريق الجمهور، قال شيخنا: وما عداه من التشديد فهو مناف لما جوزت الإجازة له من بقاء السلسلة، نعم لا يشترط التأهل حين التحمل ولم يقل أحد بالأداء بدون شرط الرواية، وعليه يحمل قولهم أجزت له رواية كذا بشرطه، ومنه ثبوت المروي من حديث المجيز، وقال أبو مروان الطبني أنها لا تحتاج لغير مقابلة نسخة بأصول الشيخ، وقال عياض: تصح بعد تصحيح روايات الشيخ ومسموعاته وتحقيقها وصحة مطابقة كتب الراوي لها والاعتماد

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٧١/٢٩

(٢) جامع العلوم والحكم محقق، ١١/٣٣

على الأصول المصححة، وكتب بعضهم لمن علم منه التأهيل أجزت له الرواية عني، وهو لما علم من إتقانه وضبطه غني عن تقييدي ذلك بشرطه انتهى. وليصلح النية في التحديث بحيث يكون مخلصا لا يريد بذلك عرضا دنيويا بعيدا عن **حب الرياسة** ورعوناتها، وليقرأ الحديث بصوت حسن فصيح مرتل، ولا يسرطه سردا لئلا يلتبس أو يمنع السامع من إدراك بعضه، وقد تسامح بعض الناس في ذلك وصار يعجل استعجالا يمنع السامع من إدراك حروف كثيرة بل كلمات، والله تعالى بمنه وكرمه يهدينا سواء السبيل.(لطيفة): أنبأني الحافظ نجم الدين ابن الحافظ تقي الدين وقاضي القضاة أبو المعالي محب الدين المكيان بها، والمحدث العلامة ناصر الدين أبو الفرج المدني بها، قالوا: أخبرنا الإمام زين الدين بن الحسين وآخرون عن قاضي القضاة أبي عمر عبد العزيز عن قاضي القضاة بدر الدين الكناني، قال: قرأت على الأستاذ أبي حيان محمد بن يوسف بن علي، قال حدثنا الأستاذ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، قال أبو عمرو منه إجازة، قال حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي، قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن حسن بن عطية ح، قال أبو حيان وأنبأنا الأصولي أبو الحسين ابن القاضي أبي عامر بن ربيع عن أبي الحسن أحمد بن علي الغافقي، قال أخبرنا عياض ح، قال أبو حيان وكتب لنا الخطيب أبو الحجاج يوسف بن أبي ركانة عن القاضي أبي القاسمأحمد بن عبد الودود بن سمجون، قال وعياض أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، قال أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني، قال حدثنا الحافظ عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكناني الدمشقي، حدثنا أبو عصمة نوح بن الفرغاني، قال: سمعت أبا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن قت الخزرجي وأبا بكر محمد بن عيسى البخاري، قال سمعنا أبا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول: سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخاري يقول: "لما عزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة لتجديد مودة كانت بينه وبين أبي الفضل البلعمي فنزل في جوارنا، فحملني معلمي أبر إبراهيم إسحق بن إبراهيم الختلي إليه فقال له أسالك أن تحدث هذا الصبي عن مشايخك، فقال ما لي سماع، قال فكيف وأنت فقيه فما هذا، قال لأني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي إلى معرفة الحديث ورواية الأخبار وسماعها، فقصدت محمد بن إسماعيل البخاري ببخارى صاحب التاريخ والمنظور إليه في علم الحديث، وأعلمته مرادي وسألته الإقبال على ذلك، فقال لي يا بني لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره، فقلت عرفني رحمك الله حدود ما قصدتك له ومقادير ما سألتك عنه، فقال لي: اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعا مع أربع، كأربع مثل أربع، في أربع عند أربع، بأربع على أربع، عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع، فإذا تمت له كلها كان عليه أربع، وابتلي بأربع، فإذا صبر على ذلك أكرمه الله تعالى في الدنيا بأربع، وأثابه في الآخرة بأربع. قلت له فسر لي رحمك الله ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلبا للأجر الوافي، فقال: نعم، الأربعة التي يحتاج إلى كتبها هي أخبار الرسول -صلى الله عليه وسلم- وشرائعه والصحابة رضي الله عنهم ومقاديرهم." (١)

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٨/١

"رأسي فقال الذي عند رجلي) بالتثنية وهو ميكائيل (للذي عند رأسي: ما بال الرجل) يريد النبي –صلى الله عليه وسلم– وفي الطب: ما وجع الرجل (قال: مطبوب) قال الراوي مما أدرجه (يعني مسحورا قال): ميكائيل لجبريل (ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم) وكان ساحرا منافقا وفي مسلم أنه كان كافرا (قال) أي ميكائيل (وفيم)؟ سحره (قال): أي جبريل (في جف طلعة) بضم الجيم وتشديد الفاء مضافا لطلعة وتنوينها (ذكر) صفة لجف وهو وعاء الطلع (في مشط ومشاطة تحت رعوفة) براء مفتوحة فعين مهملة مضمومة وبعد الواو الساكنة فاء وهو حجر يكون في قعر البئر يقعد عليه المائح بالتحتية ليملأ دلو الماتح كذا نقل عن الحافظ أبي ذر وقيل غير ذلك ما مر (في بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء (فجاء النبي –صلى الله عليه وسلم–) في جماعة من أصحابه (فقال: هذه البئر التي أريتها) بهمزة مضمومة فراء مكسورة (كأن رؤوس نخلها) أي نخل البستان التي هي فيه (رؤوس الشياطين) في قبح منظرها (وكان ماءها نقاعة الحناء) في حمرة لونه ونقاعة بضم النون بعدها قاف والحناء ممدود أي أنه تغير لرداءته أو لما خالطه مما ألقي فيه (فأمر به النبي –صلى الله عليه وسلم–) أي بصورة ما في الجف من المشط والمشاطة وما ربط فيه (فأخرج) من البئر (قالت عائشة) –رضي الله عنها–: (فقلت يا رسول الله فهلا تعني) عائشة (تنشرت) بتشديد الشين المعجمة والنشرة الرقية التي بها حل عقد الرجل عن مباشرة امرأته، ولغير أبي ذر يعني بالتحتية بدل الفوقية (فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: أما الله) بتشديد الميم (فقد شفاني) منه (وأما أنا فأكره أن أثير) بضم الهمزة بعدها مثلثة (على الناس شرا) باستخراجه من الجف لئلا يروه فيتعلموه إن أرادوا السحر (قالت) عائشة –رضي الله عنها– (لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف) بفتح الحاء المهملة وكسر اللام معاهد (اليهود) ولأبي ذر عن الكشميهني: لليهود بزيادة لام.ومطابقة الآيات المذكورة وترجمة الباب مع الحديث كما هو ملخص من قول الخطابي إن الله تعالى لما نهى عن البغي واعلم أن ضرر البغي إنما هو راجع إلى الباغي وضمن النصر لمن بغي عليه كان حق من بغي عليه أن يشكر الله على إحسانه إليه بأن يعفو عمن بغي عليه وقد امتثل النبي –صلى الله عليه وسلم– ذلك فلم يعاقب الذي كاده بالسحر مع قدرته على ذلك، وقال في الفتح: ويحتمل أن تكون المطابقة من جهة أنه –صلى الله عليه وسلم– ترك استخراج السحر خشية أن يثور على الناس منه شر فسلك مسلك العدل في أن لا يحصل لمن لم يتعاط السحر شيء من أثر الضرر الناشئ عن السحر وسلك مسلك الإحسان في ترك عقوبة الجاني.والحديث سبق في باب السحر من الطب والله الموفق والمعين.٥٧ – باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥](باب ما ينهى عن التحاسد) ولأبي ذر عن الكشميهني من التحاسد المذموم وهو تمني زوال النعمة عن المحسود وتكون للحاسد دونه (و) عن (التدابر) بضم الموحدة بأن يدبر كل واحد عن صاحبه بأن يعطيه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره.(وقوله تعالى): ولأبي ذر وقول الله تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥] أي إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الأسف على الخير عند الغير والاستعاذة من هذه مع سابقها بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد، وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من إبليس وفي الأرض من قابيل، وأقوى أسباب الحسد العداوة، ومنها خوفه من تكبر غيره عليه بنعمة فيتمنى زوالها عنه ليقع التساوي بينه وبينه، ومنها **حب الرياسة** فمتى تفرد

بفن **وأحب الرياسة** وصارت حالته إذا سمع في أقصى العالم بنظيره أحب موته أو زوال تلك النعمة عنه وآفاته كثيرة، وربما حسد عالما فأحب خطأه في دين الله وانكشافه أو بطلان علمه بخرس أو مرض." (١)

" علامات الزهد في الدنيا وقلة الرغبة فيها كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من زهد الدنيا هانت عليه المصيبات والثالث أن يستوي عند العبد حامده وذامه في الحق وهذه من علامات الزهد في الدنيا واحتقارها وقلة الرغبة فيها فإن من عظمت الدنيا عنده اختار المدح وكره الذم فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من محبة الحق وما فيه رضا مولاه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله وقد مدح الله الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقد روي عن السلف عبارات أخر في تفسير الزهد في الدنيا وكلها ترجع إلى ما تقدم كقول الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هو أفضل مني وهذا يرجع إلى أن الزاهد حقيقة هو الزاهد في مدح نفسه وتعظيمها ولهذا يقال الزاهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة فمن أخرج من قلبه **حب الرياسة** في الدنيا والترفع فيها على الناس فهو الزاهد حقا وهذا هو الذي يستوي عنده حامده وذامه في الحق وكقول وهب بن الورد رحمه الله والزهد في الدنيا أن لا تأس على ما فات منها ولا تفرح بما آتاك منها قال ابن السماك رحمه الله هذا هو الزاهد المبرز في زهده وهذا يرجع إلى أنه يستوي عند العبد إقبالها وإدبارها وزيادتها ونقصها وهو مثل استواء حال المصيبة وعدمها كما سبق وسئل بعضهم أظنه الإمام أحمد عمن معه مال هل يكون زاهدا قال إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه فهو زاهد أو كما قال وسئل الزهري عن الزاهد فقال من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره وهذا قريب مما قبله فإن معناه أن الزاهد في الدنيا إذا قدر منها على حرام صبر عنه فلم يأخذه وإذا حصل له منها حلال لم يشغله عن الشكر بل قام بشكر الله عليه وقال أحمد بن الحواري رحمه الله قلت لسفيان بن عيينة من الزاهد في الدنيا قال من إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلي صبر وفقلت يا أبا محمد الذي قد أنعم عليه فشكر وإذا ابتلي فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فقال اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر فذلك الزاهد وقال ربيعة رأس الزهادة جمع الأشياء بحقها ووضعها في حقها وقال سفيان الثوري رحمه الله الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء وقال وكان من دعائهم اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا منها ولا تردها عنا فترغبنا فيها ولهذا قال الإمام أحمد الزهد في الدنيا قصر الأمل وقال مرة قصر الأمل واليأس مما في أيدي الناس ووجه هذا أن قصر الأمل يوجب محبة الله ولقائه والخروج من الدنيا وطول الأمل يقتضي محبة البقاء فيها فمن قصر أمله فقد كره البقاء في الدنيا وهذا نهاية الزهد فيها والإعراض عنها واستدل ابن عيينة لهذا بقوله تعالى قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين إلى قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة لبقرة الآية وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الضحاك بن مزاحم قال أتى النبي صلى الله عليه و سلم رجل فقال يا رسول الله من أزهد الناس ." (٢)

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٩/٤٧

(٢) جامع العلوم والحكم، ص/٢٩١

"حدثنا بن زنجويه نا أبو توبة نا مخلد بن الحسين قال قال أيوب ما صدق عبد قط فأحب الشهرة
ابن الجعد في مسنده ج١/ص١٩٠ ح١٢٤٨." (١)

"(خياركم خيركم لاهله) أي حلائله وبنيه وأقاربه (طب عن أبي كبشة) الانماري(خياركم خياركم لنسائهم) وفي رواية لابن خزيمة لنسائي فأوصى ابن عوف لهن بحديقته بأربعمائة ألف (ه عن ابن عمر)(خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا) لانه كلما طال عمره وحسن عمله يغتنم من الطاعة الموجبة للسعادة الأبدية (ك عن جابر) بن عبد الله(خياركم أطولكم أعمارا) أي في الاسلام (وأحسنكم أخلاقا حم والبزار عن أبي هريرة) وفيه ابن اسحق مدلس(خياركم الذين إذا سافروا قصروا الصلاة وأفطرا) احتج به الشافعي على أن القصر أفضل من الاتمام أي إذا زاد السفر على مرحلتين (الشافعي والبيهقي في المعرفة عن سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها (مرسلا) ووصله أبو حاتم عن جابر(خياركم من ذكركم بالله رؤيته) لما علاه من نور الجلال وهيبة الكبرياء وأنس الوقار فإذا نظر الناظر إليه ذكر الله لما يرى من آثار الملكوت عليه (وزاد في علمكم منطقه) لانه عن الله ينطق فالناطق صنفان صنف ينطق عن الصحف تحفظا وعن أفواه الرجال تلقفا وصنف ينطق عن الله تعالى تلقيا والاول يلج إلا ذان عريانا بلا كسوة لانه لم يخرج من قلب نوراني بل دنس مظلم بحب الرياسة والظلم والعز والشح على الحطام والثاني يلج الآذان مع الكسوة التي تخرق كل حجاب وهو نور الله خرج من قلب مشحون بالنور فيخرق قلوب المخلطين من رين الذنوب وظلمة الشهوات وحب الدنيا فيقبل على العمل الصالح ويبالغفيه (ورغبكم في الآخرة عمله) لأن على عمله نورا وعلى أركانه خشوع وعلى تصرفه فيها صدق العبودية مع البهاء والوقار والطلاقة فإذا رآه الناظر تقاصر إليه عمله فزاد فيه وهذه كلمة نبوية وافق فيها نبينا عيسى عليهما الصلاة والسلام (الحكيم عن ابن عمرو) قيل يا رسول الله من يجالس فذكره." (٢)

"(لو خشع قلب هذا) الرجل الذي يصلي وهو يعبث في صلاته أي أخبث واطمأن (خشعت جوارحه) لان الرعية بحكم الراعي والقلب ملك والجوارح جنده (الحكيم) في نوادره (عن أبي هريرة) باسناد ضعيف والمعروف أنه من قول ابن المسيب(لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه) لان من نظر الى صفات الجلال تلاشى عنده الخوف من غيره وأشرق نور اليقين على فؤاده فتجلت له العلوم وانكشف السر المكتوم (ولو عرفتم الله تعالى حق معرفته) أي بصفاته وأسمائه الحسنى (لزالت لدعائكم) في رواية بدعائكم (الجبال) لكنكم وان عرفتموه لم تعرفه حق معرفته ومن عرفه حق معرفته ماتت شهواته واضمحلت لذاته فمن عرف الله كذلك زالت بدعائه الجبال ومشى على الماء ولما عجز علماء الظاهر عن ذلك أنكروا المشي على الماء وطي الارض مع وقوعه لكثير من الاولياء والمكذب بذلك مكذب بنعم الله فعلماء الظاهر عرفوا الله لكن لم ينالوا حق المعرفة فعجزوا عن هذه المرتبة ولو عرفوه حق معرفته ماتت شهوات الدنيا وحب الرياسة والشح على الدنيا والتأنس فيها وحب الثناء والمدح (الحكيم) الترمذي (عن معاذ) بن جبل(لو دعا لك اسرافيل وجبريل وميكائيل وحملة العرش وأنا فيهم ما تزوجت الا المرأة التي كتبت لك) أي قدر لك في الازل أن تتزوجها وذا قاله

(١) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/١٣١١٣

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ١/١٠٦٤

لمن قال له ادع لي أن أتزوج فلانة فذكره (ابن عساكر عن محمد السعدي(لو دعى بهذا الدعاء على شئ بين المشرق والمغرب في ساعة من يوماجمعة لاستجيب لصاحبه) والدعاء المذكور وهو (لا اله الا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام) ويذكر حاجته (خط عن جابر) بن عبد الله(لو رأيت الاجل ومسيره لأبغضت الامل وغروروه) انما كان الامل غرار الانه يبعث على الكسل التواني في الطاعة والتسويف بالتوبة فيقول سوف أعمل وسوف أتوب فيغتاله الحمام على الاصرار فيختطفه الاجل قبل صلاح العمل (هب عن أنس) بن مالك." (١)

"" لو علمتَ مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله "؛ قال له الأول: " لو علمتُ منك ما تعلم من نفسك، لكان لي فيما أعلم من نفسي شُغل عن بغضك " (١).قبيحٌ من الإنسان أن ينسى عيوبه ... ويذكرَ عيبًا في أخيه قد اختفىولو كان ذا عقل لما عاب غيره ... وفيه عيوبٌ لو رآها قد اكتفىوعن عون بن عبد الله قال: " لا أحسب الرجل ينظر في عيوب الناس إلا من غفلة، قد غَفَلها عن نفسه " (٢).وعن محمد بن سيرين رحمه الله قال: "كنا نُحَدَّثُ أن أكثر الناس خطايا أفرغُهم لذِكر خطايا الناس " (٣).وقال الفضيل بن عياض: " ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد، وبغى، وتتبع عيوب الناس، وبكره أن يُذكر أحد بخير " (٤).وقال مالك بن دينار: "كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخونة، وكفى المرء شرًا أن لا يكون صالحًا، ويقع في الصالحين " (٥).وقال أبو عاصم النبيل: " لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سَفلَةٌ (٦) لا دين لهم ". ________(١) " عيون الأخبار " (٦/ ٣٦٧).(٢) " الصمت " لابن أبي الدنيا رقم (٧٤٦)، " صفة الصفوة " (٣/ ١٠١).(٣) " الصمت " ص (١٠٤).(٤) " جامع بيان العلم " (١/ ١٤٣).(٥) " صفة الصفوة " (٣/ ٢٨٦)، وانظر " شعب الإيمان " للبيهقي رقم (٦٧٨٠).(٦) السفلة أو السفلة من الناس: أسافلهم وغوغاؤهم.." (٢)

"وقال الفضيل بن عياض: " ما من أحدٍ أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكر أحد بخير ".وقال سفيان الثوري: " ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب، ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يَذكُر الناسُ أحدًا عنده بخير ".وما عبَّر الإنسان عن فضل نفسه ... بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضلِوليس من الإنصاف أن يدفع الفتى ... يَدَ النقصِ عنه بانتقاص الأفاضلوقال الأوزاعي رحمه الله لبقية بن الوليد:" .. يا بقية لا تذكر أحدًا من أصحاب محمد نبيك – صلى الله عليه وسلم – إلا بخير، ولا أحدًا من أمتك، وإذا سمعت أحدًا يقع في غيره؛ فاعلم أنه إنما يقول: أنا خير منه ".لطيفة: إذا كنت خاملاً، فتعلق بعظيم!(كان أحمد بن عبد الدائم بن يوسف بن ساهل شاعرًا مشهورًا مولعًا بالهجاء، حتى إنه لما دخل دمشق، قدم لقاضيها شهاب الدين الخوئي قصيدة هجو، فردَّها إليه، وقال: " كأنك ذاهل "، قال: " بل لست بذاهل، بل صنعت ذلك عمدًا لأشتهر، لأني رأيت الناس اجتمعوا على الثناء عليك، فرأيت أن أخالفهم، فإني لو مدحتك فأعطيتني لم يشعر بي أحد، فإذا هجوتك وعزَّرتني؛ يقال: " ما هذا؟ "، فيقال: " هذا غريم القاضي "، فأشتهر " (١).السبب العاشر: عدم التثبت في النقل:(فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ٢/٥٩٩

(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم ص/٣٩

الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نحلة ____________(
١) " الدرر الكامنة " (١/ ١٧١).." (١)

"مِنْكُمْ) (لأعراف:٦٣)السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كلّ واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال.السبب السادس: **حب الرياسة** وطلب الجاه بأن يكون منفرداً عديم النظير غير مشارك في المنزلة، يسوؤه وجود مناظر له في المنزلة. وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد.السبب السابع: خبث النفس وشُحها بالخير لعباده الله بحيث يشق عليه أن يوصف عنده حُسن حال عبد فيما أنعم عليه، ويفرح بذكر فوات مقاصد." (٢)

"وقال سبحانه قاصاً كلام سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام:(أجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم*) (١).فهاتان الآيتان توضحان أن المسلم هو الرائد والدليل، بل قد ينبغي له طلب هذه الوظيفة الشريفة.وقد يكون في قلب المتصدر المخلص حبٌّ للشهرة وهو لا يشعر به ولا يريده، ولكنه نازع من نوازع النفس الإنسانية لا يؤخذ عليه إن شاء الله، فهذا إبراهيم بن أدهم (٢) يقول:((ما صدق الله عبدٌ **أحب الشهرة))**.فيعلق الذهبيّ قائلاً:((علامة المخلص الذي قد يحب شهرةً ولا يشعر بها أنه إذا عُوتب في ذلك لا يَحْرد ولا يبرىء نفسه، بل يعترف ويقول: رحم الله من أهدى إليّ عيوبي، ولا يكن معجباً بنفسه لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داءٌ مزمن)) (٣). ____________(
١) سورة يوسف: [٥٥].(٢) القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي الخراساني البلخي، نزيل الشام. ولد في حدود المائة. له = كلام رائق جميل وكرامات. توفي رحمه الله سنة ١٦٢. انظر ((سير أعلام النبلاء)): ٧/ ٣٨٧ - ٣٩٦.(٣) ((نزهة الفضلاء)): ١/ ٥٩٦.." (٣)

"وقد أكثر السلف من التحذير من طلب التصدر **وحب الشهرة،** فهذا شيخ المالكية أبو عثمان ابن الحدّاد (١) يقول:((ما صد عن الله مثل طلب المحامد وطلب الرفعة)) (٢).ويقول الذهبي رحمه الله محذراً من **حب الشهرة:**((فربما أعجبته نفسه وأحب الظهور فيعاقب ... فكم رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنه سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء ... وهو داء خفيّ يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبآت وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليُقال (٣) ... يضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة وظلم للرعيّة وشرب للمسكر ____________(١) الإمام شيخ المالكية سعيد بن محمد بن صبيح المغربي. أحد المجتهدين، وكان بحراً في فروع الفقه،

---

(١) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم ص/٣٥٩

(٢) الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، أحمد بن يوسف الأهدل ص/٥٩

(٣) التنازع والتوازن في حياة المسلم، محمد بن موسى الشريف ص/٥٩

رأساً في لسان العرب، بصيراً بالسنن كريماً حليماً. توفي سنة ٣٠٢ عن ٨٣ سنة رحمه الله تعالى. انظر ((سير أعلام النبلاء)): ١٤/ ٢٠٥ – ٢١٤.(٢) ((نزهة الفضلاء)): ٢/ ١٠٣٤.(٣) أي ليقال عنهم إنهم شجعان.." (١)

"الفَرْقُ بَينَ **حُبِّ الرِّياسَةِ**، وَحُبِّ الإِمَامَةِ فِي الدِّينِقال الله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهنَّ قال إني جاعلُك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾.قال بعض المفسرين: (الآية بمعزل عن إرادة السلطنة والملك، لأن الآية الكريمة تثبت أن "الإمامة في الدين" يُحرمها الظالمون من ذريته قال: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، وقد نال الإمامة الدنيوية كثير من الظالمين، فظهر أن المراد من "العهد" إنما هو الإمامة في الدين خاصة) (١).وكان من دعاء الخليل إبراهيم –عليه السلام– أيضًا: [﴿رب هب لي حكمًا﴾ أي: حكمة، أو: حكمًا بين الناس بالحق، أو نبوة، لأن النبي ذو حكم وحكمة ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أي: وفقني لأنتظم في سِلكهم، لأكون من الذين جعلتهم سببًا لصلاح العالم وكمال الخلق ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي: ذكرًا جميلًا بعدي، أُذكرَ به، ويُقتدى بي في الخير، كما قال تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم *كذلك نجزي المحسنين﴾ (٢). ______________(١) انظر: "محاسن التأويل" للقاسمي (٢/ ٢٤٦).(٢) قال القرطبي –رحمه الله– في "الجامع لأحكام القرآن": (روى أشهب عن مالك قال: قال الله –عز وجل–: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ لا بأس أن يحب الرجل أن يُثنى عليه صالحًا، ويُرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله تعالى؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وألقيتُ عليك محبةً منِّي﴾، وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا﴾ أي: حبًّا في قلوب عباده، وثناءً حسنًا،، فنبَّه تعالى بقوله: ﴿واجعل لي لسان=." (٢)

"وكان القشيرى يقول: "الإمامة بالدعاء، لا بالدعوى" يعني: بتوفيق الله وتيسيره ومنته، لا بما يدعيه كل أحد لنفسه.وقال إبراهيم النخعي: "لم يطلبوا الرياسة، بل أن يكونوا قدوة في الدين".وقال ابن عباس: "اجعلنا أئمة هدى"، كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾.وعن الحسن قال: "من استطاع منكم أن يكون إمامًا لأهله، إمامًا لحيِّه، إمامًا لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب".وقد فصَّل الإمام المحقق ابن قيم الجوزية –رحمه الله تعالى – الفرق بين **حب الرياسة**، وبين حب الإمامة في الدين، فقال –رحمه الله–:(والفرق بين **حب الرياسة** وحب الإمارة للدعوة إلى الله: هو الفرق بين تعظيم أمر الله، والنصح له، وتعظيم النفس، والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له يحب أن يُطاع ربُّه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إمامًا يقتدى به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلًا، وفي قلوبهم مهيبًا، وإليهم حبيبًا، وأن يكون فيهم مُطاعًا، لكي يأتموا به، ويقتفوا." (٣)

---

(١) التنازع والتوازن في حياة المسلم، محمد بن موسى الشريف ص/٦٠

(٢) علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم ص/١٢١

(٣) علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم ص/١٢٣

"**وحب الرياسة** ولو لم يكن من أضرار ذلك إلاّ قدوة السوء وتحسين أحوال هؤلاء.." (١)

"درر من أقوال أيوب السختيانيدرر من أقواله: عن عبيد الله بن شميط قال: سمعت أيوب السختياني يقول: لا يسود العبد حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم.يعني: العفو عن زلتهم.وعن حماد بن زيد قال: قال لنا أيوب: إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره وتجالس الناس.ويقصد بالناس: العلماء.وعن حماد بن سلمة قال: سمعت أيوب يقول: إن قوما يترفعون ويأبى الله إلا أن يضعهم، وإن قوما يتواضعون ويأبى الله إلا أن يرفعهم.وعن حماد بن زيد قال: قال لي أيوب: الزم سوقك؛ فإنك لا تزال كريما على إخوانك ما لم تحتج إليهم.وعن مخلد بن الحسين قال: قال أيوب: ما صدق عبد **فأحب الشهرة.**فالله تعالى يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ [القصص:٨٣] فمحبة الشهرة محبة للعلو في الأرض.." (٢)

"وضبطها والبحث عن معانيها الدقيقة، لتعين فيما بعد على تفهم معاني القرآن الكريم والحديث والشعر، وقد عبر عن هذه الحقيقة ابن خلدون بقوله: انه «لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفسادإلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المستعمرين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين» «١». ومن هنا فإن العناية بدراسة ألفاظ اللغة وتحديد مدلولاتها وضبطها قديم، وربما كان هذا النوع من الدراسة أقدم في نشأته من العناية بالاعراب، لأن نشأته قد بدأت في الظهور منذ العناية بالنص القرآني وتفسير بعض ألفاظه. ولعلّ فيما ينسب إلى ابن عباس رضي الله عنه من المسائل المعروفة بمسائل نافع بن الأزرق لعل فيها دلالة على هذه العناية منذ وقت مبكر سواء صحّت نسبة جميعها أو بعضها.على أننا ندخل في دائرة الدراسة اللغوية الجادة التي بقي لأصحابها آثار تدل على نوعية دراساتهم، أو أثر عنهم قيامهم بأنواع من الدراسات اللغوية حين تصل إلى أبي عمرو بن العلاء «٢»، ونكون بذلك قد تخطينا من المشتغلين بالبحوث اللغوية طبقة أبي الأسود وتلاميذه الذين غلب عليهم الاشتغال بالنحو، وقد كان أبو عمرو معاصرا لعبد الله بن أبي إسحاق **صاحب الشهرة** الكبيرة في تاريخ النحو والقياس وكان «عبد الله يقدّم على أبي عمرو في النحو، وأبو عمرو يقدّم عليه في اللغة، وكان أبو عمرو سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب» «٣».وقد ولد أبو عمرو بمكة عام ٧٠ هـ تقريبا وعاش بالبصرة، وتحدثنا تراجمه العديدة في كتب الطبقات بقيامه بجمع أشعار العرب القدماء والدءوب على_____________(١) ابن خلدون: المقدمة ص ٥٤٨.(٢) راجع مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ج ١ ص ٨.(٣) المزهر ج ٢ ص ٣٩٨، ٣٩٩.." (٣)

---

(١) علماء السلف وأهل الوقت، عبد الكريم الحميد ص/١٤

(٢) من أعلام السلف، أحمد فريد ٩/١٣

(٣) جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة ص/١٨١

"٢ – ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه، وعن غيره.٣ – ينوي بذلك الدِّفاع عن الدين بالعلم.٤ – العمل بالعلم.٥ – العبادة مبنية على: الإخلاص، والمتابعة للنبي – صلى الله عليه وسلم –.٦ – الدعوة إلى العلم.٧ – الصبر على التعلم.جـ – عقبات في طريق العلم:١ – فساد النية.٢ – **حب الشهرة**.٣ – التفريط في حلقات العلم.٤ – التذرّع بكثرة الأشغال.٥ – التفريط في طلب العلم في الصغر.٦ – العزوف عن طلب العلم.٧ – تزكية النفس.٨ – عدم العمل بالعلم.٩ – اليأس [واحتقار الذات].." (١)

"ولا يفهم من هذه الآثار الدعوة إلى الانطوائية والعزلة، فإن الذين رويت عنهم إنما هم أئمة ودعاة مصلحون. والشهرة في ذاتها ليست مذمومة، ولكن المذموم هو طلب الشهرة والزعامة والجاه والحرص عليها.ويقول الجنيد: إن لله عبادا عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع. وقال بشر الحافي: ما اتقى الله من **أحب الشهرة**.ويقول أبو حامد الغزالي في باب محاسبة النفس: (ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه ... أو ما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلب من بعض الناس إليك، فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك أو أطاعك، أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت، ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك؟ وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك، ولا ذكر من ذكرك، كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك".ويقول وهيب بن الورد: خالطت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلا غفر لي ذنبا فيما بيني وبينه، ولا وصلني إذا قطعته، ولا ستر علي عورة، ولا أمنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير.وقال الشافعي: من طلب الرياسة فرت منه، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير (١).فإذا قلت: أي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء! فكيف فاتهم فضيلة الخمول؟ فاعلم أن المذموم طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم. نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء، وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى، فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به، فيضعف عنهم فيهلك معهم، وأما القوي فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك.وقال ابن مسعود: كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض. ـــــــــــــــ(١) صفة الصفوة (١/ ٤٧٨).." (٢)

"ومما يخيف ما قاله يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر.فانظر كيف ينظرون في أعمالهم وكيف يتهمون نفوسهم لعلمهم بظلمها وجهلها.قال الهروي: الإخلاص تصفية العمل من كل شوب.قال ابن القيم على هذا الكلام:أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضاء حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ما كان. إنتهى.قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والشرك غالب على النفوس كما في الحديث أخفى من دبيب النمل. وكثير ما

---

(١) سيرة الشاب الصالح عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٦

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١٣/١

يخالط النفوس من الشهوات ما يفسد عليها تحقيق ذلك كما قال شداد بن أوس: (أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية) قال أبو داود: هي **حب الرياسة**. وفي الحديث: (ما ذئبان جائعان أرسلا في." (١)

"وقتا إضاعته حسرة وندامة .. وإما أن تثلم عرضا توفيره أنفع للعبد من ثلمه .. وإما أن تذهب مالا بقاؤه خير له من ذهابه .. وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة .. وإما أن تجلب هما وغما، وحزنا وخوفا لا يقارب لذة الشهوة .. وإما أن تنسي علما ذكره ألذ من نيل الشهوة .. وإما أن تشمت عدوا وتحزن وليا .. وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة .. وإما أن تحدث عيبا يبقى صفة لا تزول .. فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق.والشهوات في الدنيا موجودة، لكن الدنيا ليست محل قضاء الشهوات، فإن محل قضاء الشهوات وتكميلها في الآخرة.ولو جمعنا ما في الدنيا كلها ما كفى لقضاء شهوة رجل واحد، لكن في الدنيا المطلوب تكميل الإيمان والأعمال الصالحة، وكل ما يحب الله من الصفات، ويوم القيامة فيه تكميل ما يحب المخلوق من الشهوات واللذات.فالدنيا محل قضاء الضرورات، وليست محل تكميل الشهوات.وقد خلق الله بطن الأم لتكميل أعضاء الإنسان وجوارحه.وخلق الدنيا لتكميل الإيمان والأعمال الصالحة.وخلق الآخرة لتكميل شهوات الإنسان .. وتحقيق القسط والعدل .. وإبلاغ البشرية إلى آفاقها العليا من النعيم.وأغلب شهوات الإنسان وأظهرها ثلاث:شهوة بطنه .. وشهوة فرجه .. وشهوة لسانه.ثم الغضب الذي هو كالجندي لحماية الشهوات، ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا، ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه، وإذا طلب المال والجاه وحصلهما، حدث فيه الكبر والعجب، **وحب الرياسة**.وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا، وتمسك من الدين بما فيه الرياسة، وغلب عليه الغرور، وثقلت عليه الأوامر، وهانت عليه المعاصي.وقد ذكر الله عز وجل أصناف الشهوات بقوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من." (٢)

"بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤)﴾ [الحج: ٥٣، ٥٤].فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو الإدراك للحق، ثم الانقياد له والقبول.والقلب الميت القاسي لا يقبل الحق ولا ينقاد له.والقلب المريض إن غلبت عليه صحته التحق بالقلب السليم، وإن غلب عليه مرضه التحق بالقلب الميت القاسي.وكل ما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ .. وفي القلوب من الشبه والشكوك .. فتنة لهذين القلبين .. وقوة للقلب الحي السليم .. لأنه يرد ذلك ويكرهه ويبغضه .. ويعلم أن الحق في خلافه.ويستدل على معرفة ما في القلوب بحركة اللسان، فإن القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها.فلسان المرء يغرف لك من قلبه:حلو وحامض .. وعذب وأجاج .. وحار وبارد .. وطيب وخبيث .. وحسن وقبيح .. وحق وباطل .. وخير وشر.فالقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل .. ومن الحقد والحسد .. ومن الشح والبخل .. ومن الكبر والعلو .. ومن حب الدنيا .. **وحب الرياسة**.فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، وسلم من كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله

---

(١) إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، عبد الكريم الحميد ١٧٨/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٠٢٩/١

والدار الآخرة.ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء:من شرك يناقض التوحيد .. ومن بدعة تخالف السنة .. ومن شهوة تخالف الأمر .. ومن غفلة تناقض الذكر .. ومن هوى يناقض الإخلاص.." (١)

"فتقوم الملائكة بخدمته، وتدخل عليه من كل باب قائلين: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢٤)﴾ [الرعد: ٢٤].وقلب الإنسان يعترضه مرضان يتواردان عليه، وإذا استحكما فيه كان هلاكه وموته وهما:مرض الشهوات .. ومرض الشبهات.وهذا أصل داء الخلق إلا من عافاه الله، ومرض الشبهات أصعبهما وأقتلهما للقلب.وللقلب أمراض أخر من الكبر والعجب، والرياء والحسد، والفخر والخيلاء، **وحب الرياسة**، وحب العلو في الأرض، وكل هذه الأمراض متولدة من مرضي الشهوة والشبهة.فلا يخرج مرض القلب عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما.وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل بالله وبدينه وشرعه، ودواؤها بالعلم الإلهي.فالعلم للقلب مثل الماء للسمك إذا فقده مات، فنسبة العلم إلى القلب كنسبة ضوء العين إليها، فإذا عدمه كان كالعين العمياء.والله جل جلاله بحكمته سلط على العبد عدوا عالما بطرق هلاكه، لا يفتر عنه يقظة ولا مناما حتى يظفر به.فيحول أولا بينه وبين الإسلام، فإن فاته وأسلم زين له البدعة، فإن عجز عنه ألقاه في الكبائر، فإن أعجزه ألقاه في الصغائر، فإن أعجزه أشغله بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، فإن أعجزه أشغله بالمباحات والشهوات، فإن أعجزه ذلك سلط عليه حزبه يؤذونه ويشتمونه ويرمونه بالعظائم ليحزنه ويشغل قلبه عن العلم والإرادة وسائر العمل، فهذه سبع سكاكين يذبح بها الشيطان كل واحد من بني آدم.ولا يمكن أن يحترز من الشيطان من لا علم له بهذه الأمور، ولا علم له بعدوه،." (٢)

"أجرنا على الله.خامسا: نقوم بالدعوة إلى الله بصفة الإحسان فنتحلى بأحسن الصفات وندعو الناس إلى أحسن الصفات، ولا نسأل الناس أجرا كالشمس طبعها النور، وتعطي الناس النور بلا أجر.سادسا: ندعو الناس إلى الدين بالشفقة والرحمة، ونتحمل منهم كل أذى في سبيل إعلاء كلمة الله كالأم تعطي ابنها اللبن وتتحمل منه كل أذى.وإذا قام الداعي بالدعوة إلى الله بهذه الأصول تعرض للأذى، فعليه أن يصبر ويعفو، ولا يغضب ولا يجادل، ويكون هينا لينا رحيما، ولا يكون فظا غليظ القلب لئلا ينفر منه الناس.ويكون قدوة حسنة في صورته وسيرته وسريرته، يقلل من جهد الدنيا، ويكثر من جهد الدين، يدعو إلى الله وإلى القيام بأوامر الله وإلى طاعة الله ورسوله، ويكون أسبق الناس إلى ذلك.يعرض دعوته على الناس مع التواضع، ولا يحقر أحدا من الناس، ويدعو للناس بالهداية، ويحب للناس ما يحب لنفسه، يدعو الناس إلى الإيمان والأعمال الصالحة ويكون أسبقهم إليها، وأحسنهم أداء لها ومحافظة عليها.وكما أن للوضوء نواقض وللصلاة نواقض وللإسلام نواقض فكذلك للدعوة إلى الله نواقض.منها: الرياء وعدم الإخلاص ... ومنها بيع كلام الله ورسوله بالوظيفة أو الأجرة .. ومنها الدعوة إلى النفس **وحب الشهرة** .. ومنها حمية الجاهلية والعصبية كمن يدعو إلى حزب أو طائفة أو جماعة ولا يقبل الدعوة من غيره، والله أمرنا أن ندعو إليه، ولا ندعو إلى غيره.وكل من ترك أصول الدعوة، ودعا على هواه، ابتلي

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٣٠٦

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢/١٥٤٠

بخمسة أشياء: تزكية النفس .. الحرص على الجاه والمنصب .. احتقار الآخرين .. النظر في عيوب الدعاة إلى الله .. الإنفاق على شهواته وعدم الإنفاق على الدين.." (١)

"٩ – آفة الحسد

قال الله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٥٤)﴾ [النساء: ٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق (١) من شر ما خلق (٢) ومن شر غاسق إذا وقب (٣) ومن شر النفاثات في العقد (٤) ومن شر حاسد إذا حسد (٥)﴾ [الفلق: ١ – ٥].

أصل الحسد العداوة، وأصل العداوة التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين، بل لا يجمع إلا متناسبين كالتجار والصناع والزراع، والعلماء والأمراء ونحوهم.

وأهم أسباب الحسد:

إما العداوة والبغضاء، فإن آذاه إنسان أبغضه، وغضب عليه، وأحب ضرره.

وإما التعزز، فإذا نال الإنسان منصبا ترفع على غيره، فيحسده ذلك الغير، ويتمنى زوال ذلك المنصب عنه.

أو يكون في طبيعته أن يستخدم غيره، فيريد زوال النعمة عنه ليستخدمه.

وقد يكون سببه الخوف من فوت المقاصد، وذلك يحصل بين المتزاحمين على مقصود واحد، ومنه تحاسد الضرات على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأولاد في كسب ود الآباء، وتحاسد أصحاب المهن عليها.

أو يكون سببه حب الرياسة وطلب الجاه كأن يسمع عن شجاع أو عالم أو وال فيتمنى زوال النعمة عنه، ويحسده ليظفر بتلك النعمة.

أو يكون سببه شح النفس بالخير على عباد الله من علم أو مال أو غيرهما، فإن ذكر له شر فرح به، وإن ذكر خير ساءه. وهذا من خبث النفس، وقد تجتمع هذه الأسباب أو بعضها في شخص واحد فيعظم ضرره.." (٢)

"٢٢٤٠ – حدثنا عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا أبو معاوية، حدثني خالد بن الحارث قال: بلغني عن إبراهيم بن أدهم قال: « لم يصدق الله عز وجل من أحب الشهرة»." (٣)

"على أهل العلم بغباوتهم، وكشفوا أغطية الجهل عن أنفسهم، وهتكوا سترا كان مسدلا عليهم بالصمت. فقد قيل: " الصمت زين العالم، وستر الجاهل "؛ طمعا في الرياسة وحبا لها. وقد قيل:حب الرياسة داء لا دواء له ... وقلما تجد الراضين بالقسمولم يخل زمن من الأزمنة من هذه الطبقة ولا يخلو. وهلاك من هلك من الأمم فيما سلف بحب الرياسة. وكذلك من يهلك إلى انقضاء الدهر فبحب الرياسة.وقد قيل: هلاك الناس منذ كانوا إلى أن تأتي الساعة بحب الأمر

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٢٤٩/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣١٦١/٤

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل أحمد بن حنبل ص/٣٠٨

والنهي، وحب السمع والطاعة.فأشكل على العامة أمر العالم الحقيقي والمدعي المجاري المنتحل للزور والباطل؛ ثم ترادف عليهم من هذه العلل التي يعمى لها السبيل الواضح والطريق المنشأ، على الجاهل المستضعف؛ وذي الغباء المسترهف.ولست آمن – جعلني الله فداك – أن تكون هذه الكتب التي أعنى بتأليفها، وأتأنق في ترصيفها، يتولى عرضها عليك من قد لبس لباس الزور في انتحال وضع مثلها، ونسب نفسه إلى القوة على نظائرها، والمعرفة بما يقاربها، إن لم يكن أخاها فابن عمها، وتشبع بما لم يطعمه الله منها.." (١)

"وكذلك نقول ونزعم أن أوهام هذه العفاريت تصرف عن الذكر لتقع المحنة، وكذلك نقول في النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كان في جميع تلك المزاهز [١] من يذكر قوله تعالى: والله يعصمك من الناس[٢] لسقط عنه من المحنة أغلظها.وإذا سقطت المحنة لم تكن الطاعة والمعصية. وكذلك عظيم الطاعة مقرون بعظيم الثواب.وما يصنع الدهري وغير الدهري بهذه المسألة وبهذا التسطير [٣] ؟! ونحن نقول: لو كان إبليس يذكر في كل حال قوله تعالى: وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين[٤] وعلم في كل حال أنه لا يسلم لوجب أن المحنة كانت تسقط عنه، لأن من علم يقينا أنه لا يمضي غدا إلى السوق ولا يقبض دراهمه من فلان، لم يطمع فيه. ومن لم يطمع في الشيء انقطعت عنه أسباب الدواعي إليه. ومن كان كذلك فمحال أن يأتي السوق.فنقول في إبليس: إنه ينسى ليكون مختبرا ممتحنا فليعلموا أن قولنا في مسترقي السمع كقولنا في إبليس، وفي جميع هذه الأمور التي أوجب علينا الدين أن نقول فيها بهذا القول.وليس له أن يدفع هذا القول على أصل ديننا، فإن أحب أن يسأل عن الدين الذي أوجب هذا القول علينا فيلفعل، والله تعالى المعين والموفق.وأما قولهم: «من يخاطر بذهاب نفسه لخبر يستفيده» فقد علمنا أن أصحاب الرياسات وإن كان متبينا كيف كان اعتراضهم على أن أيسر ما يحتملون في جنب تلك الرياسات القتل.ولعل بعض الشياطين أن يكون معه من النفخ [٥] **وحب الرياسة** ما يهون عليه أن يبلغ دوين المواضع التي إن دنا منها أصابه الرجم، والرجم إنما ضمن أنه مانع من الوصول، ويعلم أنه إذا كان شهابا أنه يحرقه ولم يضمن أنه يتلف عنه، فما أكثر من تخترقه الرماح في الحرب ثم يعاود ذلك المكان ورزقه ثمانون دينارا ولا يأخذ إلا__________[١] المزاهز: الفتن يهتز فيها الناس.[٢] ٦٧/المائدة: ٥.[٣] التسطير: أن يأتي بأساطير وأحاديث تشبه الباطل.[٤] ٣٥/الحجر: ١٥.[٥] النفخ: الكبر.." (٢)

"وعضهم والطعن عليهم، وجرأهم على ذلك ما رأوا من صفو ضعفة القلوب واذلة الناس إليهم، وميل جهلاء الملوك معهم عليهم، وأملوا أن ينالوا بذلك بشاشة العامة، وتستوي لهم الرياسة على طغام الناس ورعاعهم، ويستخولوا رعاتهم وقومهم، فهمروا وهدروا وتوردوا على أهل العلم بغباوتهم، وكشفوا أغطية الجهل عن أنفسهم، وهتكوا سترا كان مسدلا عليهم بالصمت. فقد قيل: «الصمت زين العالم، وستر الجاهل» ؛ طمعا في الرياسة وحبا لها.وقد قيل:**حب الرياسة** داء لا دواء له ... وقلما تجد الراضين بالقسمولم يخل زمن من الأزمنة من هذه الطبقة ولا يخلو. وهلاك من هلك من الأمم فيما سلف **بحب الرياسة**. وكذلك من يهلك إلى انقضاء الدهر **فبحب الرياسة**.وقد قيل: هلاك الناس منذ كانوا إلى أن تأتي الساعة

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٣٤٠/١

(٢) الحيوان الجاحظ ٤٥٦/٦

بحب الأمر والنهي، وحب السمع والطاعة.فأشكل على العامة أمر العالم الحقيقي والمدعي المجاري المنتحل للزور والباطل؛ ثم ترادف عليهم من هذه العلل التي يعمى لها السبيل الواضح والطريق المنشأ، على الجاهل المستضعف؛ وذي الغباء المسترهف.[٣- منتحلو كتب الجاحظ]ولست آمن- جعلني الله فداك- أن تكون هذه الكتب التي أعنى بتأليفها، وأتأنق في ترصيفها، يتولى عرضها عليك من قد لبس لباس الزور في انتحال وضع مثلها، ونسب نفسه إلى القوة على نظائرها، والمعرفة بما يقاربها، إن لم يكن أخاها فابن عمها، وتشبع بما لم يطعمه الله منها.." (١)

"أبي طالوت (١) عن طالوت.٣١٥٥ - طالوت بن أبي الحجاج القرشي بصري سمع الحسن وثابتا - قاله موسى بن إسماعيل.٣١٥٦ - طالوت (٢) : سمعت إبراهيم بن أدهم ما صدق الله عبد أحب الشهرة ولا أراه يحرك شفتيه بالتسبيح.٣١٥٧ - طالوت بن عباد الصيرفي، سمع حماد بن سلمة وسويداوالد عثمان بن طالوت.باب طفيل٣١٥٨ - طفيل أخو عائشة أم المؤمنين، قال علي بن نصر: هو ابن سخبرة بن جرثومة بن عثمان (٣) ، وأمهما أم رومان من كنانة وكان الحوضي منهم، الأزدي، وقال هشام بن عروة كان الطفيل بن عبد الله بن سخبرة أبو الحارث بن الطفيل أخو عائشة وعبد الرحمن لأمهما الأزدي، وقال محمد بن عرعرة نا شعبة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي________(١) كذا ووقع في الثقات (روى ابن إسماعيل بن أبي طالوت عنه) كذا في النسخة وفي كتاب ابن أبي حاتم (روى عنه أبو طالب القاص يحيي بن يعقوب ابن مدرك سمعت أبي يقول ذلك) أقول وأبو طالب يحيى بن يعقوب بن مدرك تأتي ترجمته في بابه (٤ / ٢ / ٣١٢) - ح (٢) لم أجد هذا الرجل في غير هذا الكتاب ولكن عند ابن أبي حاتم (طالوت بن طريف روى عن (بياض) روى عنه أبو مطيع البلخي سألت أبي عنه فقال هو مجهول) - ح.(٣) كذا وتقدم مثله في ترجمة حفص بن عمر أبي عمر الحوضي (١ / ٢ / ٣٦٣) ونبهنا هناك أنه وقع في التهذيب (غيمان) - ح.[*]."(٢)

"٣١٥٦- طالوت.سمعت إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله عبد أحب الشهرة، ولا أراه يحرك شفتيه بالتسبيح.." (٣)

"وقال هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة: سلني حاجتك، قال: أكره أن أسأل في بيت الله غير الله. ورأى رجلا يسأل في الموقف فقال: أفي مثل هذا الموضع تسأل غير الله عز وجل!.وقال ابن المعذل «١» : [طويل]تكلفني إذلال نفسي لعزها ... وهان عليها أن أهان لتكرماتقول سل المعروف يحيى بن أكثم ... فقلت سليه رب يحيى بن أكثما «٢»وقال ابن عباس: المساكين لا يعودون مريضا ولا يشهدون جنازة، وإذا سأل الناس الله سألوا الناس.وكان الحسن يطرد السؤال يوم الجمعة، ولا يرى لهم جمعة.وقال بعض الشعراء: [بسيط]حب الرياسة داء لا دواء له ... وقل ما تجد الراضين بالقسم»وقال محمود الوراق: [كامل]شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ... عن كل طالب حاجة أو راغبغالوا بأبواب الحديد

---

(١) الرسائل الأدبية الجاحظ ص/٣٦٩

(٢) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٣٦٣/٤

(٣) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ٣٦٣/٤

لعزها ... وتنوقوا في قبح وجه الحاجب «٤»وإذا تلطف للدخول إليهم ... راج تلقوه بوعد كاذبفارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... يا ذا الضراعة طالبا من طالب." (١)

" القول في تأويل قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ [آل عمران: ١٤]-[٢٠٤]- يعني تعالى ذكره: زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عد، وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه." (٢)

"وقال جل ثناؤه"إن في ذلك"، يعني: إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم: من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها ="لعبرة"، يعني: لمتفكرا ومتعظا لمن عقل وادكر فأبصر الحق، كما:-٦٦٩٢ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:"إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"، يقول: لقد كان لهم في هؤلاء عبرة وتفكر، أيدهم الله ونصرهم على عدوهم.٦٦٩٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.* * *القول في تأويل قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عد. وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها، على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه.* * *وكان الحسن يقول: من زينها، ما أحد أشد لها ذما من خالقها. (١)٦٦٩٤ - حدثني بذلك أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا أبو الأشعث عنه.____________(١) في القرطبي ٤: ٢٨: "من زينها؟ " استفهام"زينها" فعل. ولم أجد خبر الحسن، ولكني أذكر كأني قرأته قديما، وهو يسخر من أمر الدنيا، ويقول: من حسنها، أن الذي يذمها ويقبحها هو الذي خلقها! و"الزين" خلاف الشين، مصدر"زان الشيء يزينه زينا".." (٣)

"باب ما ذكر من تزكية الثوري لمن أجمل القول في السلف حدثنا عبد الرحمن نا أبي نا عثمان بن مطيع حدثني عبد العزيز بن أبي عثمان قال أصيب سفيان بن سعيد (٢٠ ك) بأخ له يسمى عمر وكان مقدما فلما سووا عليه قبره قال: رحمك الله يا أخي إن كنت لسليم الصدر للسلف، وإن كنت لتحب أن تخفى علمك - اي لا تحب الرياسة.باب ما ذكر من معرفة سفيان الثوري برواة الأخبار وناقلة الآثار وكلامه فيهم حدثنا عبد الرحمن نا صالح بناحمد بن حنبل ثنا علي - يعني ابن المديني - قال سمعت يحي بن سعيد يقول سألت سفيان عن حديث حماد عن إبراهيم في الرجل يتزوج المجوسية، فجعل لا يحدثني به مطلني (١) به أياما ثم قال: إنما حدثني به جابر - يعني الجعفي - عن حمال، ما ترجو به منهقال أبو محمد كأنه لم يرض جابرا الجعفي.حدثنا عبد الرحمن نا صالح بن أحمد نا علي - يعني ابن المديني - قال سألت (٢) يحي بن سعيد عن حديث سفيان عن حماد عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة (إن أطيب ما أكلتم كسبكم) قال لي سفيان:

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣/٢٠٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥/٢٥٣

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٦/٢٤٣

هذا وهم.قال يحيى وقد حملته عنه، وهو عندي هكذا كما قال_____________(١) د " ومطلني " (٢) ك " سمعت ".(*)"(١)

"الناس فان عمر (٢٥ ك) بن الخطاب رضي الله عنه قال: إياكم والطمع فإن الطمع فقر واليأس غنى وفي العزلة راحة من خلاط السوء وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة.وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض فأما اليوم فقد ذهب ذلك والنجاة (١) في تركهم فيما نرى، وإياك والأمراء والدنو منهم وأن تخالطهم في شئ من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلوم أو مظلمة – فإن تلك خدعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سلما.وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.وما كفيت المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله وينشر قوله أو يسمع منه، وإياك **وحب الرياسة** فإن من الناس من تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير (٢) من العلماء السما سمرة، واحذر الرئاء فإن الرئاء أخفى من دبيب النمل.وقال حذيفة: سيأتي على الناس زمان يعرض على الرجل الخير (٢ م) والشر فلا يدرى أيما (٣) يركب.وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال – ٤] :لا تزال يد الله عزوجل على هذه الأمة وفي كنفه وفي جواره وجناحه ما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم وما لم يبر خيارهم أشرارهم وما لم يعظم أبرارهم فجارهم فإذا فعلوا ذلك رفعها عنهم وقذف في قلوبهم [الرعب – ٥] وانزل بهم الفاقة وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب، وقال: إذا كان ذلك لا يأتيهم أمر يضجون منه إلا أردفه بآخر يشغلهم (٦) عن ذلك.____________(١) م " فالنجاة " (٢) د " البصراء " (٣) د " ايهما " (٤) من ك (٥) من م (٦) م " لا ياتيكم امر تضجون منه الا اردفه آخر يشغلكم ".(*)"(٢)

"منع منها حتى خرج من الجنة.وقال الحسن: أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول الثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا، والفروع كذلك: **حب الرياسة**، وحب الثناء، وحب الفخر.وقال الحسن: يحسد أحدهم أخاه حتى يقع في سريرته وما يعرف علانيته، ويلومه على ما لا يعلمه منه، ويتعلم منه في الصداقة ما يعيره به إذا كانت العداوة؛ والله ما أرى هذا بمسلم.ابن أبي الدنيا قال: بلغني عن عمر بن ذر أنه قال: اللهم من أرادنا بشر فاكفناه بأي حكميك شئت، إما بتوبة وإما براحة.قال بان عباس: ما حسدت أحدا ما حسدت على هاتين الكلمتين.وقال ابن عباس: لا تحقرن كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر؛ فإنما مثله كما قال الأول: رب رمية من غير رام.وقال بعض الحكماء: ما أمحق «١» للإيمان ولا أهتك للستر من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله، با غ على عباده، عات على ربه، يعتد نعم الله نقما، ومزيده غيرا، وعدل قضائه حيفا، للناس حال وله حال، ليس يهدأ ليله، ولا ينام جشعه، ولا ينفعه عيشه، محتقر لنعم الله عليه، متسخط ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله «٢» ، إن سالمته وترك «٣» ، وإن واصلته قطعك، وإن صرمته «٤»

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ابن أبي حاتم ٦٩/١

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ابن أبي حاتم ٨٨/١

سبقك.ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال: يا عجبا لرجل أسلكه الشيطان مهاوي الضلالة، وأورده قحم الهلكة «٥» ، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد، إن أنالها من أحب." (١)

"ولا عجز، فاحفظ عني ما أوصيك به يدم صلاح حالك: دع معاوية بن حديج، ومسلمة بن مخلد، وبسر بن أبي أرطاة، ومن ضوى إليهم على ما هم عليه تكشفهم عن رأيهم، فإن أتوك ولم يفعلوا، فاقبلهم، وإن تخلفوا عليك، فلا تطلبهم، وانظر هذا الحي من مضر، فأنت أولى بهم مني، فألن لهم جناحك، وقرب عليهم مكانك، وارفع عنهم حجابك، وانظر هذا الحي من مدلج، فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم، وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم، وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل، فإن هذه لا ينقصك ولن تفعل إنك والله ما علمت لتظهر الخيلاء، **وتحب الرياسة**، وتسارع إلى ما هو ساقط عنك والله موفقك.فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس، فكتب إلى ابن حديج، والخارجة معه يدعوهم إلى بيعته، فلم يجيوه، فبعث بأبي عمرو بن بذيل بن ورقاء الخزاعي إلى دور الخارجة، فهدمها، ونهب أموالهم، وسجن ذراريهم، فبلغهم ذلك، فنصبوا له الحرب وهموا بالنهوض إليه، فلما علم أنه لا قوة له بهم أمسك عنهم.حدثنا الحسن بن محمد المديني، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، عن الليث، عن عبد الكريم بن الحارث، قال: «فصالحهم محمد على أن يسيرهم إلى معاوية، وأن ينصب لهم جسرا بنقيوس يجوزون عليه ولا يدخلوا الفسطاط، ففعلوا ولحقوا بمعاوية»وحدثني محمد بن موسى الحضرمي، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: «فبعث إلى ابن حديج حجر بن عدي الكندي بأمانة، وبعث محمد بن أبي بكر قيس بن سلامة التجيبي من بني فهم بن أداة، فصنع لهم جسرا بنقيوس، فجاز منه ابن حديج وأصحابه، فلحقوا بمعاوية»وحدثنا حسن المديني، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، قال: حدثني الليث، عن عبد الكريم بن الحارث، قال: " ولما أجمع علي، ومعاوية على الحكمين، أغفل علي أن يشترط." (٢)

"وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: إن الرجل ليدخل على ذي سلطان، ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يرضيه بما يسخط الله.وقال بعض المتقدمين: إذا رأيت القارئ يختلف إلى الأغنياء، فاعلم أنه مراء، وإذا رأيت عالما يختلف إلى الأمراء، فاعلم أنه أحمق وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال: ليس شيء أضر بهذه الأمة، من ثلاث: حب الدينار، والدرهم، **وحب الرياسة**، وإتيان باب السلطان.وقد جعل الله منهن مخرجا وعن مكحول رضي الله تعالى عنه، قال: من تعلم القرآن، وتفقه في الدين، ثم أتى باب السلطان متملقا إليه ومطيعا له بين يديه، خاض في نار جهنم، بعدد خطاه وعن ميمون بن مهران، قال: في صحبة السلطان خطران، إن أطعته خاطرت بدينك، وإن عصيته خاطرت بنفسك، والسلامة أن لا يعرفك وعن الفضيل بن عياض رحمه الله، قال: لو أن رجلا لا يخالط هؤلاء، يعني السلاطين، ولا يزيد على الفرائض، فهو أفضل من رجل يخالط السلطان، ويصوم النهار، ويقوم الليل، ويحج ويجاهد، ويقال: ما أقبح عالما يقال: أين هو؟ فيقال عند الأمير٨٣٧ - وروى الحسن رحمه الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٧٣/٢

(٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي الكندي، أبو عمر ص/٢٤

«لا تزال يد الله على هذه الأمة ما لم يعظم أبرارهم فجارهم، وما لم يرفق خيارهم بشرارهم، وما لم يمل قرارهم إلى أمرائهم، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم البركة، وسلط عليهم جبابرتهم، وقذف في قلوبهم الرعب وأنزل عليهم الفاقة» وعن عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما، أنه قال: يا معشر العلماء زغتم عن الطريق، وأحببتم الدنيا، فكما أن الملوك تركوا الحكمة عندكم، فاتركوا ملكهم عليهم٨٣٨ – وعن شقيق بن سلمة، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، استعمل بشر بن عاصم الثقفي على صدقات هوازن، فتخلف، فلقيه عمر رضي الله تعالى." (١)

"الأحكام والفتاوى كان الولاة والأمراء يقومون به وترجع العامة إليهم فيه ثم ضعف الأمر وعجزت الولاة عن ذلك لميلهم إلى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر وبالمفتين في الجوامع، فكان الأمير إذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان يرجع إليهما في القضاءوالأحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك فكان من الناس من يتعلم علم الفتيا والقضاء ليستعين بهم الولاة على الأحكام والقضاء حتى كثر المفتون رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة ثم اختلف الأمر بعد ذلك حتى تركت الولاة الاستعانة بالعلماء ومما يدلك على ذلك حديث عمر رضي الله عنه حيث كتب إلى ابن مسعود عقبة بن عامر ألم أخبر أنك تفتي الناس ولست بأمير ولا مأمور، وفي حديث أبي عامر الهروي قال: حججت مع معاوية فلما قدمنا مكة حدث عن رجل يقضي ويفتي الناس مولى لبني مخزوم فأرسل إليه فقال: أمرت بهذا قال: لا، قال: فما حملك عليه؟ قال: نفتي وننشر علما عندنا، فقال معاوية: لو تقدمت إليك قبل يومي هذا لقطعت منك طابقا ثم نهاه ولم يكونوا يقولون ذلك في علم القلوب ولا علم الإيمان واليقين بل قد كتب عمر إلى أمراء الأجناد: احفظوا ما تسمعون من المطيعين فإنهم تجلى لهم أمور صادقة وقد كان عمر رضي الله عنه يجلس إلى المريدين فيستمع إليهم.وفي الخبر: إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فإنه تلقى الحكمة، وقال بعض أصحاب الحديث: رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته فقال وهو برم: ما صرنا إلا متجر الأبناء الدنيا قلت: وكيف؟ قال: يلزمنا أحدهم حتى إذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا أو جابيا أو قهرمانا، وكان الحسن يقول: يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة يحفظ الله تعالى بهم العلم على الأمة لئلا يضيع، وقال المأمون رحمه الله: لولا ثلاث لخربت الدنيا: لولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الجمع لبطلت المعايش ولولا **حب الرياسة** لذهب العلم، فهذا كله وصف علماء الدنيا وأهل علم الألسنة، وأما علماء الآخرة وأهل المعرفة واليقين فإنهم كانوا يهربون من الأمراء ومن أتباعهم وأشياعهم من أهل الدنيا وكانوا ينتقصون علماء الدنيا ويطعنون عليهم ويتركون مجالستهم، وقال ابن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من الصحابة ما سئل أحدهم عن حديث ولا استفتي في فتيا إلاود أن صاحبه قد كفاه ذلك، وقال مرة: أدركت ثلاثمائة يسأل أحدهم عن الفتيا أو الحديث فيرد ذلك إلى الآخر ويحيل الآخر على صاحبه وكانوا يتدافعون الفتيا ما بينهم ولم يكونوا إذا سئل أحدهم عن مسألة من علم القرآن أو علم اليقين والإيمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب.." (٢)

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/٥٢٥

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٣١/١

"وما يتعلق بها من أعمال القلوب هو من الفقه في الدين ونعت أوصاف المؤمنين إذ مقتضاه الإنذار والتحذير لقوله تعالى: (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم) التوبة: ١٢٢ الآية، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: تعلموا اليقين فإني متعلم معكم ولقول الصحابة رضي الله عنهم تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا فهذا مزيدا الهداية بالإيقان وهو زيادة المؤمنين في الإيمان كما قال تعالى: (فزادهم إيمانا) آل عمران: ١٧٣ وقال عز وجل: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) مريم: ٧٦ ولا يشعر أن حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين وذلك هو حال العبد في مقامه بينه وبين ربه عز وجل ونصيبه من ربه تعالى، وحظه من مزيد آخرته.وذلك معقود بشهادة التوحيدالخالصة المقترنة بالإيمان من خفايا الشرك وشعب النفاق وهو مقترن بالفرائض وفرض فرضها الإخلاص بالمعاملة وإن علم ما سوى هذا مما قد أشرب قلبه وحبب إليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم إنما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه، فآثر هذا الغافل لقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب إليه قصده، آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل في أنصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه الأعلى لأجل آخرته التي هي خير وأبقى إذ مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيها، فآثر التقرب منهم على القربة من ربه عزه وجل وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى إلا جزل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما بلي به **حب الرياسة** وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة في عاجل الدنيا وعزها بقلة الهمة وضعف النية في عاجل الآخرة وذخره فأفنى أيامه لأيامهم وأذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون في قلوب البطالين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا وعندما يراه من أنصبة المقربين مبلسا إذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العالمون ولكن أنى له وكيف بنصيب غيره؟ وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب بينهما فإن الأمة لم تختلف، إن علم التوحيد فريضة سيما إذا وقعت الشبهات وأدخلت فيه المشكلات وإنما اختلفوا في مسألتين أي شيء هو التوحيد وفي كيفية طلبه والتوصل إليه، فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من يقول بالاستدلال والنظر، ومنهم من قال بالسمع والأثر، وقال بعضهم: بالتوقيف والتسليم وقال بعض الناس: يدرك دركه بالعجز والتقصير عن بلوغ دركه، والرجل الخامس." (١)

"كما روي أن عابدا من بني إسرائيل عبد الله تعالى في سرب أربعين سنة، فكانت الملائكة ترفع عمله في السماء فلا يقبل، فقالت: ربنا وعزتك ما رفعنا إليك إلا حقا فقال عز وجل: صدقتم ملائكتي ولكنه يحب أن يعرف مكانه، فلذلك قال بعض السلف: من نجا من الكبر والرياء **وحب الشهرة** فقد سلم، وقال الثوري: ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي لأنها تفلت علي يعني تشرد أو تضعف، فتحتاج إلى مداواة لها، كما قال المنصور: المداومة على العمل حتى يخلص أشد من العمل، وقال الثوري: ما أعتد بما ظهر من عملي، وقال علي رضي الله تعالى عنه: كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل، فإنه لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل عمل يتقبل؟ وقال بعضهم: من استوحش من الوحدة وأنس بالجماعة لم

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٥٣/١

يسلم من الرياء، وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العلم الصالح فإذا بلغوه وقع عليهم الهم أيتقبل منهم أم لا.وقال مالك بن دينار: الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل، وقال ابن عجلان: العمل لا يصلح إلا بثلاث؛ التقوى لله عز وجل، والنية الحسنة، والإصابة وقد فسر الفضيل قوله تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) هود: ٧، قال: أخلصه وأصوبه قيل: وما ذاك؟ قال: العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وقال التياحي: للعمل أربع خصال لا يتم إلا بهن: معرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، والإخلاص به والعمل على السنة، فأي عمل كان قبل هذه الأربع لا ينفع فمنهم من يكون حسن الأداء لفرضه، كثير الندم والإشفاق من معاصيه، فيكون هذا أحسن حالا، ومنهم من يكون سيء الأداء، قليل الحزن والندم على ذنوبه، فيكون هذا أسوأ حالا وليس يجدون في ذلك على قياس واحد، والله تغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير، لما سبق لهما في علمه، ولما نفذ لهما من مشيئته وحكمه، وقد يشترك الإثنان في معصية ويتفاوتان في حكم المشيئة ويتوب الله على من أحب ويتقبل ممن يحب، والقبول غير العمل، على العبد العمل وإلى المولى القبول، يقبل ممن يحب ويرد ما يشاء ممن يشاء، والسابقة غير المعصية؛ السابقة في المشيئة يغفر لمن سبقت له الحسنى جميع معاصيه السوأى ويعذب من حقت عليه كلمة العذاب ويحبط أعماله الحسنى، والخلق مردودن إلى السابقة ومحكوم عليهم بعلم الله تعالى فيهم، وفي الخبر: هلك المصرون قدما إلى النار؛ والإصرار يكون بمعنى أن يعتقد بقلبه متى قدر على الذنب فعله أو لا يعقد الندم عليه ولا." (١)

"صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتبا. والذى قصر بالشعر كثرته وتعاطى كل أحد له حتى العامة والسفلة؛ فلحقه من النقص ما لحق العود والشطرنج حين تعاطاهما كل أحد.ومن صفات الشعر الذى يختص بها دون غيره أن الإنسان إذا أراد مدبح نفسه فأنشأ رسالة فى ذلك أو عمل خطبة فيه جاء فى غاية القباحة، وإن عمل فى ذلك أبياتا من الشعر احتمل.ومن ذلك أن **صاحب الرياسة** والأبهة لو خطب بذكر عشيق له، ووصف وجده به، وحنينه إليه، وشهرته فى حبه، وبكاءه من أجله لاستهجن منه ذلك، وتنقص به فيه؛ ولو قال فى ذلك شعرا لكان حسنا.كيف تعمل للشعروإذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعانى التى تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها؛ فمن المعانى ما تتمكن من نظمه فى قافية ولا تتمكن منه فى أخرى، أو تكون فى هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه فى تلك؛ ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزا فجا ومتجعدا جلفا.فإذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها؛ بإلقاء ماغث من أبياتها، ورث ورذل، والاقتصار على ما حسن وفخم، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه، حتى تستوى أجزاؤها وتتضارع هواديها وأعجازها.فقد أنشدنا أبو أحمد رحمه الله قال: أنشدنا أبو بكر بن دريد:طرقتك عزة من مزار نازح ... يا حسن زائرة وبعد مزارثم ثال أبو بكر: لو قال: «يا قرب زائرة وبعد مزار» لكان أجود. وكذلك هو لتضمنه الطباق.وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه عن المنتجع بن نبهان،." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٦٤/٢

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/١٣٩

"الخصم ومعاركة القرن، بعيد العهد بالمصاع والدفاع والوقاع، وكان سبب هذا الجبن والخور قلة الضراوة على هذه الأحوال، ولقد خزي في مشاهد عظيمة.وأما يقينه فكان ضعيفا، وأما سيرته فكانت واقفة على **حب الرياسة** وبذل المال والجاه إذا حضرا، مع تعصب شديد لمن قدمه وأحبه، وإنحاء مفرط على من عاداه، وكان خوضه في الدول والولايات-ولهذا رغب عنه الواسطي وكان أخا ورع ودين وقال: هذا منفر عن الدين والمذهب، ودافع للناس عن القول بالحق، وطارح للشبهة في القلوب-.وكان يجهر بهذا وأشباهه، ولكن كان جاه الرجل لا ينتقص بهذا القدر وركنه لا يتخلخل على هذا الهد، لأسباب انعقدت له، وأصحاب ذبوا عنه.وأما ابن الملاح فشيخ حسن المعرفة بالمذهب، شديد التوقي، محمود القناعة ظاهر الرضا، تدل سيرته الجميلة على أنه حسن العقيدة.وأما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل، صبور على الخصم، كثير الحيلة ظنين «١» السر، جميل العلانية.وأما أبو إسحاق النصيبي فدقيق الكلام، يشك في النبوات كلها، وقد سمعت منه فيها شبها، ولغته معقدة، وله أدب واسع، ولقد أضل بهمذان كاتب فخر الدولة ابن المرزبان. وحمله على قلة الاكتراث بظلم الرعية، وأراه أنه لا حرج عليه في غبنهم لأنهم بهائم، وما خرج من الجبل حتى افتضح.وأما ابن خيران فشيخ لا يعدو الفقه، وفيه سلامة.وأما الداركي فقد اتخذ الشهادة مكسبة، وهو يأكل الدنيا بالدين، ويغلب عليه اللواط، ولا يرجع إلى ثقة وأمانة، ولقد تهتك بنيسابور قديما، وببغداد حديثا، هذا مع الفدامة والوخامة، ولقد ند بجعل غلام، وهو اليوم قاضي الري. وابن عباد يكنفه ويقربه ليكون داعية له ونائبا عنه، وليس له أصل وهو من سواد همذان، وأبوه كان فلاحا، ولقد رأيته، إلا أنه تأتى لابن عباد في سمته ولزوم ناموسه حتى خف عليه، وهو اليوم قارون، وقد علت رتبته في الكلام حتى لا مزيد عليها، إلا أنه مع ذلك نغل «٢» الباطن، خبيث الخبء، قليل اليقين، وذلك أن الطريقة التي قد لزموها وسلكوها لا تفضي بهم إلا إلى الشك والارتياب، لأن الدين لم يأت بكم وكيف في كل باب، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر، والقلب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة، ولم يأت." (١)

"قال وقال أبو بكر الحكماء خلف الأنبياء وليس بعد النبوة إلا الحكمة وهي أحكام الأمور وأول علامات الحكمة طول الصمت والكلام على قدر الحاجةقال وقال أبو بكر احذر صحبة السلطان إبقاء على نفسك والملوك إبقاء على عيشك والأغنياء إبقاء على ملكك والسوقة إبقاء على خلقك والنساء والصبيان إبقاء على قلبك والفساق والمبتدعين إبقاء على دينك والفقراء إبقاء على مالك والعلماء إبقاء على إيمانك وإسلامك والإخوان في مخالفتهم إبقاء على فضلك ومروءتكقال وقال أبو بكر الوراق للمؤمن أربع علامات كلامه ذكر وصمته تفكر ونظره عبرة وعمله برقال وقال أبو بكر الخلاف يهيج العداوة والعداوة تستنزل البلاءقال وقال أبو بكر العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى حتى يكون الله مراده لا غيره ويؤثر الله على كل ما سواهقال وقال أبو بكر من عشق نفسه عشقه الكبر والحسد والذل والمهانةقال وقال أبو بكر لا تصحب من يمدحك بخلاف ما أنت عليه أو بغير ما فيك فإنه إذا غضب

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/١٠٧

عليك ذمك بما ليس فيكقال وقال أبو بكر ازهد في **حب الرياسة** والعلو في الناس إن أحببت أن تذوق شيئا من سبل الزاهدين." (١)

"وفيه ترك **حب الرياسة** والشهرة، وفضل الخمول ولزوم التواضع لله بأن يجهل المؤمن فى الدنيا ولا تعرف عينه فيشار إليه بالأصابع، وبهذا أوصى (صلى الله عليه وسلم) ابن عمر فقال له: (يا عبد الله، كن فى الدنيا كأنك غريب) والغريب مجهول العين فى الأغلب فلا يؤبه لصلاحه فيكرم من أجله ويبجل، فمن لزم هذه الطريقة كان حريا إن استأذن ألا يؤذن له، وإن شفع ألا يشفع.٦٦ - باب فضل الخدمة فى الغزو٧٣٨ / فيه: أنس، صحبت جرير بن عبدالله، فكان يخدمنى، وهو أكبر من أنس، قال جرير: إنى رأيت الأنصار يصنعون شيئا بالنبى (صلى الله عليه وسلم) لا أجد أحدا منهم إلا أكرمته. ١٧٣٩ / وفيه: أنس، خرجت مع النبي، (صلى الله عليه وسلم) ، إلى خيبر أخدمه، وقال: كنا مع النبي، (صلى الله عليه وسلم) ، أكثرنا ظلا الذى يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئا، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا، فقال النبى، (صلى الله عليه وسلم) : (ذهب المفطرون اليوم بالأجر) . قال أبو عبد الله بن أبي صفرة: فيه أن أجر الخدمة فى الغزو أعظم من أجر الصيام؛ إذا كان المفطر أقوى على الجهاد وطلب العلم وسائر الأعمال الفاضلة من معونة ضعيف أو حمل ما بالمسلمين إلى حمله حاجة. وفيه: أن التعاون فى الجهاد والتفاضل فى الخدمة من حل وترحال واجب على جميع المجاهدين. وفيه: جواز خدمة الكبير للصغير إذا رعى له شرفا فى قومه أو فى." (٢)

"مأمنه) فقال الخوارج دعوهم واقرؤا عليهم القرآن وأبلغوهم مأمنهم قال أبو يعقوب نا أبو رجاء محمد بن حامد المقرى قال نا محمد بن الجهم السامري قال نا إبراهيم بن محمد بن حماد بن أبي حنيفة قال كان أبو حنيفة من أحسن الناس فراسة قال لداود الطائي يوما أنت رجل ستميل إلى العبادة فكان كما قال وقال لأبي يوسف أنت رجل تميل إلى الدنيا وتميل إليك فكان كما قال وقال لزفر بن الهذيل فذكر كلاما لا أحفظه فكان كما قال وسمعت أبا الحسن جعفر بن محبوب بن مصارع يقول سمعت الحسين بن الحسن المروزي يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول سمعت أبا حنيفة يقول من طلب الرياسة في غير حينه لم يزل في ذل ما بقي وأنشد ابن المبارك(**حب الرياسة** داء لا دواء له ... وقلما تجد الراضين بالقسم)قال أبو يعقوب ونا أبو علي أحمد بن عثمان الأصبهاني قال نا علي بن العباس الضبي قال سمعت عمر بن حماد بن أبي حنيفة يقول سمعت اخى إسماعيل ابن حماد يقول قال أبو حنيفة أعياني اثنتان الشهادة على الميت والله ما أدري ما هي والشهادة على النسب يأتي الرجل فيشهد أن هذا فلان ابن فلانة حتى يرفعه إلى خمسة آباء وأزيد سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت الحسن بن أبي ملك يقول أخذ حجام من شعر أبي حنيفة قال فكان فى لحيته أو رأسه شعرات بيض فقال للحجام القط هذه الشعرات البيض فقال الحجام إن لقطتها كثرت قال فلو كان تاركا قياسه تركه في هذا الموضع فقال له أبو حنيفة إذا لقطت كثرت فالقط السود حتى تكثر." (٣)

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/١٨٢

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٥/٨٤

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ابن عبد البر ص/١٦٢

"فقال لي: اسمع جواب ما قلت فقلت هات فقال:كأنك كندب في ذنب كبش ... تدلدل هكذا والكبش يمشيوأما المرأة فإني كنت مجتازا في بعض الطرقات فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكبا على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: ذي حمارة الشيخ تضرط.فغاظني قولها، فأغننت ثم قلت لها: إنه ما حملتني أنثى قط إلا ضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر في جهد جهيد.أخبرني الصيمري، حدثني المرزباني، أخبرنا أبو بكر الجرجاني، أخبرنا المبرد، لأبي [١] كريمة البصري يقول للجاحظ:لم يظلم الله عمرا حين صيره ... من كل شيء- سوى آدابه- عاريبتت حبال وصالي كفه قطعت ... لما استعنت به في بعض أوطاريفكنت في طلبي من عنده فرجا ... كالمستغيث من الرمضاء بالناريإني أعيذك- والمعتاذ محترس- ... من شؤم عمرو بعز الخالق البارييفإن فعلت فحظ قد ظفرت به ... وإن أبيت فقد أعلنت أسراريأخبرني الصيمري، حدثنا المرزباني، حدثني أبو بكر الجرجاني، حدثنا المبرد، حدثني الجاحظ قال: وقفت أنا وأبو حرب على قاص، فأردت الولع به، فقلت لمن حوله: إنه رجل صالح لا **يحب الشهرة** فتفرقوا عنه، فتفرقوا فقال لي: حسيبك الله إذا لم ير الصياد طيرا كيف يمد شبكته.أخبرني القاضي أبو العلاء الواسطي، أخبرنا أبو عبد الله النيسابوري قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن بالويه يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول:قال لي إبراهيم بن محمود- ونحن ببغداد- ألا تدخل على عمرو بن بحر الجاحظ؟فقلت مالي وله؟ فقال إنك إذا انصرفت إلى خراسان سألوك عنه، فلو دخلت إليه وسمعت كلامه؟ ثم لم يزل بي حتى دخلت عليه يوما، فقدم إلينا طبقا عليه رطب.فتناولت منه ثلاث رطبات وأمسكت، ومر فيه إبراهيم، فأشرت إليه أن يمسك، فرمقني الجاحظ فقال لي: دعه يا فتى فقد كان عندي في هذه الأيام بعض إخواني، فقدمت إليه الرطب فامتنع، فحلفت عليه فأبى إلا أن يبر قسمي بثلاثمائة رطبة.______________[١] آخر المجلد الثامن من النسخة الصميصاطية، ويبدأ الجزء التاسع: بذكر من اسمه عامر (ترجمة ٦٦٨٠) . وبقية التراجم ابتداء من هنا ناقصة من الجزء الثامن.." (١)

"يقول: سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: سمعت أبي يقول: الشهود الخفية **حب الرياسة.**أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: سمعت عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان يقول:سمعت أحمد بن محمود بن صبيح. قال: ومات أبو داود السجستاني بالبصرة سنة خمس وسبعين.أخبرني الأزهري، أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي.وأخبرنا الجوهري قال: أخبرنا محمد بن العباس الخزاز قالا: أخبرنا أبو الحسين بن المنادي قال: ودخلها- يعني بغداد- أبو داود السجستاني مرارا، ثم خرج منها آخر مراته في أول سنة إحدى وسبعين إلى البصرة، فنزلها ومات بها في سنة خمس وسبعين ومائتين.حدثنا محمد بن الحسن الأهوازي، أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الشافعي، أخبرنا أبو عبيد محمد بن علي قال: ومات- يعني أبا داود- لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين، وصلى عليه عباس بن عبد الواحد الهاشمي [١] .٤٦٣٩- سليمان بن محمد، أبو الربيع العبسي:حدث عن عبيد الله بن موسى، وأبي نعيم الفضل بن دكين. روى عنه أبو بكر الشافعي.أخبرنا عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا أبو الربيع سليمان بن محمد العبسي، حدثنا عبد الله- يعني ابن موسى- عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢١٢/١٢

القلم فقال له اكتب، قال: وما أكتب قال: اكتب القدر ما هو كائن من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، ثم ارتفع بخار الماء ففتق منه السموات السبع، ثم خلق النون فبسط الأرض فوق ظهره، فاضطرب النون وماجت الأرض، فأثبتت بالجبال، فهن يفتخرن عليها.٤٦٤٠- سليمان بن محمد بن الفضل بن جبريل، أبو منصور النهرواني:من ولد جرير بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. حدث عن محمد بن موسى______________[١] «آخر الجزء الحادي والستين من تجزئة المؤلف» .." (١)

"قال ابن عباس: يريد أهل مكة في ﴿يسمعون﴾ ما يذكرهم به سماع طالب للفهم (١) ﴿أو يعقلون﴾ أي: يميزون الهدى من الضلالة ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ قال مقاتل: في الأكل والشرب، لا يلتفتون إلى الآخرة (٢). وقال الكلبي: شبههم بالأنعام في المأكل والمشرب لا تعقل غيره (٣). وقال الزجاج: في قلة التمييز فيما جعل دليلا لهم من الآيات، والبرهان (٤) ﴿بل هم أضل سبيلا﴾ قال ابن عباس: يريد أن البهائم ليس عليها عقاب ولا لها ثواب (٥). وهذا معنى قول الكلبي؛ لأنها لا حجة عليها (٦).قال مقاتل: يقول الله: بل هم أخطأ طريقا من البهائم؛ لأنها تعرف ربها وتذكره، وأهل مكة لا يعرفون ربهم فيوحدونه (٧). وهذا المعنى أراد الزجاج؛ فقال: لأن الأنعام تسبح بحمد الله، وتسجد له، وهم كما قال الله ______________= ٣/ ١٦٢. وقال الرازي ٢٤/ ٨٦: لأنه كان فيهم من يعرف الله تعالى، ويعقل الحق، إلا أنه ترك الإسلام لمجرد **حب الرياسة** لا للجهل. ويحمل أيضا على أن منهم من رضي باتباع الرؤساء والزعماء، ولم يكلف نفسه السماع. قال تعالى: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ [الأحزاب: ٦٧].(١) "تفسير الثعلبي" ٨/ ٩٩ ب.(٢) "تفسير مقاتل" ص ٤٥ ب. وأخرج ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٠٠، بسنده عن ابن عباس قال: مثل الذين كفروا كمثل البعير والحمار والشاة، إن قلت لبعضهم: كل، لم يعلم ما تقول غير أنه يسمع صوتك، كذاك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك.(٣) "تنوير المقباس" ص ٣٥٣.(٤) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٦٩. بنصه.(٥) "تنوير المقباس" ص ٣٠٣. بنصه.(٦) "تنوير المقباس" ص ٣٠٣، بمعناه.(٧) "تفسير مقاتل"ص ٤٦ أ.." (٢)

"﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ كانت اليهود تقول لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون به فأنزل الله تعالى توبيخا لهم: ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وتنسون﴾ وتتركون ﴿أنفسكم﴾ فلا تأمروها بذلك ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ تقرؤون التوراة وفيها صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ﴿أفلا تعقلون﴾ أنه حق فتتبعونه؟ ! ثم أمرهم الله تعالى بالصوم والصلاة لأنهم إنما كان يمنعهم عن الإسلام الشره وخوف ذهاب مأكلتهم **وحب الرياسة** فأمروا بالصوم الذي يذهب الشره وبالصلاة التي تورث الخشوع وتنفي الكبر وأريد بالصلاة الصلاة التي معها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال." (٣)

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٦٠/٩

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٥١٥/١٦

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١٠٢

"وعن أبي حاتم أنه اقتصر بالتأكيد الذي في لفظة (أول) عن تثنية اللفظة وجمعها، كقوله: ﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ [آل عمران:٩٦].فإن قيل: كيف نهاهم عن أن يكونوا أول كافر به وقد كفرت به (١) قريش من قبل؟ قلنا:المراد به أول من كفر من بعدهم متابعا لهم كقوله: ﴿وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام:١٦٣] (٢)، ويحتمل عند حادثة بعينها.﴿ولا تشتروا:﴾ تختاروا (٣).﴿بآياتي﴾ بكتمان نعت محمد وصفته (٤).﴿ثمنا قليلا:﴾ عوضا يسيرا من المأكل والهدايا من أهل اليسار (٥)، وقيل (٦): **حب الرياسة**؛ لأنهم كانوا متبوعين ولو آمنوا لصاروا أتباعا.و (الآيات): علامات خروج نبينا صلى الله عليه وسلم في التوراة.و (الثمن): اسم للبدل في البيع (٧).و (القليل): ضد الكثير (٨).٤٢ – ﴿ولا تلبسوا:﴾ ولا تخلطوا (٩)، كقوله: ﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾ [آل عمران:٧١]، ﴿ولم يلبسوا إيمانهم﴾ [الأنعام:٨٢]، ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ [الأنعام:٦٥].﴿الحق بالباطل:﴾ "الصدق بالكذب" (١٠). وهو صفة النبي صلى الله عليه وسلم بصفة الدجال (١١)، وتحرفون التوراة عن مواضعه (١٢).وإنما سمى الصدق حقا والكذب باطلا؛ لأن معنى الصدق ما تحقق كونه، ومعنى الكذب ــــــــــــــــ(١) في ك: بني.(٢) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٦٧، والتفسير الكبير ٣/ ٤١ – ٤٢.(٣) ينظر: تفسير الطبري ١/ ١٩٩، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٢٧٩، ومجمع البيان ١/ ١١١.(٤) ينظر: تفسير القرآن الكريم ١/ ٣٣٧، والوجيز ١/ ١٠٢، وتفسير البغوي ١/ ٦٧.(٥) ينظر: تفسير القرآن الكريم ١/ ٣٣٧، والكشاف ١/ ١٣٢.(٦) ينظر: الكشاف ١/ ١٣٢، وتفسير النسفي ١/ ٤١، والبحر المحيط ١/ ٣٣٤.(٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٧، والتوقيف على مهمات التعاريف ٢٢٤.(٨) ينظر: الفروق اللغوية ٤٤٩، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٨، ومجمع البحرين ٤/ ٢١ (كثر).(٩) ينظر: الوجوه والنظائر ٤٣، وتفسير الطبري ١/ ٣٦٢، وتلخيص البيان ٧.(١٠) تفسير الطبري ١/ ٣٦٣، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ١٩١، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٨٨.(١١) في ك وع: الرجال.(١٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٢٤، والبحر المحيط ١/ ٣٣٤.." (١)

"وباقية لذاتها، وثمرها في الدار الآخرة إلى غير نهاية. والقادر على الشريف الباقي، إذا رضي بالخسيس الفاني، كان مصابا في عقله، محروما بشقاوته وإدباره. وأقل أمر فيه أن الفضائل النفسية، لا سيما العلم والعقل، لا تحتاج إلى أعوان وحفظة، بخلاف المال. فإن العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم يزيد بالإنفاق، والمال ينقص به، والعلم نافع في كل حال ومطلقا وأبدا، والمال يجذب إلى الرذيلة وتارة إلى الفضيلة. ولذلك ذم في القرآن في مواضع، وإن سمي خيرا في مواضع.الثانية هي اللذة المشتركة بين الإنسان وبين سائر الحيوانات، كلذة المأكل والمشرب والمنكح، وهي أكثرها وجودا. الثالثة التي يشارك فيها الإنسان بعض الحيوانات، وهي لذة الرياسة والغلبة، وهي أشد التصاقا بالعقلاء، ولذلك قيل: " آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين **حب الرياسة** ". وكيف تكون لذة الجماع والأكل لذة مطلقة، وهي من وجه إزالة ألم؟ ولذلك قال الحسن: " الإنسان صريع جوع وقتيل شبع ". وجميع لذات الدنيا سبع: مأكل ومشرب ومنكح." (٢)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/١٤٤

(٢) ميزان العمل أبو حامد الغزالي ص/٣٠٨

"وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصوالمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بهاواعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا إذاكان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذاكان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقرانوبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طلب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال فإن قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا **حب الرياسة** لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا **حب الرياسة** لاندرس العلمولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم (١) وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٢) فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فأما إذاكان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرهافالعلماء ثلاثة إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهرا وباطنا وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه فانظر من أي الأقسام أنت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعملوسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالىالباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم أما المتعلم فآدابه ووظائفهالظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل الوظيفة الأولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس ــــــــــــــ (١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم أخرجه النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة." (١)

"وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل إليه أو لما دونهومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤٨/١

الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتيح له من النعموكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة هذا تأثيره في الطبع من يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الإستصغار وإلى عبادته بعين الإستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداءومن نظر الى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاكويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدتهوبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١)وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الإقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصيرومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمةوالمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر المعاصي واللعنة هي البعدومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروعومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلبومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماعإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه (٢)فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر بهوقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين إحداهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهماأن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص عل جمعها ويتهالك على **حب الرياسة** وتزيينها ويهون على نفسه قبحها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن **حب الرياسة** وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولوازمها من المعاصيوالطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يستمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له يا راعي اجرر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب ـــــــــــــــ(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له

أصل في الحديث المرفوع وإنما هو من قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة(٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى." (١)

"الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه هي حقيقة الحسد وأحكامه وأما مراتبه فأربعالأولى أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث الثانية أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنهوهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذمومبيان أسباب الحسد والمنافسةأما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فإن كان ذلك أمرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب العداوة والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فإنه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولابد من شرح هذه الأسبابالسبب الأول العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وإنما غاية التقي أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٢٣١

إنسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة إذ قال الله تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن." (١)

"الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراهالسبب الثاني التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيرهفإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليهالسبب الثالث الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطيء رءوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (١)أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والأنفة منهمالسبب الرابع التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب وقالوا متعجبين أبعث الله بشرا رسولا ﴿وقالوا﴾ لولا أنزل علينا الملائكة وقال تعالى أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآيةالسبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فإن كان واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض لهالسبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر

__________(١) حديث سبب نزول قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ذكره ابن إسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين فأنزل الله فيما بلغني هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٩٢/٣

تفسيريهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف." (١)

"الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به أهلها (١)وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفس وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها (٢)وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله الله يحب إغاثة اللهفان (٣)وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة (٤)وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت // حديث جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم الحديث وفيه فقال إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت أخرجه الدارقطني فيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله الآثار قال علي كرم الله وجهه إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى وأنشدلا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرفوإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلفوسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والأقدام في الكراهية وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل ما له لطلابه لم يكن سخيا وإنما السخي من يبتديء بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تعالى تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الإسراف قال الإنفاق لحب الرياسةوقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة ألا وإن الله عز وجل يقول إني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة وقال حذيفة ــــــــــــــــ(١) حديث أبي سعيد إن الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف الحديث أخرجه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي هارون العبدي عنه وأبي هارون ضعيف ورواه الحاكم من حديث علي وصححه(٢) حديث كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث أخرجه

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٩٣/٣

ابن عدي والدارقطني في المستجاد والخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقه ابن معين وضعفه الجمهور والجملة الأولى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة(٣) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان أخرجه الدارقطني في المستجاد من رواية الحجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفيها زياد النميري ضعيف(٤) حديث كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة أخرجه الدارقطني فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والخرائطي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منبع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين." (١)

"العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدهاوإنما يبتلي به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل غاية الإكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربينوهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين **حب الرياسة**وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذموبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذمفهي إثنا عشر فصلا منها

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٢٤٦

تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمهبيان ذم الشهرة وانتشار الصيتاعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهرة الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منهقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله // حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيفوقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه." (١)

"بالأصابع في دينه ودنياهإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي نعيم في الحلية من حديث أنس ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفهمنهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا // حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا أخرجه ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيفوقال صلى الله عليه وسلم ﴿إلا﴾ ــــــــــــــــــ(١) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره إن الله لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء إثما ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالفسق وإسنادهما ضعيفولكن ذكر الحسن رحمه الله الحديث تأويلا ولا بأس به إذ روى هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يعن هذا وإنما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجاروقال إبراهيم ابن أدهم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرةوقال أيوب السختياني والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانهوعن خالد بن معدانأنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرةوعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قامورأى طلحة قوما معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش ناروقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرةفقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن إن خفق

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٢٧٥

النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقىوخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمنوروي أن رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى إليك وتسأل ولا تسئل فافعلوخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجلوقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقالإن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميرهوقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرةوقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعاوقال رجل لبشر بن الحارثأوصني فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمكوكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامعوقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضحوقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناسرحمة الله عليه وعليهم أجمعينبيان فضيلة الخمولقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره." (١)

"القدر فآفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا ليودفن بشر كذا وكذا قمطرا من الحديث وقال يمنعني من الحديث أني أشتهي أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثتوالواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وإن كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول إذا أنعم الله بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني في نفعها إخواني المسلمونفهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليهفإن قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حديث إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة يوم القيامة وندامة إلا من أخذها بحقها أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها وزاد في آخره فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبانوقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة (٢) حديث النهي عن القضاء أخرجه مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمرن على اثنين ولا تلين مال يتيمبل الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك **حب الرياسة** لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوهاوقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/٢٧٦

لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إني أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فليعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمعته في الظاهر وتخييله إلى العوام أنه إنما ــــــــــــــــ(١) حديث النهي عن طلب الإمارة هو حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسل الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديثحتى قال إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها(٢) حديث نعمت المرضعة وبئست الفاطمة أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست المرضعة وبئست الفاطمةومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهي عنها مع ذلك وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلقوالقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء." (١)

"وقال يوسف بن أسباط يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهادوقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلتهوقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضلوقال قتادة من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامةوقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليكوقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنهوقيل لعبد الملك بن مروان أي الرجال أفضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوةودخل ابن السماك على هارون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ أتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى من ماله وتوضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيدهوكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكينوقال بعضهم كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعةروي أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٢٦/٣

لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلاوقال مجاهدإن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليهوقال أبو سليمان إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلاموقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم إني أخشى أنهم حرموا بسببيويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسهوقال زياد النمري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمروقال مالك بن دينار لو أن مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أو سعى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكاوقال الفضيل من أحب الرياسة لم يفلح أبداوقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد ين مقاتلوجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعاوقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهودويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيبوعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال أبو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف." (١)

"بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسهوكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسةوأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصرومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغروروهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منهاومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجهفمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينهالصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرةففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٤٢/٣

والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بضعهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضهوهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين ثبت أسماؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أبياتا وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريلم بالأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيلفكهذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع بل إلى القلبوفرقة أخرى زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع من الحرير والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة." (١)

"وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يخيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بئر وتغطرأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواءفإن قلت فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذ لم يقترن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤٠٤/٣

به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائمأما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمةوأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فإنه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية إليهفما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهمنعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسهفإن قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة // حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب ذم الدنياولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة **لحب الرياسة** ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ **لحب الرياسة** حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي يقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم." (١)

"أشدها التصاقا بالمتغافلين فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء **حب الرياسة** من القلب وآخر ما يخرج من رءوس الصديقين **حب الرياسة** وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على كسرها إلا الصديقون فأما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إلى الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فإن كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طافحة به وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون ذلك نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وإنما تكون كثرته في الأعصار

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤١٣/٣

القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمرا كان مفعولا وإنما وجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فإنها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك فإنك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فالقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة والقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الأفئدة إلا أن بينه وبين إدراك المها حجابا فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم﴾ أي في الدنيا ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ أي في الآخرة فإذن قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنياقسمة سادسة حاوية لمجامع النعم اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل." (١)

"فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (١) وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إني أقول يا رب يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال إذا بلغ لارجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا أو كفرافمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم منها وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعر من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأي معنى لو عد الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٠٢/٤

بعضهمكانت لقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائيفصار يحسدني من كنت أحسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائيتركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذكرك يا ديني ودنيائيولذلك قال بعضهموهجره أعظم من ناره ... ووصله أطيب من جنتهوما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فإن الجنة معدن تمتع الحواس فأما القلب فلذته في لقاء الله فقطومثال أطوار الخلق في لذتهم ما نذكره وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى اعلمواأنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الآيةثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ **وحب الرياسة** بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ـــــــــــــــــ(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة." (١)

"غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات للشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خير هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فإن القلب إذا كان مائلا إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى ما عصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهلوهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهلفإن من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلموقد قال الله سبحانه فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (١)ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/ ٣١١

همهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرى الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر وإتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألفي سنة وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول إنما الأعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخيروإنما **حب الرياسة** والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة **حب الرياسة** يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجميلة وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله تعالى فإن إعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من أفضل القربات فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصيوقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب إليه ______________(١) حديث لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط وابن السنى وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يعذر الجاهل على الجهل وقال لا ينبغى بدل ولا يحل وقد تقدم في العلم." (١)

"فقد كان المسجد يحوى في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوىوكل من كان يفتى كان يود أن يكفيه غيرهوعند هذا ينبغي أن يتقى شياطين الإنس إذا قالوا لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم إن دين الإسلام مستغن عني فإنه قد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لا تنهدم أركان الإسلام فإن الدين مستغن عني وأما أنا فلست مستغنيا عن إصلاح قلبيوأما أداء ذلك إلى اندارس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان **حب الرياسة** والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلمفالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامةبل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم (١) وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٢) فلا ينبغي أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربي في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذر النفاقوقال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفساد فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم (٤) ولا ينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٦٩

الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهمفليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقيفأما أمثالنا فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوي إيماننا بيوم الحساب إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منهافلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منافليتنا كنا كالعوام إذا متنا ماتت معنا ذنوبنافما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا المنعم علينافهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابهوهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على ــــــــــــــــ(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم تقدم(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر تقدم أيضا في العلم(٣) حديث حب المال والجاه ينبت النفاق في القلب الحديث تقدم(٤) حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم الحديث تقدم." (١)

"أي: تكرهون منا، ﴿إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ أي: هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم **لحب الرياسة** وحب الأموال.﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣) ﴾ثم قال: ﴿قل﴾ يا محمد، ﴿هل أنبئكم﴾ أخبركم، ﴿بشر من ذلك﴾ الذي ذكرتم، يعني قولهم لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء، ١٠٩\أوإن لم يكن الابتداء شرا كقوله تعالى: "أفأنبأكم بشر من ذلكم النار" (الحج، ٧٢) ، ﴿مثوبة﴾ ثوابا وجزاء، نصب على التفسير، ﴿عند الله من لعنه الله﴾ أي: هو من لعنه الله، ﴿وغضب عليه﴾ يعني: اليهود، ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام.وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الممسوخين كلاهما من أصحاب السبت،

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٣٣

فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير. ﴿وعبد الطاغوت﴾ أي: جعل منهم من عبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سول له، وتصديقها قراءة ابن مسعود: ومن عبدوا الطاغوت، وقرأ حمزة "وعبد" بضم الباء "الطاغوت" بجر التاء، أراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضم الباء، مثل سبع وسبع، وقيل: هو جمع العباد، وقرأ الحسن وعبد الطاغوت، على الواحد، ﴿أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾ أي: عن طريق الحق.﴿وإذا جاءوكم قالوا﴾ يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل: هم الذين قالوا: "آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وكفروا آخره"، دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: آمنا بك وصدقناك فيما قلت، وهم يسرون الكفر، ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ يعني: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾." (١)

"والكفار بخفض الراء، يعني: ومن الكفار، وقرأ الآخرون بالنصب، أي: لا تتخذوا الكفار، أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين.وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) ، قال الكلبي: كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، قاموا وصلوا لا صلوا، على طريق الاستهزاء، وضحكوا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية [١] .وقال السدي: نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار هو وأهله نيام، فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله [٢] .وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العير، فما أقبح من صوت وما أسمج من أمر، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله [فصلت:٣٣] الآية [٣] .قوله عز وجل: قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآية، قرأ الكسائي: هل تنقمون، بإدغام اللام في التاء، وكذلك يدغم لام هل في التاء والثاء والنون، وافقه حمزة في التاء والثاء وأبو عمرو في هل ترى [الملك: ٣] في موضعين.«٨٠٩» قال ابن عباس: أتى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود، أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: «آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل» ، إلى قوله: ونحن له مسلمون [البقرة: ١٣٣] ، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا، أي: [هل] [٤] تكرهون منا، إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون، أي: [هل تكرهون] [٥] إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم **لحب الرياسة** وحب الأموال [٦] ، ثم قال:__________٨٠٩- ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٢٢٤ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.وذكره الواحدي في «أسبابه» ٤٠١ عن ابن عباس بدون إسناد.(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٩٩ عن الكلبي بدون إسناد والكلبي متروك متهم بالكذب.(٢) أخرجه الطبري ١٢٢٢٣ عن السدي

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٧٥/٣

مرسلا وذكره الواحدي ٤٠٠ عن السدي بدون إسناد.(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٠٠ م هكذا بدون إسناد.(٤) زيادة عن المخطوط.(٥) زيد في المطبوع وط.(٦) تصحف في المطبوع «الأقوال» .." (١)

"الجوهري حدثنا إسحاق بن بيان قال: قال أحمد سمعته يقول يعني بشرا قال: إبراهيم بن أدهم ما صدق الله عبدا **أحب الشهرة**.إسحاق بن بهلول الأنباري له الإسناد الحسن.خرج أجزاء فعرضها على أحمد وكانت مسائل جيادا يعرض على أحمد الأقاويل ويجيبه أحمد على مذهبه.فمنها قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول يصام عن الميت في النذر فأما الفريضة فالكفارة.وكان إسحاق بن بهلول قد سمى كتابه كتاب الاختلاف فقال: له أحمد سمه كتاب السعة.إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو يعقوب الشيباني.وهو عم إمامنا أحمد سمع يزيد بن هارون والحسين بن محمد المروذي روى عنه ابنه حنبل ومحمد بن يوسف الجوهري وكان ثقة.قال حنبل ومات أبي إسحاق بن حنبل سنة ثلاث وخمسين ومائتين وهو ابن أربع وتسعين ولد سنة إحدى وستين ومائة وكان بينه وبين أبي عبد الله أقل من ثلاث سنين هذا في أول السنة وهذا في آخرها وكانا يخضبان بالحناء.قلت: أنا ينبغي أن يكون إسحاق مات وله اثنتان وتسعون سنة وكان ملازما في أكثر أوقاته مجلس أحمد ونقل عنه أشياء كثيرة.منها ما نقلته من الثالث عشر من السنة للخلال قال: حنبل سمعت أبي يسأل أبا عبد الله عن كلام الكرابيسي وما أحدث فقال: أبو عبد الله لأبي هذا كلام الجهمية صاحب هذه المقالة يدعو إلى كلام جهم إذا قال: إن لفظه بالقرآن مخلوق فأي شيء بقي.وأنبأنا علي عن ابن بطة حدثنا أبو بكر الآجري حدثنا أبو بكر المروذي قال:." (٢)

"وأما يحيى بن معين: فأخطأ كما يخطأ الناس وقال: تريدون منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل؟ لا والله ما نقوى على طريقة أحمد بن حنبل.وسئل أبو بكر الخلال عن طير وقع في قدر؟ فقال: إن كانت القدر تغلي فاللحم وما فيها يجتذب النجاسة فيهراق كله وإن كانت قد هدأت غسل اللحم وما فيها وأهريق المرق.أخبرنا بركة أخبرنا إبراهيم عن عبد العزيز أخبرنا أبو بكر الخلال حدثنا إسماعيل بن إسحاق الثقفي النيسابوري أن أبا عبد الله سئل عن رجل له جار رافضي يسلم عليه؟ قال: لا وإذا سلم عليه لا يرد عليه.وبه قال: حدثني يوسف بن موسى قال: قيل لأبي عبد الله والشقاء والسعادة مقدران على العباد؟ قال: نعم قيل له: والناس يصيرون إلى مشيئة الله عز وجل فيهم من حسن أو سيئ؟ قال: نعم.وبه: حدثنا أبو بكرالمروذي قال: قيل لأبي عبد الله: نقول إنا مؤمنون؟ قال: لا ولكن نقول: إنا مسلمون.وقال الخلال: بلغني أن أحمد سئل عن الزاهد: يكون زاهدا ومعه دينار؟ قال: نعم على شريطة إذا زادت لم يفرح وإذا نقصت لم يحزن.قال: وبلغني أن أحمد قال: قال سفيان: **حب الرياسة** أعجب إلى الرجل من الذهب والفضة ومن **أحب الرياسة** طلب عيوب الناس أو عاب الناس أو نحو هذا.قال الخلال: وأخبرنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي قال: سمعت سفيان يقول: ما ازداد رجل علما فازداد من الدنيا قربا إلا ازداد من الله بعدا.وقال الخلال أيضا: أخبرني يزيد بن عبد الله الأصبهاني قال حدثنا إسماعيل بن

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٦٥/٢

(٢) طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى ١١١/١

يزيد الأصبهاني قال حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال سمعت الفضيل يقول: علامة الزهد في الناس: إذا لم يحب ثناء الناس عليه ولم يبال بمذمتهم وإن." (١)

"وعن عبد الصمد بن سليمان ، قال: دخلنا على الحسن وهو في مسجد الحي في يوم شديد الحر، لو طرحت بضعة لاشتوت، وقد ابتل قميصه من العرق حتى لو شئت أن أعصره لانعصر، فقلنا له: يا أبا سعيد لو تحولت إلى الظل.قال: وإني لفي الشمس؟ ما علمت أني فيها، إني ذكرت ذنبا من ذنوبي منذ أربعين سنة فذهبت بي الفكرة ما علمت أفي الظل أنا أم في الشمس.فصلروي عن المبارك بن فضالة، عن الحسن ، قال: لو وجدنا درهما من حلال لتداوينا به.وقال الحسن: لو أن الناس إذا ابتلوا من سلطانهم بشيء فزعوا إلى الله عز وجل لم يلبثوا أن يرفعه الله عنهم، ولكن فزعوا إلى السيف، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط ثم تلا: ﴿وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾ [الأعراف: ١٣٧] .وعن صالح المري، عن الحسن ، قال: أيها المتصدق على المسكين ترحمه ، ارحم نفسك التي ظلمتها.وقال الحسن: أصول الشر ثلاثة، وفروعه ستة، فالأصول: الحسد ، والحرص ، وحب الدنيا، وفروعه: **حب الرياسة**، وحب الفخر،." (٢)

"قال أبو سليمان الداراني: صلى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد.وقال إبراهيم بن أدهم: كثرة النظر إلى الباطل يذهب بمعرفة الحق من القلب.وكان إبراهيم بن أدهم إذا قيل له: كيف أنت؟ قال: بخير، ما لم يحمل مؤنتي غيري.وقال إبراهيم بن أدهم: كنا إذا سمعنا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره.وقال إبراهيم بن أدهم: لقيت عابدا من العباد، قيل: إنه لا ينام الليل، قلت له: لم لا تنام؟ قال: منعتني عجائب القرآن أن أنام.وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله عبد **أحب الشهرة**.وقال إبراهيم بن أدهم: نعم القول السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة، يجيء أحدهم إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون بشيء؟ .." (٣)

"سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد. فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك. فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذا إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن، وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا، وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع، ولم يقل للمتمثل: استحى من تمثيلها بالبعوضة، لأنه مصيب في تمثيله، محق في قوله، سائق للمثل على قضية مضربه، محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه،

---

(١) طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى ٢/١٤

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/٧٣٥

(٣) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/٩٧٣

ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل، إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله.وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم، وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم، أو عرفوا أنه الحق إلا أن **حب الرياسة** وهوى الألف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا، فإذا سمعوه عاندوا «١» وكابروا وقضوا عليه بالبطلان، وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم. والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء______________(١) . قوله «فإذا سمعوه عاندوا» لعل زيادة الفاء في خبر أن لشبه اسمها بالشرط. (ع) [.....]".(١)

"فاسقون. ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف، كأنه قيل: وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات. ويدل عليه تفسير الحسن: بفسقكم نقمتم ذلك علينا.[سورة المائدة (٥) : الآيات ٦٠ الى ٦١]قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١)وروى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؟فقال «أو من بالله وما أنزل إلينا إلى قوله: ونحن له مسلمون» فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام: ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم «١» . فنزلت.وعن نعيم بن ميسرة: وإن أكثركم، بالكسر. ويحتمل أن ينتصب (وأن أكثركم) بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون، أى: ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون، أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف، أى وفسقكم ثابت معلوم عندكم، لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل، إلا أن **حب الرياسة** وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك إشارة إلى المنقوم، ولا بد من حذف مضاف قبله، أو قبل «من» تقديره: بشر من أهل ذلك، أو دين من لعنه الله. ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك: هو من لعنه الله، كقوله تعالى: (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) أو في محل الجر على البدل من شر. وقرئ: مثوبة. ومثوبة. ومثالهما: مشورة، ومسورة. فإن قلت:المثوبة مختصة بالإحسان، فكيف جاءت في الإساءة؟ قلت: وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله:تحية بينهم ضرب وجيع «٢»______________(١) . أخرجه الواحدي في الأسباب. والوسط عن ابن عباس بهذا وأخرجه الطبري من رواية ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت. حدثني سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود وفيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع. وعازر وآزار ابني آزار.وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فذكر نحوه. وفيه فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته. وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به. [.....](٢) . مر شرح هذا الشاهد ص ٦٠ من هذا الجزء فراجعه إن شئت اه مصححه.." (٢)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١١١/١

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٥١/١

"ومنه قولهم: في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا. ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى، كالتقية بمعنى التقوى، أى: فهلا كان منهم ذو وبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه.وقرئ: أولو بقية، بوزن لقية، من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه: «بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم «١» » والبقية المرة من مصدره. والمعنى: فلو كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم إلا قليلا استثناء منقطع، معناه: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تاركون للنهى. ومن في ممن أنجينا حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض، لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم، بدليل قوله تعالى أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا. فإن قلت: هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام، كان المعنى فاسدا، لأنه يكون تحضيضا لأولى البقية على النهى عن الفساد، إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول:هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت في تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا، كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا، وكان انتصابه على أصل الاستثناء، وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه أراد بالذين ظلموا: تاركي النهى عن المنكرات، أى: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف، من **حب الرياسة** والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم. وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي، واتبع الذين ظلموا، يعنى: واتبعوا جزاء ما أتوفوا فيه. ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة: أنهم اتبعوا جزاء إترافهم. وهذا معنى قوى لتقدم الإنجاء، كأنه قيل: إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر. فإن قلت: علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا؟ قلت: إن كان معناه: واتبعوا الشهوات، كان معطوفا على مضمر، لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد، واتبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على نهوا. وإن كان معناه واتبعوا جزاء الإتراف، فالواو للحال، كأنه قيل: أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم. فإن قلت: فقوله وكانوا مجرمين؟ قلت: على أترفوا أى: اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين، لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام. أو أريد بالإجرام______________(١) . أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل قال «بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة العتمة، فتأخر حتى ظن الظان أنه ليس بخارج ... الحديث» .." (١)

"عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه. ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله.[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٣]أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣)من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتى ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغى إلى برهان. فهو عابد هواه وجاعله إلهه، فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت- ولا إكراه في الدين؟ وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار، لست عليهم بمصيطر ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر. ومنهم الحرث بن

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٤٣٧

قيس السهمي.[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٤]أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)أم هذه منقطعة، معناه، بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال، ثم أرجح ضلالة منها. فإن قلت لم أخر هواه والأصل قولك: اتخذ الهوى إلها؟ قلت: ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول: علمت منطلقا زيدا: لفضل عنايتك بالمنطلق «١» . فإن قلت: ما معنى ذكر الأكثر؟ قلت: كان فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا داء واحد: وهو **حب الرياسة**، وكفى به داء عضالا. فإن قلت: كيف جعلوا أضل من الإنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها «وتهتدى لمراعيها ومشاربها. وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهنى والعذب الروى.[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (٤٥) ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا (٤٦)____________(١) . قال محمود: «إن قلت لم قدم إلهه وهو المفعول الثاني، وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك ظننت منطلقا زيدا إذا كانت عنايتك بالمنطلق» قال أحمد: وفيه نكتة حسنة وهي إفادة الحصر، فان الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر: المبتدأ هواه، والخبر إلهه. وتقديم الخبز كما علمت يفيد الحصر، فكأنه قال: أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه، فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه، والله أعلم.." (١)

"العلم؟ قال: أكره أن يميل قلبي باجتماعكم إلي **حب الرياسة**، فأخسر الدارين «١» .٣٥- وكان قتادة «٢» يقول: لولا حب الحسن «٣» الرياسة لمشى على الماء.٣٦- وكان أبو معاوية الضرير «٤» يقول: في خصلتان ما يسرني بهما رد بصري: قلة الإعجاب بنفسي، وخلو قلبي من اجتماع الناس إلي.٣٧- عمر رضي الله عنه: خذوا بحظكم من العزلة.٣٨- بشر بن منصور «٥» : ما جلست إلى أحد، ولا جلس إلي، فقمت من عنده، أو قام من عندي، إلا علمت أني لو لم أقعد إليه، ولم يقعد إلي، لكان خيرا لي.٣٩- مكحول «٦» رفعه: من ستر مخزاة على المؤمن ستره الله يوم القيامة.." (٢)

"مشهور، ذكره ابن إسحاق في السير وغيره، مضمنة أن سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه فقالوا يا محمد إن كنت **تحب الرياسة** وليناك علينا، وإن كنت تحب المال جمعنا لك من أموالنا، فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في باب الاحتجاج عليه فقالوا له ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام وتقف بالأسواق وتريد التماس الرزق، أي إن من كان رسول الله مستغن عن جميع ذلك، ثم قالوا له سل ربك أن ينزل معك ملكا ينذر معك أو يلقي إليك كنزا تنفق منه، أو يرد لك جبال مكة ذهبا أو تزال الجبال ويكون مكانها جنات تطرد فيها المياه، وأشاعوا هذه المحاجة فنزلت الآية وكتبت اللام مفردة من قولهم «ما ل» هذا إما لأن على المصحف قطع لفظه فاتبعه الكاتب، وإما لأنهم رأوا أن حروف الجر بابها

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٨٢/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٢٤/٢

الانفصال نحو «في ومن وعلى وعن» . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر «يأكل منها» بالياء، وقرأ حمزة والكسائي «نأكل منها» بالنون وهي قراءة ابن وثاب وابن مصرف وسليمان بن مهران، ثم أخبر تعالى عنهم وهم الظالمون الذين أشير إليهم أنهم قالوا حين يئسوا من محمد صلى الله عليه وسلم إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أي قد سحر فهو لا يرى مراشده، ويحتمل مسحورا أن يكون من السحر وهي الرؤية فكأنهم ذهبوا إلى تحقيره، أي رجلا مثلكم في الخلقة، ذكره مكي وغيره، ثم نبهه الله تعالى مسليا عن مقالتهم فقال انظر كيف ضربوا لك الأمثال بالمسحور والكاهن والساحر وغيره فضلوا أي أخطئوا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسهم بضده من الضلال، وقوله تعالى: تبارك الذي الآية رجوع بأمور محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى، أي هذه جهتك لا هؤلاء الضالون في أمرك، والإشارة في ذلك قال مجاهد هي إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا، وقال ابن عباس هي إلى أكله الطعام ومشيه في الأسواق، وقال الطبري والأول أظهر.قال القاضي أبو محمد: لأن هذا التأويل الثاني يوهم أن الجنات والقصور التي في هذه الآية هي في الدنيا وهذا تأويل الثعلبي وغيره، ويرد ذلك قوله تعالى بعد ذلك بل كذبوا بالساعة [الفرقان: ١١] والكل محتمل، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحفص ونافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي «ويجعل» بالجزم على العطف على موضع الجواب في قوله جعل لأن التقدير «تبارك الذي إن يشأ يجعل» . وقرأ أبو بكر عن عاصم أيضا وابن كثير وابن عامر «ويجعل» بالرفع والاستئناف، وهي قراءة مجاهد، ووجوه العطف على المعنى في قوله جعل لأن جواب الشرط هو موضع الاستئناف، ألا ترى أن الجمل من الابتداء والخبر قد تقع موقع جواب الشرط، وقرأ عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمان «ويجعل» بالنصب وهو على تقدير «أن» في صدر الكلام، قال أبو الفتح هي على جواب الجزاء بالواو وهي قراءة ضعيفة، وأدغم الأعرج ويجعل لك وروي ذلك عن ابن محيصن، و «القصور» البيوت المبنية بالجدرات قاله مجاهد وغيره، وكانت العرب تسمي ما كان من الشعر والصوف والقصب بيتا، وتسمي ما كان بالجدرات قصرا لأنه قصر عن الداخلين والمستأذنين.قوله عز وجل:[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ١١ الى ١٤]بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا (١١) إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (١٢) وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (١٣) لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا (١٤)." (١)

"تلخيص التعريف بآخر أمره وكيفية مقتلهكان **حب الرياسة** في رأسه يدور، وأما انتزاؤه بمريسة فمشهور، وأفضت الحال بالرشيد هنالك إلى الاعتقال، بأيدي نصارى الإفرنجة، في جملة من المال كانوا أكثروا بها، فحبسوا الرشيد بسببها، إلى أن افتكه أبوه المعتمد في خبر طويل، وابن عمار صاحب ذلك الرعيل، والملوم في المعلوم من أمره والمجهول، وفساد حاله عند المعتمد يتزايد، وتدابره يتساند. وفي أثناء ما وقع من تدبير تلك الأمور، ونجوم ذلك الاستيحاش والتغيير، خاطبه المعتمد عاتبا متمثلا بهذين البيتين، وكان قد خرج عنه:تغير لي في من تغير حارث ... وكل خليل غيرته الحوادثأحارث إن شوركت فيك فطالما ... نعمنا وما بيني وبينك ثالث فأجابه ابن عمار بقوله:." (٢)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٠١/٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٤٠٥/٣

"دين موسى، وكان بنو الديان وأهل نجران وتغلب وغسان على دين عيسى، وكانت فيهم الملة الحنيفية الإسلامية والشريعة الإبراهيمية، ومن أهلها كان قس بن ساعدة الإيادي، وورقة بن نوفل [٢٠٢ب] الأسدي، وزيد بن عمرو من بني عدي، وقتلته الروم لذلك، وقد قيل في خالد بن سنان ما قيل. وكان أسعد أبو كرب الحميري أحد التبابعة قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل مبعثه بسبعمائة عام وقال:شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسمفلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عموذكر الله تعالى كثير في أخبارهم وأشعارهم. وقد ذكر بعض أصحاب المقالات أن عبد المطلب بن هاشم كان من المهتدين في الدين، واستدل بأنه أجيب لما سأل، وسقي حين ابتهل، وذكر النبي عليه السلام لعبد المطلب سيف بن ذي يزن، وحزن على فوقه أشد الحزن، وأكد له العهود، وحذره عليه اليهود. ولما دعوا دخلوا في الدين أفواجا، وأتوه أزواجا، إلا من أدركته النفاسة **وحب الرياسة**، وسبقت عليه الشقوة، وورم أنفه من النخوة، كأبي جهل بن هشام وعامر بن الطفيل وأمية بن أبي الصلت ومن كان من ضربائهم وقرنائهم.وقال معاوية في كلام له مشهور: " فما كان إلا كغرار العين حتى جاءني لم يسمع الأولون بمثله، ولم يسمع الأخرون به، ولقد كنا نفخر بذكره على من نطأ عليه أو يطرأ علينا وإنا لنكذبه، ونتبجح بذكره [وإنا لنحاربه] ".." (١)

"ربكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.[٤٠٠]- وقال إبراهيم بن أدهم: لم يصدق الله من **أحب الشهرة**.[٤٠١]- وقال إبراهيم بن بشار: كنت يوما من الأيام مارا مع إبراهيم ابن أدهم في الصحراء، فأتينا على قبر مسنم، فترحم عليه وبكى، فقلت:قبر من هذا؟ قال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غريقا «١» في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها واستنقذه، ولقد بلغني أنه مر «٢» ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته، ثم نام في مجلسه مع من يخصه من أهله، فرأى رجلا واقفا على رأسه بيده كتاب «٣» ، فناوله إياه فإذا فيه مكتوب بالذهب: لا تؤثرن فانيا على باق، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده الهلك «٤» ، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله تعالى فإن الله تعالى قال:وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين(آل عمران: ١٣٣) . قال: فانتبه فزعا وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه لا يعلم به أحد، وقصد هذا الجبل فتعبد فيه، فلما بلغني قصته وحدثت بأمره قصدته، فحدثني ببدء أمره وحدثته ببدء أمري، فما زلت أقصده حتى مات ودفن ها هنا، رحمه الله.__________[٤٠٠] حلية الأولياء ٨: ١٩- ٢٠.[٤٠١] حلية الأولياء ٨: ٣٣.." (٢)

"«٥٠٠» - قال بعض الحكماء: آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء سوء السريرة، وآفة الجند مخالفة القادة، وآفة الرعية مفارقة الطاعة، وآفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء **حب الرياسة**، وآفة القضاة شدة الطمع، وآفة العدول قلة الورع، وآفة الملوك مضادة الأعوان، وآفة العدل ميل الولاة، وآفة الجريء إضاعة الحزم، وآفة القوي استضعاف الخصم،

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧٤٤/٦

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٧٩/١

وآفة المنعم قبح المن، وآفة المذنب سوء الظن. من كثر ملقه لم يعرف بشره.«٥٠١» - كان يوسف بن عمر الثقفي من الموصوفين بالقسوة والفظاظة، وكان في إمارته العراق يعظ الناس ويأمر بالخير، وينهى عن الأذى، ويزهد في الدنيا، ويرغب في المعاد، ويخالف فعله قوله- كان يتخذ لهشام طنافس الخز في واسط، فامتحن طنفسة منها بأن جر عليها ظفر إبهامه فعلقت به غفرة من الطنفسة فأمر بيد الصانع فقطعت.وأمر أن يضرب الدرهم لا ينقص حبة فما فوقها، ونادى من فعل ذلك ضربته ألف سوط، ووجد درهما ناقصا حبة فأحضر الضرابون فكانوا مائة، فضرب كل واحد ألف سوط، فقيل ضرب في حبة فضة مائة ألف سوط.وقد أكثر الشعراء في ذكر حسد الأقارب:٥٠٢- قال الأقرع بن معاذ: [من الطويل]ومولى أمنا داءه تحت جنبه ... فلسنا نجازيه ولسنا نعاتبهرأى الله أعطاني فأضمر صدره ... على حسد الإخوان وازور جانبهفويل له منا وويل لأمه ... علينا إذا ما حركته حوازبه." (١)

"منك في اليوم الذي خلفت [١] . وإذا قمت إلى الصلاة فأحسن الوضوء ثم صل صلاة المودع فانه يوشك أن تصلي صلاة لا تصلي بعدها. ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: أشكو إلى الله بعد المفازة وقلة الزاد. وهذه الوصية مثل التي قبلها إلا ألفاظا يسيرة.٩٨٦- كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد: أما بعد فانك في زمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه في ما بلغنا، ولهم من العزم ما ليس لنا ولا لك، ولهم من العمل ما ليس لنا ولا لك. فكيف بنا وقد أدركناه على قلة علم وبصر، وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس؟ فعليك بالعزلة وقلة مخالطتهم فان عمر يقول: إياكم والطمع فانه فقر حاضر، وإن اليأس غنى، وفي العزلة راحة من خليط السوء. وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة. وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك، والنجاة في تركهم فيما ترى. وإياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء. وإياك أن تخدع فيقال: ذلك رجل تشفع فيه ترده عن مظلوم أو ترده عن مظلمة، وإنما ذلك خديعة إبليس اتخذها فخا. وكان يقال: اتقوا فتنة العابد وفتنة العالم فان فيهما فتنة لكل أحد [٢] . وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو يسمع من قوله، فاذا لم تزل كذلك فقد عرفت. وإياك **وحب الرياسة**، فان الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهذا باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء. واعمل بنية فان الحسن رحمه الله كان يقول: رحم الله عبدا وقف عند همه، فانه ما من عبد يعمل حتى يهم، فان كان له مضى، وإن كان عليه أمسك، فان النية ليست كل ساعة تقع. وان طاووس قيل له: ادع لنا بدعوات فقال: ما أجد الآن لذلك نية. وكان حذيفة رضي الله عنه يقول:يأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بمثل دعاء الغريق. وسئل حذيفة______________[١] س: يخلف.[٢] س: فتنة مفتون.." (٢)

"هاتان الرحلتان إلى بلاد العجم وخراسان ومراكزها العلمية الكبيرة وإلى العراق وبلاد الحجاز سمحتا له بلقاء كبار الشيوخ وأعيان العلماء والفقهاء والمحدثين حيث سعى في التحصيل عليهم والافادة منهم فحفظ وكتب الكثير وقد التقى بأكثر من ألف وثلاثمائة شيخ ومن النساء بضع وثمانين امرأة (١)يقول الذهبي في سير الاعلام (٢) : وعدد شيوخه في

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٠٨/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٣٥/٣

معجمه ألف وثلاثمائة شيخ بالسماع وستة وأربعون شيخا أنشدوه وعن مئتين وتسعين شيخا بالاجازة الكل في معجمه وبضع وثمانون امرأة لهن معجم صغير سمعناهعودته إلى دمشق: مرحلة جديدة: كان ابن أربع وثلاثين سنة لما عاد إلى دمشق وقرر الاستقرار فيها وذلك بعد أن حقق قدرا عاليا من بناء شخصيته العلمية والفقهية وبعد أن ذاع صيته وانتشرت أخباره وتناقل العلماء أخبار فطنته وسعة حفظه وإتقانه وتردد اسمه في مختلف الافاقال أبو المواهب (٢) : لم أر مثله ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة من لزوم الصلوات في الصف الاول إلا من عذر والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة وعدم التطلع إلى تحصيل الاملاك وبناء الدور قد أسقط ذلك عن نفسه وأعرض عن طلب المناصب من الامامة والخطابة وأباها بعد أن عرضت عليه وأخذ نفسه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائمقال لي: لما عزمت على التحديث والله المطلع أني ما حملني على ذلك **حب الرياسة** والتقدم بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟ وأي فائدة من كوني أخلفه صحائف؟ فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخي ورؤساء البلد وطفت عليهم فكلهم قالوا: من أحق بهذا منك؟ فشرعت منذ ثلاث وثلاثين وخمسمئة__________(١) معجم الادباء: ١٣ / ٧٦، وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٢٨(٢) سير الاعلام النبلاء: ٢٠ / ٥٥٦(٣) تذكرة الحفاظ: ٤ / ١٣٣٢." (١)

"إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبي عن أبي يحمر الغساني فقال كنت (١) لم أزل على صحة من خبره إلى أن دخل مدينة عسقلان فقال رجل من القوم عندي ناطور في بستان قد أنكرت أمره وهو خليق بأن يكون هو وذلك أني خرجت في جماعة من أصحابي إلى البستان فسألته أن يأتيني برمان حلو فأتاني برمان حامض فقلت له من هذا تأكل فقال إنما آكل من متاعي إنما اكتروني لأحفظه فقال الرجل ينبغي أن يكون هو صاحبي فقمنا بأجمعنا حتى وقفنا على باب البستان فاستفتح صاحبه فخرج إلينا فإذا هو إبراهيم بن أدهم فسلم عليه الرجل فقال له ما حاجتك قال مولاك فلان مات وخلف شيئا جئتك به قال فبسط إبراهيم كساءه وقال له هات فصب فيه ثلاثين ألف درهم فقال الرجل اقسمها أثلاثا ففعل فقال لنا خذوا عشرة آلاف درهم ففرقوها على الضعفاء والمساكين وعشرة آلاف درهم قوموا بها الحائط فقد رأيته تشعث وقال للرسول خذ أنت عشرة آلاف درهم لعيال من بلخ فما وضع يده على درهم منها وأخذ كساءه فوضعه (٢) على عنقه وخرج من عسقلان فما علمناه عاد إليها أخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا إبراهيم بن عصمة بن يحيى بن إبراهيم نا أبي نا يحيى بن يحيى قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي قال طالوت قال إبراهيم بن أدهم ما صدق الله عبد **أحب الشهرة** أخبرنا أبو القاسم بن الحسين بن الحسن فيما كتبته عنه ولم يتفق سماعه أنا أبو القاسم بن أبي العلاء أنا عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الجوبري أنا علي بن يعقوب بن أبي العقب (٤) نا القاسم بن موسى بن الأشيب (٥) حدثني أحمد بن شيبان نا عبد الرحمن بن مهدي عن طالوت قال سمعت إبراهيم بن أدهم يقول ما__________(١) رسمها غير واضح بالاصل ولعل الصواب ما أثبتنا انظر تهذيب ابن عساكر ٢ / ١٨٦(٢) بالاصل: فوضع(٣) نسبة إلى جوبر قرية بالغوطة من دمشق (ياقوت) وذكره ياقوت في ترجمة قصيرة(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٨/١

١٦ / ٣٨(٥) إعجامها غير واضح بالاصل والمثبت عن سير أعلام النبلاء من ترجمة ابن أبي العقب انظر الحاشيةالسابقة." (١)

"صدق الله عبد **أحب الشهرة** أخبرنا أبو الوقت عبد الاول الهروي أنا يعلى بن هبة الله وأخبرنا أبو محمد بن أبي بكر أنا الفضيل بن أبي منصور قالا أنا عبد الرحمن السمسار أنا محمد بن عقيل البلخي نا محمد بن إبراهيم نا أبو صالح أنا شعيب قال خرج إبراهيم من بيت المقدس فمر بمسحلة فقالوا عبد قال (١) نعم قالوا آبق قال نعم قال فذهبوا به فحبسوه في السجن بطبرية قال فجاء رجل يطلب غلاما له آبق من بيت المقدس قال فقيل له إن سملحة كذا وكذا قد أصابوا غلاما آبقا فهو في السجن بطبرية قال فذهب إلى السجن فإذا هو بإبراهيم بن أدهم فقال سبحان الله ما تصنع هنا هنا قال أنا ها هنا ما أحسن مكاني قال فرجع الرجل إلى بيت المقدس فأخبرهم فجاء الناس من بيت المقدس عنقا (٢) واحدا إلى أمير طبرية فقالوا إبراهيم بن أدهم ما يصنع في سجنك قال ما حبسته قالوا بلى فبعث إليه فجاء به فقال له فيما حبست قال مررت بمسلحة فقالوا عبد قلت نعم وأنا عبد الله فقالوا آبق قال قلت نعم وأنا آبق من ذنوبي قال فخلى سبيله أخبرنا أبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي أنا وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة نا أبو بكر الخطيب أنا عبد الله بن أحمد الأصبهاني نا جعفر الخلدي (٣) أنا أحمد بن مسروق نا علي بن موفق نا عبد الله بن الفرج القنطري العابد قال اطلعت على إبراهيم بن أدهم في بستان بالشام وهو مستلق (٤) وإذا حية في فمهطاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه وأخبرنا أبو السعادات المتوكلي (٥) أنوأبو محمد السلمي نا أبو بكر الخطيب____________(١) بالاصل: قالوا(٢) أي جماعة(٣) بالاصل " الخالدي " والمثبت عن سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٥٨(٤) بالاصل: مستلقى(٥) هو أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد أبو السعادات العباسي ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٩٨." (٢)

"أبو الحسن أحمد بن محمد بن هارون الأهوازي حدثنا محمد بن مخلد العطار حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن المروذي قال سمعت بشرا يقول طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لوعد غائب لم يره قال حدثنا محمد بن مخلد حدثنا عمر بن موسى بن فيروز أبو حفص قال سمعت بشرا (١) يقول لو لم يكن في القنوع إلا التمتع بالعز كفى صاحبه أخبرنا أبو الحسن الدينوري حدثنا أبو الحسن القزويني قال قرأت على يوسف بن عمر قلت حدثكم حمزة بن الحسين قال قال محمد بن يوسف قال بشر رحمه الله ينبغي للإنسان أن ينظر إلى مسكنه أين يسكن وفي مطعمه من أين هو ثم ينظر في لسانه ثم ينظر بعده قال وقال محمد بن يوسف قال بشر كلما اشتهى رجل لقاء رجل ذهب إليه هذه فتنة ولذة يتلذذون بلقاء بعضهم بعضا ينبغي للإنسان أن يقبل على نفسه وعلى القرآن وقال بشر إذا عرفت في موضع فاهرب منه وإذا رأيت الرجل إذا اجتمعوا إليه في موضع لزمه واشتهر ذاك فهو **يحب الشهرة** أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الحسن علي بن أحمد قالا أنا وأبو منصور بن زريق أنا أبو بكر الخطيب أنا أبو الحسن أحمد (٢) بن محمد بن موسى بن هارون بن الصلت الأهوازي حدثنا محمد العطار حدثنا موسى بن هارون الطوسي حدثنا محمد هو ابن نعيم بن الهيضم قال دخلت على بشر

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١٧/٦

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١٨/٦

في علته فقلت عظني فقال إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء فلما كان يوم أخذت حبة في فمها فجاء عصفور فأخذها والحبة فلاما جمعت أكلت ولا ما أملت نالت قلت له زدني قال ما تقول في من القبر مسكنه والصراط جوازه والقيامة مسكنه (٣) والله مسائله فلا يعلم إلى جنة يصير فيهنى أو إلى نار فيعزى فواطول____________(١) بالاصل " بشر "(٢) ما بين معكوفتين سقط من الاصل السند واستدرك عن المطبوعة الجزء ١٠ / ٦٥ وانظر تتمة السند والخبر في تاريخ بغداد ٣ / ٣٢١ في ترجمة محمد بن نعيم بن الهيصم(٣) في تاريخ بغداد: موقفه." (١)

"داود السجستاني كم واسع وكم ضيق فقيل له يرحمك الله ما هذا قال الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه (١)أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر وأبو المعالي محمد بن إسماعيل الفارسي قالا أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب زاد الفارسي الفقيه بالطابران (٢) وقالا قال نا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بواسط قال سمعت أبي يقول سمعت أبا داود السجستاني يقول من اقتصر على لباس دون ومطعم دون أراح جسده أخبرنا أبو الحسن العطار نا وأبو النجم البزار أنا أبو بكر الخطيب (٣) أنا أحمد بن بن محمد العتيقي قال سمعت عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري يقول سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول سمعت أبي يقول الشهوة الخفية **حب الرياسة** أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن داود الفقيه وأبو غالب محمد بن الحسن بن علي قالا أنا علي بن أحمد بن علي التستري أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث قال شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت أترجة على بعير بقطعتين قطعت وصيرت علي مثل عدلين (٤)قرأت على أبي محمد السلمي عن أبي محمد التميمي أنا مكي بن محمد أنا أبو سليمان الربعي قال وفيها يعني سنة ثلاث وسبعين ومائتين مات أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني هذا وهم والصواب ما أخبرنا أبو الحسن بن سعيد نا وأبو النجم أنا أبو بكر الخطيب (٥) أخبرني الأزهري أنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي قال وأنا أبو محمد الجوهري أنا محمد بن العباس الخزاز (٦) قالا أنا أبو الحسين بن المنادي____________(١) الخبر في تاريخ بغداد ٩ / ٥٨(٢) الطابران احدى ميدنتي طوس(٣) تاريخ بغداد ٩ / ٥٨(٤) نقله في سير الاعلام ١٣ / ٢٢٠(٥) تاريخ بغداد ٩ / ٥٨ - ٥٩(٦) بالاصل: الخراز وفي م: الحزاز والمثبت عن تاريخ بغداد وانظر ترجمته في سير الاعلام ١٦ / ٤٠٩." (٢)

"القاضي فقال (١) جيئوا بحداد فقال أعز الله القاضي (١) ليفك أو ليزيدني قال بل ليفك عنك قال فجئ بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ ويطيل أمره قليلا ففعل فلطمه الجاحظ فقال اعمل عمل شهر في يوم وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة فإن الضرر على ساقي وليس بجذع ولا ساجة ولا ساجة فضحك ابن أبي دواد وأهل المجلس منه وقال ابن أبي دواد لمحمد بن منصور أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه قال (٢) وأخبرني الصيمري أنبأ المرزباني نا أبو بكر الجرجاني نا المبرد قال حدثني الجاحظ قال وقفت أنا وأبو حرب على قاص (٣) فأردت الولوع به فقلت لمن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠٦/١٠

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠٠/٢٢

حوله إنه رجل صالح لا **يحب الشهرة** فتفرقوا عنه فتفرقوا فقال لي الله حسيبك إذا لم ير الصياد طيرا كيف يمد شبكته أخبرنا خالي أبو المعالي محمد بن يحيى بن علي القاضي أنا سهل بن بشر الإسفرايني أنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن أحمد بن السري النيسابوري بمصر أنا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري نا يموت بن المزرع قال سمعت خالي عمرو بن بحر الجاحظ يقول أمليت (٤) على إنسان مرة أنا عمر فاستملى أنا بشر وكتب أنا زيد أخبرنا أبو الحسن بن قبيس حدثنا وأبو منصور بن زريق أنبأ أبو بكر بن الخطيب (٦) أنا الحسن بن الحسين بن العباس النعالي أنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني أنا يحيى بن علي حدثني أبي قال قلت للجاحظ إني قرأت في فصل من كتابك المسمى كتاب البيان والتبيين (٧) إن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام____________(١) ما بين الرقمين استدرك على هامش (ز)(٢) تاريخ بغداد ١٢ / ٢١٧(٣) الأصل وم: قاض والمثبت عن (ز) وتاريخ بغداد(٤) استدركت (أمليت) على هامش (ز)(٥) كتب بعدها في م: إلى هنا انتهى هذا الجزء المبارك بحمد الله وعونه وصلى الله عليه وسيدنا محمد وآله وسلميتلوه إن شاء الله تعالى: أخبرنا أبو الحسن بن قبيس وأبو منصور بن زريق أنا أبو بكر الخطيب أنا الحسن بن الحسين بن العباس النعالي أنا أبو الفرج إلى آخره(٦) تاريخ بغداد ١٢ / ٢١٤(٧) كتب بعدها في (ز) : تم هذا الجزء الثالث عشر من تاريخ ابن عساكر بقلم الفقير محمد أحمد فتح الله على التمام والكمال والحمد لله بتاريخ اليوم الثاني من شهر الله المحرم سنة ١٣٣٨." (١)

"رأي ينتجته قدره «١» .قال الحكيم: إذا استبد الملك برأيه عميت عليه المراشد.قال الحكيم: الحازم فيما أشكل عليه، من الرأي مثل الذي أضل جوهرة فجمع ما حول مسقطها من التراب فنخله حتى وجدها. كذلك الحازم يجمع أصناف الرأي في الأمر المشكل ثم يخلصه ويسقط بعضه حتى يحصل منه الرأي الخالص.وذلك في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله[آل عمران ١٥٩] .قال أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتاب «الفرائد والقلائد «٢» » في الاستعانة على حسن السياسة: آفة الملوك سوء السيرة. وآفة الوزراء خبث السريرة. وآفة الجند مخالفة القادة. وآفة الرعية مخالفة الطاعة. وآفة الزعماء ضعف السياسة. وآفة العلماء **حب الرياسة**. وآفة القضاة شدة الطمع. وآفة العدول قلة الورع. وآفة العدل ميل الولاة. وآفة الملك تضادد «٣» الحماة. وآفة الحرب إضاعة الحزم. وآفة القوي استضعاف الخصم.وقال: الحزم الأسد «٤» الآراء، والغفلة أضر الأعداء. ومن قعد عن حيلته أقامته الشدائد، ومن نام عن عدوه أنبهته «٥» المكائد. ومن سالم الناس." (٢)

"وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المفتي يسأل عن آية أو حديث فلا يدري وهذا عين فأين الأنفة من التقصير ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها فقيل له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذي يظهر لي فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لا يلزمني ذكر ذلك وقد صدق في أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل بل في باب

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٥/٤٣٨

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٦٧

النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمهولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق وقد قال الشافعي رحمه الله ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني ولا قبلها إلا هبته وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من **حب الرياسة** فإذا رأى أحدهم في كلامه ضعفا يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فإن رأى خصمه استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم تكلمت مع فلان فما قال شيئا ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئا وينسون أن الحديث هو الأصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى.فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبري ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضا يقول أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من يحدث حديثا إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.." (١)

"الشافعي أن مقصود النفس أما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل والصوفية قد تعجلوا الولايات فإنهم يرون بعين الزهد واستجلاب الدنيا فإنها اليهم سريعة.أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيري ثنا أبو حفص بن شاهين قال ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا إن علومنا بلا واسطة وإنما رأوا بعد الطريق في طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد.والثاني أنه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس في ذلك لذة وكشف هذا التلبيس أنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة فإن الإمارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك في جوار الورد فينبغي أن تطلب الفضائل ويتقي ما في ضمنها من الآفات فأما ما في الطبع من **حب الرياسة** فإنه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعلم يتقوم قصد العلم كما قال يزيد بن هرون طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله ومعناه أنه دلنا على الإخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما في طبعه لم يمكنه والثالث أنه أوهم قوما منهم أن المقصود العمل وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ثم أن العالم وأن قصر سير عمله فإنه على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق والرابع أنه أرى خلقا كثيرا منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى أن أحدهم يتخايل له

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/١٠٨

وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي وكان الشبلي يقول:إذا طالبوني بعلم الورق ... برزت عليهم بعلم الخرقوقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا به عبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن علي الطناجيري نا أبو حفص بن شاهين ثنا علي بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكري ثني دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعاني قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن علي قال سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن الحسن بن علي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه".." (١)

"أجد لأول سوط ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفي ولكنني وطنت نفسي على الصبر فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل فقال **أحب الرياسة** فقال المتوكل نحن خليديه وقال الفتح أنا خليدي وقال رجل لخالد يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم وقال داود بن علي لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالسا غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون ضرب فلان وفعل بفلان كذا فقال لهم لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم.قال المصنف رحمه الله: فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم.فصل: ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموما سابق الإمام ومنهم من لا يحضر في أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب ومنهم من يتعبد ويبكي وهو مصر على الفواحش لا يتركها فإن قيل له قال سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر ما يصلح ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أفحش الفواحش.فصل: وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظنا منهم أن المقصود إنما هو العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة في الحجة عليه وأني لأعرف خلقا يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة في الربا والغش في البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلابس من الذنوب وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم وأقام قوما منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به.فصل: وقد لبس إبليس على أصحاب الأمول من أربعة أوجه أحدها من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا في أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم." (٢)

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٢٨٤

(٢) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٣٤٨

"ومن الطبقة الخامسة من أهل المدينة١٨٦- جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام.يكنى أبا عبد الله أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق كان مشغولا بالعبادة عن **حب الرياسة**.وعن عمرو بن أبي المقدام قال كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين.وعن مالك بن انس قال قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فاكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال في كتابه ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] وإذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين﴾ [نوح: ١٠-١٢] يعني في الدنيا ﴿ويجعل لكم جنات﴾ [نوح: ١٢] في الآخرة يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فاكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.____________١٨٦- هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المعروف بالصادق صدوق فقيه إمام من السادسة.." (١)

"وجعلت اتتبع اسم الله تعالى واطيبه ثم رجعت إلى منزلي فنمت فاتاني آت في منامي فقال يا بشر كما طيبت اسمي لاطيبن اسمك وكما طهرته لاطهرن قلبك.وعن محمد بن بشار قال سمعت بشر بن الحارث يقول أنا لله عشت إلى زمان ان لم اعمل فيه بالجفاء لم يسلم ديني.وعن الحسين بن محمد البغدادي قال سمعت أبي يقول زرت بشر بن الحارث فقعدت معه مليا فما زادني على كلمة قال ما اتقى الله من **أحب الشهرة**.وعن أحمد بن نصر قال كنا قعودا قدام بشر بن الحارث نفسين قال فجاء الثالث فقام فدخل.وعن أحمد بن الفتح قال سمعت بشرا يقول بعث إلى عاصم بن علي بأبي زكريا الصفار فقال يا أبا نصر ان أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول قد اشتد شوقي إليك حتى لقد كدت ان اتيك من غر إذن فعلمت كراهيتك لمجيء الرجال فان رأيت ان تاذن لي فاتيك لاسلم عليك فلعل الله ان ينفعني برؤيتك.قال فقلت له قد فهمت رسالة الشيخ فابلغه السلام وقل له لا تأتني فان في مجيئك الي شهرة علي وعليك.وعن أبي حفص عمر بن موسى قال سمعت بشر بن الحارث يقول لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة.ما اقبح بمثلي يظن في ظن وأنا على خلافه إنما ينبغي لي ان اكون اكثر ما يظن بي اني اكره الموت وما يركه الموت إلا مريب ولولا اني مريب لاي شيء اكره الموت.وقال أحمد بن الصلت سمعت بشر بن الحارث يقول غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه واخاء مكانه عنهم.أبو بكر محمد بن الفياض قال سمعت زريقا الدلال يقول سمعت بشر بن الحارث يقول اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحب فربما سترت على ما تكره قال ثم التفت الي فقال يا أخي بادر بادر فان ساعات الليل والنهار تذهب الاعمار.وعن محمد بن يوسف الجوهري قال سمعت بشر بن الحارث يقول يوم ماتت أخته ان العبد إذا قصر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.وعن محمد بن قدامة قال لقى بشر بن الحارث رجل سكران فجعل يقبله ويقول." (٢)

"ألف حديث وانتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، يعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة ألف وثمان مائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، إحداها: قوله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٣٩١/١

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ٤٧٣/١

"الأعمال بالنيات" ١.والثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه" ٢.والثالث: قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه" ٣.والرابع: قوله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات ... " ٤ الحديث.عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقري قال: أخبرني محمد بن بكر بن عبد الرزاق في كتابه قال: كان لأبي داود السجستاني كم واسع وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله ما هذا؟ قال: الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه.عن إبراهيم عن علقمة قال: كان عبد الله يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله، وكان علقمة يشبه بعبد الله.وقال جرير بن عبد الحميد: كان إبراهيم يشبه بعلقمة وكان منصور يشبه بإبراهيم.وقال غير جرير: كان سفيان يشبه بمنصور.وقال عمر بن أحمد: قال أبو علي القوهستاني: كان وكيع يشبه بسفيان. وكان أحمد بن حنبل يشبه بوكيع، وكان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل -رضي الله عنهم.أبو بكر بن أبي داود قال: سمعت أبي يقول: الشهوة الخفية **حب الرياسة**.كتب أبو داود عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والبصريين والجزريين وغيرهم،__________١ صحيح: أخرجه البخاري في بدء الوحي باب "١" الحديث "١" ومسلم في كتاب الإمارة الحديث "١٥٥" وأبو داود في الطلاق باب "١١".٢ حسن: أخرجه الترمذي في كتاب الزهد حديث "٢٣١٧" باب "١١" وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه، وابن ماجة في كتاب الفتن باب "١٢" من حديث أبي هريرة، وأحمد في المسند الحديث "١٧٣٢".٣ صحيح: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان الحديث "١٣" ومسلم في كتاب الإيمان الحديث "٧١، ٧٢".٤ صحيح: أخرجه البخاري في الإيمان الحديث "٥٢" باب "٣٩" فضل من استبرأ لدينه، ومسلم في كتاب المساقاة الحديث "١٠٧، ١٠٨".." (١)

"ومن الطبقة الثامنة:٧٦٣ - القاسم بن عثمان الجوعيأحمد بن أبي الحواري قال: سمعت القاسم الجوعي الكبير يقول: شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ففقدوا لذاذة الطعام والشهوات ولذات الدنيا لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة فقطعتهم عن كل لذة، وإنما سميت قاسما الجوعي لأن الله تعالى قواني على الجوع، فلو تركت ما تركت ولم أوت بالطعام لم أبال رضت نفسي حتى لو تركت شهرا وما زاد لم تأكل ولم تشرب، لم تبال، أنا عنها راض أسوقها حيث شئت، اللهم أنت فعلت بي ذلك فأتمه علي.أحمد بن عبد الله الحافظ قال: كان القاسم يقول: **حب الرياسة** أصل كل موبقة، وقليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة، ورأس الأعمال الرضا عن الله عز وجل والورع عماد الدين، والجوع مخ العبادة، والحصن الحصين ضبط اللسان.سعيد بن عبد العزيز الحلبي قال: سمعت قاسما الجوعي يقول: أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر.عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي قال: دخلت دمشق على كتبة الحديث فمررت بحلقة قاسم الجوعي فرأيت نفرا جلوسا حوله وهو يتكلم عليهم، فهالني منظرهم، فتقدمت إليه فسمعته يقول: اغتنموا من زمانكم خمسا: إن حضرتم لم تعرفوا، وإن غبتم لم تفتقدوا، وإن شهدتم لن تشاوروا وإن قلتم شيئا لم يقبل قولكم، وإن عملتم شيئا لم تعطوا به. أوصيكم بخمس أيضا، إن ظلمتم لم تظلموا، وإن مدحتم لم تفرحوا، وإن ندمتم لم تجزعوا، وإن كذبتم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا. قال: فجعلت هذا فائدتي في دمشق.أسند قاسم عن سفيان بن عيينة

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/٢٧٦

وغيره.ــــــــــــــــ٧٦٣ - هو: الجوعي، الإمام، القدوة الولي المحدث، أبو عبد الملك القاسم بن عثمان العبدي الدمشقي، شيخ الصوفية انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/٧٩.." (١)

"بمعجزة واحدة وهي القرآن والدلالة على كونها معجزة فطلب هذه المعجزات طلب لما لا حاجة إليه ولا ضرورة فكأن طلبها يجري مجرى التعنت والتحكم وأنا عبد مأمور ليس لي أن أتحكم على الله فسقط هذا السؤال فثبت أن قوله: قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا جواب كاف في هذا الباب، وحاصل الكلام أنه سبحانه بين بقوله: سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا كونهم على الضلال في الإلهيات، وفي النبوات. أما في الإلهيات فيدل على ضلالهم قوله سبحان ربي أي سبحانه عن أن يكون له إتيان ومجيء وذهاب وأما في النبوات فيدل على ضلالهم قوله: هل كنت إلا بشرا رسولا وتقريره ما ذكرناه.[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٩٤ الى ٩٦]وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا (٩٤) قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٩٥) قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا (٩٦)اعلم أنه تعالى لما حكى شبهة القوم في اقتراح المعجزات الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة أخرى وهي أن القوم استبعدوا أن يبعث الله إلى الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا أن الله تعالى لو أرسل رسولا إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه. الأول: قوله:وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى وتقرير هذا الجواب أن بتقدير أن يبعث الله ملكا رسولا إلى الخلق فالخلق إنما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لأجل قيام المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم إلى معرفة ذلك الملك في ادعاء رسالة الله تعالى فالمراد من قوله تعالى: إذ جاءهم الهدى هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد الملك أو على يد البشر وجب الإقرار برسالته فثبت أن يكون قولهم بأن الرسول لا بد وأن يكون/ من الملائكة تحكما فاسدا وتعنتا باطلا. الوجه الثاني: من الأجوبة التي ذكرها الله في هذه الآية عن هذه الشبهة هو أن أهل الأرض لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لأن الجنس إلى الجنس أميل أما لو كان أهل الأرض من البشر لوجب أن يكون رسولهم من البشر وهو المراد من قوله: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا. الوجه الثالث: من الأجوبة المذكورة في هذه الآية قوله: قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وتقريره أن الله تعالى لما أظهر المعجزة على وفق دعواي كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقا ومن شهد الله على صدقه فهو صادق فبعد ذلك قول القائل بأن الرسول يجب أن يكون ملكا لا إنسانا تحكم فاسد لا يلتفت إليه ولما ذكر الله تعالى هذه الأجوبة الثلاثة أردفها بما يجري مجرى التهديد والوعيد فقال: إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعني يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا يذكرون هذه الشبهات إلا لمحض الحسد **وحب الرياسة** والاستنكاف من الانقياد للحق.[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٩٧ الى ٩٨]ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/٣٨٩

عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (٩٧) ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا (٩٨)." (١)

"وبراءتهم عن الصفات القادحة في التبليغ، أما قوله تعالى: ثم صدقناهم الوعد فقال صاحب «الكشاف» هو مثل قوله: واختار موسى قومه سبعين رجلا [الأعراف: ١٥٥] والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم المقال: ومن نشاء هم المؤمنون، قال المفسرون: المراد منه/ أنه تقدم وعده جل جلاله بأنه إنما يهلك بعذاب الاستئصال من كذب الرسل دون نفس الرسل ودون من صدق بهم، وجعل الوفاء بما وعد صدقا من حيث يكشف عن الصدق ومعنى: وأهلكنا المسرفين أي بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لأنه إخبار عما مضى وتقدم، ثم بين تعالى بقوله: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم عظيم نعمته عليهم بالقرآن في الدين والدنيا، فلذلك قال فيه: ذكركم وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: ذكركم شرفكم وصيتكم، كما قال: وإنه لذكر لك ولقومك [الزخرف: ٤٤] . وثانيها: المراد فيه تذكرة لكم لتحذروا ما لا يحل وترغبوا فيما يجب، ويكون المراد بالذكر الوعد والوعيد، كما قال: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين [الذاريات: ٥٥] . وثالثها:المراد ذكر دينكم ما يلزم وما لا يلزم لتفوزوا بالجنة إذا تمسكتم به وكل ذلك محتمل، وقوله: أفلا تعقلون كالبعث على التدبر في القرآن لأنهم كانوا غفلاء لأن الخوض من لوازم الغفلة والتدبر دافع لذلك الخوض ودفع الضرر عن النفس من لوازم الفعل فمن لم يتدبر فكأنه خرج عن العقل.[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١١ الى ١٥]وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (١٤) فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم تلك الاعتراضات وكانت تلك الاعتراضات ظاهرة السقوط لأن شرائط الإعجاز لما تمت في القرآن ظهر حينئذ لكل عاقل كونه معجزا، وعند ذلك ظهر أن اشتغالهم بإيراد تلك الاعتراضات كان لأجل حب الدنيا **وحب الرياسة** فيها فبالغ سبحانه في زجرهم عن ذلك فقال: وكم قصمنا من قرية قال صاحب «الكشاف» القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم وذكر القرية وأنها ظالمة وأراد أهلها توسعا لدلالة العقل على أنها لا تكون ظالمة ولا مكلفة ولدلالة قوله تعالى:وأنشأنا بعدها قوما آخرين فالمعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وقال: فلما أحسوا بأسنا- إلى قوله-: قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين وكل ذلك لا يليق إلا بأهلها الذين كلفوا بتصديق الرسل فكذبوهم ولولا هذه/ الدلائل لما جاز منه سبحانه ذكر المجاز لأنه يكون ذلك موهما للكذب، واختلفوا في هذا الإهلاك فقال ابن عباس: المراد منه القتل بالسيوف والمراد بالقرية حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب إليهما الثياب.وفي الحديث: «كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين»وروي: «حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم»وروي: «أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١/٤١٠

الأنبياء»فندموا واعترفوا بالخطأ، وقال الحسن: المراد عذاب الاستئصال، واعلم أن هذا أقرب لأن إضافة ذلك إلى الله تعالى أقرب من إضافته إلى القاتل، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما." (١)

"الشبهة الأولى: قولهم: ما هذا إلا بشر مثلكم وهذه الشبهة تحتمل وجهين: أحدهما: أن يقال إنه لما كان مساويا لسائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض امتنع كونه رسولا لله، لأن الرسول لا بد وأن يكون عظيما عند الله تعالى وحبيبا له، والحبيب لا بد وأن يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والمعزة، فلما فقدت هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة والثاني: أن يقال هذا الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور، ولكنه **أحب الرياسة** والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلا إلا بادعاء النبوة، فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته، فهذا الاحتمال متأكد بقوله تعالى خبرا عنهم يريد أن يتفضل عليكم أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى: وتكون لكما الكبرياء في الأرض [يونس: ٧٨] .الشبهة الثانية: قولهم: ولو شاء الله لأنزل ملائكة وشرحه أن الله تعالى لو شاء إرشاد البشر لوجب أن يسلك الطريق الذي يكون أشد إفضاء إلى المقصود، ومعلوم أن بعثة الملائكة أشد/ إفضاء إلى هذا المقصود من بعثة البشر، لأن الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم، فالخلق ينقادون إليهم، ولا يشكون في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا البتة.الشبهة الثالثة: قولهم: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقوله بهذا إشارة إلى نوح عليه السلام، أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى، أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام، أو بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر أنه رسول الله، وشرح هذا الشبهة أنهم كانوا أقواما لا يعولون في شيء من مذاهبهم إلا على التقليد والرجوع إلى قول الآباء، فلما لم يجدوا في نبوة نوح عليه السلام هذه الطريقة حكموا بفسادها. قال القاضي: يحتمل أن يريدوا بذلك كونه رسولا مبعوثا، لأنه لا يمتنع فيما تقدم من زمان آبائهم أنه كان زمان فترة، ويحتمل أن يريدوا بذلك دعاءهم إلى عبادة الله تعالى وحده، لأن آباءهم كانوا على عبادة الأوثان.الشبهة الرابعة: قولهم: إن هو إلا رجل به جنة والجنة: الجنون أو الجن، فإن جهال العوام يقولون في المجنون زال عقله بعمل الجن، وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يفعل أفعالا على خلاف عاداتهم، فأولئك الرؤساء كانوا يقولون للعوام إنه مجنون، ومن كان مجنونا فكيف يجوز أن يكون رسولا.الشبهة الخامسة: قولهم: فتربصوا به حتى حين وهذا يحتمل أن يكون متعلقا بما قبله أي أنه مجنون فاصبروا إلى زمان حتى يظهر عاقبة أمره فإن أفاق وإلا قتلتموه ويحتمل أن يكون كلاما مستأنفا وهو أن يقولوا لقومهم اصبروا فإنه إن كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي أمره فنحن حينئذ نتبعه وإن كان كاذبا فالله يخذله ويبطل أمره، فحينئذ نستريح منه، فهذه مجموع الشبه التي حكاها الله تعالى عنهم، واعلم أنه سبحانه ما ذكر الجواب عنها لركاكتها ووضوح فسادها، وذلك لأن كل عاقل يعلم أن الرسول لا يصير رسولا إلا لأنه من جنس الملك وإنما يصير كذلك بأن يتميز من غيره بالمعجزات فسواء كان من جنس الملك أو من جنس البشر فعند ظهور المعجز عليه يجب أن يكون رسولا، بل جعل الرسول من جملة البشر أولى لما مر بيانه في السور المتقدمة وهو أن الجنسية مظنة الألفة والمؤانسة، وأما قولهم يريد أن يتفضل عليكم فإن أرادوا به إرادته لإظهار فضله حتى

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٣/٢٢

يلزمهم الانقياد لطاعته فهذا واجب على الرسول، وإن أرادوا به أن يرتفع عليهم على سبيل التجبر والتكبر والانقياد فالأنبياء منزهون عن ذلك، وأما قولهم ما سمعنا بهذا فهو استدلال بعدم التقليد على عدم وجود الشيء." (١)

"هواه إلهه وهذا ضعيف، لأن قوله: اتخذ إلهه هواه يفيد الحصر، أي لم يتخذ لنفسه إلها إلا هواه، وهذا المعنى لا يحصل عند القلب. قال ابن عباس: الهوى إله يعبد، وقال سعيد بن جبير: كان الرجل من المشركين يعبد الصنم فإذا رأى أحسن منه رماه واتخذ الآخر وعبده.الثالث: قوله: أفأنت تكون عليه وكيلا أي حافظا تحفظه من اتباع هواه أي لست كذلك.الرابع: نظير هذه الآية قوله تعالى: لست عليهم بمصيطر [الغاشية: ٢٢] وقوله: وما أنت عليهم بجبار [ق: ٤٥] وقوله: لا إكراه في الدين [البقرة: ٢٥٦] قال الكلبي: نسختها آية القتال وثالثها: قوله:أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أم هاهنا منقطعة، معناه بل تحسب، وذلك يدل على أن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها، وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول، لأنهم لشدة عنادهم لا يصغون إلى الكلام، وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه، فكأنه ليس لهم عقل ولا سمع البتة، فعند ذلك شبههم بالأنعام في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكر وإقبالهم على اللذات الحاضرة الحسية وإعراضهم عن طلب السعادات الباقية العقلية وهاهنا سؤالات:السؤال الأول: لم قال: أم تحسب أن أكثرهم فحكم بذلك على الأكثر دون الكل؟ والجواب: لأنه كان فيهم من يعرف الله تعالى ويعقل الحق، إلا أنه ترك الإسلام لمجرد حب الرياسة لا للجهل.السؤال الثاني: لم جعلوا أضل من الأنعام؟ الجواب: من وجوه: أحدها: أن الأنعام تنقاد لأربابها وللذي يعلفها ويتعهدها وتميز بين من يحسن إليها وبين من يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضره، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يميزون بين إحسانه إليهم وبين إساءة الشيطان إليهم الذي هو عدو لهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يحترزون من العقاب الذي هو أعظم المضار وثانيها: أن قلوب الأنعام كما أنها تكون خالية عن العلم فهي/ خالية عن الجهل الذي هو اعتقاد المعتقد على خلاف ما هو عليه مع التصميم.وأما هؤلاء فقلوبهم كما خلت عن العلم فقد اتصفت بالجهل فإنهم لا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون، بل هم مصرون على أنهم يعلمون وثالثها: أن عدم علم الأنعام لا يضر بأحد أما جهل هؤلاء فإنه منشأ للضرر العظيم، لأنهم يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجا ورابعها: أن الأنعام لا تعرف شيئا ولكنهم عاجزون عن الطلب وأما هؤلاء الجهال فإنهم ليسوا عاجزين عن الطلب، والمحروم عن طلب المراتب العالية إذا عجز عنه لا يكون في استحقاق الذم كالقادر عليه التارك له لسوء اختياره وخامسها: أن البهائم لا تستحق عقابا على عدم العلم، أما هؤلاء فإنهم يستحقون عليه أعظم العقاب وسادسها: أن البهائم تسبح الله تعالى على مذهب بعض الناس على ما قال: وإن من شيء إلا يسبح بحمده [الإسراء: ٤٤] وقال: ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات إلى قوله: والدواب [الحج: ١٨] وقال: والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه [النور: ٤١] وإذا كان كذلك فضلال الكفار أشد وأعظم من ضلال هذه الأنعام.السؤال الثالث: أنه سبحانه لما نفى عنهم السمع

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣/٢٧١

والعقل، فكيف ذمهم على الإعراض عن الدين وكيف بعث الرسول إليهم فإن من شرط التكليف العقل؟ الجواب: ليس المراد أنهم لا يعقلون بل إنهم لا ينتفعون بذلك العقل، فهو كقول الرجل لغيره إذا لم يفهم إنما أنت أعمى وأصم.." (١)

"اعلم أنه سبحانه لما تكلم في حال المبدأ تكلم بعده في حال المعاد، وذلك لأن الشك في المعاد لا ينشأ إلا من الشك في كمال القدرة، أو في كمال العلم فإذا ثبت كونه تعالى قادرا على كل الممكنات، وعالما بكل المعلومات، ثبت أنه تعالى يمكنه تمييز أجزاء بدن كل واحد من المكلفين عن أجزاء بدن غيره، وثبت أنه قادر على أن يعيد التركيب والحياة إليها وإذا ثبت إمكان ذلك ثبت صحة القول بالحشر فلما بين الله تعالى هذين الأصلين فيما قبل هذه الآية، لا جرم لم يحكه في هذه الآية، فحكى عنهم أنهم تعجبوا من إخراجهم أحياء وقد صاروا ترابا وطعنوا فيه من وجهين: الأول: قولهم: لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا أي هذا كلام كما قيل لنا فقد قيل لمن/ قبلنا، ولم يظهر له أثر فهو إذن من أساطير الأولين يريدون ما لا يصح من الأخبار، فإن قيل ذكر هاهنا لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا وفي آية أخرى: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا [المؤمنون: ٨٣] فما الفرق؟ قلنا التقديم دليل على أن المقدم هو المقصود الأصلي وأن الكلام سيق لأجله، ثم إنه سبحانه لما كان قد بين الدلالة على هذين الأصلين، ومن الظاهر أن كل من أحاط بهما فقد عرف صحة الحشر والنشر ثبت أنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوها، وكان سبب ذلك الإعراض حب الدنيا **وحب الرياسة** والجاه وعدم الانقياد للغير، لا جرم اقتصر على بيان أن الدنيا فانية زائلة فقال: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين وفيه سؤالان:السؤال الأول: لم لم يقل: كيف كانت عاقبة المجرمين؟ جوابه: لأن تأنيثها غير حقيقي ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم.السؤال الثاني: لم لم يقل عاقبة الكافرين؟ جوابه: الغرض أن يحصل التخويف لكل العصاة ثم إنه تعالى صبر رسوله على ما يناله من هؤلاء الكفار فقال: ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون فجمع بين إزالة الغم عنه بكفرهم وبين إزالة الخوف من جانبهم، وصار ذلك كالتكفل بنصرته عليهم وقوله: ولا تكن في ضيق أي في حرج قلب يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر والضيق تخفيف الضيق، ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم الوجه الثاني: للكفار قولهم: متى هذا الوعد وقوله: إن كنتم صادقين دل على أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية فأجاب الله تعالى بقوله: عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر، فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم [البقرة: ١٩٥] أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم، ومعناه تبعكم ولحقكم، وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان، والكسر أفصح، وهاهنا بحثان:البحث الأول: أن عسى ولعل في وعد الملوك ووعيدهم يدلان على صدق الأمر، وإنما يعنون بذلك." (٢)

"للاستفهام واقعة في وسط الكلام والهمزة أخذت مكانها وهو الصدر، وأم دخلت على القلوب التي في وسط الكلام.المسألة الثانية: قوله على قلوب على التنكير ما الفائدة فيه؟ نقول قال الزمخشري يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون للتنبيه على كونه موصوفا لأن النكرة بالوصف أولى من المعرفة فكأنه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة الثاني: أن يكون للتبعيض كأنه قال أم على بعض القلوب لأن النكرة لا تعم، تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني الرجال فيفهم الكل،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٣/٢٤

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٦٩/٢٤

ونحن نقول التنكير للقلوب للتنبيه على الإنكار الذي في القلوب، وذلك لأن القلب إذا كان عارفا كان/ معروفا لأن القلب خلق للمعرفة، فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف، وهذا كما يقول القائل في الإنسان المؤذي: هذا ليس بإنسان هذا سبع، ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر.إذا علم هذا فالتعريف إما بالألف واللام وإما بالإضافة، واللام لتعريف الجنس أو للعهد، ولم يمكن إرادة الجنس إذ ليس على قلب قفل، ولا تعريف العهد لأن ذلك القلب ليس ينبغي أن يقال له قلب، وإما بالإضافة بأن نقول على قلوب أقفالها وهي لعدم عود فائدة إليهم، كأنها ليست لهم. فإن قيل فقد قال: ختم الله على قلوبهم [البقرة: ٧] وقال: فويل للقاسية قلوبهم [الزمر: ٢٢] فنقول الأقفال أبلغ من الختم فترك الإضافة لعدم انتفاعهم رأسا.المسألة الثالثة: في قوله أقفالها بالإضافة ولم يقل أقفال كما قال: قلوب لأن الأقفال كانت من شأنها فأضافها إليها كأنها ليست إلا لها، وفي الجملة لم يضف القلوب إليهم لعدم نفعها إياهم وأضاف الأقفال إليها لكونها مناسبة لها، ونقول أراد به أقفالا مخصوصة هي أقفال الكفر والعناد ثم قال تعالى:[سورة محمد (٤٧) : آية ٢٥]إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم (٢٥)إشارة إلى أهل الكتاب الذين تبين لهم الحق في التوراة بنعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه وارتدوا، أو إلى كل من ظهرت له الدلائل وسمعها ولم يؤمن، وهم جماعة منعهم **حب الرياسة** عن اتباع محمد عليه السلام وكانوا يعلمون أنه الحق الشيطان سول لهم سهل لهم وأملى لهم يعني قالوا نعيش أياما ثم نؤمن به، وقرئ وأملي لهم فإن قيل الإملاء والإمهال وحد الآجال لا يكون إلا من الله، فكيف يصح قراءة من قرأ وأملى لهم فإن المملي حينئذ يكون هو الشيطان نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما: جاز أن يكون المراد وأملى لهم الله فيقف على سول لهم وثانيها: هو أن المسول أيضا ليس هو الشيطان، وإنما أسند إليه من حيث إن الله قدر على يده ولسانه ذلك، فذلك الشيطان يمليهم ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم في آخر الأمر تؤمنون، وقرئ وأملي لهم بفتح الياء وضم الهمزة على البناء للمفعول ثم قال تعالى:[سورة محمد (٤٧) : آية ٢٦]ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم (٢٦)قال بعض المفسرين ذلك إشارة إلى الإملاء، أي ذلك الإملاء بسبب أنهم قالوا للذين كرهوا وهو اختيار الواحدي، وقال بعضهم ذلك إشارة إلى التسويل، ويحتمل أن يقال ذلك الارتداد بسبب أنهم قالوا سنطيعكم وذلك لأنا نبين أن قوله سنطيعكم في بعض الأمر هو أنهم قالوا: نوافقكم على أن محمدا ليس." (١)

"[سورة الذاريات (٥١) : آية ٢١]وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١)إشارة إلى دليل الأنفس، وهو كقوله تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم [فصلت: ٥٣] وإنما اختار من دلائل الآفاق ما في الأرض لظهورها لمن على ظهورها فإن في أطرافها وأكنافها ما لا يمكن عد أصنافها فدليل الأنفس في قوله وفي أنفسكم عام ويحتمل أن يكون مع المؤمنين، وإنما أتى بصيغة الخطاب لأنها أظهر لكون علم الإنسان بما في نفسه أتم وقوله تعالى: وفي أنفسكم يحتمل أن يكون المراد وفيكم، يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات، ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات وقوله أفلا تبصرون بالاستفهام إشارة إلى ظهورها.[سورة الذاريات (٥١) : آية ٢٢]وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢)وقوله تعالى: وفي السماء رزقكم فيه وجوه: أحدها: في السحاب المطر ثانيها: في السماء

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٦/٢٨

رزقكم مكتوب ثالثها: تقدير الأرزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت، وفي الآيات الثلاث ترتيب حسن وذلك لأن الإنسان له أمور يحتاج إليها لا بد من سبقها حتى يوجد هو في نفسه وأمور تقارنه في الوجود وأمور تلحقه وتوجد بعده ليبقى بها، فالأرض هي المكان وإليه يحتاج الإنسان ولا بد من سبقها فقال: وفي الأرض آيات ثم في نفس الإنسان أمور من الأجسام والأعراض فقال: وفي أنفسكم ثم بقاؤه بالرزق فقال: وفي السماء رزقكم ولولا السماء لما كان للناس البقاء.وقوله تعالى: وما توعدون فيه وجوه: أحدها: الجنة الموعود بها لأنها في السماء ثانيها: هو من الإيعاد لأن البناء للمفعول من أوعد يوعد أي وما توعدون إما من الجنة والنار في قوله تعالى: يوم هم على النار [الذاريات: ١٣] وقوله إن المتقين في جنات [الذاريات: ١٥] فيكون إيعادا عاما، وإما من العذاب وحينئذ يكون الخطاب مع الكفار فيكون كأنه تعالى قال: وفي الأرض آيات للموقنين كافية، وأما أنتم أيها الكافرون ففي أنفسكم آيات هي أظهر الآيات وتكفرون بها لحطام الدنيا **وحب الرياسة**، وفي السماء الأرزاق، فلو نظرتم وتأملتم حق التأمل، لما تركتم الحق لأجل الرزق، فإنه واصل بكل طريق ولاجتنبتم الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل. ثم قال تعالى:[سورة الذاريات (٥١) : آية ٢٣]فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣)وفي المقسم عليه وجوه أحدها: ما توعدون أي ما توعدون لحق يؤيده قوله تعالى: إنما توعدون لصادق [الذاريات: ٥] وعلى هذا يعود كل ما قلناه من وجوه ما توعدون إن قلنا إن ذلك هو الجنة فالمقسم عليه هو هي ثانيها: الضمير راجع إلى القرآن أي أن القرآن حق وفيما ذكرناه في قوله تعالى: يؤفك عنه [الذاريات: ٩] دليل هذه وعلى هذا فقوله مثل ما أنكم تنطقون معناه تكلم به الملك النازل من عند الله به مثل ما أنكم تتكلمون وسنذكره ثالثها: أنه راجع إلى الدين كما في قوله تعالى: وإن الدين لواقع [الذاريات: ٦] رابعها: أنه راجع إلى اليوم المذكور في قوله أيان يوم الدين [الذاريات: ١٢] يدل عليه." (١)

"وفيه مسائل:المسألة الأولى: (هذا) إشارة إلى ماذا؟ فنقول: المشهور أنه إشارة إلى القرآن وإطلاق الحديث في القرآن على الكلام القديم كثير بمعنى كونه اسما لا وصفا فإن الحديث اسم لما يتحدث به، ووصف يوصف به ما يتجدد، فيقال: أمر حادث ورسم حديث أي جديد، ويقال: أعجبني حديث فلان وكلامه وقد بينا أن القرآن قديم له لذة الكلام الجديد، والحديث الذي لم يسمع الوجه الثاني: أنه إشارة إلى ما تحدثوا به من قبل في قوله تعالى: وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون [الواقعة: ٤٧، ٤٨] وذلك لأن الكلام مستقل منتظم فإنه تعالى رد عليهم ذلك بقوله تعالى: قل إن الأولين والآخرين [الواقعة:٤٩] وذكر الدليل عليهم بقوله: نحن خلقناكم [الواقعة: ٥٧] وبقوله: أفرأيتم ما تمنون [الواقعة: ٥٨] أفرأيتم ما تحرثون [الواقعة: ٦٣] وأقسم بعد إقامة الدلائل بقوله: فلا أقسم [الواقعة: ٧٥] وبين أن ذلك كله إخبار من الله بقوله: إنه لقرآن [الواقعة: ٧٧] ثم عاد إلى كلامهم، وقال: أفبهذا الحديث الذي تتحدثون به أنتم مدهنون لأصحابكم تعلمون خلافه وتقولونه، أم أنتم به جازمون، وعلى الإصرار عازمون، وسنبين وجهه بتفسير المدهن، وفيه وجهان أحدهما: أن المدهن المراد به المكذب قال الزجاج: معناه أفبالقرآن أنتم تكذبون، والتحقيق فيه أن الإدهان تليين الكلام لاستمالة السامع من غير اعتقاد صحة الكلام من المتكلم كما أن العدو إذا عجز عن عدوه يقول له أنا داع لك

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٢/٢٨

ومثن عليك مداهنة وهو كاذب، فصار استعمال المدهن في المكذب استعمالا ثانيا وهذا إذا قلنا: إن الحديث هو القرآن والوجه الثاني: المدهن هو الذي يلين في الكلام ويوافق باللسان وهو مصر على الخلاف فقال: أنتم مدهنون فمنهم من يقول: إن النبي كاذب، وإن الحشر محال وذلك لما هم عليه من **حب الرياسة**، وتخافون أنكم إن صدقتم ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر يفوت عليكم من كسبكم ما تربحونه بسببهم فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الرسل، والأول عليه أكثر المفسرين، لكن الثاني مطابق لصريح اللفظ فإن الحديث بكلامهم أولى وهو عبارة عن قولهم: أإنا لمبعوثون [الواقعة: ٤٧] والمدهن يبقى على حقيقته فإنهم ما كانوا مدهنين بالقرآن، وقول الزجاج: مكذبون جاء بعده صريحا. وأما قوله: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ففيه وجوه الأول: تجعلون شكر النعم أنكم تقولون مطرنا بنوء كذا، وهذا عليه أكثر المفسرين، الثاني: تجعلون معاشكم وكسبكم تكذيب محمد، يقال: فلان قطع الطريق معاشه، والرزق في الأصل مصدر سمي به ما يرزق، يقال للمأكول رزق، كما يقال للمقدور قدرة، والمخلوق خلق، وعلى هذا/ فالتكذيب مصدر قصد به ما كانوا يحصلون به مقاصدهم، وأما قوله: تكذبون فعلى الأول المراد تكذيبهم بما قال الله تعالى: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها [هود: ٦] وغير ذلك، وعلى الثاني المراد جميع ما صدر منهم من التكذيب، وهو أقرب إلى اللفظ. ثم قال تعالى:[سورة الواقعة (٥٦) : الآيات ٨٣ الى ٨٥]فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥)وفيه مسائل:." (١)

"بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور، إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها[آل عمران: ١١٩، ١٢٠] وكذا قال: ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم [آل عمران: ١١٨] . واعلم أن الحسد ربما أفضى إلى التنازع والتقاتل.السبب الثاني: التعزز، فإن واحدا من أمثاله إذا نال منصبا عاليا ترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك، فيريد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه أن يتكبر، بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد يرضى بمساواته ولكنه لا يرضى بترفعه عليه.السبب الثالث: أن يكون في طبيعته أن يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض، ومن هذا الباب كان حسد أكثر الكفار للرسول عليه الصلاة والسلام إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا؟ فقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [الزخرف: ٣١] وقال تعالى يصف قول قريش: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار بهم والأنفة منهم.السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله عن الأمم الماضية إذ قالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا [إبراهيم: ١٠] ، وقالوا: أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون [المؤمنون: ٤٧] ، ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون [المؤمنون: ٣٤] وقالوا متعجبين: أبعث الله بشرا رسولا [الإسراء: ٩٤] وقالوا: لولا أنزل علينا الملائكة [الفرقان: ٢١] وقال: أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم [الأعراف: ٦٣، ٦٩] .السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الباب تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين للتوصل إلى مقاصد المال والكرامة، وكذلك تحاسد الواعظين

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣٤/٢٩

المتزاحمين على أهل بلدة واحدة، إذ كان غرضهما نيل المال والقبول عندهم.السبب السادس: **حب الرياسة** وطلب الجاه نفسه من غير توسل به إلى مقصوده، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو زهد أو ثروة ويفرح بسبب تفرده.السبب السابع: شح النفس بالخير على عباد الله، فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك، وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته، ويقال: البخيل من بخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث النفس ورذالة جبلته في الطبع، لأن سائر أنواع الحسد يرجى زواله لإزالة سببه، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته. فهذه هي أسباب الحسد، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد ويقوى قوة لا يقوى صاحبها معها." (١)

"وكان فى زمان نظام الملك وملكشاه قد تولى الديوان بآمد، وأساء التدبير فيه لكوهنة تتداخله، فحوقق «١» واعتقل؛ إلى أن شفع فيه طبيب كان حظيا بحضرة ملكشاه، فأطلق سراحه، وانتقل إلى ميافارقين، وقد باضت الرياسة فى رأسه وفرخت. وجرت بميافارقين حركة طلب لأجلها من يتولى من قبل السلطان، فاجتمع أهل المدينة على من يولونه، واجتمع رأيهم على رجل من بيت آل نباتة «٢» الخطباء، ليتولى الإصلاح بين المتخاصمين، فأقام أياما، ثم رأى الأمر لا يستقر على ما هو عليه، فاعتزل الأمر، ولزم منزله، فتهيأ لها ابن أسد الفارقى، ونزل القصر بها، وحكم وما أحكم، وجرت أحوال قضت له بالانفصال على غير جميل، وخاف سطوة السلطان، فخرج عنها إلى حلب، وأقام مدة، ثم حمله **حب الرياسة** والوطن، فعاد طالبا لها. ولما حصل بحران قبض عليه نائب السلطان وشنقه.ومن أعجب ما اتفق أنه قال عند عزمه على المسير من حلب أبياتا كانت طيرة «٣» عليه، وهى:لو أن قلبك لما قيل قد بانوا ... يوم النوى صخرة صماء صوانلعيل صبرك مغلوبا ونم بما ... أخفيته مدمع للسر صوان «٤»زجرت «٥» أشياء فى أشياء تشبهها ... إذ بينهن رضاعات وألبانفقال لى الطلح «٦» يوم طالح ونوى ... وحقق البين عندى ما وأى البان»." (٢)

"ويليه من يرى الناس يتهجدون فيتهجد معهم لئلا ينسب إلى قلة الرغبة في الخير ويراهم يتصدقون فيتصدق لمثل ذلك وكذلك سائر التطوعات يأتي بها ليحمد ويشكر ويولى والله تعالى يعلم منه أنه لو خلا عن الناس لم يفعل شيئا من ذلكويليه من يعمل العمل لله تعالى ولأجل العباد ولولا العباد لما فعلهويليه من يعمل العمل لله تعالى إذا خلا فإذا رآه الناس فعل ذلك لأجلهم ولأجل الثوابويليه من يوهم الناس أنه صائم تطوعا وهو مفطر لكنه يخشى أن ينسب إلى قلة الرغبة في الخير ويكون ممن يظن به الخير فيسقط اعتقاد الظان فيه فيمتنع من الطعام والشراب مع حاجته إليهما وقلة صبره عنهماوفي بعض هذه الرتب نظر٣٦ – فصل فيما يورثه الرياء من الخصال المذمومةيورث الرياء خصالا مذمومة منها **حب الرياسة**

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٤٨/٣

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٣٣١/١

والمباهاة بالعلم والعمل والتفاخر بالدين والدنيا ومحبة العلو والتكاثر بالمال وغيره من أمور الدنيا وبالعلم والعمل والتحاسد عليهما من غير منافسة بل خوفا من." (١)

"أن ينال من يحاسده من المنزلة والحمد لا يناله هو ورد الحق على من أمر به أو ناظر فيه لئلا يقال هو أعلم منه وحب الغلبة في المناظرة وترك تعلم من يحتاج إلى تعليمه**وحب الرياسة** أن يحب التعظيم والإجلال وتسخير العباد والاحتقار بهم وان لا يرد عليه شيء من أقواله وأن لا يساوى في العلم بأمثاله وأن يصر على الخطأ كي لا تنكسر رياسته وإن وعظ عنف وإن وعظ أنفوالمباهاة بالعلم أن يخبر عن نفسه بكثرة الحفظ والمواظبة عليه وكثرة عدد من لقي من المحدثين والمبادرة بالجواب حين يسأل هو أو غيره يريد بذلك كله أن يعلو على غيره وأن يعلمه أنه أعلم منه وإن أخبر بحديث ذكر أنه يعرفه مباهاةوالمباهاة بالعمل أن يحاضر من يعمل عملا من أعمال البر كالصلاة والجهاد وغيرهما فيأتي بمثل ما يأتي به ويزيد عليه لا يريد بذلك إلا تعريفه أنه افضل منه ولو خلا بنفسه لما فعل شيئا من ذلك." (٢)

"وكاشفته فلم أجده كما كان في نفسي فساء به ظني وبطريقه ثم باحثته في العلوم فوجدت عنده منها أطرافا نزرة فقلت له يوما لو صرفت زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة إلى بعض العلوم الشرعية أو العقلية كنت اليوم فريد عصرك مخدوما طول عمركوهذا هو الكيمياء لا ما تطلبهثم اعتبرت بحاله وانزجرت بسوء ماله والسعيد من وعظ بغيرهفأقلعت ولكن لا كل الإقلاعثم إنه توجه إلى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو إليه الدولعي وعاد مريضا وحمل إلى البيمارستان فمات بهوأخذ كتبه المعتمد شحنة دمشق وكان متيما بالصنعةثم إني توجهت إلى زيارة القدس ثم إلى صلاح الدين بظاهر عكة فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل فانبسط إلي وأقبل عليوقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا إليه وخيمته إلى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتابا إلى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودةوقال هذا كتاب إلى بلدكم وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا إلى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائهوسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى ﴿حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها﴾ أين جواب إذاوأين جواب لو في قوله تعالى ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والإملاءوقال لي ترجع إلى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت أريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله بهافلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك وكان شيخا جليل القدر نافذ الأمر فأنزلني دارا قد أزيحت عللها وجاءني بدنانير وغلةثم مضى إلى أرباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانبوكان كل عشرة أيام أو نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل إلى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقيوأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ رحمه الله أقرئ وكان قصدي في مصر ثلاثة أنفس ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وأبو القاسم الشارعي

---

(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ابن عبد السلام ص/٨٠

(٢) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ابن عبد السلام ص/٨١

وكلهم جاؤونيأما ياسين فوجدته محاليا كذابا مشعبذا يشهد للشاقاني بالكيمياء ويشهد له الشاقاني بالكيمياء ويقول عنه أنه يعمل أعمالا يعجز موسى ابن عمران عنهاوأنه يحضر الذهب المضروب متى شاء وبأي مقدار شاء وبأي سكة شاءوأنه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه تحتهاوكان ضعيف الحالوجاءني موسى فوجدته فاضلا في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا وعمل كتابا في الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب أخرى وشرط أن لا يغير فيه حرفا إلا أن يكون واو عطف أو فاء وصل وإنما ينقل فصولا لا يختارهاوعمل كتابا لليهود سماه الدلالة ولعن من يكتبه بغير القلم العبرانيووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن أنه يصلحها." (١)

"حاجة، وما هي قال: حتى تقول قضيتها مع الإمكان، قال: قد قضيتها مع الإمكان، قال: أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبله، قال: فأخرج له لسانه فقبله.[وكان لأبي داود كم واسع وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله ما هذا فقال: الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه. وكان يقول: الشهوة الخفية حب الرياسة. وكان في أيام حداثته وطلب الحديث جلس في مجلس بعض الرواة يكتب، فدنا رجل إلى محبرته وقال له: أستمد من هذه المحبرة فالتفت إليه وقال: أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان فسمي ذلك اليوم حكيما] (١) .وكانت ولادته في سنة اثنتين ومائتين، وقدم بغداد مرارا ثم نزل إلى البصرة وسكنها، وتوفي بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومائتين، رحمه الله تعالى.(٤٨) وكان ولده أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان (٢) من أكابر الحفاظ ببغداد، عالما متفقا عليه، إمام ابن إمام، وله كتاب " المصابيح " وشارك أباه في شيوخه بمصر والشام، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وسجستان وشيراز. وتوفي في سنة ست عشرة وثلثمائة، واحتج به ممن صنف الصحيح أبو علي الحافظ النيسابوري وابن حمزة الأصبهاني.والسجستاني: بكسر السين المهملة والجيم وسكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى سجستان، الإقليم المشهور، وقيل بل نسبته إلى سجستان أو سجستانة، قرية من قرى البصرة، والله أعلم بذلك.______________(١) زيادة بعضها عن ص وجميعها عن د.(٢) ترجمة عبد الله بن أبي داود في تاريخ بغداد ٩: ٤٦٤ وميزان الاعتدال ٢: ٤٣٣ ويروون أن أباه قال فيه: " بني عبد الله كذاب "؛ قال ابن عدي: " وأما كلام أبيه فيه فما أدري أيش تبين له منه. والأكثرون مجمعون على توثيقه ". قال صالح بن أحمد الحافظ: أبو بكر ابن أبي داود إمام العراق، كان في وقته ببغداد مشايخ أسند منه ولم يبلغوا في الآلة والاتقان ما بلغ.." (٢)

"[سورة المائدة (٥) : آية ٥٧]يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧)يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما. وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا إيماء إلى العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء، وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم أبو عمرو

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٦٨٧

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٤٠٥

والكسائي ويعقوب، والكفار وإن عم أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم، ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين. واتقوا الله بترك المناهي. إن كنتم مؤمنين لأن الإيمان حقا يقتضي ذلك. وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده.[سورة المائدة (٥) : آية ٥٨]وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا أي اتخذوا الصلاة، أو المنادة وفيه دليل على أن الأذان مشروع للصلاة.روي: أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله، قال:أحرق الله الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها في البيت فأحرقه وأهله.ذلك بأنهم قوم لا يعقلون فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزء به، والعقل يمنع منه.[سورة المائدة (٥) : آية ٥٩]قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩)قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون، يقال نقم منه كذا إذا أنكره وانتقم إذا كافأه. وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة. إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل الإيمان بالكتب المنزلة كلها. وأن أكثركم فاسقون عطف على أن آمنا وكأن المستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة أي: ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه، أو كان الأصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف، أو على ما أي: وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون، أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا إلا أن آمنا لقلة إنصافكم وفسقكم، أو نصب بإضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أي: ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون، أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أي:وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن **حب الرياسة** والمال يمنعكم عن الإنصاف. والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال: أؤمن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله: ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى: لا نعلم دينا شرا من دينكم.[سورة المائدة (٥) : آية ٦٠]قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠)قل هل أنبئكم بشر من ذلك أي من ذلك المنقوم. مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله سبحانه وتعالى، والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله:تحية بينهم ضرب وجيع." (١)

"تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم، وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو أنه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه، وأشياء اسم جمع كطرفاء غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء. وقيل أفعلاء حذفت لامه جمع لشيء على أن أصله شيئ كهين، أو شيء كصديق فخفف. وقيل أفعال جمع له من غير تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه. عفا الله عنها صفة أخرى أي عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها. إذروي أنه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك: أكل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال: «لا ولو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم» فنزلتأو استئناف أي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا لمثلها. والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم، ويعفوعن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٣٣/٢

ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال: لا أسأل عن شيء إلا أجبت، فقال رجل: أين أبي فقال في النار، وقال آخر من أبي فقال: حذافة وكان يدعى لغيره) فنزلت.قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو لأشياء بحذف الجار.من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم، فإن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها. ثم أصبحوا بها كافرين أي بسببها حيث لم يأمروا بما سألوا جحودا.[سورة المائدة (٥) : آية ١٠٣]ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣)ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وإنكار لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها، فلا تركب ولا تحلب، وكان الرجل منهم يقول: إن شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا: قد حمي ظهره، ومعنى ما جعل ما شرع ووضع، ولذلك تعدى إلى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة. ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى. وأكثرهم لا يعقلون أي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم، أو الآمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم **حب الرياسة** وتقليد الآباء أن يعترفوا به.[سورة المائدة (٥) : آية ١٠٤]وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١٠٤)وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقولهم وانهماكهم في التقليد وأن لا سند لهم سواه. أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل على هذه الحال، أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين، والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف إلا بالحجة فلا يكفي التقليد.[سورة المائدة (٥) : آية ١٠٥]يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥)يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم أي إحفظوها والزموا إصلاحها، والجار مع المجرور جعل اسما." (١)

"به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه في الحق آناء الليل وآناء النهار".والحسد له أسباب:أحدها: العداوة، والتكبر، والعجب، **وحب الرياسة**، وخبث النفس، وبخلها، وأشدها: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه، أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد.والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فمهما أصاب عدوه من البلاء فرح بذلك، وظنه مكافأة من الله تعالى له، ومهما أصابته نقمة ساءه ذلك، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقى أن لا يبغي، وأن يكره ذلك من نفسه، فأما أن يبغض إنسانا فيستوي عنده مسرته ومساءته، فهذا غير ممكن.وأما الكبر، فهو أن يصيب بعض نظرائه مالا أو ولاية، فيخاف أن يتكبر عليه ولا يطيق تكبره، وأن يكون من أصاب ذلك دونه، فلا يحتمل ترفعه عليه أو مساواته. وكان حسد الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريبا من

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٤٦/٢

ذلك. قال الله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] وقال في حق المؤمنين: ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ [الأنعام: ٥٣] وقال في آية أخرى: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ [يس: ١٥] وقال: ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ [المؤمنون: ٣٤] فعجبوا وأنفوا من أن يفوز برتبة الرسالة بشر مثلهم فحسدوهم.وأما **حب الرياسة** والجاه، فمثاله أن الرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به، من أنه أوحد العصر، وفريد الدهر في فنه، إذا سمع بنظير له في أقصى العالم، ساءه ذلك وأحب موته، أو زوال النعمة التي بها يشاركه في علم، أو شجاعة، أو عبادة، أو صناعة، أو ثروة، أو غير ذلك، وليس ذلك إلا لمحض الرياسة بدعوى الانفراد.وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يؤمنون خوفا من بطلان رئاستهم.وأما خبث النفس وشحها على عباد الله، فإنك تجد من الناس من لا يشتغل برئاسة." (١)

"كتاب ذم الجاه والرياء وعلاجهما وفضيلة الخمول وغير ذلكوروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية". وهذه الشهوة الخفية يعجز عن الوقوف على غوائلها كبار العلماء، فضلا عن عامة العباد، وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم لما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات، وحملوها بالقهر على أسباب العبادات، لم تطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فاستراحت إلى التظاهر بالعلم والعمل، ووجدت مخلصا من شدة المجاهدة في لذة القبول عند الخلق، ونظرهم إليها بعين الوقار والتعظيم، فأصابت النفس في ذلك لذة عظيمة، فاحتقرت فيها ترك المعاصي، فأحدهم يظن أنه مخلص لله عز وجل، وقد أثبت في ديوان المنافقين، وهذه مكيدة عظيمة لا يسلم منها إلا المقربون.ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين **حب الرياسة**، وإذا كان هو الداء الدفين، الذي هو أعظم شبكة للشياطين، وجب شرح القول في سببه، وحقيقته وأقسامه.اعلم: أن أصل الجاه هو حب انتشار الصيت والاشتهار، وذلك خطر عظيم، والسلامة في الخمول. وأهل الخير لم يقصدوا الشهرة، ولم يتعرضوا لها ولا لأسبابها، فإن وقعت من قبل الله تعالى، فروا عنها، وكانوا يؤثرون الخمول، كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه خرج من منزله، فتبعه جماعة، فالتفت إليهم وقال: علام تتبعونى؟ فوالله لو علمتم ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان.وفى لفظ آخر أنه قال: ارجعوا، فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.وكان أبو العالية رحمه الله إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام.وكان خالد بن معدان رحمه الله إذا عظمت حلقته، قام وانصرف كراهة الشهرة.وقال الزهري رحمه الله: ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، نرى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرياسة، حامى عليها وعادى.." (٢)

"من تكاملت آلته واجتمعت خصال الأهلية فيه ولم يكن مفضولا وكان على رأي انعقدت الولاية ولزم الباقين المتابعة على المبايعة، إذا كانوا معترفين بأهليته لها، وإلا جعل ذلك طريقا إلى عدم انعقاد كل بيعة وتطرق الخلل وانتشار المفاسد فلا يقوم للدين نظام أبدا.وفي فتح هذا الباب من اعتراض الأهوية والأغراض ما لا خفاء به.ولما بطل المعنيان تعين الأول

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/١٨٧

(٢) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٠٩

وهو رؤيته أحقيته وأن المفضول لا تنعقد ولايته دفعا لذلك المحذور، ولا يلزم من تخلفه في تلك المدة على الإنكار التقرير على الباطل؛ لأنا نقول: إن رؤيته الأحقية كانت أول وهلة وغاب عنه إذ ذاك ما كان يعلمه من حق أبي بكر وفيه من قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلما اجتمع الجم الغفير على ولاية أبي بكر اتهم نظره في حق نفسه ولم ير المبادرة إلى إظهاره، ولا المطالبة لمقتضاه حتى يبذل جهده في السير والنظر وإمحاص الفكر بأن ذلك من الوقائع العظيمة في الدين وفيه تفريق كلمة من اجتمع من المسلمين، فلم يقنع فيه بمبادئ النظر خشية استمالة الهوى الحيلي **وحب الرياسة** الطبيعي ولا رأى الموافقة لما ارتسم في ذهنه من رؤية أحقيته فيما تستحق به الإمامة، وتعين وجوب القيام بالأمر عليه لكونه أحق، وكان ذلك في مبادئ النظر قبل الإمعان فيه فتخلف عن الأمرين سالكا في ذلك سبيل الورع والاحتياط فيهما عنده باذلا جهده في الاجتهاد والنظر تلك المدة، فكان في تخلفه فيها مجتهدا ذا أجر فلما تبين له أحقية أبي بكر وأفضليته بتذكر مقتضيات الأفضلية ولتقديمه نقلا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما ذكرناه عنه في فضليهما ونتيجة نظر قويم واجتهاد من حبر عليم، ووافى ذلك وفاة فاطمة أرسل إلى أبي بكر أن ائتنا، واعتذر إليه بأنه كان يرى أحقيته وسياق هذا اللفظ يشعر بأن تلك الرؤية قد زالت ولم يكن ذكره للقرابة إقامة للحجة على أبي بكر فإنه معتذر ولا تليق المحاجة بالمعتذر، وإنما كان إظهارا لمستند تخلفه وتبيانا لمعتمد تمسكه لكيلا يظن به أن تخلفه لهوى متبع بغير هدى من." (١)

"الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ﴿ينهون عن الفساد فى الأرض﴾ عجب محمد صلى الله عليه وسلم وأمته أن لم يكن في الأمم التي ذكر الله إهلاكهم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ استثناء منقطع أي ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن في ممن أنجينا للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله أنجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا ﴿واتبع الذين ظلموا﴾ أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمر أى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهوعطف على نهو ﴿ما أترفوا فيه﴾ أي أتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفههود (١١٦ _ ١٢٣)من **حب الرياسة** والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم ﴿وكانوا مجرمين﴾ اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون." (٢)

"أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ أم منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهى كونهم مسلوبي الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال ثم هم أرجح ضلالة منها لأن الأنعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن إليها ممن يسئ إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٢٤٥/١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٩٠/٢

الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي وقالوا للملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمي مجمع الكل ابتلاء فإن غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وإنماالفرقان (٤٨ - ٤٥)ذكر الأكثر لأن فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا **حب الرياسة** وكفى به داء عضالا ولأن فيهم من آمن." (١)

"في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضرر على ساقي، وليس بجذع ولا ساجة. فضحك ابن أبي داؤد وأهل المجلس منه. وقال ابن أبي داؤد لمحمد بن منصور: أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه.قال المبرد: حدثني الجاحظ، قال: وقفت أنا وأبو حرب على قاص، فأردت الولوع به فقلت لمن حوله: إنه رجل صالح لا **يحب الشهرة** فتفرقوا عنه. فتفرقوا عنه، فقال لي: الله حسيبك، إذا لم ير الصياد طيرا كيف يمد شبكته؟قال يموت بن المزرع: سمعت خالي عمرو بن بحر الجاحظ يقول: أمليت على إنسان مرة: انا عمرو، فاستملى انا بشر، وكتب انا زيد.عن يحي بن علي، قال: حدثني أبي، قال: قلت للجاحظ: إني قرأت في فصل من كتابك المسمى كتاب " البيان والتبين ": إن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام، واستشهدت ببيتي مالك بن أسماء يعني قوله: من الخفيفوحديث ألذه هو مما ... ينعت الناعتون يوزن وزنامنطق صائب وتلحن أحيا ... نا وخير الحديث ما كان لحناقال: هو كذلك. قلت: أفما سمعت بخبر هند بنت أسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحنت في كلامها، فعاب ذلك عليها، فاحتجت ببيتي أخيها؟ فقال لها: إن أخاك أراد أن المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى في الظاهر لتستر معناه، وتوري عنه، وتفهمه من أرادت بالتعريض، كما قال الله تعالى: " ولتعرفنهم في لحن القول " ولم يرد الخطأ من الكلام، والخطأ لا يستحسن من أحد. فوجم الجاحظ ساعة ثم قال: لو سقط إلي هذا الخبر لما قلت ما تقدم. فقلت له:." (٢)

"قال شقيق بن إبراهيم البلخي: أوصى إبراهيم بن أدهم، قال: عليك بالناس، وإياك من الناس، ولا بد من الناس، فإن الناس هم الناس، ولسي الناس بالناس، ذهب الناس وبقي النسناس، وما أراهم بالناس وإنما غمسوا في ماء الناس.قال إبراهيم: أما قولي: عليك بالناس، مجالسة العلماء؛ وأما قولي: إياك من الناس، مجالسة السفهاء؛ وأما قولي: لا بد من الناس، الصلوات الخمس والجمعة والحج والجهاد اتباع الجنائز والشراء والبيع ونحوه: وأما قولي: الناس هم الناس، الفقهاء والحكماء؛ وأما قولي: ليس الناس بالناس، أهل الأهواء والبدع؛ وأما قولي: ذهب الناس؛ ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ وأما قولي: بقي النسناس، يعني من يروي عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: وأما قولي: وما أراهم بالناس إنما هم غمسوا في ماء الناس، نحن وأمثالنا.قال حذيفة بن قتادة المرعشي: رأى الأوزاعي إبراهيم بن أدهم ببيروت، وعلى عنقه حزمة حطب، فقال له: يا أبا إسحاق، أي شيء هذا؟ إخوانك يكفونك، فقال: دعني من هذا يا أبا عمرو، فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة.قال طالوت: قال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله عبد **أحب الشهرة**.قال عبد الله بن الفرج القنطري العابد: اطلعت على إبراهيم بن أدهم في بستان بالشام، وهو مستلق، وإذا حية في

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٥٤٠

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٩/١٨٦

فمها طاقة نرجس، فما زالت تذب عنه حتى انتبه!.حدث عبد الجبار بن كثير، قال: قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السبع قد ظهر لنا، قال: أرونيه، فلما رآه قال: يا قسورة، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدئك؛ فولى السبع هاربا، قال: أحسبه يضرب بذنبه.." (١)

"قال رجل لبشر بن الحارث: يا أبا نصر، لا أدري بأي شيء آكل خبزي؟ قال: إذا أردت أن تأكل خبزك فاذكر العافية فاجعلها أدمك.قال بشر: كلما اشتهى رجل لقاء رجل ذهب إليه.هذه فتنة، ولذة يتلذذون بلقاء بعضهم بعضا.ينبغي للإنسان أن يقبل على نفسه وعلى القرآن.وقال بشر: إذا عرفت في موضع فاهرب منه، وإذا رأيت الرجل إذا اجتمعوا إليه في موضع لزمه، واشتهى ذلك فهو **يحب الشهرة**.قال محمد بن نعيم بن الهيصم: دخلت على بشر في علته فقلت: عظني، فقال: إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء؛ فلما كان يوم أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها والحبة؛ فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت.قلت له: زدني، قال: ما تقول في من القبر مسكنه، والصراط جوازه، والقيامة موقفه، والله مسائله، فلا يعلم إلى جنة يصير فيهنى، أو إلى نار فيعزى، فوا طول حزناه! وواعظم مصيبتاه! زاد البكاء فلا عزاء، واشتد الخوف فلا أمن.قال: وقال لي بشر مرارا كثيرة: انظر خبزك من أين هو؟ وانظر إلى مسكنك الذي تتقلب فيه كيف هو؟ وأقل من معرفة الناس، ولا تحب أن تحمد، ولا تحب الثناء.كان بشر يقول: لا تكاد تضع يدك إلا على مراء؛ إما مراء بدين، وإما مراء بدنيا، وهما جميعا شر شيء، فانظر أشد الناس توقيا، وأعفهم وأطيبهم مكسبا فجالسه، ولا تجالس من لا يعينك على آخرتك.وقف بشر على أصحاب الفاكهة، فجعل ينظر إليها، فقيل له: يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئا؟ قال: لا ولكن نظرت في هذا إذا كان يطعم هذا من يعصيه، فكيف من يطيعه!.." (٢)

"محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوب من العبادة كما قال النبي في الحديث الصحيحتعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقشوذلك كما جاء في الحديث إن الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقا للتوحيد من هذه الأمة ولهذا كان شداد بن أوس يقول يا نعايا العرب يا نعايا العرب إن أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود الشهوة الخفية **حب الرياسة**وفي حديث الترمذى عن كعب بن مالك أن النبي قال ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه قال الترمذي حديث حسن صحيح والحرص يكون على قدر قوة الحب والبغضوقد قال الله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي إذا كان." (٣)

"الشام. وانتقلوا إلى مصر ثم توجهوا إلى المغرب مع موسى بن نصير «١» . وتوجهوا مع طارق إلى طنجة ثم اختاروا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها وأقاموا بها.قال: وسار الجوهر حتى انتهى بعبد الله إلى قبيلة جدالة.فخاطبهم عبد الله هم والقبائل المتصلة بهم. فمنهم من سمع وأطاع ومنهم من أعرض وعصى. ثم إن المخالفين لهم تحزبوا وانحازوا.فقال عبد الله

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٧/٤

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٠٠/٥

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٢٨٥/٢

للذين قبلوا منه الإسلام: «قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وأنكروا دين الإسلام. فاستعدوا لقتالهم، واجعلوا لكم حزبا، وأقيموا لكم راية، وقدموا لكم أميرا» . فقال له الجوهر:«أنت الأمير» . فقال «٢» عبد الله: «لا يمكننى هذا: إنما أنا حامل أمانة الشرع، أقص عليكم نصوصه وأبين لكم طريقه، وأعرفكم سلوكه.ولكن أنت الأمير» . فقال الجوهر: «لو فعلت هذا لتسلطت قبيلتى على الناس ولعاثوا فى الصحراء، ويكون وزر ذلك على. لا رأى لى فى هذا» . فقال عبد الله: «فهذا أبو بكر بن عمر «٣» رأس لمتونة وكبيرها، وهو رجل جليل القدر، مشكور الحال، محمود السيرة، مطاع فى قومه، نسير إليه ونعرض تقدمة الإمرة عليه، **فلحب الرياسة** يستجيب إلى ذلك بنفسه، ولمكان الجاه ستجتمع إليه طائفة من قبيلته نقوى بها على عدونا. والله المستعان» .." (١)

"يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث على الأفعال الحسنة والإعراض عن الأفعال القبيحة والإثم أفلا تعقلون يعني أنه حق فتتبعونه والعقل قوة يهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن أبي طالب:وإن العقل عقلان ... فمطبوع ومسموعولا ينفع مطبوع ... إذا لم يك مسموعكما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوعوأصل العقل الإمساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال القبيحة. ومعنى الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك لأن الإنسان إذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل إن من وعظ الناس يجتهد أن ينفذ موعظته إلى القلوب فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه» قوله فتندلق، أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه. وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه، وقال بعضهم:ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمفهناك يسمع ما تقول ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم[سورة البقرة (٢): الآيات ٤٥ الى ٤٩]واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين (٤٥) الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون (٤٦) يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين (٤٧) واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (٤٨) وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩)قوله عز وجل: واستعينوا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥٦/٢٤

بالصبر والصلاة قيل إن المخاطبين بهذا هم المؤمنون لأن من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به. وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين، فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وإن ضممتم إلى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من **حب الرياسة** والجاه والمال.وعلى القول الأول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم إلى الله. وقيل: على ما يشغلكم من أنواع البلاء.وقيل: على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي. وقيل بالصبر على أداء الفرائض.." (١)

"وأصل الأمة الجماعة المجتمعة على الشيء. وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفين بالإيمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: ومن يأبى؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ في النار» أخرجه الترمذي عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابهافي الدنيا الفتن والزلازل والقتل» أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل أمتي كمثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله» أخرجه الترمذي وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم» وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم إنهم يتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول» قال الترمذي سألت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الأبواب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة من يشفع للواحد» أخرجه الترمذي (خ) عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف سماطين متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي» أخرجه الترمذي. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» وقوله تعالى: أخرجت للناس معناه كنتم خير الأمم المخرجة للناس في جميع الأعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٢/١

خير أمة أخرجت (خ) عن أبي هريرة قال: كنتم خير أمة أخرجت للناس قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام، وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم: تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول: زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم. والمعروف هو التوحيد، والمنكر هو الشرك، والمعنى تأمرون الناس بقول لا إله إلا الله وتنهونهم عن الشرك وتؤمنون بالله أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة. فإن قلت لم قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع أن الإيمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات؟. قلت الإيمان بالله أمر يشترك فيه جميع الأمم المؤمنة وإنما فضلت هذه الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الأمم، وإذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما الإيمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يضر شيء من الطاعات مقبولا فثبت أن الموجب لهذه الخيرية لهذه الأمة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان وقوله تعالى: ولو آمن أهل الكتاب يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به لكان خيرا لهم يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وإنما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا، والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة منهم يعني من أهل الكتاب المؤمنون يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي." (١)

"ويعقوب والأسباط- إلى قوله- ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: والله لا نؤمن بمن آمن به، فأنزل الله هذه الآية. وقيل: إنهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فأنزل الله هذه الآية قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا وأن أكثركم فاسقون يعني إنما كرهتم إيماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بأننا على الحق بسبب فسقكم وإقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الأموال بالباطل وإنما قال أكثركم لأن الله يعلم أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله. قوله عز وجل:[سورة المائدة (٥): الآيات ٦٠ الى ٦٣]قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣)قل هل أنبئكم بشر من ذلك هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم. والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من إيماننا بالله وبما أنزل علينا مثوبة عند الله يعني جزاء.فإن قلت: المثوبة مختصة بالإحسان لأنها في معنى الثواب، فكيف جاءت في الإساءة؟. قلت: وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله: تحية بينهم ضرب وجيع.فإن قلت: هذا

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٢٨٥

يقتضي أن الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لأنه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم أن الأمر ليس كذلك فما جوابه؟. قلت: جوابه أن الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم، فإن اليهود حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم: هب أن الأمر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك.وقوله تعالى: من لعنه الله معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله أو هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله: أبعده وطرده عن رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لأن الغضب إرادة الانتقام من العصاة وجعل منهم القردة والخنازير يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس: إن الممسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير.وقيل إن مسخ القردة كان من أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم: يا إخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك وعبد الطاغوت يعني: وجعل منهم عبد الطاغوت، يعني من أطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان. وقيل: هو العجل. وقيل: هو الكهان والأحبار. وجملته أن كل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت أولئك يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين شر مكانا يعني من غيرهم ونسب الشر إلى المكان والمراد به أهله فهو من باب الكناية وقيل: أراد أن مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه وأضل عن سواء السبيل يعني وأخطأ عن قصد طريق الحق.قوله تعالى: وإذا جاؤكم قالوا آمنا قال قتادة: نزلت في أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"٣٧٣٤ - وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ابتغى القضاء وسأل؛ وكل إلي نفسه، ومن أكره عليه؛ أنزل الله عليه ملكا يسدده)) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه. [٣٧٣٤]٣٧٣٥ - وعن بريدة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار. فأما الذي في الجنة؛ فرجل عرف الحق فقضى به، ورجلـــــــــالثالث: ((شف)) *:يمكن أن يقال: المراد منه أن من جعل قاضيا فينبغي أن [يموث] ** جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الرديئة، فهو مذبوح بغير سكين.أقول: فعلي هذا القضاء مرغوب فيه ومحثوث عليه، وعلي الوجهين الأولين تحذير علي الحرص عليه، وتنبيه علي التوقي منه لما تضمن من الأخطار المردية والله أعلم. ((مظ)) ... :خطر القضاء كثير وضرره عظيم؛ لأنه قلما عدل القاضي بين الخصمين؛ لأن النفس مائلة إلي من تحبه أو تخدمه أو من له منصب يتوقع جاهه أو يخاف سلطته، وربما يميل إلي قبول الرشوة وهو الداء العضال.الحديث الثاني عن أنس رضي الله عنه: قوله: ((من ابتغى القضاء وسأل)) إنما جمع بينهما إظهارا لحرصه؛ فإن النفس مائلة إلي **حب الرياسة** وطلب الترفع علي الناس، فمن منعها سلم من هذه الآفة، ومن اتبع هواها وسأل القضاء هلك، فلا سبيل إلي الشروع فيه إلا بالإكراه، وفي الإكراه قمع هوى النفس فحينئذ يسدد ويوفق لطريق الصواب. والي هذا نظر من قال: من جعل قاضيا فينبغي أن يموث جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الرديئة.الحديث الثالث عن بريدة: قوله: ((ورجل عرف الحق)) قرينه لقوله: ((فأما الذي في الجنة)) وترك أداة التفصيل فيها ظاهرا؛ لئلا يسلكها في مسلك واحد لبعد ما بينهما. وإنما قلنا: ظاهرا: لأن التقدير: فأما الذي في النار فرجل كذا، نحو قوله تعالي: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٥٨/٢

الله والراسخون في العلم﴾ أي فأما الراسخون فيقولون، وهو من فصيح الكلام وبليغه.والفاء في قوله: ((فرجل)) جواب ((أما)) وفي ((فقضى)) مسبب عن ((عرف)) والسبب والمسبب صفة ((رجل)) والفاء في ((فجار)) مثلها في ((فقضى)) لكن علي التعكيس، يعني عرفان الحق سبب لقضاء الحق، فعكس وجعله مسببا للجور كقوله تعالي: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب، وهو موجب للتصديق، وقوله: ((فهو في النار)) خبر ((رجل)) وهو جواب ((أما)) المقدرة علي أن المبتدأ نكرة موصوفة، و ((علي جهل)) حال من فاعل ((قضى)) أي قضى للناس جاهلا.." (١)

"(٤) باب القيامالفصل الأول٤٦٩٥ - عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وكان قريبا منه، فجاء على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار: ((قوموا إلى سيدكم)).متفق عليه. ومضى الحديث في بطوله في ((باب حكم الأسراء)). [٤٦٩٥]باب القيامالفصل الأولالحديث الأول عن أبي سعيد: قوله: ((قوموا إلى سيدكم)) ((تو)):ليس هذا من القيام الذي يراد التعظيم على ما كان يتعاهده الأعاجم في شيء، فكيف يجوز أن يأمر بما صح أنه نهى عنه وعرف منه التنكير فيه إلى آخر العهد؟ وإنما كان سعد بن معاذ رضي الله عنه وجعا؛ لما رمى في أكحله، مخوفا عليه من الحركة حذرا من سيلان العرق بالدم، وقد أتى به يومئذ للحكم الذي سلمت بنو قريظة إليه عند النزول على حكمه، فأمرهم بالقيام إليه ليعينوه على النزول من الحمار ويرفقوا به، حتى لا يصيبه ألم، فلا يضطر إلى حركة ينفجر منه العرق، وكان معنى قوله: ((قوموا إليه)) أي إلى إعانته وإنزاله من المركب، ولو كان يريد به التوقير والتعظيم لقال: ((قوموا لسيدكم)).وما ذكر في قيام النبي صلى الله عليه وسلم لعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه عند قدومه عليه، وما روى عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: ما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قام لي أو تحرك، فإن ذلك مما لا يصح الاحتجاج به لضعفه، والمشهور عن عدي: ((إلا وسع لي)) ولو ثبت، فالوجه فيه أن يحمل على الترخيص حيث يقتضيه الحال. وقد كان عكرمة من رؤساء قريش، وعدي كان سيد بني طيء. فرأي تأليفهما بذلك على الإسلام، أو عرف من جانبهما تطلعا عليه على حسب ما يقتضيه **حب الرياسة** والله أعلم.((مح)):في الحديث إكرام أهل الفضل من علم أو صلاح أو شرف بالقيام لهم إذا أقبلوا." (٢)

"الفصل الثاني٤٧٣٨ - وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو ثوبه، وغض بها صوته. رواه الترمذي، وأبو داود. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. [٤٧٣٨]٤٧٣٩ - وعن أبي أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا عطس أحدكم فليقل: الحمدلله على كل حال، وليقل الذي يرد عليه: يرحمك الله، وليقل هو: يهديكم الله ويصلح بالكم)) رواه الترمذي، والدرامي. [٤٧٣٩] ٤٧٤٠ - وعن أبي موسى، قال: كان اليهود يتعاطسون عن النبي صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول لهم: ((يهديكم الله ويصلح بالكم)) رواه الترمذي، وأبو داود. [٤٧٤٠]٤٧٤١ - وعن هلال بن يساف، قال: كنا مع سالم بن عبيد، فعطس رجل

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢٥٩٦/٨

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣٠٦٥/١٠

من القوم، فقال: السلام عليكم. فقال له سالم: وعليك وعلى أمك. فكأن الرجل وجد في نفسه، فقال: أما إني لم أقل إلا ما قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا عطس رجل عند النبي صلى الله عليه وسلمـــــــالفصل الثانيالحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله ((غطى وجهه)) ((تو)):هذا نوع من الأدب بين يدي الجلساء وذلك؛ لأن العاطس لا يأمن عند العطاس ما يكرهه الراؤون من فضلات الدماغ. ((نه)):غض صوته أي خفضه ولم يرفعه بصيحة.الحديث الثاني والثالث عن أبي موسى: قوله: ((يرجون)) لعل هؤلاء هم الذين عرفوه حق معرفته، لكن منعهم عن الإسلام إما التقاليد وإما **حب الرياسة**، وعرفوا أن ذلك مذموم فتحروا أن يهديهم الله تعالى ويزيل عنهم ذلك ببركة دعائع صلوات الله عليه.الحديث الرابع إلى السادس عن هلال قوله: ((وجد في نفسه)) أي حزن. الجوهري: وجد." (١)

"نفس، لأنها نكرة في سياق النفي فتعم، كقوله تعالى: فما منكم من أحد عنه حاجزين «١» ، وأتى به مذكرا لأنه أريد بالنفوس الأشخاص كقولهم: ثلاثة أنفس، وجعل حرف النفي منسحبا على جملة اسمية ليكون الضمير مذكورا مرتين، فيتأكد ذكر المنفي عنه النصر بذكره مرتين، وحسن الحمل على المعنى كون ذلك في آخر فاصلة، فيحصل بذلك التناسب في الفواصل، بخلاف أن لو جاء ولا تنصر، إذ كان يفوت التناسب.ويحتمل رفع هذا الضمير وجهين من الإعراب. أحدهما: وهو المتبادر إلى أذهان المعربين أنه مبتدأ، والجملة بعده في موضع رفع على الخبر. والوجه الثاني: وهو أغمض الوجهين وأغربهما أنه مفعول لم يسم فاعله، يفسر فعله الفعل الذي بعده، وتكون المسألة من باب الاشتغال، وذلك أن لا هي من الأدوات التي هي أولى بالفعل، كهمزة الاستفهام. فكما يجوز في: أزيد قائم، وأزيد يضرب، الرفع على الاشتغال، فكذلك هذا، ويقوي هذا الوجه أنه تقدم جملة فعلية.والحكم في باب الاشتغال أنه إذا تقدمت جملة فعلية وعطف عليها بشرط العطف المذكور في ذلك الباب، فالأفصح الحمل على الفعل، ويجوز الابتداء كما ذكرنا أولا، ويقوي عود الضمير إلى نفس الثانية بناء الفعل للمفعول، إذ لو كان عائدا على نفس الأولى لكان مبنيا للفاعل، كقوله: لا تجزي. ومن المفسرين من جعل الضمير في ولا هم عائدا على النفسين معا، قال: لأن التثنية جمع قالوا، وفي معنى النصر للمفسرين هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه لا يمنعون من عذاب الله. الثاني: لا يجدون ناصرا ينصرهم ولا شافعا يشفع لهم. الثالث: لا يعاونون على خلاصهم وفكاكهم من موبقات أعمالهم.وثلاثة الأقوال هذه متقاربة المعنى، وجاء النفي لهذه الجمل هنا بلا المستعملة لنفي المستقبل في الأكثر، وكذلك هذه الأشياء الأربعة هي مستقبلة، لأن هذا اليوم لم يقع بعد.وترتيب هذه الجمل في غاية الفصاحة، وهي على حسب الواقع في الدنيا، لأن المأخوذ بحق، إما أن يؤدى عنه الحق فيخلص، أو لا يقضى عنه فيشفع فيه، أو لا يشفع فيه فيفدى، أو لا يفدى فيتعاون بالإخوان على تخليصه.فهذه مراتب يتلو بعضها بعضا. فلهذا، والله أعلم، جاءت مترتبة في الذكر هكذا.ولما كان الأمر مختلفا عند الناس في الشفاعة والفدية، فمن يغلب عليه **حب الرياسة** قدم الشفاعة على الفدية، ومن يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعة، جاءت هذه__________(١) سورة الحاقة: ٦٩/ ٤٧. [.....]"(٢)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣٠٧٩/١٠

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣١٠/١

"ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائبوالخطاب قيل: للرسول، وهو بمعنى ما النافية. وقرأ الجمهور: تنقمون بكسر القاف، والماضي نقم بفتحها، وهي التي ذكرها ثعلب في الفصيح. ونقم بالكسر، ينقم بالفتح لغة حكاها الكسائي وغيره. وقرأ بها أبو حيوة والنخعي وابن أبي عبلة وأبو البر هشيم، وفسر تنقمون بتسخطون وتتكرهون وتنكرون وتعيبون وكلها متقاربة. وإلا أن آمنا استثناء فرغ له الفاعل. وقرأ الجمهور: أنزل مبنيا للفاعل، وذلك في اللفظين، وقرأهما أبو نهيك: مبنيين للفاعل، وقرأ نعيم بن ميسرة: وإن أكثركم فاسقون بكسر الهمزة، وهو واضح المعنى، أمره تعالى أن يقول لهم هاتين الجملتين، وتضمنت الإخبار بفسق أكثرهم وتمردهم. وقرأ الجمهور: بفتح همزة أن وخرج ذلك على أنها في موضع رفع، وفي موضع نصب، وفي موضع جر. فالرفع على الابتداء. وقدر الزمخشري الخبر مؤخرا محذوفا أي:وفسق أكثركم ثابت معلوم عندكم، لأنكم علمتم أنا على الحق، وأنكم على الباطل، إلا أن **حب الرياسة** والرشا يمنعكم من الاعتراف. ولا ينبغي أن يقدم الخبر إلا مقدما أي:ومعلوم فسق أكثركم، لأن الأصح أن لا يبدأ بها متقدمة إلا بعد أما فقط. والنصب من وجوه: أحدها: أن يكون معطوفا على أن آمنا أي: ما تنقمون منا إلا إيماننا وفسق أكثركم، فيدخل الفسق فيما نقموه، وهذا قول أكثر المتأولين. ولا يتجه معناه لأنهم لا يعتقدون فسق أكثرهم، فكيف ينقمونه، لكنه يحمل على أن المعنى ما تنقمون منا إلا هذا المجموع من أنا مؤمنون وأكثركم فاسقون، وإن كانوا لا يسلمون أن أكثرهم فاسقون، كما تقول: ما تنقم مني إلا أني صدقت وأنت كذبت، وما كرهت مني إلا أني محبب إلى الناس وأنت مبغض، وإن كان لا يعترف أنه كاذب ولا أنه مبغض، وكأنه قيل: ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في الإسلام وأنتم خارجون. والوجه الثاني: أن يكون معطوفا على أن آمنا، إلا أنه على حذف مضاف تقديره: واعتقادنا فيكم أن أكثركم فاسقون، وهذا معنى واضح. ويكون ذلك داخلا في ما تنقمون حقيقة. الثالث: أن تكون الواو واو مع، فتكون في موضع نصب مفعولا معه التقدير: وفسق أكثرهم أي: تنقمون ذلك مع فسق أكثركم والمعنى: لا يحسن أن تنقموا مع وجود فسق أكثركم كما تقول: تسيء إلي مع أني أحسنت إليك. الرابع: أن تكون في موضع نصب مفعول بفعل مقدر يدل عليه، هل تنقمون تقديره: ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون. والجر على أنه معطوف على قوله: بما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وبأن أكثركم فاسقون، والجر على أنه معطوف على علة محذوفة التقدير: ما تنقمون منا إلا." (١)

"يراه منفيا من حيث معناه: أنه لم يكن فيهم أولو بقية، ولهذا قال الزمخشري بعد أن منع أن يكون متصلا: (فإن قلت) : في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولوا بقية إلا قليلا، كان استثناء متصلا، ومعنى صحيحا، وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرجع على البدل انتهى. وقرأ زيد بن علي: إلا قليل بالرفع، لحظ أن التحضيض تضمن النفي، فأبدل كما يبدل في صريح النفي. وقال الفراء: المعنى فلم يكن، لأن في الاستفهام ضربا من الجحد، وأبى الأخفش كون الاستثناء منقطعا، والظاهر أن الذين ظلموا هم تاركو النهي عن الفساد. وما أترفوا فيه أي: ما نعموا فيه من **حب الرياسة** والثروة وطلب أسباب العيش الهني، ورفضوا ما فيه صلاح دينهم. واتبع استئناف إخبار عن حال هؤلاء الذين ظلموا، وإخبار عنهم أنهم مع كونهم تاركي النهي عن الفساد كانوا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٠٤/٤

مجرمين أي: ذوي جرائم غير ذلك. وقال الزمخشري: إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر، لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد في الأرض، واتبع الذين ظلموا شهواتهم، فهو عطف على نهوا، وإن كان معناه: واتبعوا جزاء الإتراف. فالواو للحال، كأنه قيل: أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم. وقال: وكانوا مجرمين، عطف على أترفوا، أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين، لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام انتهى. فجعل ما في قوله: ما أترفوا فيه، مصدرية، ولهذا قدره: اتبعوا الإتراف، والظاهر أنها بمعنى الذي لعود الضمير في فيه عليها. وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أي: اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك. قال: ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى. ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو، لأنه آخر آية، فليس بين شيئين يحتاج أحدهما إلى الآخر. وقرأ جعفر بن محمد، والعلاء بن سيابة كذا في كتاب اللوامح، وأبو عمر في رواية الجعفي: وأتبعوا ساكنة التاءمبنية للمفعول على حذف مضاف، لأنه مما يتعدى إلى مفعولين، أي جزاء ما أترفوا فيه. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء إترافهم، وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل: إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر. [سورة هود (١١) : الآيات ١١٧ الى ١٢٣]وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١١٧) ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١١٩) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (١٢٠) وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون (١٢١)وانتظروا إنا منتظرون (١٢٢) ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون (١٢٣)." (١)

"سنة سبع وعشرين ومائتين، قبل المعتصم الخليفة بستة أيام، وعاش خمسا وسبعين سنة. وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب. وفيها مات: سهل بن بكار البصري (١) ، وأبو الوليد الطيالسي الحافظ (٢) ، وسعيد بن منصور (٣) صاحب (السنن) ، وإسماعيل بن أبي أويس المدني (٤) ، ومحمد بن الصباح الدولابي (٥) ، والهيثم بن خارجة، والعلاء بن عمرو الحنفي، ومحمد بن عبد الواهب الحارثي، وأبو الأحوص محمد بن حيان البغوي. قال محمد بن المثنى، عن بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها، أحب لقاء مولاه. وعنه: ما اتقى الله من **أحب الشهرة**. وعنه، قال: لا تعمل لتذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة. أبو العباس السراج: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا بشر بن الحارث، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا هشام بن عروة، عن أخيه، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (كنت لك كأبي زرع لأم________________(١) تقدمت ترجمته في الصفحة ٤٢٢ من هذا الجزء.(٢) تقدمت ترجمته في الصفحة ٣٤١ من هذا الجزء.(٣) سترد ترجمته في الصفحة ٥٨٦ من هذا الجزء.(٤) تقدمت ترجمته في الصفحة ٣٩١ من هذا الجزء.(٥) سترد ترجمته في الصفحة ٦٧٠ من هذا الجزء.." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٢٥/٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٤٧٦/١٠

"فإن صح هذا عنه، فإنه يغبط بذلك.ولا ريب أن حديثه عن هرقل (١) وكتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يدل على إيمانه، ولله الحمد.وكان أسن من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعشر سنين.وعاش بعده عشرين سنة.وكان عمر يحترمه؛ وذلك لأنه كان كبير بني أمية.وكان حمو النبي -صلى الله عليه وسلم-.وما مات حتى رأى ولديه يزيد ثم معاوية أميرين على دمشق.وكان **يحب الرياسة** والذكر، وكان له سورة (٢) كبيرة في خلافة ابن عمه عثمان.توفي: بالمدينة سنة إحدى وثلاثين.وقيل: سنة اثنتين.وقيل: سنة ثلاث أو أربع وثلاثين، وله نحو التسعين.١٤ - الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي أبو مروان *ابن عم أبي سفيان.يكنى: أبا مروان.من مسلمة الفتح، وله أدنى نصيب من الصحبة.__________(١) أخرجه البخاري في " صحيحه " ١ / ٣٠، ٣٨ في بدء الوحي من طريق أبي اليمان، عن الحكم بن نافع، عن شعيب، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتب بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ... وهو حديث طويل، وفيه أن أبا سفيان قال: فما زلت موقنا أنه صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.(٢) السورة: المنزلة، قال النابغة: ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب وقد تحرفت في المطبوع إلى " صولة ".(*) طبقات ابن سعد: ٥ / ٤٤٧ و٥٠٩، التاريخ لابن معين: ١٢٤، طبقات خليفة: ١٩٧، تاريخ خليفة: ١٣٤، التاريخ الكبير: ٢ / ٣٣١، المعارف: ١٩٤، ٣٥٣، ٥٧٦، الجرح والتعديل: ٣ / ١٢٠، الاستيعاب: ١ / ٣٥٨، أسد الغابة: ٢ / ٣٧، تاريخ الإسلام: ٢ / ٩٥، العبر: ١ / ٣٢، الإصابة: ٢ / ٢٧١، شذرات الذهب: ١ / ٣٨.." (١)

"الخليل بن أحمد، قال:لحن أيوب في حرف، فقال: أستغفر الله.وبه: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا حماد بن زيد، أخبرني رجل:أنه رأى أيوب بين قبري الحسن ومحمد، قائما يبكي، ينظر إلى هذا مرة، وإلى هذا مرة.وبه: حدثنا أحمد، حدثنا حماد، حدثنا أيوب، قال:رأيت الحسن في النوم مقيدا، ورأيت ابن سيرين مقيدا في سجن.قال: كأنه أعجبه ذلك.قال مخلد بن الحسين: قال أيوب: ما صدق عبد قط، **فأحب الشهرة**.روى: مؤمل، عن شعبة، قال: من أراد أيوب، فعليه بحماد بن زيد.قلت: صدق، أثبت الناس في أيوب هو.وقال حماد: لم يكن أحد أكرم على ابن سيرين من أيوب.وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أحدا أنصح للعامة من أيوب والحسن.وروى: سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، قال:كان أيوب في مجلس، فجاءته عبرة، فجعل يمتخط ويقول: ما أشد الزكام!وقال ابن عون: مات ابن سيرين، فقلنا: من ثم؟قلنا: أيوب.قال محمد بن سعد الكاتب: كان أيوب ثقة، ثبتا في الحديث، جامعا، كثير العلم، حجة، عدلا.وقال أبو حاتم، وسئل عن أيوب، فقال: ثقة، لا يسأل عن مثله.قلت: إليه المنتهى في الإتقان.قال ابن المديني: له نحو من ثمان مائة حديث.وأما ابن علية، فقال: كنا نقول: حديث أيوب ألفا حديث، فما أقل ما ذهب علي منها.وسئل ابن المديني عن أصحاب نافع، فقال:أيوب وفضله، ومالك." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٠٧/٢

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٠/٦

"وكان يطحن بيد واحدة مدين من قمح.قال أبو يوسف الغسولي: دعا الأوزاعي إبراهيم بن أدهم، فقصر في الأكل، فقال: لم قصرت؟قال: رأيتك قصرت في الطعام (١) .بشر الحافي: حدثنا يحيى بن يمان، قال:كان سفيان إذا قعد مع إبراهيم بن أدهم، تحرز من الكلام.عبد الرحمن بن مهدي: عن طالوت: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدق الله عبد **أحب الشهرة**.قلت: علامة المخلص الذي قد يحب شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك، لا يحرد ولا يبرئ نفسه، بل يعترف، ويقول: رحم الله من أهدى إلي عيوبي، ولا يكن معجبا بنفسه؛ لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داء مزمن.عصام بن رواد: سمعت عيسى بن حازم النيسابوري يقول:كنا بمكة مع إبراهيم بن أدهم، فنظر إلى أبي قبيس (٢) ، فقال: لو أن مؤمنا، مستكمل الإيمان، يهز الجبل لتحرك.فتحرك أبو قبيس، فقال: اسكن، ليس إياك أردت (٣) .قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن منصور، حدثنا الحارث بن النعمان، قال:كان إبراهيم بن أدهم يجتني الرطب من شجر البلوط.______________(١) تتمة الخبر في " البداية والنهاية ": ١٠ / ١٣٨ - ١٣٩: " ثم عمل إبراهيم طعاما كثيرا، ودعا الاوزاعي، فقال الاوزاعي: أما تخاف أن يكون سرفا؟ فقال: لا، إنما السرف ما كان في معصية الله، فأما ما أنفقه الرجل على إخوانه فهو ومن الدين ".وانظر أيضا: " تهذيب ابن عساكر ": ٢ / ١٨٣.(٢) أبو قبيس: جبل مشرف على مسجد مكة.(٣) انظر: " الحلية ": ٨ / ٤.." (١)

"وكان أسن من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعشر سنين وعاش بعده عشرين سنة.وكان عمر يحترمه وذلك لأنه كان كبير بني أمية.وكان حمو النبي -صلى الله عليه وسلم. وما مات حتى رأى ولديه: يزيد ثم معاوية أميرين على دمشق. وكان **يحب الرياسة** والذكر وكان له سورة١ كبيرة في خلافة ابن عمه عثمان.توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين. وقيل: سنة اثنتين وقيل: سنة ثلاث أو أربع وثلاثين وله نحو التسعين.______________١ السورة: المنزلة.." (٢)

"وبه حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي، حدثنا حماد بن زيد: كان أيوب لا يقف على آية إلا إذا قال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] سكت سكتة.وحدثنا أحمد، حدثنا حماد، عن أيوب، قال: أدركت الناس ها هنا، وكلامهم: إن قضي وإن قدر. وكان يقول: ليتق الله رجل فإن زهد فلا يجعلن زهده عذابا على الناس، فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه.وكان أيوب ممن يخفي زهده دخلنا عليه، فإذا هو على فراش مخمس أحمر، فرفعته- أو رفعه بعض أصحابنا- فإذا خصفة محشوة بليف.وبه حدثنا علي بن مسلم، حدثنا أبو داود، قال: قال شعبة: ما واعدت أيوب موعدا قط إلا قال حين يفارقني ليس بيني وبينك موعد فإذا جئت وجدته قد سبقني.وبه حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي، حدثنا النضر بن شميل، أخبرني الخليل بن أحمد قال: لحن أيوب في حرف، فقال: أستغفر الله.وبه حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا حماد بن زيد أخبرني رجل: أنه رأى أيوب بين قبري الحسن ومحمد قائما يبكي ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة.وبه حدثنا أحمد حدثنا حماد حدثنا أيوب قال: رأيت الحسن في النوم مقيدا ورأيت ابن سيرين مقيدا في سجن قال:كأنه أعجبه ذلك.قال مخلد بن الحسين قال أيوب ما صدق عبد قط **فأحب الشهرة**.روى مؤمل، عن شعبة قال: من أراد أيوب فعليه

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٧/٣٩٣

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٣/٤٠٧

بحماد بن زيد.قلت صدق أثبت الناس في أيوب هو.وقال حماد: لم يكن أحد أكرم على ابن سيرين من أيوب.وقال يونس بن عبيد ما رأيت أحدا أنصح للعامة من أيوب والحسن.وروى سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد قال: كان أيوب في مجلس فجاءته عبرة فجعل يمتخط ويقول ما أشد الزكام.وقال ابن عون: مات ابن سيرين فقلنا: من ثم؟ قلنا أيوب.قال محمد بن سعد الكاتب: كان أيوب ثقة ثبتا في الحديث جامعا كثير العلم حجة عدلا.." (١)

"وكان يلبس فروا بلا قميص، وفي الصيف شقتين بأربعة دراهم: إزار ورداء، ويصوم في الحضر والسفر، ولا ينام الليل وكان يتفكر، ويقبض أصحابه أجرته، فلا يمسها بيده، ويقول: كلوا بها شهواتكم وكان ينطر، وكان يطحن بيد واحدة مدين من قمح.قال أبو يوسف الغسولي: دعا الأوزاعي إبراهيم بن أدهم، فقصر في الأكل، فقال: لم قصرت؟ قال: رأيتك قصرت في الطعام.بشر الحافي: حدثنا يحيى بن يمان، قال: كان سفيان إذا قعد مع إبراهيم بن أدهم، تحرز من الكلام.عبد الرحمن بن مهدي، عن طالوت: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدق الله عبد أحب الشهرة.قلت: علامة المخلص الذي قد يحب شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك، لا يحرد ولا يبرئ نفسه، بل يعترف، ويقول: رحم الله من أهدى إلي عيوبي، ولا يكن معجبا بنفسه، لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داء مزمن.عصام بن رواد: سمعت عيسى بن حازم النيسابوري يقول: كنا بمكة مع إبراهيم بن أدهم فنظر إلى أبي قبيس، فقال: لو أن مؤمنا، مستكمل الإيمان، يهز الجبل لتحرك فتحرك أبو قبيس، فقال: اسكن، ليس إياك أردت.قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن منصور، حدثنا الحارث بن النعمان، قال: كان إبراهيم بن أدهم يجتني الرطب من شجر البلوط.وعن مكي بن إبراهيم، قال: قيل لابن أدهم. ما تبلغ من كرامة المؤمن؟ قال: أن يقول للجبل: تحرك، فيتحرك. قال: فتحرك الجبل، فقال: ما إياك عنيت.وعن إبراهيم بن أدهم، قال: كل ملك لا يكون عادلا، فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقيا، فهو والذئب سواء، وكل من ذل لغير الله، فهو والكلب سواء.أخبرنا أحمد بن إبراهيم الجلودي، وغيره: أن عبد الله بن اللتي أخبرهم، قال: أنبأنا جعفر بن المتوكل، أنبأنا أبو الحسن بن العلاف، حدثنا الحمامي، حدثنا جعفر الخلدي، حدثني إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأي دين لو كان له رجال! من طلب العلم لله، كان الخمول أحب إليه من التطاول، والله ما الحياة بثقة، فيرجى نومها، ولا المنية بعذر، فيؤمن عذرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء؟ قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.." (٢)

"وفيها مات: سهل بن بكار البصري، وأبو الوليد الطيالسي الحافظ وسعيد بن منصور صاحب السنن، وإسماعيل بن أبي أويس المدني ومحمد بن الصباح الدولابي، والهيثم بن خارجة والعلاء بن عمرو الحنفي، ومحمد بن عبد الواهب الحارثي وأبو الأحوص محمد بن حيان البغوي.قال محمد بن المثنى عن بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها أحب لقاء مولاه.وعنه: ما اتقى الله من أحب الشهرة.وعنه قال: لا تعمل لتذكر اكتم الحسنة كما تكتم السيئة.أبو العباس السراج: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا بشر بن الحارث حدثنا عيسى بن يونس حدثنا هشام بن عروة عن أخيه عن

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٩٩/٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٧٣/٧

الحارث حدثنا عيسى بن يونس حدثنا هشام بن عروة عن أخيه عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع". ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع قالت: اجتمع إحدى عشرة نسوة١.القطيعي: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت في كتاب بشر بن الحارث بخطه عن وكيع عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن عبد الله بن شقيق: أن أبا ذر -رضي الله عنه- دعوه إلى طعام فقال: إني صائم فرئي من آخر النهار يأكل فقيل له فقال: إني أصوم ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صيام الدهر٢.__________١ صحيح: أخرجه البخاري "٥١٨٩"، ومسلم "٢٤٤٨" من طرق عن عيسى بن يونس به. وأخو عروة، هو عبد الله بن عروة، كما وقع عندهما.٢ فقد ورد عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟ إذا فعلت ذلك هجمت لك العين، ونقهت لك النفس، ولا صام من صام الابد، صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، إن داود كان يصوم يوما ويفطر يوما، ولا يفر إذا لاقى". وهو حديث صحيح أخرجه أحمد "٢/ ١٩٨"، والبخاري "١٩٧٤"، "١٩٧٥"، "٥١٩٩"، "٦١٣٤"، ومسلم "١١٥٩" "١٨٢"، "١٨٣"، وابن خزيمة "٢١١٠"، والطحاوي "٢/ ٨٥" والبيهقي "٤/ ٢٩٩"، من طرق عن يحيى بن أبي كثير قال: حدثنا أبو سلمة، عن عبد الله بن عمرو، به.." (١)

"وحدثني أبو المواهب بن صصرى قال: لما دخلت همذان قال لي الحافظ أبو العلاء: أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحد، فلو خالق الناس ومازجهم كما أصنع إذا لاجتمع عليه الموافق والمخالف. وقال لي يوما: أي شيء فتح له؟ وكيف الناس له؟ قلت: هو بعيد من هذا كله لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتسميع حتى في نزهته وخلواته. قال: الحمد لله، هذا ثمرة العلم، إلا أنا حصل لنا هذا المسجد والدار والكتب، هذا يدل على قلة حظ أهل العلم في بلادكم ثم قال لي: ما كان يسمى أبو القاسم إلا شعلة نار ببغداد من ذكائه وتوقده وحسن إدراكه.قال أبو المواهب: كنت أذاكر أبا القاسم الحافظ عن الحفاظ الذين لقيهم فقال: أما بغداد فأبو عامر العبدري، وأما أصبهان فأبو نصر اليونارتي، لكن إسماعيل بن محمد الحافظ كان أشهر. فقلت: فعلى هذا ما كان رأى سيدنا مثل نفسه؛ قال: لا تقل هذا، قال الله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ قلت: فقد قال الله تعالى: ﴿أما بنعمة ربك فحدث﴾ فقال: لو قال قائل: إن عيني لم تر مثلي لصدق.ثم قال أبو المواهب: وأنا أقول: لم أر مثله ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة وأباها بعد أن عرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم.قال لي: لما عزمت على التحديث والله المطلع أني ما حملني على ذلك **حب الرياسة** والتقدم بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟ وأي فائدة في كوني أخلفه صحائف؟ فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخي ورؤساء البلد وطفت عليهم فكلهم قالوا: من أحق بهذا منك؟ فشرعت في ذلك منذ ثلاث وثلاثين وخمسمائة.قال القاسم: حدثني أبي قال: قال لي جدي القاضي أبو المفضل يحيى بن علي القرشي: اجلس إلى سارية حتى يجلس إليك؛ فلما عزمت على ذلك مرض وعجز عن المجيء. سمعت أبا الحسين علي بن محمد

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٨/٤٩٢

الحافظ، سمعت الحافظ أبا محمد المنذري يقول: سألت شيخنا أبا الحسن علي بن المفضل الحافظ عن أربعة تعاصروا: أيهم أحفظ؟ فقال: من؟ قلت: الحافظ ابن ناصر وابن عساكر؟ فقال: ابن عساكر. فقلت: الحافظ أبو موسى المديني وابن عساكر؟ قال: ابن عساكر؛ فقلت: الحافظ أبو طاهر السلفي وابن عساكر؟ فقال: السلفي شيخنا. قلت: يعني أنه ما أحب أن يصرح بتفضيل ابن عساكر بل لوح بتفضيل شيخه بأنه شيخه، ثم أبو موسى أحفظ من السلفي مع أن السلفي من بحور." (١)

"[فصل في حقيقة الزهد]) قال الخلال ما بلغني أن أحمد سئل عن الزاهد يكون زاهدا ومعه مائة دينار قال نعم على شريطة إذا زادت لم يفرح، وإذا نقصت لم يحزن قال وبلغني أن أحمد قال لسفيان: **حب الرياسة** أعجب إلى الرجل من الذهب والفضة، ومن **أحب الرياسة** طلب عيوب الناس أو عاب الناس أو نحو هذا وقال أبو الخطاب سئل أحمد وأنا شاهد: ما الزهد في الدنيا قال قصر الأمل والإياس مما في أيدي الناس.وفي الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «إن هذا المال حلوة خضرة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع» وعن أبي ذر مرفوعا «ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها نفيت عنك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] » . رواه الترمذي.وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعمرو بن واقد منكر الحديث يعني الذي في إسناده وكذا قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي والدارقطني متروك، وضعفه أيضا غيرهم.ورواه ابن ماجه من حديثه.قال الشيخ تقي الدين إذا سلم فيه القلب من الهلع واليد من العدوان." (٢)

"أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل ظني ثم أني مسلموروي عن الإمام أحمد أنه سئل عن الزهد قال قصر الأمل.ورواه في موضع آخر عن سفيان عن الزهري أنه قال ذلك.وقال عبد الله بن أحمد حدثني أبي سمعت سفيان يقول ما ازداد رجل علما فازداد من الدنيا قربا إلا ازداد من الله بعدا.وقال أحمد بن عبد الله بن خالد بن ماهان المعروف بابن أسد: سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع فقال أنا أستغفر الله لا يحل لي أن أتكلم في الورع، وأنا آكل من غلة بغداد لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه لأنه كان لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السواد. ذكره ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد، وروى الترمذي عن زيد بن أخزم عن إبراهيم بن أبي الوزير عن عبد الله بن جعفر المخرمي عن محمد بن عبد الرحمن بن نبيه عن ابن المنكدر عن جابر - رضي الله عنه - قال «ذكر رجل عند النبي - صلى الله عليه وسلم - بعبادة واجتهاد وذكر آخر برعة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا يعدل بالرعة شيء» ابن نبيه تفرد عنه المخرمي وباقيه جيد قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.وروى الخلال عن الفضل قال علامة الزهد في الناس إذا لم يحب ثناء الناس عليه ولم يبال بمذمتهم وإن قدرت أن لا

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٤/٨٥

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٤١

تعرف فافعل وما عليك ألا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله عز وجل، ومن أحب أن يذكر لم يذكر.وقال إسحاق بن بنان قال أحمد: سمعته يقول يعني بشرا قال إبراهيم بن أدهم ما صدق الله عبد **أحب الشهرة.**وقال المروذي سمعت أبا عبد الله يقول من بلي بالشهرة لم يأمن أن يفتنوه لأني لا أفكر في بدء أمري، طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة.قال ابن عقيل في الفنون هجران الدنيا في عصرنا هذا ليس من الزهد في شيء، إنما المنقطع أنف من الذل فإن مخالطة القدري والتخلي عنهم." (١)

"(غداة النجيع النقس والصحف الفعل ... ومملي الحمام النصر والكاتب النصل)(وحيث البروق البيض والركض رعدها ... وصف البنود السحب والوابل النبل)ومن ذلك قوله من قصيدة من الطويل(فلا خاب ظني في العقيق وأهله ... كما لم يخب في الظافر الملك سائل)(هو البحر كم مرت به من عجيبة ... تحدث عنها قبل ذاك السواحل)(وكم صحبت لدن العوالي يمينه ... فللتيه والإعجاب هن عواسل)(وياكم له من قفة ظافرية ... بها أينعت أغصانهن الذوابل))٣ - (كمال الدين قاضي المقس)الخضر بن أبي بكر بن أحمد القاضي كمال الدين الكردي قاضي المقس قال قطب الدين كان محترما عند المعز فعلق به **حب الرياسة** فصنع خاتما وجعل تحت فصه وريقة فيها أسماء جماعة عندهم فيما زعم ودائع للفائزي وادعى أن الخاتم للفائزي وأظهر بذلك التقرب إلى السلطان ودخل في أذية الناس وجرت خطوب ثم وضح أمره فحبس وصفع فقال فيه بعض شعراء عصره وقد صفع من الرجز(ما وفق الكمال في أفعاله ... كلا ولا سدد في أقواله)يقول من أبصره يصك تأديبا على ما كان من محاله(قد كان مكتوبا على جبينه ... فقلت لا بل كان في قذاله)وكان في الحبس شخص يدعي أنه من أولاد الخلفاء مات وله ولد في الحبس فلما خرج الكردي شرع في السعي لولده وتحدث مع جماعة من الأعيان وكتب مناشير وتواقيع بأمور واتخذ بنودا فبلغ الخبر السلطان فشنق وعلقت البنود والتواقيع في حلقه وذلك سنة ستين وست مائة٣ - (سعد الدين ابن شيخ الشيوخ)الخضر ويسمى مسعود بن عبد السلام ويسمى أبو عبد الله بن عمر بن علي ابن حموية الشيخ الكبير سعد الدين أبو سعد ابن شيخ الشيوخ تاج الدين أخو شيخ الشيوخ شرف الدين ولد سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة وتوفي سنة أربع وتسعين وست مائة وسمع من ابن طبرزد والكندي وجماعة وأجاز له ابن كليب وأبو الفرج ابن الجوزي وابن المعطوش وعبد الله بن أبي المجد الحربي وخدم في شبيبته وتعانى الجندية مع بني عمه الأمراء الأربعة ثم تصوف ولبس البقيار وأمه من ذرية أبي القاسم القشيري وجمع تاريخا في." (٢)

"واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرت بيننا مباحثات وكان شيخا ذكيا مثريا له جانب من السلطان لكنه معجب بنفسه مؤذ لجليسه وأظهرني الله عليه في مباحث ثم أهملت جانبه وكان يتأذى بإهمالي وعملت بدمشق تصانيف جمة ثم توجهت إلى صلاح الدين بظاهر عكا واجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر يومئذ فانبسط إلي وأقبل علي وقال تجتمع بعماد الدين الكاتب فوجدته يكتب كتابا إلى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا إلى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٤٣

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣/٢٠٥

على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه على إخراج الكلام وكان يكتب بجملة أعضائه وسألني عن قوله تعالى حتى إذا جاءها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها أين جواب إذا وأين جواب لو في قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والإملاء وقال لي ترجع إلى دمشق وتجرى عليك الجرايات فقلت أريد مصر فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله لها فلما وصلت القاهرة جاءني ابن سناء الملك)وكيله فأنزلني دارا قد زيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة ثم مضى إلى أرباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب وكان في كل عشرة أيام ونحوها تصل تذكرة الفاضل في مهمات الدولة وفيها فضل توكيد الوصية بي فأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ أقرئ الناس وكان قصدي ياسمين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وأبا القاسم الشراعي أما ياسمين فوجدته محاليا كذابا وموسى اليهودي وجدته فاضلا لا في الغاية قد غلب عليه **حب الرياسة** وخدمة أرباب الدنيا وأما أبو القاسم فوجدته كما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين سيرته سيرة الحكماء العقلاء ووجدته قيما بكتب القدماء وإذا تفاوضنا في الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة ثم عدت إلى القدس وأخذت من كتب القدماء ما أمكنني وكتب لي السلطان صلاح الدين علة ديوان الجامع كل شهر بثلاثين دينارا وأطلق لي أولاده رواتب ورجعت إلى دمشق وأكببت على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع وكلما أمعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء وعرفت حقيقة الحال في وضعها ومن وضعها وما كان قصده في ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين فإن أكثر الناس هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء ثم إن صلاح الدين توفي وأقمت بدمشق وملكها الأفضل إلى أن جاء العزيز بعساكر مصر وتأخر إلى مرج الصفر لقولنج عرض له فخرجت إليه بعد خلاصه فأذن لي في الرحيل معه وأجرى علي من بيت المال كفايتي وزيادة وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلازمني صباحا ومساء إلى أن قضى نحبه وكنت أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب." (١)

"٤٧٧ - عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوية الجوينيالنيسابوري إمام الحرمين أبو المعالي ولد الشيخ أبي محمدهو الإمام شيخ الإسلام البحر الحبر المدقق المحقق النظار الأصولي المتكلم البليغ الفصيح الأديب العلم الفرد زينة المحققين إمام الأئمة على الإطلاق عجما وعربا **وصاحب الشهرة** التي سارت السراة والحداة بها شرقا وغرباهو البحر وعلومه درره الفاخرة والسماء وفوائده التي أنارت الوجود نجومها الزاهرة يمل الحديد من الحديد وذهنه لا يمل من نصرة الدين فولاذه وتكل الأنفس وقلمه يسح وابل دمعه ورذاذه ويدجو الليل البهيم ولا ترى بدرا إلا وجهه في محرابه ولا ناظرا طرفه ناظرا في كتابهبطل علم إذا رآه النظار أفحموا وقالوا ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ وفارس بحث يضيق على خصمائه الفضاء الواسع حتى لا يفوته الهارب منهم في الأرض يحور ولو أنه الطائر في السماء يحومتفد المشكلات إليه فيصدها وترد السؤالات عليه فلا يردها(أبدا على طرف اللسان جوابه ... فكأنما هي دفعة من صيب)(يغدو مساجله بعزة صافح ... ويروح معترفا بذلة مذنب)." (٢)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩/٧٧

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٥/١٦٥

"علينا هذا فلم نر مثله، وقال الحافظ الرئيس أبو المواهب بنصصرى: أما أنا فكنت أذاكره في خلواته عن الحفاظ الذين لقيهم، فقال: أما ببغداد، فأبو عامر البغدادي، وأما بأصبهان فأبو نصر اليونارتي، لكن إسماعيل الحافظ كان أشهر منه، فقلت له: فعلى هذا ما رأى سيدنا مثله فقال: لا تقل هذا، قال الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ [النجم: ٣٢] ، قلت: وقد قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى: ١١] قال: نعم لو قال قائل: إن عيني لم تر مثلي لصدق، قال أبو المواهب: وأنا أقول: لم أر مثله ولا من اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر، والاعتكاف في رمضان،وعشر ذي الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك، وبناء الدور قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة وإياها بعد ما عرضت عليه، وقلة التفاته إلى الأمراء، وأخذ نفسه بالأمر والنهي عن المنكر، لا يأخذه في الله لومة لائم، ثم قال لي: لما عزمت على التحديث، الله مطلع أنه ما حملني على ذلك **حب الرياسة** والتقدم بل قلت: متى أروي ما جمعت ويأتي بفائدة أخلفه بعدي صحائف، فاستخرت الله، واستأذنت أعيان شيوخي، ورؤساء البلد، وطفت عليهم فكل قال: ومن أحق بهذا منك؟ ، فشرعت في ذلك ثلاث وثلاثين، وذكره ابن النجار في تاريخه فقال: هو إمام المحدثين في وقته،ومن انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والمعرفة التامة بعلوم الحديث والثقة والنبل، وحسن التصنيف والتجويد والثقة، وبه ختم هذا الشأن.روى عنه جماعة في حياته سماعا وإجازة، قال: وقرأت بخط الحافظ معمر بن الفاخر في معجمه، أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي الحافظ من لفظه بمنى إملاء يوم النحر الأول، وكان أحفظ من رأيت من طلبة الحديث والشأن، وكان." (١)

"الشر -إلا من عصم الله -أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم" (١) .وروي مثله عن إسحاق بن البهلول، عن ابن أبي فديك، عن محمد بن عبد الواحد الأخنسي، عن عبد الواحد بن أبي كثير، عن جابر بن عبد الله مرفوعا، مثله (٢) .وروي عن الحسن مرسلا نحوه (٣) ، فقيل للحسن: فإنه يشار إليك بالأصابع؟ فقال: إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق (٤) .وعن علي، رضي الله عنه، قال: لا تبدأ لأن تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم،واصمت تسلم، تسر الأبرار، وتغيظ الفجار.وقال إبراهيم بن أدهم، رحمه الله: ما صدق الله من **أحب الشهرة**.وقال أيوب: ما صدق الله عبده إلا سره ألا يشعر بمكانه.وقال محمد بن العلاء: من أحب الله أحب ألا يعرفه الناس.وقال سماك بن سلمة: إياك وكثرة الأخلاء.وقال أبان بن عثمان: إن أحببت أن يسلم لك دينك فأقل من المعارف؛ كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم.وقال: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن عوف، عن أبي رجاء قال: رأى طلحة قوما يمشون معه، فقال: ذباب طمع، وفراش النار.وقال ابن إدريس، عن هارون بن عنترة (٥) ، عن سليم بن حنظلة قال: بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال: إنها مذلة للتابع، وفتنة للمتبوع.وقال ابن عون، عن الحسن: خرج ابن مسعود فاتبعه أناس، فقال: والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي، ما اتبعني منكم رجلان.وقال حماد بن زيد: كنا إذا مررنا على المجلس، ومعنا أيوب، فسلم، ردوا ردا شديدا، فكان ذلك يغمه.وقال عبد الرزاق، عن معمر: كان أيوب يطيل قميصه، فقيل له في ذلك، فقال: إن الشهرة

---

(١) طبقات الشافعيين ابن كثير ص/٦٩٥

فيما مضى كانت في طول القميص، واليوم في تشميره. واصطنع مرة نعلين على حذو نعلي النبي صلى الله عليه وسلم، فلبسهما أياما ثم خلعهما، وقال: لم أر الناس يلبسونهما.وقال إبراهيم النخعي: لا تلبس من الثياب ما يشهر في الفقهاء، ولا ما يزدريك السفهاء.وقال الثوري: كانوا يكرهون من الثياب الجياد، التي يشتهر بها، ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم. والثياب الرديئة التي يحتقر فيها، ويستذل دينه.______________(١) التواضع والخمول برقم (٣٠) وفيه سنان بن سعد ضعيف.(٢) التواضع والخمول برقم (٣١) وقال العراقي: "ليس معروفا من حديث جابر إنما هو معروف من حديث أبي هريرة".(٣) التواضع والخمول برقم (٣٢) .(٤) التواضع والخمول برقم (٣٣) .(٥) في أ: "هارون بن أبي عشيرة".." (١)

"وروي أيضا من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعا «قال الله: من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع إن صبر على ذلك» قال: ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال «عجلت منيته، وقل تراثه، وقلت بواكيه» وعن عبد الله بن عمرو قال: أحب عباد الله إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ قال: الفرارون بدينهم يجمعون يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم.وقال الفضيل بن عياض: بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أنعم عليك، ألم أعطك، ألم أسترك؟ ألم ... ألم ... ألم أخمل ذكرك. ثم قال الفضيل: إن استطعت ألا تعرف فافعل، وما عليك أن لا يثنى عليك، وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محمودا عند الله. وكان ابن محيريز يقول: اللهم إني أسألك ذكرا خاملا. وكان الخليل بن أحمد يقول:اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك، واجعلني في نفسي من أوضع خلقك. وعند الناس من أوسط خلقك.(باب ما جاء في الشهرة)ثم قال: حدثنا أحمد بن عيسى المصري، حدثنا ابن وهب عن عمر بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: حسب امرئ من الشر إلا من عصم الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه، وإن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم» وروي مثله عن إسحاق بن البهلول عن ابن أبي فديك، عن محمد بن عبد الواحد الأخنسي، عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعا مثله، وروي عن الحسن مرسلا نحوه فقيل للحسن: فإنه يشار إليك بالأصابع، فقال: إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق.وعن علي رضي الله عنه قال: لا تبدأ لأن تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم، واصمت تسلم، تسر الأبرار وتغيظ الفجار. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ما صدق الله من **أحب الشهرة**. وقال أيوب: ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه. وقال محمد بن العلاء: من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس. وقال سماك بن سلمة: إياك وكثرة الأخلاء وقال أبان بن عثمان: إن أحببت أن يسلم إليك دينك فأقل من المعارف. كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم.وقال: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن عوف عن أبي رجاء قال: رأى طلحة قوما يمشون معه فقال: ذباب طمع وفراش النار.." (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٤٣/٦

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٠٦/٦

"الصدق هو المعجز] فقط فهذا المعجو سواء ظهر على الملك، أو على البشر، وجب الإقرار برسالته، فقولهم: «لا بد وأن يكون الرسول من الملائكة» : تحكم فاسد باطل.والجواب الثاني عن شبهتهم، وهي أن أهل الأرض لو كانوا ملائكة، لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل، فلما كان [أهل الأرض] من البشر، فوجب أن يكون رسولهم من البشر؛ وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السمآء ملكا رسولا﴾ [الإسراء: ٩٥] .الجواب الثالث: قوله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ .وتقريره أن الله تعالى، لما أظهر المعجزة على وفق دعواى، كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقا، ومن شهد الله على صدقه، فهو صادق، فقولكم بأن الرسول يجب أن يكون ملكا، فذلك تحكم فاسد؛ لا يلتفت إليه. ولما ذكر الله تعالى هذه الأجوبة الثلاثة، أردفها بما يجري مجرى التهديد، والوعيد؛ فقال: ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ [الإسراء: ٩٦] . أي: يعلم ظواهرهم وبواطنهم، ويعلم أنهم لا يذكرون هذه الشبهات إلا لمحض الحسد، **وحب الرياسة**.قوله: ﴿أن يؤمنوا﴾ : مفعول ثان ل «منع» ، أي: ما منعهم إيمانهم؛ و «أن قالوا» هو الفاعل، و «إذ» ظرف ل «منع» ، والتقدير: وما منع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى إياهم إلا قولهم: أبعث الله.وهذه الجملة المنفية يحتمل أن تكون من كلام الله، فتكون مستأنفة، وأن تكون من كلام الرسول، فتكون منصوبة المحل؛ لاندراجها تحت القول في كلتا القراءتينقوله: ﴿بشرا رسولا﴾ تقدم في نظيره وجهان، وكذلك قوله ﴿لنزلنا عليهم من السمآء ملكا رسولا﴾ .قوله تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض﴾ : يجوز في «كان» هذه التمام، أي: لو وجد، وحصل، و «يمشون» صفة ل «ملائكة» و «في الأرض» متعلق به، «مطمئنين» حال من فاعل «يمشون» ، ويجوز أن تكون الناقصة، وفي خبرها أوجه، أظهرها: أنه الجار، و «يمشون» و «مطمئنين» على ما تقدم.وقيل: الخبر «يمشون» و «في الأرض» متعلق به.وقيل: الخبر «مطمئنين» و «يمشون» صفة، وهذان الوجهان ضعيفان؛ لأن المعنى على الأول.فإن قيل: إنه تعالى لو قال: قل لو كان في الأرض ملائكة، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا كان كافيا في هذا المعنى. فما الحكمة في قوله: ﴿يمشون مطمئنين﴾ ؟! .." (١)

"قوله: «كانت ظالمة» في محل جر صفة ل «قرية» ، ولا بد من مضاف محذوف قبل «قرية» أي: وكم قصمنا من أهل قرية بدليل عود الضمير في قوله: «فلما أحسوا» ولا يجوز أن يعود على قوله «قوما» لأنه لم يذكر لهم ما يقتضي ذلك.فصللما حكى عنهم تلك الاعتراضات الساقطة، لكونها في مقابلة ما ثبت إعجازه، وهو القرآن ظهر لكل عاقل أن اعتراضهم كان لأجل **حب الرياسة** والدنيا.والمراد بقوله: «قصمنا» أهلكنا. قال ابن عباس: المراد منه القتل بالسيوف، والمراد بالقرية: حضور وسحول باليمن ينسب إليهما الثياب، وفي الحديث: «كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثوبين سحولين» ، وروي «حضورين» بعث الله إليهما نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم.وروي «أنه لما أخذتهم السيوف ناداه مناد من السماء يا لثارات الأنبياء» فندموا واعترفوا بالخطأ، و ﴿قالوا ياويلنآ إنا كنا ظالمين﴾ .وقال الحسن: المراد عذب الاستئصال. وهذا أقرب، أن إضافة ذلك إلى الله أقرب من إضافته إلى القائل، ثم بتقدير أن يحمل ذلك على عذاب القتل فما الدليل على الحصر في القريتين اللتين ذكرهما ابن عباس.وقوله:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٩٠/١٢

«كانت ظالمة» أي كافرة، يعني أهلها «وأنشأنا بعدها» أي: أحدثنا بعد علاك أهلها «قوما آخرين» . ﴿فلمآ أحسوا بأسنآ﴾ أي: عذابنا بحاسة البصر ﴿إذا هم منها يركضون﴾ أي: يسرعون هاربين.والركض ضرب الدابة بالرجل، يقال: ركض الدابة يركضها ركضا، ومنه قوله تعالى: «اركض برجلك» . فيجوز أن يركبوا دوابهم فيركضوها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب. ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين.." (١)

"ثم سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله بالطوفان فندم على ذلك.وقيل: لمراجعة ربه في شأن ابنه. وقيل: لأنه مر بكلب مجذوم، فقال له: اخسأ يا قبيح، فعوتب على ذلك، وقال الله تعالى: أعبتني إذ خلقته، أم عبت الكلب، وهذه وجوه متكلفة، لأن الأعلام لا تفيد صفة في المسمى.قوله: ﴿ياقوم اعبدوا الله﴾ : وحدوه ﴿ما لكم من إله غيره﴾ أي: أن عبادة غير الله لا تجوز إذ لا إله سواه. وقرئ «غيره» بالرفع على المحل، وبالجر على اللفظ.ثم إنه لما لم ينفع فيهم الدعاء واستمروا على عبادة غير الله حذرهم بقوله: «أفلا تتقون» زجرهم وتوعدهم باتقاء العقوبة لينصرفوا عما هم عليه ثم إنه تعالى حكى عنهم شبههم في إنكار نبوة نوح - عليه السلام -: وهي قولهم: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ وهذه الشبهة تحتمل وجهين:أحدهما: أن يقال: إنه لما كان سائر الناس في القوة والفهم والعلم والغنى والفقر والصحة والمرض سواء امتنع كونه رسولا لله، لأن الرسول لا بد وأن يكون معظما عند الله وحبيبا له، والحبيب لا بد وأن يختص عن غير الحبيب بمزيد الدرجة والعزة، فلما انتفت هذه الأشياء علمنا انتفاء الرسالة.والثاني: أن يقال: إن هذه الإنسان مشارك لكم في جميع الأمور، ولكنه **أحب الرياسة** والمتبوعية فلم يجد إليهما سبيلا إلا بادعاء النبوة، فصار ذلك شبهة لهم في القدح في نبوته، ويؤكد هذا الاحتمال قولهم: ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي: يطلب الفضل عليكم ويرأسكم.الشبهة الثانية: قولهم: ﴿ولو شآء الله لأنزل ملائكة﴾ أي: ولو شاء الله أن لا يتعبد سواه لأنزل ملائكة بإبلاغ الوحي، لأن بعثة الملائكة أشد إفضاء إلى المقصود من بعثة البشر، لأن الملائكة لعلو شأنهم وشدة سطوتهم، وكثرة علومهم ينقاد الخلق إليهم، ولا يشكون في رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا.." (٢)

"يفعلون فإن قيل: لم قال: ﴿أم تحسب أن أكثرهم﴾ فحكم بذلك على الأكثر دون الكل؟ فالجواب: لأنه كان فيهم من يعرف الله ويعقل الحق إلا أنه ترك الإسلام **لحب الرياسة** لا للجهل. فإن قيل: إنه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الإعراض عن الدين، وكيف بعث الرسول إليهم، فإن من شرط التكليف العقل؟ فالجواب: ليس المراد أنهم لا يعقلون بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل، فهو كقول الرجل لغيره إذا لم يفهم: إنما أنت أعمى وأصم.." (٣)

"المدح وكره الذم، فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم، وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح، فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق، دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلائه من محبة الحق، وما فيه رضا مولاه، كما قال ابن مسعود: اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله. وقد مدح الله الذين يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥٦/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٥/١٤

(٣) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤١/١٤

لائم.وقد روي عن السلف عبارات أخر في تفسير الزهد في الدنيا، وكلها ترجع إلى ما تقدم، كقول الحسن: الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال: هو أفضل مني، وهذا يرجع إلى أن الزاهد حقيقة هو الزاهد في مدح نفسه وتعظيمها، ولهذا يقال: الزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة، فمن أخرج من قلبه **حب الرياسة** في الدنيا والترفع فيها على الناس، فهو الزاهد حقا، وهذا هو الذي يستوي عنده حامده وذامه في الحق، وكقول وهيب بن الورد: الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فات منها، ولا تفرح بما آتاك منها، قال ابن السماك: هذا هو الزاهد المبرز في زهده.وهذا يرجع إلى أنه يستوي عند العبد إدبارها وإقبالها وزيادتها ونقصها، وهو مثل استواء حال المصيبة وعدمها كما سبق.وسئل بعضهم – أظنه الإمام أحمد – عمن معه مال، هل يكون زاهدا؟ قال: إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه، أو كما قال.وسئل الزهري عن الزاهد فقال: من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره، وهذا قريب مما قبله، فإن معناه أن الزاهد في الدنيا إذا قدر." (١)

"الزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة (١) ، فمن أخرج من قلبه **حب الرياسة** في الدنيا، والترفع فيها على الناس، فهو الزاهد حقا، وهذا هو الذي يستوي عنده حامده وذامه في الحق، وكقول وهيب بن الورد: الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فات منها، ولا تفرح بما آتاك منها (٢) ، قال ابن السماك: هذا هو الزاهد المبرز في زهده.وهذا يرجع إلى أنه يستوي عند العبد إدبارها وإقبالها وزيادتها ونقصها، وهو مثل استواء المصيبة وعدمها كما سبق.وسئل بعضهم – أظنه الإمام أحمد – عمن معه مال: هل يكون زاهدا؟ قال: إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه، أو كما قال.وسئل الزهري عن الزاهد فقال: من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره (٣) ، وهذا قريب مما قبله، فإن معناه أن الزاهد في الدنيا إذا قدر منها على حرام، صبر عنه، فلم يأخذه، وإذا حصل له منها حلال، لم يشغله عن الشكر، بل قام بشكر الله عليه.قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لسفيان بن عيينة: من الزاهد في الدنيا؟ قال: من إذا أنعم عليه شكر (٤) ، وإذا ابتلي صبر. فقلت: يا أبا محمد __________(١) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٢٣٨/٨ من قول يوسف بن أسباط.(٢) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ١٤٠/٨.(٣) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٢٨٧/٧. ...(٤) من قوله: ((لم يشغله عن الشكر ...)) سقطت من (ص) .." (٢)

"فصل في التحقيق والتراث والمحققينقد أفردت للذين شاركوا في هذا الكتاب لوحة شرف، وهذا أقل ما يجب نحوهم، حتى وإن اعترى عملهم شيء من التقصير، ولسائل أن يقول: لم هذا الزحام في كتابة أسماء المشاركين في التحقيق، ألا يكفي اثنان أو ثلاثة من المحققين البارزين؟والحقيقة أني تعمدت ذلك لأسن سنة حسنة، وإن سبقني إليها غيري فأنا أحييها، فإن المقتدين بها قلة، وأرى أن إظهار الذين قاموا بالعمل أفضل من عمل البعض من التنويه بهم في صفحات مخفية بغية ألا يطلع عليهم أحد، وأرى أن فعلي هذا هو الذي تقتضيه الديانة والأمانة، والغريب أن غالب أهل الباطل يعزون العمل إلى فاعليه كما في الأفلام والمسلسلات بل وفي الأغاني القصيرة! تجد عشرات؛ بل أحيانا مئات الأسماء لوصف طبيعة عملهم بدقة، أليس حريا بأهل العلم أن يكونوا مثلا يحتذى به في الصدق والأمانة ونسبة العمل إلى أصحابه؟ ولا ندعو بذلك إلى

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ١٨٣/٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٨٦٢/٢

تقليد الأفلام، ولكن كثيرا من الأخلاق والمعاملات الإسلامية قد افتقدها المسلمون وأخذ بها طلاب الدنيا ففاقوا بها كثيرا من المسلمين، ولست بحاجة أن أدلل على ذلك.إن من طبائع النفس البشرية التطلع إلى **حب الشهرة** والظهور، وهذه طبيعة تحتاج إلى توجيه وترشيد وتقويم، ولو أطلق لها العنان ووجدت." (١)

"٩ – باب من شاق شق الله عليه٧١٥٢ – حدثنا إسحاق الواسطي، حدثنا خالد، عن الجريرى، عن طريف أبي تميمة قال: شهدت صفوان وجندبا وأصحابه وهو يوصيهم فقالوا: هل سمعت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئا؟ قال: سمعته يقول: «من سمع سمع الله به يوم القيامة. قال: ومن يشاقق يشقق الله عليه يوم القيامة». فقالوا: أوصنا. فقال: إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبا فليفعل، ومن استطاع أن لا يحال بينه وبين الجنة بملء كفه من دم أهراقه فليفعل». قلت لأبي عبد الله: من يقول: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جندب؟ قال: نعم جندب. [انظر: ٦٤٩٩ – مسلم: ٢٩٨٧ – فتح: ١٣/ ١٢٨].ذكر فيه حديث طريف أبي تميمة قال: شهدت صفوان وجندبا وأصحابه وهو يوصيهم فقالوا: (هل) (١) سمعت من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئا؟ قال: سمعته يقول: "من سمع سمع الله به يوم القيامة –قال– ومن يشاقق يشقق الله عليه يوم القيامة". فقالوا: أوصنا. فقال: إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبا فليفعل، ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة بملء كفه من دم أهراقه فليفعل.الشرح:قال الخطابي: معنى الحديث من راءى بعلمه وسمع الناس ليكرموه بذلك ويعلموه فضحه الله به يوم القيامة، حتى يرى الناس ويسمعوا ما يحل به من الفضيحة؛ عقوبة على ما كان منه في الدنيا من **حب الشهرة** والسمعة (٢). ــــــــــــــــ(١) من (ص١).(٢) "أعلام الحديث" ٤/ ٢٣٣٦. بتصرف.." (٢)

"فيه! فقال ابن عباس: إذا جاء القضاء عمي البصر. وقال لولده: يا بني عليك بالأدب، فإنه دليل على المروءة، وأنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، وقرين في الحضر، وصدر في المجلس، ووسيلة عند انقضاء الوسائل، وغني عند العدم، ورفعه للخسيس، وكمال للشريف، وجلال للملك. (وقال) سقراط: من فضيلة العلم أنك لا تقدر على أن يخدمك فيه أحد كما تجد من يخدمك في سائر الأشياء بل تخدمه بنفسك، ولا يقدر أحد على سلبه عنك. وقيل لبعض الحكماء: لا تنظر فغمض عينيه وقيل له: لا تسمع فسد أذنيه، وقيل له:لا تتكلم فوضع يده على فيه، وقيل له: لا تعلم فقال: لا أقدر عليه. وعن بعض الحكماء:عظم العلم في ذاتك، وصغر الدنيا في عينك، وكن ضعيفا عند الهزل، قويا عند الجد، ولا تلم أحدا على فعل يمكن أن يعتذر منه، ولا ترفع شكايتك إلا إلى من ترى نفعه عندك حتى تكون حكيما فاضلا. ولبعضهم: آفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء **حب الرياسة**.(وأما النكت) فالمعصية عند الجهل لا يرجى زوالها، وعند السهو يرجى زوالها انظر إلى زلة آدم فإنه بعلمه استغفر، والشيطان عصى وبقي في الغي أبدا، لأن ذلك كان بسبب الجهل، وإن يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج إلى وزير فسأل جبريل عن ذلك فقال: إن ربك يقول لا تختر إلا فلانا، فرآه في أسوأ الأحوال. فقال لجبريل: كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله؟ فقال له جبريل: إن ربه عينه لذلك لأنه ذب عنك

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٣/١

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٤٥١/٣٢

بعلمه حين قال وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين [يوسف: ٢٧] والنكتة أن من ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته، فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والإحسان؟ وقيل: أراد واحد خدمة ملك فقال الملك: اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم، بعث الملك إليه وقال: اترك التعلم فقد صرت أهلا لخدمتي. فقال كنت أهلا لخدمتك حين لم تربي أهلا لخدمتك، وحين رأيتني أهلا لخدمتك رأيت نفسي أهلا لخدمة الله، وذلك لأني كنت أظن أن الباب بابك لجهلي والآن علمت أن الباب باب الرب. (وقال الحكيم:) القلب ميت وحياته بالعلم، والعلم ميت وحياته بالطلب، والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة، فإذا قوي بالمدارسة فهو محتجب، وإظهاره بالمناظر وإذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم، ونتاجه بالعمل فإذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا أبديا لا آخر له. وإن نملة واحدة نالت الرياسة بمسألة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون [النمل: ١٨] كأنها إشارة إلى تنزيه الأنبياء عن المعصية وإيذاء البريء من غير جرم فقالت: لو حطمكم فإنما يصدر ذلك على سبيل السهو. فمن علم حقائق الأشياء من الموجودات والمعدومات، كيف لا يستحق الرياسة في الدين." (١)

"النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون [المطففين: ٢٦] سابقوا إلى مغفرة من ربكم [الحديد: ٢١]وقال صلى الله عليه وسلم «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا وأنفقه في سبيل الله، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس» «١»وهذا يدل على أن الحسد قد يطلق على المنافسة، وقد تكون واجبة إذا كانت النعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة، وقد تكون مندوبة في نحو الإنفاق في سبيل الله وتشهي العلم والتعليم، وقد تكون مباحة. وللحسد مراتب أربع: الأولى، أن يحب زوال النعمة عنه وإن لم تحصل له وهذه أخبث. الثانية: أن يحب زوالها عنه إليه كرغبته في داره الحسنة أو امرأته أو ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له، فأما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض. الثالثة: أن لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة:أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها عنه. وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة منها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف والأولى أخبث قال تعالى: ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض [النساء:٣٢] تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم. وأسباب الحسد سبعة: أولها العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسان أبغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المنشئ للتشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى منه بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها [آل عمران: ١٢٠] . وربما أفضى هذا الحسد إلى التنازع والتقاتل، وثانيها التعزز فإن واحدا من أمثاله إذا نال منصبا عاليا فترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك، أراد زوال ذلك المنصب عنه. وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته. وثالثها: أن يكون في طبعه أن يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [الزخرف: ٣١] أهؤلاء من الله عليهم من بيننا [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار لهم والأنفة منهم. ورابعها: التعجب أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم [الأعراف: ٦٣]

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٢٩/١

وخامسها: الخوف من فوت المقاصد وذلك يتحقق من المتزاحمين على مقصود واحد، كتحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند الأبوين، وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على أهل بلدة. وسادسها: **حب الرياسة** كمن يريد أن يكون________________(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٢٤.." (١)

"«الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» «١»وإنما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والأنوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد وبتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء» «٢»وقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا [الكهف: ٦٦] . واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الأمارات بالسوء فاستشهدوا عليهن أربعة منكم أي من خواص العناصر الأربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصه الخسة والذلة، والماء ومن خواصه اللين والأنوثة والشره، والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة، والنار ومن خواصها الكبر والغضب **وحب الرياسة** فإن شهدوا بأن يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فأمسكوهن في البيوت في سجن الدينا وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب إلى عالم الغيب والذان يأتيانها أي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الأعمال وباطنا في الأحوال والأخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فأعرضوا عنهما باللطف بعد العنف، وباليسر بعد العسر. بجهالة أي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لأن الظلومية تقتضي المعصية والإصرار عليها، والجهولية تقتضي المعصية فحسب. فالعمل السوء إذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال: ثم يتوبون من قريب أي عقيب المعصية.قال عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» «٣»والحسنة التوبة. ويحتمل أن يقال: من قريب أي قبل أن يموت القلب بالإصرار فإن الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لأنها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه إشارة إلى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الأمهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية إلا ما قد سلف من التدبير الإلهي في ازدواج الأرواح لضرورة اكتساب الكمالات، فإن الركون إلى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله أعلم.تم الجزء الرابع، ويليه الجزء الخامس أوله: والمحصنات من النساء..________________(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب ٤٨. مسلم في كتاب الفضائل حديث ١٤٣، ١٤٤. أبو داود في كتاب السنة باب ١٣.(٢) رواه البخاري في كتاب العلم باب ١٠. أبو داود في كتاب العلم باب ١. ابن ماجه في كتاب المقدمة باب ١٧. الدارمي في كتاب المقدمة باب ٣٢. أحمد في مسنده (٥/ ١٩٦) .(٣) رواه الترمذي في كتاب البر باب ٥٥. الدارمي في كتاب الرقاق باب ٧٤. أحمد في مسنده (٥/ ١٥٣، ٢٢٨) .." (٢)

"الأرض مسجدا وترابها طهورا» «١» .أما مسح الوجه واليد فعن علي وابن عباس: اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك لأن المسح مكتفى فيه بأقل ما يطلق عليه اسم المسح. وقال الشافعي وأبو حنيفة: يستوعب الوجه واليدين إلى المرفقين كما في الوضوء. وعن الزهري إلى الآباط، لأن اليد حقيقة لهذا العضو إلى الإبط، ثم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٦٤/١

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٨١/٢

ختم الآية بقوله: إن الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كان عادته العفو عن المذنبين كان أولى بالترخيص للعاجزين.عن عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت: فعاتبني أبوبكر وقال ما شاء الله أن يقول، فجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي. فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا. فقال أسيد بن الحضير وهو أحد النقباء: ما هو بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.ثم إنه سبحانه لما ذكر من أول السورة إلى هاهنا أحكاما كثيرة عدل إلى ذكر طرف من آثار المتقدمين وأحوالهم، لأن الانتقال من أسلوب إلى أسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال: ألم تر إلى الذين أي ألم ينته علمك؟ أو ألم تنظر إلى من أوتوا حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود؟ وإنما أدخل «من» التبعيضية لأنهم عرفوا من التوراة نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فأما الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه فقد وصفهم بأن معهم علم الكتاب في قوله: قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب [الرعد: ٤٣] لأنهم عرفوا الأمرين جميعا يشترون الضلالة يختارونها لأن من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قاله الزجاج. والمراد تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم لأغراضهم الفاسدة من أخذ الرشا **وحب الرياسة**. وقيل: المراد يستبدلون الضلالة– وهو البقاء على اليهودية– بالهدى– وهو الإسلام– بعد وضوح الآيات لهم على صحته. ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه، ولا أقبح ممن جمع بين هذين الأمرين، الضلال والإضلال. عن ابن عباس أن الآية نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس_____________(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٢٢).. " (١)

"تكن معادلة مكافية بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وتنقلب الطبائع كلها إلى طبيعة الجرم الغالب، ولو كان بعد الشمس من الأرض أقل مما هو الآن لاحتراق كل ما في هذا العالم، وإن كان أكثر استولى البرد والجمود، وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وإبطائها فإن كلا منها مقدر على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه. فهذه إشارة مختصرة إلى تحقيق العدل.وأما الإحسان فهو المبالغة في أداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هناقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»فكأن المبالغ المخلص في أداء الطاعات يوصل الفعل الحسن إلى نفسه وبالحقيقة يدخل في الإحسان أنواع التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، وأشرف أنواع الإشفاق صلة الرحم بالمال فلا جرم أفرد بالذكر كما مر. ثم إنه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعا: الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية. وهذه الأخيرة لا تحتاج إلى التهذيب لأنها من نتائج الأرواح القدسية، وأما الثلاث الأول فتحتاج إلى التأديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة أو النهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٢١/٢

الشهوية الخارجة عن إذن الشريعة، والنهي عن المنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوة الغضبية من إيذاء الناس وإيصال الشر إليهم من غير ما استحقاق، والنهي عن البغي إشارة إلى المنع من إفراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع **وحب الرياسة** والتقدم ممن ليس أهلا لذلك، وأخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية، وأوسطها الغضبية، وأعلاها الوهمية فلهذا بدأ سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي، ولأن أصول الأخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الآية لا جرم ختمها بقوله: يعظكم لعلكم تذكرون لأنها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية إلى ذروة عالم الأرواح المقدسة. قال الكعبي: في الآية دلالة على أنه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء وإلا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم؟ وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا. واعلم أنه لا يلزم من إرادة الله تذكر العبد- والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد- أن يطلب الله منه التذكر فإن طلب ما ليس في وسعه محال. فمعنى لعلكم تذكرون إرادة أن تكونوا على حالة التذكر لا إرادة أن تحصلوا التذكر. ثم خص من جملة المأمورات الوفاء بالعهد فقال: وأوفوا بعهد الله خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله [الفتح: ١٠] .وقال الأصم: المراد منه الجهاد وما فرض الله في الأموال من حق الشرائع. وقيل: هو." (١)

"فبقوا في أسفل سافلين الطبيعة يحلون فيها من أساور والتحلية بالأساور إشارة إلى ظهور آثار الملكات عليهم وقوله: من ذهب رمز إلى أنها ملكات مستحسنة معتدلة راسخة يلبسون ثيابا فيه أن أنوار العبادات تلوح عليهم وتشتمل بهم. وقوله: خضرا إشارة إلى أنها أنوار غير قاهرة ومن سندس إشارة إلى ما لطف من الرياضات وإستبرق إلى ما شق منها متكئين فيها على الأرائك لأنهم فرغوا بها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن. جعلنا لأحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من أعناب الشهوات وحففناهما بنخل **حب الرياسة** وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس. وكان له ثمر من أنواع الشهوات وهو يحاوره يجاذب النفس والقلب أنا أكثر منك مالا أي ميلا وأعز نفرا من أوصاف المذمومات وهو ظالم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لأجدن خيرا منها لأنه غر بالله وكرمه فلا جرم يقال له ما غرك بربك الكريم، هلا قلت ما شاء الله أي أتصرف في جنة الدنيا كما شاء الله على ما أنفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كماء أنزلناه هو الروح العلوي الذي نزل إلى أرض الجسد فاختلط الروح بالأخلاق الذميمة فأصبح هشيما تلاشت منه نداوة الأخلاق الروحانية تذروه رياح الأهوية المختلفة فيكون حاله خلاف روح أدركته العناية الأزلية فبعث إليه دهقان من أهل الكمال فرباه بماء العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة. والباقيات الصالحات أي ما فني منك وبقي بربك والله أعلم بالصواب.[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٤٧ الى ٥٩]ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (٤٧) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا (٤٨) ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا (٤٩) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤/٣٠٠

أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (٥٠) ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا (٥١)ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٢) ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (٥٣) ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا (٥٤) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا (٥٥) وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا (٥٦)ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا (٥٧) وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا (٥٨) وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا (٥٩)." (١)

"الحجارة. أفلم يكونوا في مرات مرورهم على تلك القرية في متاجرهم إلى الشام يرونها بل كانوا قوما كفروا بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا إلى آثار عذاب الله نظر عبرة وادكار. ومن جملة كفرهم وعنادهم أنهم إذا رأوك إن يتخذونك إلا محل هزؤ. ثم فسر ذلك الاستهزاء بأنهم يقولون مشيرين إليه على سبيل الاستحقار.هذا الذي بعثه الله حال كونه رسولا بزعمه. ويجوز أن يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث إنه تسليم وإقرار في معرض الجحود والإنكار. وفي هذا جهل عظيم لأنهم إن استحقروا صورته فإنه أحسنهم خلقا وأعدلهم مزاجا مع أنه لم يكن يدعي التميز بالصورة، وإن استهزؤا بالمعنى فبه قد وقع التحدي بظهور المعجز عليه وقامت الحجة عليهم فهم أحق بالاستهزاء منه حين أصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق، ولقد شهد عليهم بمضمون هذا التقرير ابن أخت خالتهم إذ قالوا إن كادهي مخففة من الثقيلة واللام في ليضلنا هي الفارقة كأنهم سلموا أنه لقوة العقل وسطوع الحجة شارف أن يغلبهم على دينهم ويقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة آلهتهم. أطلقوا المقاربة أولا ثم قيدوها بلو لا الامتناعية ثانيا، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم بذل قصارى مجهوده في دعوتهم حتى شارفوا على الإيمان بزعمهم. وحين وصفوه بالإضلال والمضل لا بد أن يكون ضالا في نفسه فكأنهم وصفوه بالضلال فلا جرم أوعدهم الله على ذلك بقوله وسوف يعلمون إلى آخر الآية. وإنما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة. ثم بين إنه لا تمسك لهم فيما ذهبوا إليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله: أرأيت من اتخذ إلهه هواه قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول: علمت منطلقا زيدا. ثم نفى أن يكون هو حافظا عليهم كقوله: وما أنت عليهم بوكيل [الأنعام: ١٠٧] لست عليهم بمصيطر [الغاشية: ٢٢] قال الكلبي: نسختها آية القتال. عن سعيد بن جبير: كان الرجل يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر. ثم أضرب عن ذمهم باتخاذ الهوى إلها إلى نوع آخر أشنع في الظاهر قائلا: أم يحسب وهي منقطعة ومعناه «بل» أيحسب وخص أكثرهم بالذكر إما لصون الكلام عن المنع على عادة الفصحاء العقلاء، وإما لأن منهم من كان يعرف الحق إلا أن **حب الرياسة** يحمله على الخلاف. وإنما نفى عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما وأثرهما. وباقي الآية تفسيرها مذكور في آخر الأعراف

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٣٤/٤

في قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل [الأنعام: ١٧٩] قال جار الله: جعلوا أضل من الأنعام لأنها تنقاد لأربابها التي تعلفها وتعرف المحسن من المسيء وتجذب المنافع وتجتنب المضار وتهتدي للمراعي والمشارب، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان، ولا يطلبون أعظم المنافع وهو الثواب، ولا يتقون أشد المضار وهو العقاب، ولا يهتدون للحق الذي هو." (١)

"ألفا. وأما نصرهم في الآخرة فمن رفع الدرجات والتعظيم على رؤوس الأشهاد من الحفظة والأنبياء والمؤمنين وقد مر باقي تفسير الأشهاد في أوائل «هود» . ثم بين أن يوم القيامة لا اعتذار فيه لأهل الظلم والغواية وإن فرض اعتذار فلا يقبل وسوء الدار عذاب الآخرة. ثم أخبر عن إعطاء موسى التوراة وإيراثها قومه بعده. والمراد بكون الكتاب هدى أنه دليل في نفسه، وبكونه ذكرى أن يكون مذكرا للشيء المنسي. وحين فرغ من قصة موسى وما تعلق بها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله فاصبر إن وعد الله بالنصر وإعلاء كلمة الحق حق كما قص عليك من حال موسى وغيره. ثم أمره باستغفار لذنبه وقد سبق البحث في مثله مرارا. والعشي والإبكار صلاتا العصر والفجر أو المراد الدوام. قوله إن الذين يجادلون عود إلى ما انجر الكلام إليه من أول السورة إلى هاهنا. وفيه بيان السبب الباعث لكفار قريش على هذا الجدال وهو الكبر والحسد **وحب الرياسة**، وأن يكون الناس تحت تصرفهم وتسخيرهم لا أن يكونوا تحت تصرف غيرهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد أن تكون الأمة تحت أمره ونهيه وذلك تخيل فاسد لأن الغلبة لدين الإسلام ولهذا قال ما هم ببالغيه ثم أمره أن يستعيذ في دفع شرورهم بالله السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم فيجازيهم على حسب ذلك. ثم إنهم كانوا أكثر ما يجادلون في أمر البعث فاحتج الله تعالى عليهم بقوله لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ومن قدر على الأصعب في نظر المخالف وقياسه كان على الأسهل أقدر، فظاهر أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا برهان بل لمجرد الحسد والكبير بل لا يعرفون ما البرهان وكيف طريق النظر والاستدلال ولهذا قال ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ثم نبه على الفرق بين الجدال المستند على العناد والتقليد وبين الجدال المستند إلى الحجة والدليل قائلا وما يستوي الأعمى والبصير وحين بين التفاوت بين الجاهل والعالم أراد أن يبين التفاوت بين المحسن والمسيء ثم قال قليلا ما تتذكرون وفيه مزيد توبيخ وتقريع، وفيه أن هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معاندا مصرا. ثم صرح بوجود القيامة قائلا إن الساعة لآتية أدخل اللام في الخبر بخلاف ما في «طه» لأن المخاطبين هاهنا شاكون بخلاف المخاطب هناك وهو موسى، وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها. ومعنى لا يؤمنون لا يصدقون بالبعث. ثم إنه كان من المعلوم أن الإنسان لا ينتفع في يوم القيامة إلا بالطاعة فلا جرم أشار إليها بقوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم أكثر المفسرين على أن الدعاء هاهنا بمعنى العبادة، والاستجابة بمعنى الإنابة بقوله سبحانه إن الذين يستكبرون عن عبادتي والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٣٩/٥

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤١/٦

"٢٩٩ - "محمد" بن أبي البركات بن أبي الحسن بن أحمد الهمذاني بفتح الميم والمعجمة الصوفي البطائحي شيخ معمر جاوز المائة وجاور بمكة فحمله الشره **وحب الرياسة** على ادعاء لقي أبي الوقت والإجازة منه ثم تجاوز ذلك إلى أن ادعى السماع منه وحدث عنه أولا بالصحيح بالإجازة العامة ثم في الأخير حدث عنه بالإجازة الخاصة وانه لقنه هذه الكلمات سمعت الشيخ أبا الوقت الهروي يقول: أجزت لك رواية صحيح البخاري عني وحمل عني شيوخ شيوخنا كالفخر عثمان الثوري وغيره وقد كشف أبو بكر بن سدي امره فقال في معجمه: هو شيخ مسن ذكر لي أنه قرأ في صغره سورة الفاتحة على أبي العلاء بهمذان وانه سافر بعد وفاته لما ترعرع فقرأ بواسط وصحب الشيخ أحمد الرفاعي ولبس منه وأذن له أن يلبس عنه هذا الذي سمعت منه بديار مصر وكان قد سكن دمياط وتمشيخ فيها للنساء فملن إليه وكان جماعة أهل الطريق ينكرون عليه كالشيخ أبي الحسن بن سهل وغيره ثم تردد إلى مكة مرات وعلى ما ذكر لي من لقي أبي العلاء يكون مولده سنة خمسين فإنه قال وقد ترعرع وكانت وفاة أبي العلاء سنة تسع وستين فادعى بمكة أن مولده سنة ست وأربعين وخمس مائة ثم سمعت بمكة يقول: في سنة ثمان وخمسين وست مائة أربى على المائة ثلاث عشرة سنة واسمع في هذه السنة صحيح البخاري بإجازته العامة من أبي الوقت وسمع منه جماعة من العوام الذين لا يفهمون هذا الشان ثم سافر من مكة إلى مصر في صفر سنة تسع وخمسين ثم عاد إليها سنة ست وستين فشهد الموسم وحج وجاور إلى أن مات رحمه الله. ٣٠٠ - "محمد" بن أبي البركات الشريف هو محمد بن أسعد تقدم. ٣٠١ - "محمد" بن بريرة هو ابن هارون يأتي.." (١)

"وقيدتبين يديه بغلة أخرى مسرجة ملجمة، وسار بين يديه الشهود والأمناء. وقرأ سجله بجامع مصر على المنبر. وساق المسبحي في تاريخه السجل بطوله، وأضيف إليه في الأحكام مصر وبرقة وصقلية والشام وقضاء الحرمين ما عدا فلسطين، فإن الحاكم كان ولاها أبا طالب ابن بنت الزيدي الحسيني، فلم يجعل لابن أبي العوام عليه أمرا. وكان أبو طالب ترفع عن قضاء مصر، إلا أنه كان يهاب الحاكم، وجعل لأبي العباس النظر في المعيار، ودار الضرب، والصلاة والمواريث، والمساجد والجوامع، فباشر أبو العباس ذلك، وهو يترقب القتل. وكان يمكنه أن يستتر إلا أن **حب الرياسة** غلب عليه. وكان يركب أيام الجمع مع الحاكم، ويطلع إليه يوم السبت يعرفه ما جرى من أمر القضاة والشهود والأمناء بالبلاد، وما يتعلق بالحكم. ويجلس يوم الأحد والخميس بمصر، ويوم الاثنين والثلاثاء بالجامع الأزهر، ويوم الأربعاء لراحته. فكان ينقطع في دار له بالقرافة يتعبد فيها إلى المغرب، ويخلو بمن يريد من الشهود وغيرهم. ذكر ذلك كله إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن موسى الحسيني في كتابه أخبار قضاة مصر. وذكر أنه خلع عليه يوم العشرين من شعبان. وقرئ سجله بالقصر وبجامع مصر. فلم يزل على وظيفة القضاء إلى أن مات لعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثماني عشرة، فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر. وكان مولده بمصر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. وشهد عند محمد ابن النعمان سنة أربع وثمانين. وخلف الحسين بن النعمان على الفروض. وناب في الحكم عن الحسن بن كامل النائب عن الحسين بن النعمان. وكان من أهل

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٥/٩٢

الصيانة من صباه.ولما مات صلى عليه الظاهر ابن الحاكم وأخرج ترابا من كمه، فمر أن يوضع في قبره تحت خده، ذكر ذلك ابن ميسر في تاريخه.." (١)

"(قوله باب الصبر عند الصدمة الأولى)أي هو المطلوب المبشر عليه بالصلاة والرحمة ومن هنا تظهر مناسبة إيراد أثر عمر في هذا الباب وقد تقدم الكلام على المتن المرفوع مستوفى في زيارة القبور قوله وقال عمر أي بن الخطاب قوله العدلان بكسر المهملة أي المثلان وقوله العلاوة بكسرها أيضا أي ما يعلق على البعير بعد تمام الحمل وهذا الأثر وصله الحاكم في المستدرك من طريق جرير عن منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر كما ساقه المصنف وزاد أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة نعم العدلان وأولئك هم المهتدون نعم العلاوة وهكذا أخرجه البيهقي عن الحاكم وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره من وجه آخر عن منصور من طريق نعيم بن أبي هند عن عمر نحوه وظهر بهذا مراد عمر بالعدلين وبالعلاوة وأن العدلين الصلاة والرحمة والعلاوة الاهتداء ويؤيده وقوعهما بعد على المشعرة بالفوقية المشعرة بالحمل قاله الزين بن المنير وقد روي نحو قول عمر مرفوعا أخرجه الطبراني في الكبير من حديث بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي شيئا لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون إلى قوله المهتدون قال فأخبر أن المؤمن إذا سلم لأمر الله واسترجع كتب له ثلاث خصال من الخير الصلاة من الله والرحمة وتحقيق سبل الهدى فأغنى هذا عن التكلف في ذلك كقول المهلب العدلان إنا لله وإنا إليه راجعون والعلاوة الثواب عليهما وعن قول الكرماني الظاهر أن المراد بالعدلين القول وجزاؤه أي قول الكلمتين ونوعا الثواب لأنهما متلازمان قوله وقوله تعالى واستيعنوا بالصبر والصلاة الآية هو بالجر عطفا على أول الترجمة والتقدير وباب قوله تعالى أي تفسيره أو نحو ذلك وقوله وإنها قيل أفرد الصلاة لأن المراد بالصبر الصوم وهو من التروك أو الصبر عن الميت ترك الجزع والصلاة أفعال وأقوال فلذلك ثقلت على غير الخاشعين ومن أسرارها أنها تعين على الصبر لما فيها من الذكر والدعاء والخضوع وكلها تضاد **حب الرياسة** وعدم الانقياد للأوامر والنواهي وكأن المصنف أراد بإيراد هذه الآية ما جاء عن بن عباس أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة الآية أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد حسن وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى أخرجه أبو داود بإسناد حسن أيضا قال الطبري الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ولذلك قيل لمن لم يجزع صابر لكفه نفسه وقيل لرمضان شهر الصبر لكف الصائم نفسه عن المطعم والمشرب." (٢)

"تقوى رواية القاف ووقع في رواية الأصيلي عن أبي زيد المروزي وإذا شيت بمثناة فوقانية بدل الكاف وهو تغيير فاحش وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا وفي قوله طوبى لعبد إلخ إشارة إلى الحض على العمل بما يحصل به خير الدنيا والآخرة قوله أشعث صفة لعبد وهو مجرور بالفتحة لعدم الصرف ورأسه بالرفع الفاعل قال الطيبي أشعث رأسه مغبرة قدماه حالان

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٧٣

(٢) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٣

من قوله لعبد لأنه موصوف وقال الكرماني يجوز الرفع ولم يوجهه وقال غيره ويجوز في أشعث الرفع على أنه صفة رأس أي رأسه أشعث وكذا قوله مغبرة قدماه قوله إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة هذا من المواضع التي اتحد فيها الشرط والجزاء لفظا لكن المعنى مختلف والتقدير إن كان المهم في الحراسة كان فيها وقيل معنى فهو في الحراسة أي فهو في ثواب الحراسة وقيل هو للتعظيم أي إن كان في الحراسة فهو في أمر عظيم والمراد منه لازمه أي فعليه أن يأتي بلوازمه ويكون مشتغلا بخويصة عمله وقال بن الجوزي المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فإن اتفق له السير سار فكأنه قال إن كان في الحراسة استمر فيها وإن كان في الساقة استمر فيها قوله إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع فيه ترك **حب الرياسة** والشهرة وفضل الخمول والتواضع وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى قوله فتعسا كأنه يقول فأتعسهم الله وقع هذا في رواية المستملي وهي على عادة البخاري في شرح اللفظة التي توافق ما في القرآن بتفسيرها وهكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى والذين كفروا فتعسا لهم قوله طوبى فعلى من كل شيء طيب وهي ياء حولت إلى الواو وهو من يطيب كذا في رواية المستملي أيضا والقول فيه كالقول في الذي قبله وقال غيره المراد الدعاء له بالجنة لأن طوبى أشهر شجرها وأطيبه فدعا له أن ينالها ودخول الجنة ملزوم نيلها تكميل ورد في فضل الحراسة عدة أحاديث ليست على شرط البخاري منها حديث عثمان مرفوعا حرس ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها أخرجه بن ماجه والحاكم وحديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعا من حرس وراء المسلمين متطوعا لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم أخرجه أحمد وحديث أبي ريحانة مرفوعا حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله أخرجه النسائي ونحوه للترمذي عن بن عباس وللطبراني من حديث معاوية بن حيدة ولأبي يعلى من حديث أنس وإسنادها حسن وللحاكم عن أبي هريرة نحوه." (١)

"وقال الحسن: ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت. وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه:من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها.ومما جاء في النهي عن اللعن ما روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن المؤمن كقتله» «١» .وروينا في صحيح مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» .وروينا في سنن أبي داود، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن إن كان أهلا لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها» . ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة على العموم كقوله: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود، والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين ونحو ذلك.وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:لعن الله الواصلة والمستوصلة «٢» ، وأنه قال: لعن الله آكل الربا، وأنه قال: لعن الله المصورين، وأنه قال: لعن الله من لعن والديه، وأنه قال: لعن الله من ذبح لغير الله، وأنه قال: لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وأنه قال: لعن الله المتشبهين من الرجال والنساء،

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٦/٨٣

والمتشبهات من النساء بالرجال، وجميع هذه الألفاظ في البخاري ومسلم، بعضها فيهما، وبعضها في أحدهما، والله أعلم.ومما جاء في العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخمول نعمة، وكل يتبرأ والظهور «٣» نقمة وكل يتمنى» .وقال بعضهم:تلحف بالخمول «٤» تعش سليما ... وجالس كل ذي أدب كريموقال جعفر بن الفراء:من أخمل النفس أحياها وروحها ... ولم يبت طاويا منها على ضجرإن الرياح إذا اشتدت عواصفها ... فليس ترمي سوى العالي من الشجروقال أعرابي: رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس «٥» . وكان أبو معاوية الضرير يقول: في خصلتان، ما يسرني بهما رد بصري: قلة الإعجاب بنفسي، وخلو قلبي من اجتماع الناس إلي. وقال عمر رضي الله عنه: خذوا حظكم من العزلة. وصعد حسان على أطم «٦» من آطام المدينة ونادى بأعلى صوته يا صباحاه، فاجتمعت الخزرج، فقالوا ما عندك؟ قال:قلت: بيت شعر، فأحببت أن تسمعوه قالوا: هات يا حسان. فقال:وإن امرءا أمسى وأصبح سالما ... من الناس إلا ما جنى لسعيدولما بنى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له: تركت منازل إخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق، فقال: رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية، فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية.وقيل لعروة أخي مرداس: ألا تحدثنا ببعض ما عندك من العلم، فقال: أكره أن يميل قلبي باجتماعكم إلى **حب الرياسة**، فأخسر الدارين.وقال سفيان بن عيينة: دخلنا على الفضل في مرضه نعوده، فقال: ما جاء بكم، والله لو لم تجيئوا لكان أحب إلي، ثم قال: نعم الشيء المرض لولا العبادة.وقيل للفضل: إن ابنك يقول: وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه، ولا يروني، فقال: ويح ابني لم لا أتمها، فقال: لا أراهم ولا يروني.وقال علي رضي الله تعالى عنه: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لمن لزم بيته، وأكل قوته، واشتغل بطاعته، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في." (١)

"أنهم هم الذين ﴿عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ (البقرة: ٧٥١) . وأخبر أنهم: ﴿هم المهتدون﴾ (البقرة: ٧٥١) . وإنما استحقوا هذه الفضائل الجزيلة بصبرهم المبشر عليه بهذه البشارة، وهو الصبر عند الصدمة الأولى، وهو الصبر المحمود الذي يكون عند مفاجأة المصيبة فإنه إذا طالت الأيام عليها وقع السلو وصار الصبر حينئذ طبعا. قوله: (نعم العدلان) بكسر العين أي المثلان، وقال المهلب: العدلان الصلوات والرحمة والعلاوة: ﴿أولئك هم المهتدون﴾ (البقرة: ٧٥١) . وقيل: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (البقرة: ٦٥١) . والعلاوة التي يثاب عليها. وقال ابن التين: قال أبو الحسن: العدل الواحد قول المصاب: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (البقرة: ٦٥١) . والعدل الثاني الصلوات التي هي عليهن من الله تعالى، والعلاوة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ (البقرة: ٧٥١) . وهو ثناء من الله تعالى عليهم. وقال الداودي: إنما هو مثل ضربه للجزاء، فالعدلان عدلا البعير أو الدابة، والعلاوة الغرارة التي توضع في وسط العدلين مملوءة، يقول: وكما حملت هذه الراحلة وسقاءها فإنها لم يبق موضع يحمل عليه، فكذلك أعطى هذا الأجر وافرا، وعلى قول الداودي يكون العدلان والعلاوة. ﴿أولئك عليهم صلوات﴾ (البقرة: ٧٥١) . إلى ﴿المهتدون﴾ (البقرة: ٧٥١) . وقال ابن قرقول: العدل هنا نصف الحمل على أحد شقي الدابة، والحمل عدلان، والعلاوة ما جعل بينهما. وقيل: ما علق على البعير، ضرب ذلك مثلا بقوله: ﴿صلوات من ربهم ورحمة﴾ (البقرة: ٧٥١) . قال: فالصلوات عدل، والرحمة عدل. ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ (البقرة: ٧٥١) . العلاوة.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٩٨

وقال الفراء: العدل، بالفتح: ما عدل الشيء من غير جنسه، وبالكسر: المثل، والعلاوة، بالكسر، ما علقت على البعير بعد تمام الوقر. نحو السقاء وغيره. قوله: (نعم) ، كلمة مدح، والعدلان فاعله، (ونعم العلاوة) عطف عليه. وقوله: (الذين) هو المخصوص بالمدح. وقال الكرماني: والظاهر أن المراد بالعدلين القول وجزاؤه، أي قوله الكلمتين ونوع الثواب، وهما متلازمان في أن العدل الأول مركب من كلمتين، والثاني من النوعين من الثواب، ومعنى الصلاة من الله المغفرة، ثم هذا الأثر المعلق وصله الحاكم في (مستدركه) من طريق جرير عن منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر، رضي الله تعالى عنه. كما ساقه البخاري، وزاد ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ (البقرة: ٧٥١) . نعم العدلان. ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ (البقرة: ٧٥١) . نعم العلاوة. وهكذا أخرجه البيهقي عن الحاكم.وقوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (البقرة: ٥٤) .وقوله، مجرور لأنه عطف على قوله: باب الصبر، والتقدير: وباب قوله تعالى: ﴿واستعينوا ... ﴾ (البقرة: ٥٤) . الآية، ويجوز أن يكون مرفوعا عطفا على قوله: (الصبر عند الصدمة الأولى) ، على تقدير قطع الإضافة في لفظ: باب، كما ذكرنا فيه الوجهين، وجه ذكر هذه الآية الكريمة هنا هو أنه: لما كان المعبر من الصبر هو الصبر عند الصدمة الأولى الذي ذكرنا معناه أتى الصابر بصبر مقرون بالصلاة، ولهذا (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى) ، رواه أبو داود، وروى الطبراني في (تفسيره) بإسناد حسن عن ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما: (أنه نعى إليه أخوه قثم، وهو في سفر، فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام وهو يقول: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة ... ﴾ (البقرة: ٥٤) . الآية. قال المفسرون: معنى الآية: استعينوا على ما يستقبلكم من أنواع البلايا بالصبر والصلاة، وقيل: في أمر الآخرة، وقيل: في ترك الرياسة. والصبر الحبس، لأن الصابر حابس نفسه على ما تكرهه، وسمى الصوم صبرا لحبس النفس فيه عن الطعام وغيره، ونهى صلى الله عليه وسلم عن قتل شيء من الدواب صبرا وهو أن يحبس حيا. وقيل: المراد بالصبر في هذه الآية الصوم، قاله مجاهد. قوله: ﴿وإنها﴾ أي: وإن الصلاة، ولم يقل: وإنهما، مع أن المذكور: الصبر والصلاة، فقيل: لأنه رد الضمير إلى ما هو الأهم والأغلب، كما في قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾ (التوبة: ٤٣) . رد الضمير إلى الفضة لأنها أعم وأغلب. فإن قلت: ما وجه الاستعانة بالصلاة؟ قلت: لما كان فيها تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى كان ذلك معونة على ما تنازع إليه النفس من **حب الرياسة** والأنفة من الانقياد إلى الطاعة. قوله: ﴿لكبيرة﴾ أي: شديدة ثقيلة على الكافرين إلا على الخاشعين ليست بكبيرة، والخاشع الذي يرى أثر الذل والخضوع عليه، والخشوع في اللغة: السكون. قال: خشعت الأصوات للرحمن، وقيل: الخشوع في الصوت والبصر، والخضوع في البدن. فإن قلت: قد علمت أن العبد منهي عن الهجر وتسخط قضاء الرب في كل حال، فما وجه خصوص نزول النائبة بالصبر في حال حدوثها؟ قلت: لأن النفس عند هجوم الحادثة تتحرك على الخشوع ليس في غيرها مثله، وذلك يضعف على ضبط النفس فيها لكثير من الناس، بل يصير كل جازع بعد ذلك إلى السلو ونسيان المصيبة والأخذ بقهر الصابر النفس،." (١)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٨/١٠٠

"﴿واستعينوا﴾ اطلبوا المعونه عن أموركم ﴿بالصبر﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿والصلاة﴾ أفردها بالذكر تعظيما ؟ لشأنه وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر بادر إلى الصلاة وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره **وحب الرياسة** فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وإنها﴾ أي الصلاة ﴿لكبيرة﴾ ثقيلة ﴿إلا على الخاشعين﴾ الساكنين إلى الطاعة٤ -." (١)

"ما نقل من خط أبي حفص البرمكى قال إنبأنا عن على بن عبد الله بن العباس الجوهرى حدثنا إسحاق بن بنان قال قال أحمد سمعته يقول يعني بشر أو قال إبراهيم بن أدهم ما صدق عبد **أحب الشهرة**٢٣٩ - إسحاق بن بهلول الأنباربله الإسناد الحسن خرج أجزاء فعرضها على أحمد وكان يعرض عليه المسائل ويجيبه على مذهبه فمنها قال سمعت أحمد بن حنبل يقول يصام عن الميت فى النذر فأما الفريضة فلاكان إسحاق يسمى كتابه لباب الإختلاففقال له أحمد سمه كتاب السعة٢٤٠ - إسحاق بن الجراح الأذنكان جليل القدر." (٢)

"الفرق بين الحقيقة والشريعة، وهذا هو الأصل الذي بنى عليه المارقون أصولهم، واستظهرت الطوائف بأعمال خارجة عن الدين، وأحوال موافقة للمارقين، فحمل الصادق على الكاذب، والمصيب على الخائب، ووقع الكل في جهالة لا يمكن تفصيلها، ولا ينضبط تأصيلها، ودفع ذلك لا يكون إلا بتقرير أصول القوم وسنفرد لها فصلا بعد إن شاء الله تعالى.الثالث: **حب الرياسة** والظهور مع الضعف عن أسبابها والقصور، فيضطرهم ذلك لإحداث أمور تستميل القلوب، لكونها مجبولة على استحسان الغريب مع جهلها بما يشين ويرب، وحرصها على الخير، وظهور هذا الشخص بصورة ذلك، وحقائق منه (١) مع ما يجري على يديه من خوارق شيطانية، أو يبدو لتابعيه من لذة نفسانية، أو يدركه من أذواق طبيعية، يظنها فتوحا وأسباب وصول، فينبذ بها الفروع والأصول، مع ما يعينه على ذلك من احتقار الأمور المألوفة، واعتقاده أن المقام العجيب لا يدرك إلا بالأمر الغريب، وأن العبادات في صورها ووجوهها لا تفيد المقصود إلا بإضافة أمر إليها، فينقاد لذلك عند ظهوره ويعمل به، فيجتهد (٢) بذلك ويتقوى عليه بما يظهر له من ذلك، وما هو إلا الجهل والانقياد للوهم، وعدم التثبت والفهم، نسأل الله السلامة.٥ - فصلفي الأمور التي ينتفي بها إحداث البدعمن غلط فيها واتباع أهلها.(لمن تورط معهم) (٣). ــــــــــــــــــ(١) كذا في: ١ وق، وفي ت ٢: وحقائق مع ما يجري ... إلخ، وفي خ: وحقائق منته.(٢) في ق: (فيجتهد الأمر له).(٣) في ت ١: (عمن تعرض).." (٣)

"(إذا اعتذر الفقير إليك يوما ... تجاوز عن معاصيه الكثيره)(فإن الشافعي روى حديثا ... بأسناد صحيح عن مغيره)(بأن قال النبي يقيل ربي ... بعذر واحد ألفى كبيره)قال: وحضر مجلس الحديث بالقلعة في رمضان سنة أربع وثلاثين فوقعت منه فلتات لسان حمله عليها بعض الناس فيما زعم ثم اعتذر عن ذلك ورام من السلطان أمرا فلم يصل إليه فتوجه في آخرها إلى بلاد الروم في البحر ثم عاد في أثناء سنة تسع وثلاثين وحضر جلس أيضا وجرى على سننه المعروف في حدة

---

(١) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/١١

(٢) المقصد الارشد ابن مفلح، برهان الدين ٢٤٨/١

(٣) عدة المريد الصادق زروق ص/٤٤

الخلق والشراسة وغير ذلك مما يشاهده الحاضرون وليس)بمدفوع عن العلم والاستعداد ولكنه **يحب الشهرة** ورام الاستقرار في مشيخة الشيخونية فلم يتهيأ له فلما كان سنة أربعين جرى الكلام في المجلس فحط على شيخها يعني الشرف أبا بكر بن إسحق الملطي باكيرا بمجلس السلطان وكفره فجر ذلك إلى إحضاره لمجلس الشرع وادعى عليه فأنكر وزعم أن الأعوان أهانوه ثم عقد له مجلس بحضرة السلطان فأصلحوا بينهما وضعف بعد ذلك وانقطع مدة إلى أن شارف العافية وأراد دخول الحمام فسقط من سريره فانفك وركه فانقطع مدة أخرى إلى أن مات والله يعفو عنه في سنة إحدى وأربعين يعني في ليلة أحد العشرين من رمضان، وتقدم للصلاة عليه الحنفي وشق ذلك على الشافعي يعني العلم البلقيني، زاد غيره ودفن بمقبرة باب النصر، وكان متضلعا من العلوم ممن حضر في ابتداء مناظرات التفتازاني والسيد بحضرة تيمور وغيره فحفظ تلك الأسئلة والأجوبة الفخمة وأتقنها غير أنه كان مبغضا للناس لطيشه وحدة مزاجه وجرأته واستخفافه بمن يبحث معه وما وقع منه في حق شيخنا معروف، وتصدى في القدمة الثانية للإشغال وانضم إليه الطلبة فلم تطل أيامه، وكذا قال العيني: كان عالما محققا بحاثا دينا، وقال المقريزي في عقوده وغيرها: كان فاضلا في عدة علوم مع طيش وخفة وجرأة بلسانه على ما لا يليق وفحش في مخاطبته عند البحث معه عفا الله عنه.علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد الشيبي من بني شيبة حجبة الكعبة قريب محمد بن أحمد بن حسين بن أبي بكر الآتي. دخل جد أبيه محمد اليمن فوصل إلى حرض فخرج إلى الحادث ساحل مور وهو واد عظيم به عدة قرى منها الحسانية قرية أبي حسان بن محمد الأشعري وكان ممن يعتقد فأتفق وقوع فتنة بين طائفتين من قومه قتل فيها قتيل فاستوهب دمه فقالوا له: بشرط أن تسكن معه فأسس لهم مكان قرية فسكنوه وهو معهم فنسبت إليه، واتسعت دنياه لقصده بالنذور من." (١)

"وألفية ابن ملك وعرضها على أبيه. ثم تحول لدمشق سنة ثمان عشرة بعد ما تنبه فأخذ النحو عن العلاء القابوني وكذا أخذ في الفرائض وغيرها عن الشهاب بن الهائم وحضر عند البدر بن قاضي إذرعات ولازم البرهان بن خطيب عذراء فقيه دمشق لأخذ الفقه فتكلم معه في أول مجلس قال فلما قمت قال لي أنت فقيه جيد وجعل كل وقت يزيد إعجابه بي قال وقد كان وقع في نفسي قبل انتقالي لدمشق أنه)لا يمضي على سنتان حتى يؤذن لي بالإفتاء فكان كذلك أذن لي البرهان به في سنة عشرين وأفتيت في حياته وأقرأت بإذنه في الجامع الأموي والجماعة متوافرون بل كان ربما يحمل إلى الفتيا وأنا بشباك التربة التي كنت نازلا بها وهي بجانب منزله بخط دار الطعم ويقول لي انظر في هذه وقرأت البخاري على الجمال بن الشرائحي في السنة التي قدمت فيها.وقال لي يا سيدي الشيخ إنك لتحفظ في البخاري حفظا عظيما بل كان يسألني عن أشياء في الفقه ومررت يوما وإنه معه على شيخي البرهان فسأله البرهان عني فقال إنه نجيب أو معنى هذا، ولم أحضر عند أحد من أشياخ الشافعية في عصره لعلمي أنهم دونه في الفقه وكنت على مذهب الفقهاء يعني غالبا في **حب الرياسة** والتقدم على الأقران والمنافسة في المكان إلى أن ادركني الله بلطفه فأذهب ذلك عني وأنشدت جوابا لمن قال لي لم لا تنافس كأصحابك في المجالس:(قد كنت أرغب فيما فيه قد رغبوا ... واليوم أرغب عنه رهبة النار)(إني رأيت أمورا خطبها خطر ... إن لم يلم بنا عفو من النار)قال ورأيت بعد قدومي دمشق بسنين نسخة بمختصر ابن الحاجب الأصلي عليها عرض

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٤٢/٦

عم والدي له على التقي السبكي فوقع في نفسي أن هذا الكتاب لا يحفظه إلا فحول الرجال فحفظته قال البقاعي ولازال يقرأ ويدأب ويشمر عن ساق الجد حيث يجر غيره ذيل العجب ويسحب إلى أن وصف بحفظ مسائل الرافعي والتقدم في معرفة المذهب وإنشاء النثر المتين والنظم الرصين وجمع من ذلك كراريس بعد أن كان هذا الفن بدمشق قد درست رسومه وطمست أعلامه وعلومه ولذا ربما أنكر عليه ارتكابه وتفقره وتطلابه لأن من جهل شيئا عاداه ومن باعده أمر أنكره وجفاه. ومن نظمه:(قومي قريش هم المعروف شأنهم ... وفضلهم فذاك في أفضل الكتب)(لا تستطاع مجاراة مكارمهم ... ولا لحاقهم في القول والنسب)(فكيف ينكر فضلي من له نظر ... أم كيف يجهل ما أبدى من الأدب)وبالجملة فكان علامة ناظما ناثرا تصدى للإقراء فانتفع به ومن أخذ عنه الولوي ابن قاضي عجلون، وكان شيخه البرهان علق على المنهاج الفرعي شرحا حافلا." (١)

"تكلم فيها على بعض أحاديث من البخاري أطال فيها النفس بل)كان يذكر أنه كتب عليه شرحا وكذا جمع خطبا وكراسة في بعض الحوادث قرضها له الأمين الأقصرائي والزين قاسم الحنفين وغيرهما وكتب عنه البقاعي ما قال انه من نظمه في الشمائل النبوية لصهره السيد عفيف الدين وهو:(أبدى الشريف الالمعي عجائبا ... عنها تقصر سائر الافهام)(وأجاد صنعا في شمائل جده ... فالله يبقيه مدى الأيام)بل حكى عنه من نظمه وعجائبه غير ذلك ومدحه قديما بقوله:(إلى الماجد الحبر الجواد محمد ... أبي الفضل جواز الثنا ابن أبي الفضل)(رئيس ترقي ذروة المجد أمردا ... فليس له في بطن مكة من شكل)ثم نافره بعد ذلك وقال مع قوله أنه شاب حسن المنظر مقبول الشكل من بيت أصل وعراقة وعلم وشهامة ودين وشجاعة لكونه قدم عليه في جنازة: ان عنده من التوغل في **حب الرياسة** والرقاعة على شدة الفقر ما يحوجه إلى المجازفة والتشبع بمالم يعط فشاع كذبه حتى صار لا يوثق بقوله وكذا قال انه شمخ وتكبر وزاد في التعاظم مضموما إلى الكذب فمقته غالب الناس وان أبا القسم النويري أفسد طباعه وانه كانت له حظوة عند الأكابر والسلطان وقرر في وظائف وزعم أنه قرأ عليه في ايساغوجي، وفي كلامه مجازفات كثيرة نسأل الله كلمة الحق في السخط والرضا. وبالجملة فكان اماما وافر الذكاء واسع الدائرة في الحفظ حسن الخط فصيحا طلق اللسان بهجا وجيها عند الخاصة والعامة متواضعا مع الشهامة كريما إلى الغاية مقتدرا على استجلاب الخواطر والتحبب إلى الناس على اختلاف مراتبهم باذلا جاهه مع من يقصده غير باخل بتربية أصحابه خصوصا الفضلاء عظيم التنويه بذكرهم حسنة من محاسن الدهر وقل أن ترى الاعين في مجموعه مثله ولكن الكمال الله، وقد عرض عليه قضاء الشافعية بالديار المصرية فأبي وكان أمره فيها فوق ذلك وكذا استقر في تدريس الشافعية بعد ابن الملقن مسئولا فيه ثم عرض نزاع فيه فأعرض عنه. ولم يزل في ارتفاع حتى مات مبطونا مطعونا غريبا لم يغب ذهنه بل يقال أنه استمر يلحق في وصيته إلى وقت صعود روحه في ضحى يوم الخميس ثالث عشري رمضان ثلاث وسبعين، وكنت عنده أول النهار لعيادته، وبلغ السلطان شدة توعكه فهم لعيادته بعد أن أعلم بضيق درب الاتراك محل سكنه وما انثنى عزمه عن ذلك بل أرسل خواصه بين يديه فوجد قدمات فرجع وأعلمه فتألم ونزل)إلى سبيل المؤمنى فانتظر حتى." (٢)

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٩٦/٧

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٣٤/٩

"الرشيد الكسائي في بعض الطرقات، فوقف عليه فسأله عن حاله فقال: لو لم أجتن من ثمرة العلم والأدب إلا ما وهب الله لي من وقوف أمير المؤمنين علي لكان كافيا. بقي أبو يوسف على باب الرشيد حولا لا يصل إليه، فوقعت واقعة وهي أن الرشيد كان يهوى جارية لزبيدة وحلفت بأن لا تبيعها ولا تهبها إياه، فأعضلت على الفقهاء «١» ، فسئل أبو يوسف فقال: يا أمير المؤمنين أفتيك وحدك أم بحضرة الفقهاء ليحصل اليقين ويزول الشك؟ فأحضروا فقال: المخرج أن تهبك نصفها وتبيعك نصفها. فصدقوه. ثم قال: أريد أن أطأها اليوم. قال:أعتقها فتزوجها. ففرح وعظم أمره عنده.المأمون: لولا الحرص لخربت الدنيا، ولولا الشهوة لانقطع النسل، ولولا **حب الرياسة** لبطل العلم. ولما قدم الرشيد الرقة أشرفت أم ولد له من قصره فرأت الغبار قد ارتفع وأسرع الناس، فقالت: ما هذا؟ قالوا: قدم من خراسان عالم يقال له ابن المبارك. قالت: هذا والله الملك لا هارون الذي لا يجمع الناس إلا بالسوط والخشب «٢» . نظر مزيد إلى امرأته تصعد في الدرجة فقال:أنت طالق إن صعدت، وطالق إن وقفت، وطالق إن نزلت. فرمت نفسها من حيث بلغت، فقال لها: فداك أبي وأمي، إن مات مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم. وصنع عيسى عليه السلام للحواريين طعاما فلما أكلوا وضأهم «٣» بنفسه، فقالوا: يا روح الله نحن أولى أن نفعله منك. قال: إنما فعلت هذا لتفعلوه بما تعلمون.." (١)

"فعليه برويم فإنه كتم **حب الرياسة** أربعين سنة حتى قدر عليها. عرض المأمون القضاء على أبي سليمان، فقال: يا أمير المؤمنين احفظ حقوق الله تعالى فإني غير مأمون الغضب، ولا أرضى أن أحكم بين عباده، فقال: صدقت وقد أعفيناك. يقال: القضاء قضاء، والتدريس تلبيس «١» ، وتولية الأوقاف كحمل أحد أو قاف «٢» ، والتصوف التصلف. أنوشروان: ما عدل من جارت قضاته، ولا صلح من فسدت كفاته. قيل:وقاض لنا جاهل جائر ... وأحكامه ما ترى ماضيهله امرأة هي أولى لنا ... فيا ليتها كانت القاضيهوقيل:ما قضى الله كائن لا محاله ... فاحترازي من القضاء جهالهابن عباس رضي الله عنهما: أكرموا الشهود، فإن الله يستخرج بهم الحقوق، ويدفع بهم الظلم. جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا غم إلا غم الدين، ولا وجع إلا وجع العين» . أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله» . عمرو ابن دينار «٣» : «قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت إن قتلت شهيدا فأين أنا؟قال: في الجنة. ثم قال: قال لي جبريل: إن لم يكن عليه دين» . الخدري «٤» رضي الله عنه: «شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة رجل من الأنصار فقال: أعليه دين؟." (٢)

"الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل. تحدثوا عند الأوزاعي وفيهم أعرابي لا يتكلم، فقيل له: لم لا تتحدث. فقال: إن الحظ للمرء في أذنه، وإن الحظ في لسانه لغيره. فقال الأوزاعي: لقد حدثكم فأحسن. النخعي: كانوا يتعلمون السكوت كما يتعلمون الكلام.قيل لعروة بن مالك: ألا تحدثنا ببعض ما عندك من العلم؟ قال: أكره أن يميل قلبي باجتماعكم عندي إلى **حب الرياسة** فأخسر الدارين. وكان قتادة يقول:لولا حب الحسن الرياسة لمشى على الماء. قيل للأحنف: بأي

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٣

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/١١١

شيء سدت قومك؟ فقال: لو عاب الناس الماء البارد ما شربته. الربيع بن الخيثم: تفقهوا ثم اعتزلوا وتعبدوا. أراد الحسن الحج فطلب ثابت البناني أن يصاحبه فقال له:ويحك دعنا نتعايش بستر الله تعالى، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه. فضيل: كان يقال: من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء. شقيق بن إبراهيم: اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها واحذر أن تحرقك. الجنيد: سمعت من السري السقطي قال: إن شيخي أبا جعفر السماك دخل علي يوما فرأى عندي جماعة فرجع وقال: يا سري صرت مناخ البطالين. ولم يستحسن اجتماعهم. عمر رضي الله عنه: في العزلة راحة عن خلطاء السوء.رأى سفيان بن عيينة سفيان الثوري في المنام فقال له: أوصني، فقال: أقلل من معرفة الناس، ثلاث مرات. عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أحب العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يقربوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم» . مالك بن دينار قال لراهب: عظني. فقال: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سورا من حديد فافعل. قيل لسقراط: لم لا تعاشر الملوك؟ فقال: وجدت الانفراد بالخلوة، أجمع لدواعي السلوة. قيل." (١)

"بالعهد، وابتدار النصيحة، وأداء الأمانة. أرسطو: الارتقاء إلى السؤدد صعب، والانحطاط إلى الدناءة سهل. وعنه: لا يسود من يتتبع العيوب الباطنة من إخوانه. يقال: التنقير تنفير. وقيل: التنقيب يريب الأريب.فضيل: ما عشق الرياسة أحد إلا حسد وبغى وطغى. وعنه: من عشق الرياسة لم يفلح. وعنه: لا يطلب الرياسة أحد إلا طلب عيوب الناس ومساوئهم، وكره أن يذكر أحد عنده بخير. وعنه: ما كثر تبع رجل إلا كثرت شياطينه. إبراهيم بن أدهم: كن ذنبا ولا تكن رأسا، فإن الذنب ينجو والرأس يهلك. خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه.الحسن: لقد صحبت أقواما: إن الرجل [منهم] «١» لتعرض له الكلمة من الحكمة، لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه، فما يمنعه إلا مخافة الشهرة. قال رجل لابن الجوزي: تركت الدنيا **وحب الرياسة** لا يخرج من قلبي. فقال:المكاتب «٢» عبد ما بقي عليه درهم. أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء فتنة أن يشار إليه بالأصابع» .ابن سيرين: لم يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة، فلم يزل بي البلاء حتى أخذ بلحيتي فأقمت على المصطبة. فقيل: هذا ابن سيرين. فضيل: كان أحدهم إذا جلس إليه أربعة أو أكثر قام مخافة الشهرة. قال معمر: رأيت قميص أيوب يكاد يمشي على الأرض، فقلت: ما هذا؟ قال: إنما كانت الشهرة فيما مضى في تذييلها واليوم الشهرة في تقصيرها. وكان يقول للخياط: اقطع وأطل فإن الشهرة اليوم في القصر.." (٢)

"وأبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة وكنيته أبو إسحاق وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان **يحب الشهرة** والمجون فكني لعتوه بذلك وقيل إن المهدي قال له يوما أنت إنسان متعته متحذلق فاستوت له من ذلك كنيته ويقال للرجل المتحذلق عتاهية وفيه يقول أبو قابوس النصراني وقد بلغه أنه فضل عليه العتابي(قل للمكني نفسه ... متخيرا بعتاهية)(والمرسل الكلم القبيح وعنه أذن واعيه ...)(إن كنت سرا سؤتني ... أو كان ذاك علانيه)(فعليك

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٢٠٧

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٢٤٣

لعنة ذي الجلال ... وأم زيد زانيه) // الكامل //وأم زيد هي أم أبي العتاهية ومنشأه بالكوفة وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ويقال أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وما قدر." (١)

"منع ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ أي: الدليل القاطع على الإيمان وهو القرآن وغيره من الأدلة. وقرأ أبو عمرو وهشام بإدغام ذال إذ عند الجيم والباقون بالإظهار وأمال الألف بعد الجيم حمزة وابن ذكوان محضة وإذا وقف حمزة على جاءهم سهل الهمزة مع المد والقصر. ﴿إلا أن قالوا﴾ فاعل منع أن قالوا، أي: منكرين عليه غاية الإنكار متعجبين متهكمين ﴿أبعث الله بشرا رسولا﴾ لأن الكفار كانوا يقولون: لن نؤمن لك لأنك بشر، ولو بعث الله تعالى رسولا إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿قل﴾ أي: لهؤلاء المطرودين عن الرحمة ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون﴾ عليها كالآدميين ﴿مطمئنين﴾ أي: مستوطنين فيها كالبشر ﴿لنزلنا عليهم﴾ مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل عليه السلام على الأنبياء من البشر وحقق الأمر بقوله تعالى: ﴿من السماء ملكا رسولا﴾ يعلمهم الخير ويهديهم المراشد لتمكنهم من التلقي منه لمشاكلتهم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لأن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم إذ الشيء عن شكله أفهم وبه آنس وإليه أحن وله آلف إلا من فضله الله تعالى بتغلب روحه على نفسه، وبتغلب عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقي من الملك كالمرسلين ثم أجابهم الله تعالى جوابا آخر بقوله عز وجل:﴿قل كفى بالله﴾ أي: المحيط بكل شيء قدرة وعلما. وأمال الألف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ﴿شهيدا بيني وبينكم﴾ على أني رسوله إليكم ليظهر المعجزات على وفق دعواهم وإني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم ومن يشهد الله على صدقه فهو صادق فعند ذلك قول القائل بأن الرسول يجب أن يكون ملكا لا إنسانا تحكم فاسد لا يلتفت إليه. تنبيه: شهيدا نصب على الحال أو التمييز، ثم إنه تعالى ذكر ما هو كالتهديد والوعيد بقوله تعالى: ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يعلم ظواهرهم وبواطنهم، ويعلم من قلوبهم أنهم لا ينكرون هذا إلا لمحض الحسد **وحب الرياسة** والاستنكاف من الانقياد للحق. ولما تقدم أنه تعالى أعلم بالمهتدي والضال عطف عليه قوله تعالى:﴿ومن يهد الله﴾ بأن يخلق الهداية في قلبه ﴿فهو المهتدى﴾ لا يمكن أحد غيره أن يضله. تنبيه: أثبت نافع وأبو عمرو الياء بعد الدال مع الوصل دون الوقف وحذفها الباقون وقفا ووصلا. ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم﴾ أي: الضالين ﴿أولياء﴾ يهدونهم ﴿من دونه﴾ ولا ينفعونهم بشيء أراد الله تعالى غيره. ولما كان يوم القيامة يظهر الله فيه لكل أحد ما كان يعمله نبه على ذلك بقوله تعالى: ﴿ونحشرهم﴾ بنون العظمة، أي: نجمعهم بكره ﴿يوم القيامة﴾ الذي هو محط الحكمة ﴿على وجوههم﴾ مسحوبين عليها إهانة لهم فيها كما لم يذلوها بالسجود لنا. قال تعالى: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ (القمر، ٤٨)أي: يمشون عليها. روى أبو هريرة قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال: «إن الذي يمشيهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» . قال حكماء الإسلام: إن الكفار أرواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذاتها وليس لها

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٢/٢٨٥

تعلق بعالم الأنوار وحضرة الإله سبحانه وتعالى، فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة إلى الدنيا لا جرم كان حشرهم على وجوههم، وأما قوله تعالى: ﴿عميا وبكما وصما﴾ فقد استشكله شخص على ابن عباس." (١)

"ذكره القاضي عمارة في " تاريخ زبيد "، فقال: أبو العباس، الفقيه الحنفي.كان مبرزا في علم الكلام والأدب واللغة، شاعرا يحذو طريق أبي نواس في الاشتهار بالخلاعة، واجتاز ليلة بدار القاضي أبي الفتوح بن أبي عقامة وهو سكران، وكان فظا في ذات الله تعالى، عز وجل، وابن بحارة يخلط كلامه، فصاح عليه القاضي، وليس عنده أحد من الأعوان: إلى هذا الحد يا حمار!.فوقف ابن بحارة مخاطبا للقاضي، وقال:سكرات تعتادني وخمار ... وانتشاء أعتاده ونعارفملوم من قال إني ملوم ... وحمار من قال إني حمار١٦٣ - أحمد بن بدر الدين بن شعبانالمشهور بجده شعبا المذكور.أحد قضاة القضاة بالديار المصرية، وأصله من الديار الشامية.وكان ابوه من القضاة المذكورين المشهورين.وكانت سيرته كولده أحمد غير محمودة، وطريقته غير مشكورة، وقد شكي مرارا عديدة، وفتش عليه وصودر، والأولى بنا أن نضرب صفحا عن ذكر ما هو شائع عنه بين العوام والخواص، من الأوصاف التي لا تليق بمن ينتمي إلى العلم وأهله أن يلتبس بها، وفضل الله أوسع من ذنوبه.وأما صاحب الترجمة، فإنه قد اشتغل، ودأب، وحصل، وصار ملازما من قاضي القضاة السيد الشريف محمد، المعروف بمعلول أمير، كما يزعم هو، والله تعالى أعلم.ثم صار مدرسا في بعض المدارس بديار العرب، وألقى بها يسيرا من الدروس، بحضور من لا يعترضه، لا في الخطأ ولا في الصواب.ولم يزل طالبا للقضاء، راغبا في تحصيله، طائرا إليه بأجنحة الطمع الزائد، **وحب الرياسة** المفرطة، إلى أن بلغ منه مراده، وصار يتولاه تارة، ويعزل منه أخرى.ومن جملة البلاد التي ولي قضاءها قوة، والبحيرة، والجيزة، والخانقاة السرياقوسية، وغيرها.وكان يعامل الرعايا بكل حيلة يعرفها، وكل خديعة يقدر عليها، ويتوصل بذلك إلى أخذ أموالهم، والاستيلاء على أرزاقهم، فحصل من ذلك أموالا جزيلة، لا تعد ولا تحصى، وأضافها إلى ما ورثه من مال أبيه، وهو فيما يقال عنه كثير جدا، ومدة عمره وجميع دهره ما رؤي، ولا سمع، أنه تصدق على فقير بكسرة ولا درهم نقرة، ولا أضاف غريبا، ولا وصل قريبا، وأما إخراج الزكاة فما أظن أنه قرأ لها بابا، ولا رأت عينه لها أصحابا.وأما الكتب النفيسة فإن عنده منها ما ينوف على أربعين ألف مجلد، وأكثرها من كتب الأوقاف، وضع يده عليها، ومنع أهل العلم من النظر إليها، وطالت الأيام، ومضى عليها أعوام، ونسيت عنده، وغير شروطها، ومحا ما يستدل به من كونها وقفا من أوائلها وأواخرها، وزاد ونقص، وصارت كلها ملكا له في الظاهر، ولم يخف الله ولا اليوم الآخر.وقد شاع وذاع، وملأ الأفواه والأسماع، أن أجره مسقعات أملاكه وأوقافه تزيد كل يوم على عشرين أو ثلاثين دينارا ذهبا.وقد وصل إلى دقاقة الرقاب وهو لا يزداد في الدنيا إلا طمعا، وفي القضاء إلا حبا وكانت نفسه الأمارة تطمعه في أن يصير قاضيا بخمسمائة عثماني، في مرتبة مصر، ويكون بذلك من جملة علماء الديار الرومية، وداخلا في زمرة مواليهم، وكان منه ما سنشرحه مفصلا، إن شاء الله تعالى.١٦٤ - أحمد بن بديل الكوفي، القاضيمن أصحاب أبا بكر بن عياش، وعبد الله بن إدريس، ومحمد بن فضل، ووكيعا، وعبد الرحمن المحاربي، وأبا معاوية الضرير، ومفضل بن صالح، وعبد الله بن نمير، وأبا سلامة، وغيرهم.قال الخطيب: وكان من أهل العلم والفضل.ولي قضاء الكوفة قبل إبراهيم بن أبي العنبس، وتقلد أيضا قضاء همذان.وورد بغداد، وحدث بها فروى عنه

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣٣٨/٢

عبد الله بن إسحاق المدائني، ويحيى بن محمد بن صاعد، وإبراهيم بن حماد القاضي، ومحمد بن عبيد الله بن العلاء الكاتب، وعلي بن عيسى الوزير، وغيرهم.قال أحمد بن صالح الهمذاني: بلغني أنه كان يسمى بالكوفة راهب الكوفة، فلما ولي القضاء قال: خذلت على كبر السن، خذلت على كبر السن!! مع عفته وصيانته.." (١)

"٣٧٣٤ - وعن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من ابتغى القضاء وسأل وكل إلى نفسه، ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده» . رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه.ـــــــ٣٧٣٤ - (وعن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من ابتغى) ؛ أي طلب في نفسه (القضاء) ؛ أي الحكومة الشاملة للإمارة (وسأل) ؛ أي وطلبه من الناس وفي رواية: وسأل فيه شفعاء (وكل) بضم واو فكاف مخففة مكسورة (إلى نفسه) ؛ أي لم يعنه الله وخلي مع طبعه وما اختاره لنفسه (ومن أكره عليه) ؛ أي واختاره بحكم إجباره، أو تعينه معتقدا أن الخير فيما اختاره الله له (أنزل الله عليه ملكا) ؛ أي من حيث لا يعلم (يسدده) ؛ أي يحمله على السداد والصواب، قال الطيبي رحمه الله: وإنما جمع بين ابتغى وسأل ؛ إظهارا لحرصه ؛ فإن النفس مائلة إلى **حب الرياسة** وطلب الترفع على الناس فمن منعها سلم من هذه الآفات، ومن اتبع هواها وسأل القضاء هلك، فلا سبيل إلى الشروع فيه إلا بالإكراه وفي الإكراه قمع هوى النفس، فحينئذ يسدد ويوفق لطريق الصواب، وإلى هذا نظر من قال: من جعل قاضيا فينبغي أن يموت جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الرديئة، قلت: ويؤيده ما رواه الدارقطني والبيهقي والطبراني عن أم سلمة مرفوعا: " «من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده ومجلسه» " وفي رواية أخرى للطبراني والبيهقي عنها ؛ أيضا: " «من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر» " (رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه) .." (٢)

"باب القيامالفصل الأول٤٦٩٥ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد، بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه، وكان قريبا منه، فجاء على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للأنصار: " قوموا إلى سيدكم» ". متفق عليه. ومعنى الحديث بطوله في " باب حكم الإسراء ".ـــــــباب القيامالفصل الأول٤٦٩٥ - (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: لما نزلت بنو قريظة) : بالتصغير وهم جماعة من اليهود (على حكم سعد) ، أي: ابن معاذ لكونهم من حلفاء قومه، وفي المغرب: المراد بالسعدين في اصطلاح المحدثين إذا أطلقا سعد بن عبادة وسعد بن معاذ اهـ. وقد تقدمت ترجمته (بعث) أي: رسولا (رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) أي: إليه كما في نسخة صحيحة (وكان) أي: سعد (قريبا منه) ، أي نازلا في موضع قريب منه - صلى الله عليه وسلم - (فجاء على حمار) ، أي: راكبا عليه لعذر (فلما دنا) أي: قرب (من المسجد) ، أي: المصلى ذكره الملك، وقال ميرك: قيل إن المسجد هنا، فإنه - صلى الله عليه وسلم - كان نازلا في بني قريظة، إلا أن يراد بالمسجد الذي صلى فيه - صلى الله عليه وسلم - مدة مقامه فيهم. (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للأنصار) أي: مخاطبا لهم كلهم أو لقومه خاصة فإنهم كانوا طائفتين. (قوموا إلى سيدكم) . قيل أي: لتعظيمه، ويستدل به على عدم كراهته، فيكون الأمر

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٩٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٦/٢٤٢٦

للإباحة ولبيان الجواز، وقيل: معناه قوموا لإعانته في النزول عن الحمار إذ كان به مرض وأثر جرح أصاب أكحله يوم الأحزاب، ولو أراد تعظيمه لقال: قوموا لسيدكم، ومما يؤيده تخصيص الأنصار والتنصيص على السيادة المضافة، وأن الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يقومون له - صلى الله عليه وسلم - تعظيما له، مع أنه سيد الخلق؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك على ما سيأتي.قال التوربشتي: ليس هذا من القيام الذي يراد به التعظيم على ما كان يتعاهده الأعاجم في شيء، فكيف يجوز أن يأمر بما إسناده صحيح أنه نهى عنه وعرف منه إلى آخر العهد، وإنما كان سعد بن معاذ رضي الله عنه وجعا لما رمي في أكحله مخوفا عليه من الحركة حذرا من سيلان العرق بالدم، وقد أتي به يومئذ للحكم الذي سلمت إليه بنو قريظة إليه عند النزول على حكمه، فأمرهم بالقيام إليه ليعينوه على النزول من على الحمار، ويرفقوا به فلا يصيبه ألم من المركب، ولو كان يريد به التوقير والتعظيم لقال: قوموا لسيدكم، وأما ما ذكر في قيام النبي - صلى الله عليه وسلم - لعكرمة بن أبي جهل عند قدومه عليه، وما روي «عن عدي بن حاتم: ما دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا قام إلي أو تحرك» ، فإن ذلك مما لا يصح الاحتجاج به لضعفه، المشهور عن عدي إلا وسع لي، ولو ثبت فالوجه فيه أن يحمل على الترخيص حيث يقتضيه الحال، وقد كان عكرمة من رؤساء قريش، وعدي كان سيد بني طيئ، فرأى تأليفهما بذلك على الإسلام، أو عرف من جانبهما تطلعا إليه على حسب ما يقتضيه **حب الرياسة** اهـ.والظاهر أن قيامه لعكرمة إنما كان لكونه قادما مهاجرا كما سبق أنه قال له: مرحبا بالراكب المهاجر، وقد تعقب الطيبي التوربشتي بأن " إلى " في هذا المقام أفخم من اللام، وأتى بما يرجع عليه الملام، وخرج عن مقام المرام، وقال بعض العلماء: في الحديث إكرام أهل الفضل من علم أو صلاح أو شرف بالقيام لهم إذا أقبلوا، هكذا احتج بالحديث جماهير العلماء. وقال القاضي عياض: القيام المنهي تمثلهم قياما طول جلوسه، وقال النووي: هذا القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاءت أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح، وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء وأجبت فيه عما يوهم النهي عنه اهـ.." (١)

"٤٧٤٠ - وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال:. «كان اليهود يتعاطسون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول: " يهديكم الله ويصلح بالكم» ". رواه الترمذي، وأبو داود.ـــــــ٤٧٤٠ - (وعن أبي موسى، قال: كان اليهود يتعاطسون) أي: يطلبون العطسة من أنفسهم (عند النبي - صلى الله عليه وسلم - يرجون) أي: يتمنون بهذا السبب (أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول) أي: النبي عليه السلام عند عطاسهم وحمدهم (يهديكم الله ويصلح بالكم) : ولا يقول لهم: يرحمكم الله، لأن الرحمة مختصة بالمؤمنين، بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية والتوفيق للإيمان. قال الطيبي: لعل هؤلاء هم الذين عرفوه حق معرفته، لكن منعهم عن الإسلام إما التقليد، وإما **حب الرياسة**، وعرفوا أن ذلك مذموم، فتحروا أن يهديهم الله تعالى ويزيل عنهم ذلك ببركة دعائه عليه السلام اهـ. وفيه بحث؛ لأنهم كانوا يرجون دعاءه بالرحمة لا بالهداية على ما سبق، وإلا فدعاؤه بالهداية لجميع أمته قد وقع في قوله: «اللهم اهد قومي فإنهم لا

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٢٩٧٢/٧

يعلمون» ، ولكن كما قال تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص: ٥٦] ، ففي الجملة دعوته مستجابة. (رواه الترمذي وأبو داود) .." (١)

"٥٣٢٦ - وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " «بحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله» " رواه البيهقي في (شعب الإيمان) [٥٣٢٦] .ـــــ٥٣٢٦ - (وعن أنس عن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال: " بحسب امرئ ") : الباء زائدة أي يكفيه (" من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا ") : فإن من اشتهر بخصلة قلما سلم من الآفات الخفية كالكبر، والعجب، والرياء، والسمعة، وغير ذلك من الأخلاق الدنية، (" إلا من عصمه الله ") ، أي: حفظه الله في مقام تقواه، ولذا اختار طائفة من الصوفية طريق الملامية في كتمان العبادات الدينية إظهارا للشهوات النفسانية الدنية. قيل للحسن البصري: إن الناس قد أشاروا إليك بالأصابع، فقال: لا يريد النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - ذلك، وإنما عنى به المبتدع في دينه الفاسق في دنياه، انتهى. ووجهه أن الإشارة إنما تكون في البدعة والغرابة، لكن قد توجد في الكثرة المجاوزة عن حد العادة، فيحصل به الإشارة، والشرة، فتارة تفضي بصاحبها إلى الرياء، والسمعة، والطمع من الناس في المنزلة، وتارة يعصمه الله من نظر ما سواه، فلا يلتفت إلى غيره، ويعرف أن الغير لا يقدر على دفع الشر، ولا جلب الخير، ولا اعتبار بالخلق مدحا وذما، لا في العبارة ولا في الإشارة، فإنه ما أيسر الدعوى، وما أعسر المعنى، فهذه حالة فيها إشارة إلى كمال البشارة، لكنه مزلة الأقدام للرجال، ومزلقة أفهام الجبال، كما ورد: لا يؤمن أحدكم حتى يكون الخلق عنده كالأباعر.وتوضيحه ما ذكره الطيبي - رحمه الله - بأحسن عبارة وأزين إشارة، حيث قال: وبين الحال يعني **حب الرياسة** والجاه في قلوب الناس، هو من أحر غوائل النفس ومواطن مكائدها، يبتلى به العلماء، والعباد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة من الزهاد، فإنهم مهما قهروا أنفسهم، وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات، وحملوها بالقهر على أصناف العبادات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير، وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلائق، ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته، وخدمته، وإكرامه، وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وألذ الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وعباداته، وإنما حياته بهذه الشهوات الخفية، التي تعمى عن دركها إلا العقول الناقدة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، فهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها إلا الصديقون من المخلصين ؛ ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رءوس الصديقين **حب الرياسة**، وهو أعظم شبكة للشياطين، فإذا المحمود هو المخمول إلا من شهره الله تعالى بنشر دينه من غير تكلف منه كالأنبياء، والمرسلين، والخلفاء الراشدين، والعلماء المحققين، والسلف الصالحين، والحمد لله رب العالمين. (رواه البيهقي في " شعب الإيمان ") أي: عن أنس، وعن أبي هريرة أيضا على ما في الجامع.." (٢)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٢٩٨٩/٧

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٣٣٧/٨

"٦١٥٠ - وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن كنتم تطعنون في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده» ". متفق عليه. وفي رواية لمسلم نحوه وفي آخره: " «أوصيكم به، فإنه من صالحيكم» ".ـــــ٦١٥٠ - (وعن عبد الله بن عمر، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث بعثا) ، أي: أرسل جيشا (وأمر) : بتشديد الميم أي جعل أميرا (عليهم أسامة بن زيد، فطعن) : بفتح العين من طعن كمنع في العرض والنسب، وأما بالضم فبالرمح واليد، ويقال: هما لغتان، والمعنى فتكلم (بعض الناس) ، أي: المنافقون أو أحلاف العرب (في إمارته) بكسر الهمزة أي ولايته لكونه مولى (فقال رسول الله) : وفي نسخة نبي الله - صلى الله عليه وسلم -: (" إن كنتم تطعنون في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه ") : يشير إلى إمارة زيد بن حارثة في غزوة مؤتة (" من قبل ") أي من قبل هذا أو من قبل إمارة ابنه قال الطيبي: قوله: فقد كنتم طعنتم هذا الجزاء إنما يترتب على الشرط بتأويل التنبيه والتوبيخ، أي: طعنكم الآن فيه سبب، لأن أخبركم أن ذلك من عادة الجاهلية وهجيراهم ومن ذلك طعنكم في أبيه من قبل نحو قوله تعالى: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ [يوسف: ٧٧] (" وأيم الله ") : بهمز وصل، وقيل: قطع أي: والله (" إن ") : مخففة أي الشأن ("كان ") ، أي: أبوه (" لخليقا ") ، أي: لجديرا وحقيقا (" للإمارة ") أي لفضله وسبقه وقربه مني، وفي أصل المالكي: وأيم الله لقد كان، وفي نسخة عنده إن كان خليقا فقد استعمل أن المخففة المتروكة العمل عاريا ما بعدها من اللام الفارقة لعدم الحاجة إليها. قال التوربشتي: إنما طعن من طعن في إمارتهما لأنهما كانا من الموالي، وكانت العرب لا ترى تأمير الموالي وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف، فلما جاء الله بالإسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى وعرف حقهم المحفوظون من أهل الدين، فأما المرتهنون بالعادة والممتحنون **بحب الرياسة** من الأعراب ورؤساء القبائل، فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك، لاسيما أهل النفاق، فإنهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدة النكير عليه، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بعث زيد بن حارثة - رضي الله عنه - أميرا على عدة سرايا، وأعظمها جيش مؤتة وسار تحت رايته في تلك الغزوة خيار الصحابة منهم: جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وكان خليقا بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم كان يبعث أسامة، وقد أمره في مرضه على جيش فيهم جماعة من " مشيخة الصحابة وفضلائهم، وكأنه رأى في ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة أن يمهد الأمر ويوطئه لمن يلي الأمر بعده، لئلا ينزع أحد يدا من طاعة، وليعلم كل منهم أن العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها. (" وإن كان ") ، أي: أبوه (" لمن أحب الناس إلي وإن هذا ") ، أي: أسامة (" لمن أحب الناس إلي بعده) أي بعد أبيه زيد (متفق عليه) .وعند النسائي «عن عائشة قالت: ما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم» . قال بعض المحققين: فيه جواز إمارة المولى، وتولية الصغار على الكبار، والمفضول على الفاضل: قلت: ولعل تأميره مع تأمير ابنه وقع جبرا لما اختاره من عبوديته - صلى الله عليه وسلم - خيره، فقد قال المؤلف: زيد بن حارثة أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن خرجت به تزور قومها، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية، فمروا على أبيات من بني معن رهط

أم زيد، فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام، يقال: له ثمان سنين، فوافوا به سوق عكاظ، فعرض للبيع فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهبته له، فقبضه ثم إن خبره اتصل بأهله، فحضر أبوه حارثة وعمه كعب في فدائه، فخيره النبي – صلى الله عليه وسلم – بين نفسه والمقام عنده، وبين أهله والرجوع إليهم، فاختار النبي – صلى الله عليه وسلم – لما يرى من بره لإحسانه إليه، فحينئذ خرج به النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا إن زيدا ابني يرثني وأرثه فصار يدعى زيد بن محمد إلى أن جاء الله بالإسلام، ونزل: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ [الأحزاب: ٥] فقيل له زيد بن حارثة، وهو أول من أسلم من الذكور في قول، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – أكبر منه بعشر سنين، وقيل: بعشرين سنة. وزوجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة، ثم تزوج زينب بنت جحش بنت عمة النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم طلقها لتكبرها عليه، فتزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يسم الله تعالى في القرآن أحدا من الصحابة غيره في قوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن﴾ [الأحزاب: ٣٧] .." (١)

"٣١٢٦ – (بحسب امرئ من الشر) أي يكفيه منه في أخلاقه ومعاشه ومعاده (أن يشار إليه بالأصابع) أي يشير الناس بعضهم لبعض بأصابعهم (في دين أو دنيا) فإن ذلك شر وبلاء ومحنة (إلا من عصمه الله تعالى) لأنه إنما يشار إليه في دين لكونه أحدث بدعة عظيمة فيشار إليه بها وفي دنيا لكونه أحدث منكرا من الكبائر غير متعارف بينهم بخلاف ما تقارب الناس فيه ككثرة صلاة أو صوم فليس محل إشارة ولا تعجب لمشاركة غيره له فأشار المصطفى صلى الله عليه وسلم بالإشارة بالأصابع إلى أنه عبد هتك الله ستره فهو في الدنيا في عار وغدا في النار ومن ستره الله في هذه الدار لم يفضحه في دار القرار كما في عدة أخبار قال الغزالي: **حب الرياسة** والجاه من أمراض القلوب وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد فيشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وحملوها على العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة وطلبت الاستراحة إلى إظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تعتقد –[١٩٧]– باطلاع الخالق فأحبت مدح الخلق لهم وإكرامهم وتقديمهم في المحافل فأصابت النفس بذلك أعظم اللذات وهو يظن أن حياته بالله وبعبادته وإنما حياته الشهوة الخفية وقد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عنده من المقربين فإذن المحمود المحو والخمول إلا من شهره الله لينشر دينه من غير تكلف منه كالأنبياء والخلفاء الراشدين والعلماء المحققين والأولياء العارفين(هب عن أنس) وفيه يوسف بن يعقوب فقد قال النيسابوري: قال أبو علي الحافظ: ما رأيت بنيسابور من يكذب غيره وإن كان القاضي باليمن فمجهول وابن لهيعة وسبق ضعفه (د عن أبي هريرة) رواه عنه من طريقين وضعفه وذلك لأن في أحدهما كلثوم بن محمد بن أبي سدرة أورده الذهبي في الضعفاء وقال: قال أبو حاتم: تكلموا فيه وعطاء بن مسلم الخراساني فيهم أيضا وقال ضعفه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٩٧٣/٩

بعضهم وفي الطريق الآخر عبد العزيز بن حصين ضعفه يحيي والناس ومن ثم جزم الحافظ العراقي بضعف الحديث ورواه الطبراني أيضا باللفظ المزبور عن أبي هريرة وقال الهيثمي: وفيه عبد العزيز بن حصين وهو ضعيف اه." (١)

"٣٦٦٢ - (حب الدنيا رأس كل خطيئة) بشاهد التجربة والمشاهدة فإن حبها يدعو إلى كل خطيئة ظاهرة وباطنة سيما خطيئة يتوقف تحصيلها عليها فيسكر عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها واجتنابها وحبها يوقع في الشبهات ثم في المكروه ثم في المحرم وطالما أوقع في الكفر بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم حب الدنيا فإن الرسل لما نهوا عن المعاصي التي كانوا يلتمسون بها حب الدنيا حملهم على حبها تكذيبهم فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا ولا تنسى خطيئة الأبوين فإن سببها حب الخلود في الدنيا ولا تنسى خطيئة إبليس فإن سببها **حب الرياسة** التي هي شر من حب الدنيا وكفر فرعون وهامان وجنودهما فحبها هو الذي عمر النار بأهلها وبغضها هو الذي عمر الجنة بأهلها ومن ثم قيل الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها لم يفق من سكرتها إلا في عسكر الموتى خاسرا نادما (٢) قال الغزالي: قد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا هلك العالم وبطل المعاش إلا أنه علم أن حب الدنيا مهلك وإن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الأكثر إلا الأقلين الذي لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله ﴿ولكن حق القول مني﴾ الآية. (٣)أخذ بعضهم من الحديث أنه ينبغي أن -[٣٦٩]- لا يؤخذ العلم إلا عن أقل الناس رغبة في الدنيا فإنه أنور قلبا وأقل إشكالات في الدين فكيف يؤخذ علم عمن جمع في قلبه رأس خطيئات الوجود كيف وذلك يمنع من دخول حضرة الله وحضرة رسوله فإن حضرته تعالى كلامه وحضرة رسوله كلامه ومن لم يتخلق بأخلاق صاحب الكلام لا يمكنه دخول حضرته ولو في صلاته إذ لا يفهم أحد عن أعلى صفة إلا أن صلح لمجالسته فمن زهد في الدنيا كما زهد فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد أهل لفهم كلامه ولو رغب فيها كغالب الفقهاء لا يؤهل لذلك ولا يفهم مراد الشارع إلا إن فسر له بكلام مغلق قلق ضيق كذا في إرشاد الطالبين قال: وسمعت نصرانيا يقول لفقيه: كيف يزعم علماؤكم أنهم ورثة نبيهم وهم يرغبون فيما زهد رهباننا قال: كيف قال: لأنهم يأخذون في إقامة شعار دينهم من تدريس وخطابة وإمامة ونحوها عرضا من الدنيا ولو منعوه لعطلوها وجميع الرهبان يقومون بأمر ديننا مجانا فانظر قوة يقين أصحابنا وضعف يقين أصحابكم فلو صدقوا ربهم أن ما عنده خير وأبقى لزهدوا في الدنيا كما زهد فيها نبيهم والرهبان وشكى بعضهم لعارف كثرة خواطر الشيطان فقال: طلق بنته يهجر زيارتك وهي الدنيا تريد أن يقطع رحمه لأجلك قال: هو يأتي لمن لا دنيا عنده قال: إن لم تكن عنده فهو خاطب لها ومن خطب بنت رجل فتح باب مودته وإن لم يدخل بها وكان الربيع بن خيثم يقول: أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم يدخلها حب الآخرة(هب عن الحسن) البصري (مرسلا) ثم قال أعني البيهقي ولا أصل له من حديث النبي صلى الله عليه

---

(١) فيض القدير المناوي ١٩٦/٣

(٢) تنبيه

(٣) تنبيه

وسلم قال الحافظ الزين العراقي: ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح ومثل به في شرح الألفية للموضوع من كلام الحكماء وقال هو من كلام مالك بن دينار كما رواه ابن أبي الدنيا أو من كلام عيسى عليه السلام كما رواه البيهقي في الزهد وأبو نعيم في الحلية وعد ابن الجوزي الحديث في الموضوعات وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن والإسناد إليه حسن وأورده الديلمي من حديث علي وبيض لسنده." (١)

"٤٧٢٢ - (سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل) أي أنه يعود عليه بالإحباط قال العسكري: أراد أن المبتدئ بفعل -[١١٤]- الخير إذا قرنه بسوء الخلق أفسد عمله وأحبط أجره كالمتصدق إذا اتبعه بالمن والأذى وأخرج البيهقي في الشعب عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال موسى: يا رب أمهلت فرعون أربع مئة سنة وهو يقول أنا ربكم الأعلى ويكذب بآياتك ويجحد رسلك فأوحى الله إليه إنه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافئه وقال وهب: مثل السيء الخلق كمثل الفخار المكسرة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضل: لأن يصحبني فاحش حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق (٢) حاول بعضهم استيعاب جميع الأخلاق الذميمة فقال: هي الانتقاد على أهل الله واعتقاد كمال النفس والاستنكاف من التعلم والاتعاظ والتماس عيوب الناس وإظهار الفرح وإفشاؤه وإكثار الضحك وإظهار المعصية والإيذاء والاستهزاء والإعانة على الباطل والانتقام للنفس وإثارة الفتن والاحتيال والاستماع لحديث قوم وهم له كارهون والاستطالة والأمن من مكر الشيطان والإصرار على الذنب مع رجاء المغفرة واستعظام ما يعطيه وإظهار الفقر مع الكفاية والبغي والبهتان والبخل والشح والبطالة والتجسس والتبذير والتعمق والتملق والتذلل للأغنياء لغناهم والتعيير والتحقير وتزكية النفس والتجبر والتبختر والتكلف والتعرض للتهم والتكلم بالمنهي والتشدق وتضييع الوقت بما لا يعني والتكذيب والتسفيه والتنابز بالألقاب والتعبيس والتفريط والتسويف في الأجل والتمني المذموم والتخلق بزي الصالحين زورا وتناول الرخص بالتأويلات والتساهل في تدارك الغيرة والتهور والتدبير للنفس والجهل وجحد الحق والجدال والجفاء والجور والجبن والحرص والحقد والحسد والحمق وحب الشهوة وحب الدنيا **وحب الرياسة** والجاه وإفشاء العيب والحزن الدائم والخديعة والخيبة والخيانة وخلف الوعد والخيلاء والدخول فيما لا يعني والذم والذل والرياء والركون للأغيار ورؤية الفضل على الأقران وسوء الظن والسعاية والشماتة والشره والشرك الخفي ومحبة الأشرار والصلف وطول الأمل والطمع والطيرة وطاعة النساء وطلب العوض على الطاعة وسوء الظن والظلم والعجلة والعجب والعداوة في غير الدين والغضب والغرور والغفلة والغدر والفسق والفرح المذموم والقسوة وقطع الرحم والكبر وكفران النعمة والعشيرة والكسل وكثرة النوم واللوم والمداهنة والملاحاة ومجالسة الأغنياء لغناهم والمزاح المفرط والنفاق والنية الفاسدة وهجر المسلم وهتك السر والوقوع في العرض والوقوع في غلبة الدين واليأس من الرحمة(الحارث) ابن أبي أسامة في سنده (والحاكم في) كتاب (الكنى) والألقاب وكذا أبو نعيم

---

(١) فيض القدير المناوي ٣/٣٦٨

(٢) تنبيه

والديلمي (عن ابن عمر) بن الخطاب ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب عن ابن عباس وابن عمر وضعفها." (١)

"٩٦٥٤ - (ويل لأمتي من علماء السوء) وهم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة فالواحد منهم أسير الشيطان أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ومن هذا حاله فضرره على الأمة من وجوه كثيرة منها الاقتداء به في أفعاله وأقواله ومنها تحسينه للحكام ظلم الأنام وتساهله في الفتوى لهم وإطلاقه القلم واللسان بالجور وبالبهتان استكبارا أن يقول فيما لا علم عنده به لا أدري قال الغزالي: آفة العلم الخيلاء فلم يلبث العالم أن يتعزز بالعلم ويستعظم نفسه ويحتقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجهلهم ويترفع أن يبدأه بالسلام فإن بدأ أحدهم بالسلام أو رد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده وبرا عليه يلزمه شكره واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقونه وأنه ينبغي أن يخدموه شكرا له على صنيعته بل الغالب أيهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه ولا يزورهم ويستخدم من خالطه منهم ويسخره في حوائجه فإن قصر استنكره كأنهم عبيده أو أجراؤه وكأن تعلمه العلم صنيعة منه لديه ومعروف إليه أو استحقاق حق عليه. وقال الماوردي: الدنيا دار مرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرض القلوب أكثر من مرض الأبدان والعلماء أطباء القلوب وقد مرضوا في هذه العصور مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم أسوة في عموم المرض حتى ظهر نقصانهم فاضطروا إلى إغراء الخلق وإرشادهم إلى ما يزيدهم مرضا وهو حب الدنيا الذي تلبسوا به لما لم يقدروا على التحذير منه حذرا أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم؟ فلذلك عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يزعق العوام ويستميل قلوبهم من تسجيع الكلام وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع لينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومتى كان الطبيب جاهلا أو خائنا يضع الدواء في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان لكن لشخصين متضادي العلة(تتمة) قال الحكيم: علماء السوء ضربان ضرب مكب على حطام الدنيا لا يسأم ولا يمل قد أخذ بقلبه حبها وألزمه خوف الفقر فهو كالهمج يتقلب في المزابل من عذرة إلى عذرة ولا يتأذى بسوء رائحتها وإكبابه عليها كإكباب الخنازير فمسخوا في صورة الخنازير وضرب أهل تصنع ودهاء ومخادعة وتزين للمخلوقين شحا على رياستهم يتبعون الشهوات ويلتقطون الرخص ويخادعون الله بالحيل في أمور دينهم فاطمأنوا إلى الدنيا وأسبابها ورضوا من العلم بالقول دون الفعل فإذا حل بهم السخط مسخوا قردة فإن القردة جبلت على الخداع واللعب والبطالة وشأن الخنزير الإكباب على المزابل والعذرة. واعلم أن قضية كلام المصنف أن ذا هو الحديث بتمامه والأمر بخلافه بل بقيته عند مخرجه الحاكم يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحا لأنفسهم لا أربح الله تجارتهم اه بنصه(٢) روى سحنون عن ابن وهب عن عبد العزيز بن أبي حازم سمعت أبي يقول كان العلماء فيما مضى إذا لقى العالم من هو فوقه في العلم يقول هذا يوم غنيمة وإذا

---

(١) فيض القدير المناوي ٤/١١٣

(٢) فائدة

لقي مثله ذاكره وإذا لقي دونه لم يزه عليه واليوم يعيب الرجل من فوقه ابتغاء أن ينقطع عنه حتى يرى الناس أنه ليس بهم حاجة إليه ولا يذاكر مثله ويزهو على من هو دونه فهلك -[٣٧٠]- الناس اه هذا في ذاك الزمان فما بالك بالناس الآن وما انطووا عليه من جحد الفضائل مع قيام الدلائل وحب الرياسة والتعظيم والتسارع إلى نبذ من تلوح عليه شواهد العلم بالقصور ويلتمسون بكثرة الانتقاد العثرات ويسترون رسوم الحسنات ببعض السقطات وربما رأى بعضهم استحقاق العلم بالتوارث من الآباء لكون المنصب كان لأبيه وقد نص القرافي أنه من البدع المحرمة(ك في تاريخه) أي تاريخ نيسابور (عن أنس بن مالك) وفيه إبراهيم بن طهمان مختلف فيه وحجاج بن حجاج قال الذهبي: مجهول." (١)

"خمسة عشرة ثم مرة ليلقي منه خمسة خمسة ويخبرك بالباقي فيأخذ لكل واحد منه ٢١ ثم يجمع الحواصل ويلقي من المجتمع مائة وخمسة فما بقي هو المطلوب.الأرجوزة المشهورة للفاضل مجد الدين ابن مكانس.هل من فتى ظريف معاشر ... لطيف يسمع من مقاليما يرخص اللئالي أمنحه ... وصية سارية سريةتنير في الدياجي كلمعة ... السراج جالبة السراءجليلة الأبناء ماجنة ... خليعة بليغة مطيعةرشيقة الألفاظ تسهل ... للحفاظ جادت بها القريحةفي معرض النصيحة أنا الشفيق ... الناصح أنا المجد المازحأسلك مع الجماعة في طرق ... الخلاعة أجد للأكياسعهد أبي نؤاس إن تبتغ ... الكرامة وتطلب السلامةأسلك مع الناس الأدب ترى ... من الدهر العجب لن لهم الخطاباواعتمد الآدابا تنل بها الطلابا ... وتسحر الألبابإليس حلى الخلاعة واخلع رد الرقاعة ... ولا تطاول بنشبولا تفاخر بنسب فالمرؤ إبن اليوم ... والعقل زين القوم ما أروض السياسة لصاحب الرياسةإن شئت تلقى محسنا ... فلا تقل قط أنا." (٢)

"المصنف: لأنه لم يعين النسبة، ولا قال إن الانفراج بقدر الامتداد ولا فرض ذهاب الضلعين إلى غير النهاية، فجميع الصور داخلة في كلامه وعبارته في نهاية السداد والله ولي الرشاد.من التشبيه الواقع في الحركات والسكنات قول ابن مكنسه وهو بديع شعر:ابريقنا عاكف على قدح ... كأنه الأم ترضع الولداأو عابد من بني المجوس إذا ... توهم الكأس شعلة سجدا أول ما ينتبه العبد للعبادة، ويستيقظ من سنة الغفلة، وتتوق نفسه إلى الانخراط في سلك السعد أيكون بحضرة سماوية وجذبة إلهية، وتوفيق سبحاني وهو المعني بقوله تعالى: " أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه " والمشار إليه في كلام صاحب الشرع بقوله: إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح، فقيل يا رسول الله: هل لذلك علامة يعرف بها؟ فقال التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.روى في الخلاصة عند ذكر صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن رضي الله عنه ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاؤها بأضر في دين المسلم من حب الرياسة.مواعظمن كلام بعض الواعظين: إن إبليس إنما ينكد مجاهدات العابدين، ويكدر صفاء أحوال العارفين، لأنه يراهم يرفلون في خلع كانت عليه، ويتبخترون بولاية كانت إليه، ومعلوم أن كل من عزل عن ولاية عادي من استبدل به عنه، غيرة على الولاية وحسرة على أبواب الرعاية.من كلام بعض العارفين لا يكن تأخير العطاء مع الإلحاح في الدعاء، موجبا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك، لا فيما تختاره أنت لنفسك، وفي الوقت الذي يريده لا في الوقت الذي تريده.ومن كلامهم لا

---

(١) فيض القدير المناوي ٣٦٩/٦

(٢) الكشكول البهاء العاملي ٦٧/١

تتعد همتك إلى غيره، فالكريم المطلق لا تتحظاه الآمال.من أثبت لنفسه تواضعا، فهو المتكبر حقا، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت من المتكبرين.متى آلمك عدم إقبال الناس عليك، أو توجههم بالذم إليك، فارجع إلى علم الله." (١)

"ذا شر أبغضهم وأبغضوه (م عن عوف بن مالك)(خيار ولد آدم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد) وهم أولو العزم وأفضلهم بعد محمد ابراهيم اجماعا (ابن عساكر عن أبي هريرة) ورواه عنه البزار واسناده صحيح(خياركم من تعلم القرآن وعلمه) أي مخلصا لوجه الله تعالى (ه عن سعد) بن أبي وقاص(خياركم من قرأ القرآن وأقرأه) غيره لله تعالى لا لطلب أجر ونحوه (ابن الضريس وابن مردوية عن ابن مسعودخياركم أحاسنكم أخلاقا) زاد الترمذي وأطولكم أعمارا (حم ق ت عن ابن عمرو) بن العاص(خياركم أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا) بصيغة اسم المفعول وهو مثل حقيقته من التوطئة وهو التمهيد أراد الذين جوانبهم وطئة يتمكن منها من يصاحبهم (وأشراركم الثرثارون) الذين يكثرون الكلام تكلفا وتشدقا (المتفيهقون) أي الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم (المتشدقون) الذين يتكلمون بأشداقهم (هب عن ابن عباس)(خياركم الذين إذا رأوا ذكر الله بهم) أي برؤيتهم لما علاهم من النور والبهاء (وشراركم المشاؤون بالنميمة) وهي نقل بعض حديث القوم لبعض للافساد (المفرقون بين الاحبة الباغون عن البرآء العنت) تمامه يحشرهم الله في وجوه الكلاب (هب عن ابن عمر) وفه ابن لهيعة(خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام) أي من كان مختارا منكم بمكارم الاخلاق في الجاهلية فهو مختار في الاسلام (اذا فقهوا) أي فهموا أحكام الدين (خ عن أبي هريرة)(خياركم ألينكم مناكب في الصلاة) أي ألزمكم للسكينة والوقار والخشوع فيها بمعنى أن فاعله من خيار المؤمنين لا أنه خيارهم (د هق عن ابن عباس) وفيه مجهولان(خياركم) أي في نحو المعاملة (أحاسنكم) في رواية أحسنكم (قضاء للدين) بالفتح بأن يردأ أكثرمما عليه بغير شرط ولا مطل (ت ن عن أبي هريرة) قال استقرض المصطفى ورد خيرا منه ثم ذكره وأخرجه الشيخان أيضا(خياركم خيركم لاهله) أي حلائله وبنيه وأقاربه (طب عن أبي كبشة) الانماري(خياركم خياركم لنسائهم) وفي رواية لابن خزيمة لنسائي فأوصى ابن عوف لهن بحديقته بأربعمائة ألف (ه عن ابن عمر)(خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا) لانه كلما طال عمره وحسن عمله يغتنم من الطاعة الموجبة للسعادة الأبدية (ك عن جابر) بن عبد الله(خياركم أطولكم أعمارا) أي في الاسلام (وأحسنكم أخلاقا حم والبزار عن أبي هريرة) وفيه ابن اسحق مدلس(خياركم الذين إذا سافروا قصروا الصلاة وأفطرا) احتج به الشافعي على أن القصر أفضل من الاتمام أي إذا زاد السفر على مرحلتين (الشافعي والبيهقي في المعرفة عن سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها (مرسلا) ووصله أبو حاتم عن جابر(خياركم من ذكركم بالله رؤيته) لما علاه من نور الجلال وهيبة الكبرياء وأنس الوقار فإذا نظر الناظر إليه ذكر الله لما يرى من آثار الملكوت عليه (وزاد في علمكم منطقه) لانه عن الله ينطق فالناطق صنفان صنف ينطق عن الصحف تحفظا وعن أفواه الرجال تلقفا وصنف ينطق عن الله تعالى تلقيا والاول يلج إلا ذان عريانا بلاكسوة لانه لم يخرج من قلب نوراني بل دنس مظلم **بحب الرياسة** والظلم والعز والشح على الحطام والثاني يلج

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٨٤

الآذان مع الكسوة التي تخرق كل حجاب وهو نور الله خرج من قلب مشحون بالنور فيخرق قلوب المخلطين من رين الذنوب وظلمة الشهوات وحب الدنيا فيقبل على العمل الصالح ويبالغ." (١)

"عنكم) من الدنيا تمامه عند مخرجه ولتفتحن عليكم فارس والروم (حم عن العرباض) بن سارية واسناده صحيح(لو تعلمون مالكم عند الله) من الخير يا أهل الصفة (لاحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة) قاله لاهل الصفة لما رأى خصاصتهم وفقرهم (ت عن فضالة بن عبيدلو تعلمون من الدنيا ما أعلم لاسترحات) أي لتركتموها واذا تركتموها استراحت (أنفسكم منها) وكان عيشكم أطيب من عيش الملوك لان الزهد فيها ملك حاضر (هب عن عروة) بن الزبير (مرسلا) وهو مع ارساله ضعيف(لو تعلمون ما في المسئلة) أي ما في سؤال الناس من مالهم (ما مشى أحد الى أحد يسأله شيأ) لان الاصل في السؤال كونه ممنواعا وانما أبيح لحاجة فان في السؤال للمخلوق اهانة للسائل وهو ظلم منه لنفسه وايذاء للمسؤل وهو من جنس ظلم العباد وفيه خشوع لغير الله وهو من جنس الشرك (ن عن عائذ) بمثناة تحتية وذال معجمة (ابن عمرو) المزنى باسناد حسن(لو تعلمون ما في الصف الاول) من الفضل (ما كانت الاقرعة) أي لتنازعتم في الاستئثار به حتى تقترعوا ويقدم من خرجت قرعته (م هـ عن أبي هريرةلو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت) من الاهوال والشدائد (ما أكلتم طعاما على شهوة أبدا ولا شربتم شرابا على شهوة أبدا ولا دخلتم بيتا تستظلون به) لان العبد اما محاسب فهو معاقب واما معاتب والعتاب أشد من ضرب الرقاب فاذا نظر العبد العاقل الى تفريطه في حق ربه مع انعامه ذاب كما يذوب الملح (ولمررتم الى الصعدات تلدمون) تضربون (صدوركم) حيرة واشفاقا وشأن المحزون أن يضيق به المنزل فيطلب به الفضاء الخالي (وتبكون على أنفسكم) خوفا من عظيم سطوة الله وشدة انتقامه (ابن عساكر عن أبي الدرداءلو جاء العسر فدخل هذا الجحر) بتقديم الجيم المضمومة على الحاء المهملة (لجاء اليسر فدخل عليه فأخرجه) ان مع العسر يسرا (ك عن أنس) بن مالك(لو خشع قلب هذا) الرجل الذي يصلي وهو يعبث في صلاته أي أخبث واطمأن (لخشعت جوارحه) لان الرعية بحكم الراعي والقلب ملك والجوارح جنده (الحكيم) في نوادره (عن أبي هريرة) باسناد ضعيف والمعروف أنه من قول ابن المسيب(لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه) لان من نظر الى صفات الجلال تلاشى عنده الخوف من غيره وأشرق نور اليقين على فؤاده فتجلت له العلوم وانكشف السر المكتوم (ولو عرفتم الله تعالى حق معرفته) أي بصفاته وأسمائه الحسنى (لزالت لدعائكم) في رواية بدعائكم (الجبال) لكنكم وان عرفتموه لم تعرفه حق معرفته ومن عرفه حق معرفته ماتت شهواته واضمحلت لذاته فمن عرف الله كذلك زالت بدعائه الجبال ومشى على الماء ولما عجز علماء الظاهر عن ذلك أنكروا المشي على الماء وطي الارض مع وقوعه لكثير من الاولياء والمكذب بذلك مكذب بنعم الله فعلماء الظاهر عرفوا الله لكن لم ينالوا حق المعرفة فعجزوا عن هذه المرتبة ولو عرفوه حق معرفته ماتت شهوات الدنيا **وحب الرياسة** والشح على الدنيا والتأنس فيها وحب الثناء والمدح (الحكيم) الترمذي (عن معاذ) بن جبل(لو دعا لك اسرافيل وجبريل وميكائيل وحملة العرش

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٥٢٤/١

وأنا فيهم ما تزوجت الا المرأة التي كتبت لك) أي قدر لك في الازل أن تتزوجها وذا قاله لمن قال له ادع لي أن أتزوج فلانة فذكره (ابن عساكر عن محمد السعدي(لو دعى بهذا الدعاء على شئ بين المشرق والمغرب في ساعة من يوم." (١)

"ومتعبداتهم وتراب أجدادهم ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين الذي تسبب في وجودكم واختصكم بحبه وغمركم بلطفه وحنانه وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا وهيأتكم دعوته بالاستقامة إلى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النضرة عن طائر داست أفراخه ناقة في جوار رئيس منهم وما انتهى إليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الأنفس وهلكت الأموال وقصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسان فما الظن بكم وأنتم الكريم أبن الكريم أبن الكريم فيمن لجأ أولا إلى حماكم بالأهل والوالد عن حسنة تبرعتم بها وصدقة حملتكم الحرية على بذلها ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب دامي القرحة يتغطى بردائه ويستجير بعليائه كأني تراميت عليه في الحياة أمام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر داره ومضجع رقاده ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة: يا ليعقوب باب الرجل لمرين نسأل الله إلا يقطع عني معروفكم ولا يسلبني عنايتكم ويستعملني ما بقيت في خدمتكم ويتقبل دعائي فيكم ولحين وصول الجواب الكريم نهضت إلى القبر المقدس ووضعته بإزائه وقلت: يا مولاي يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بني مرين **صاحب الشهرة** والذكر في المشرق والمغرب عبدك المنقطع إليك المترامي بين يدي قبرك المتوسل إلى الله ثم إلى ولدك بك أبن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك والتقرب إلى الله برعيك والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك وانتم من." (٢)

"لو رأى وجه حبيبي عاذلي ... لتفاصلنا على وجه جميل (١) وقال رحمه الله تعالى: قال لي محمد بن داود بن المكتب قال لي بلال الحبشي خادم الشيخ ابن مدين (٢) : كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا البيت:الله قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتادا بصدق مراد وقال رحمه الله تعالى: دخلت على عبد الرحمن بن عفان الجزولي (٣) ، وهو يجود بنفسه، وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى، فسألته عن السبب، فأخبرني أنه خرج إلى لقاء السلطان، فسقط عن دابته، فتداعت أركانه، فقلت: ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع سنك فقال: **حب الرياسة** آخر ما يخرج من قلوب الصديقين.وقال رحمه الله تعالى: قال لي محمد بن مرزوق: قال لي بعض أصحاب أبي إسحاق الطيار دفين عباد تلمسان: إن أبا إسحاق أقام خمسا وعشرين سنة لا ينام إلا قاعدا، فسألت ابن مرزوق: لم لقب بالطيار فحدثني عن بعض أصحابه أنه نشر ذات يوم ثوبه في الشمس على بعض السطوح، ثم قعد هنالك، فمر به رجل فقال له: طر، فقال: أعن أمرك قال: نعم، فطار حتى وقع على الأرض وما به من باس، فقال الجد رحمه الله تعالى بعد هذا ما نصه: فقلت: إذا ما صار الحق للعبد سمعا وبصرا فسمع به وأبصر أصاخ إلى الأحوال، واجتلى المعاني، فيرى من غير مبصر، ويسمع من غبر ناطق، كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذي (٤) الحلوي دفين تلمسان:ـــــــــــــــــــــــ(١) ق: مليح.(٢) ترجمة بلال خادم الشيخ أبي مدين

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٣٠٨

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١/٢٨٥

في أنس الفقير: ٩٣، وانظر ما تقدم ص: ٢٤٢.(٣) ترجمة عبد الرحمن الجوزلي في نيل الابتهاج: ١٢٩ وفيه ما جاء هنا نقلا عن المقري الجد. والسلطان الذي خرج للقائه هو أبو الحسن المريني، وكانت وفاة الجزولي بعد موقعة طريف سنة ٧٤١.(٤) تنسب إليه الشوذية وكان في أول أمره من فقهاء مرسية ثم التف حوله أمثال عزيز بن خطاب وحازم وأبي المطرف وغيرهم. والشوذية طريقة صوفية تشبه طريقة ابن عربي إلا أنها أكثر إيجابية، وقد تورط أصحابها في السياسة وقالوا بأن العلوم الشرعية غير صحيحة في ذاتها، ولذلك وجدوا مقاومة شديدة، وحمل عليهم ابن خلدون ولسان الدين.." (١)

"وقال:خذ الأمور برفق واتئد أبدا ... إياك من عجل يدعو إلى وصبالرفق أحسن ما تؤتى الأمور به ... يصيب ذو الرفق أو ينجو من العطبمن يصحب الرفق يستكمل مطالبه ... كما يشاء بلا أين ولاتعب وقال:من يبتغي السؤدد لا بد أن ... يرهقه الجهد فلا يضجريصعب إدراك المعالي فمن ... يرم لحاق بعضها يصبرلا يحصل السؤدد هينا ولا ... يظفر بالبغية إلا جري وقال:عاش في الناس من درى قدر نفسه ... ثم دارى جميع أبناء جنسهعلم الإنسان قدره نبل عقل ... وذكاء يبين عن فضل حدسه وقال:عظم الناس تنل تعظيمهم ... واجتنب تحقيرهم فهو الردىمن ير الناس بتحقير يكن ... عندهم مؤذى حقيرا أبدالا يغرنك إهمال امرئ ... ربما يؤذي الذباب الأسدا وقال:حب الرياسة يا له من داء ... كم فيه من محن وطول عناءطلب الرياسة فت أعضاد الورى ... وأذاق طعم الذل للكبراءإن الرياسة دون مرتبة التقى ... فإذا اتقيت علوت كل علاء." (٢)

"على بذلها ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهي الفزعة يتغطى بردائه ويستجير بعليائه كأنني تراميت عليهم في الحياة أمام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر داره ومضجع رقاده مامن يوم إلا وأجهر بعد التلاوة: يا ليعقوب يا لمرين (١) نسأل الله تعالى أن لا يقطع عني معروفكم ولا يسلبني عنايتكم ويستعملني ما بقيت في خدمتكم ويتقبل دعائي فيكم." ولحين وصول الجواب الكريم نهضت إلى القبر المقدس ووضعته بازائه وقلت يا مولاي يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بني مرين صاحب الشهرة والذكر في المشرق والمغرب عبدك المنقطع إليك المترامي بين يدي قبرك المتوسل إلى الله ثم إلى ولدك بك ابن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعي وجهك والتقرب إلى الله تعالى برعيك والاشتهار في مشرق الدنيا وغربها ببرك وأنتم من إذا صنع صنيعه كملها وإذا من منة تممها وإذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولاممنونة ولا منتقضة وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك حتى يتم أملي ويخلص قصدي وتحف نعمتك بي ويطمئن إلي مأملك قلبي." ثم قلت للطلبة: أيها السادة بيني وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التأليف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم فأمنوا على دعائي بإخلاص من قلوبكم واندفعت في الدعاء والتوسل الذي نرجوأن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه وخاطب العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته مسرورا بقبوله وشأنه من التعلق والتطارح شأنه حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمور الوقت

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٦٠/٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٨٢/٥

بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان "؛ انتهى.____________(١) ص ق: يا آل يعقوب، يا آل مرين؛ ولا خلاف.." (١)

"المنافقين كانوا على عهده صلى الله عليه وسلم للعهد الذي في الموصول، والكفرة المصرين مطلقا للإطلاق الذي في الناس، وقد مر بيان وجه اختيار الموصولية على هذا وما له وعليه، وجواز كونها موصوفة على تقدير العهدية، وقول أبي البقاء: إن هذا ضعيف بناء على اختياره إن الذين يتناول قوما بأعيانهم والمعنى هنا على الإبهام، وقد رد بالمنع فإنها نزلت في عبد الله بن أبي وأضرابه، وابن أبي بصيغة التصغير كان رأس المنافقين بالمدينة وأصحابه أتباعه، فإنه كان رئيسا، وإنما حمله على النفاق **حب الرياسة** كما ذكره أصحاب السير ونظراؤ. أقرانه من أعلام النفاق وهو جمع نظير ككريم وكرماء. قوله: (فإنهم من حيث أنهم صمموا إلخ) جواب سؤال مصرح به في الكشاف، وهو: فإن قلت: كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم إلخ وقد اتفق شراحه على أن السؤال وجوابه على تقدير كون التعريف للعهد لا للجنس، أي كيف يجعل أهل التصميم على النفاق بعض الكفرة الموصوفين بالختم، وهم محضوا الكفر ظاهرا وباطنا كما يدل عليه قوله، ثم ثنى والمنافقون المذكورون غيرهم، نأجيب بأن الكفر المصمم بالإصرار المختوم به، والمغشى على القلوب والأبصار جمع الفريقين من الماحضين المصرين والمنافقين المصممين معا وصيرهما جنسا واحدا وهو من لا ينتهي عن الكفر أصلا، والمنافقون قد امتازوا عن الماحضين بما ذكر من الزيادة لكن ذلك لا يخرجهم عن الجنس الجامع بينهما وحاصله أن المراد بالذين كفروا على تقدير الجنس المصرون مطلقا، فيندرج فيهم المصممون على النفاق، وقوله ثنى بذكر الماحضين حملوه على أن الدنافقين لما أفردوا بالذكر كان المقصود بالذات من الحكم المشترك بيان حال الماحضين لا على أنهم المراد به مطلقا فلا إشكال، وخروج المنافق الذي لا يصر لا يضر كالكافر الذي لم يدم على كفره وكصاحب الكبيرة بالنسبة للمتقين،فالمذكور من الأقسام الثلاثة أعلى أعلامهم، وقد ذهب بعضهم في تقريره إلى خلافه فزيفوه كما في الحواشي الشريفية وإليه ذهب في الكشف، ثم قال: ولقد تعمق بعضهم في هذا المقام إلى أن جره صلفه إلى أن جعل اللام في المتقين للعهد زاعما أن القسمة المثلثة تقتضي تقابل الثلاثة جنسا أو عهدا، وقد ضل عنه أن التقابل لا على الحقيقة، وإلا لوجب عطف إن الذين كفروا على سالفه وقد سبق ذلك مستوفى في تقريره، ولا بد للجواد من كبوة فإن قلت على العهد إما أن يراد العهد الذهني، أو الذكري والخارجي، وليس المراد الأول كما لا يخفى ويرد على الثاني أنه لم يتقدم له ذكر قلت: لا يلزم في العهد الذكري أن يذكر بلفظه بل بما يساوبه، كما قرووه في قوله تعالى ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ [آل عمران: ٣٦] فإن قولها قبله نذرت لك ما في بطني محررا بمعنى الذكر، لأنهم لم يكونوا يحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور فلذا كان التعريف فيه عهديا، ومن هذا القبيل ما نحن فيه إذ لا يشترط اتحاد اللفظ بل المعنى.وقوله قدس سره ولما كان المعهود هنا مذكورا بلفظ آخر أشار إلى ذلك الزمخشري بقوله: ونظير موقعه أي موقع الناس موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان والقوم لئام إشارة لذلك، وفيما ذكره مخالفة لقول الشارح الفاضل الناس على تقدير العهد إشارة إلى ذلك الجنس لا إلى المصرين المخصوصين بواسطة الاخبار عنهم باستواء الإنذار وعدمه، ولا إلى الخلص الذين كفروا ظاهرا وباطنا على ما ينساق إليه الكلام بعد امتياز المنافقين

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٦/٦

منهم، ففيه رد ضمني له وبوافقه ما في حواشيه على شرح التلخيص من أن المعهود الخارجي كضمير الغائب في تقدم الذكر تحقيقا أو تقديرا، وقد جوزوا عود الضمير إلى المطلق المذكور في ضمن المصرح الحاضر فتدبر. وقوله: (في عداد) بكسر العين أي دخلوا في جملتهم، فيعدون منهم. وقوله: (واختصاصهم الخ) يعني أن هذه الضميمة صيرتهم نوعا، كما يصير الحيوان بانضمام النطق إليه نوعا منه. قوله: (فعلى هذا تكون الآية الكريمة تقسيما للقسم الثاني) قيل: إنه رد لما يفهم من ظاهر الكشاف من جريان وجهي التعريف على تثليث القسمة لأن التثليث إنما يتأتى بجعل الذين كفروا ماحضين للكفر ظاهرا وباطنا، وحينئذ لا يصح جعل المنافقين منهم، أو توجيه له بأن قوله ويجوز أن يكون للعهد ليس عديلا لقوله: ولام التعريف فيه للجنس، فليسا معا من تتمة تثليث القسمة بل العهد عديل لتثليث القسمة والجنس من تتمته، والحق معه." (١)

"ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون فتدبر. قوله: (وكذلك بشرا) أي في قوله: أبعث الله بشرا رسولا لا في قوله هل كنت إلا بشرا رسولا كما في الكشف، وقوله: أوفق بمعنى أكثر موافقة للمقام وأنسب، ووجهه على ما ذكره الشارح العلامة وصاحب التقريب أنه على الحالية يفيد المقصود بمنطوقه، وعلى الوصفية يفيد خلاف المقصود بمفهومه أما الأول: فلأن منطوقه أبعث الله رسولا حال كونه بشرا لا ملكا ولنزلنا عليهم رسولا حال كونه ملكا لا بشرا وهو المقصود، وأما الثاني: فلأن التقييد بالصفة يفيد أبعث بشرا مرسلا لا بشرا غير مرسل، ولنزلنا عليهم ملكا مرسلا لا ملكا غير مرسل وهو خلاف المقصود، وقال في الكشف: تبعا لشيخه وجهه أن التقديم عن موضعه الأصلي دل على أنه مصت الإنكار في الأول أعني قوله: أبعث الله بشرا رسولا فيدل على أن البشرية منافية لهذا الثابت أعني الرسالة كما تقول أضربت قائما زيدا، ولو قلت أضربت زيدا قائما أو القائم لم يفد تلك الفائدة لأن الأول يفيد أن المنكر ضربه قائما لا مطلقا والثاني يفيد أن المنكر ضربه لاتصافه بصفة مانعة ولا يفيد أن أصل الضرب حسن مسلم، والجهة منكرة هذا إن جعل التقديم للحصر، فإن جعل للاهتمام دل على أنه مصب الإنكار وان لم يدل على ثبوت مقابله، وعلى التقديرين فائدة التقديم ظاهرة. قوله: (على أني رسول الله إليكم الخ) إشارة إلى أنهم لما استبعدوا أن يكون الرسول بشرا رد عليهم بوجوه، وهي أن الملك لو ادعى الرسالة لم يكن له بد من دليل بالمعجزة فما يدل على نبوة الملك يدل على نبوة البشر فلا وجهللتخصيص واليه أشار بقوله: إذ جاءهم الهدى أي المعجز الهادي إلى التصديق وأنه لو كان أهل الأرض ملائكة، وجب أن يكون رسلهم كذلك، لأن الجنس إلى الجنس أميل فلما كانوا بشرا كان المناسب أن يكون رسلهم من جنسهم ولذلك امتن الله عليهم، بقوله: لقد جاءكم رسول من أنفسكم وأيضا أنه لما أظهر المعجزة على وفق دعواه كان ذلك شهادة منه كافية في صدق المدعي، وهذا الجواب الأخير هو معنى هذه الآية كما قرره المصنف رحمه الله تبعا للإمام وهو أوفق بالسياق فلذا رجحه. قوله: (أو على أني بلغت ما أرسلت به الخ (اقتصر في الكشاف عليه وأخره المصنف لما سمعته وأما كونه أوفق بقوله إنه كان بعباده الخ كما قيل فلا وجه له لأن معناه التهديد والوعيد بأنه يعلم ظواهرهم وبواطنهم وأنهم إنما ذكروا هذه أشبه للحسد **وحب الرياسة** والاستنكاف عن الانقياد للحق، كما ذكره المصنف رحمه الله. قوله: (الباطنة الخ الف ونشر على الترتيب، وقوله: فيجازيهم إشارة إلى أن علم الله عبارة عن المجازاة كما مر، وقوله: وتهديد للكفار إشارة إلى ما مر، وضمير منها للأحوال، قوله: اثبتا

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١/٣٠٤

الياء أي ياء المهتدي، وغيرها حذفها. قوله تعالى: (﴿ومن يهد الله﴾ الخ (قال الفاضل المحشي: الظاهر أنه ابتداء أخبار منه تعالى لا مندرج تحت قوله: قل لأن قوله ونحشرهم يأباه ويحتمل اندراجه تحته ونحشرهم حكاية لما قاله الله له أو التفات، وقوله: فلن تجدلهم من الحمل على المعنى بعد الحمل على اللفظ وحمل قوله: ومن يهد الله الخ على اللفظ إفرادا لأن طريق التوحيد واحدة بخلاف طرق الضلالة، فإنها متشعبة فلذا حمل فيها الجمع على المعنى، وهذا مما حمل فيه على المعنى ابتداء من غير تقدم حمل على اللفظ وهو قليل، وقال أولياء: مبالغة لأن الأولياء إذا لم تنفعهم فكيف الولي الواحد (قلت) تبع فيه أبا حيان ولا وجه له فإنه حمل فيه على اللفظ أولا إذ في قوله يضلل ضممير مفرد محذوف إذ تقديره يضلله على الأصل وهو راجع إلى لفظ من فلا يقال إنه لم يتقدهه حمل على اللفظ، وأغرب منه ما قيل إنه قد يقال: إن الحمل على اللفظ قد تقدمه في قوله: من يهد الله وإن كان في جملة أخرى، وقوله: روي الخ حديث صحيح ووقع في البخاري بمعناه عن أنس رضي الله عنه، والمشي على الوجه هو الزحف منكبا ومعنى سحبهم عليها جر الملائكة لهم منكبين عليها، كقوله: يوميسحبون في النار على وجوههم ولم يذكر المصنف هذه الآية ويجعلها مفسرة لهذه لأن هذا في الحشر وذاك بعد دخول النار وهما وجهان متغايران بتغاير المتعلق، ومن قال: إق في كلامه ألغاز أو أنه يحتمل أن يكون وجها واحدا فقط خبط خبط عشواء." (١)

"ما يدل عليها. قوله: (وعلى هذا) أي كون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه يصح حينئذ تعلقه باسأل إذ ليس سؤاله في هدا الوقت وعلى تعلقه بآتينا المعنى ظاهر وما بينهما اعتراض كما مر والمسؤول منهم مؤمنو بني إسرائيل في زمنه كعبد الذ بن سلام فلذا قدروه إذ جاء آباءهم كما في الكشاف، وقيل: إق المصنف رحمه الله لم يتعرض! له لأنه جعله استخداما، وليس في كلامه ما يقتضيه فلعله حمله على النوع فتدبر. قوله: (أو لإضمار يخبروك (من إضافة المصدر لمفعوله إذ المراد به لفظه وجعله الإضمار ناصبا تسمح أو هو من إضافة الصفة للموصوف أي يخبروك المضمر ولا يخفى أن الإخبار ليس واقعا في وقت المجيء ودفعه بأنه مفعول به لا ظرف، كما قيل فيه إن أخبر يتعدى بالباء أو عن لا بنفسه، وقوله: على أنه جواب بيان لارتباطه وجزمه وأورد عليه أن السؤال عن الآيات وبيانها والجواب بالإخبار عن وقت المجيء لا يلائمه اللهم إلا أن يقال: إن المراد يخبروك بذلك الواقع في وقت مجيئه لهم، وهو تكلف فتأمل، وقوله: أو بإضمار اذكر على أنه مفعول به لا ظرف لأن الذكر ليس في ذلك الوقت، وقيل إنه يجوز تعلقه باسأل على أن إذ للتعليلى أي سلهم لأنه جاء آباءهم فهم يعلمون أحواله، وكذا إذا تعلق بيخبروك يجوز فيه هذا. قوله: (فقال له فرعون) الفاء فصيحة أي فذهب إلى فرعون وأظهر آيات ومعجزات ودعاه للإيمان فقال الخ، وقوله: سحرت فهو على ظاهره وتخبط العقل اختلاله فلهذا اختل كلامه على زعمه وقيل المسحور بمعنى الساحر على النسب أو حقيقة كما مر في حجابا مستورا وهو يناسب قلب العصا ثعبانا ونحوه وعلى الأول هو كقوله: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قوله: (على إخباره عن نفسه) وهو على القراءتين رد لقوله: أظنك على تفسيريه والجملة المنفية معلق عنها ساذة مسد مفعوليه والمعنى أن علمي أو علمك بأن هذه الآيات من الله إذ لا يقدر عليها سواه يقتضي أني ل! ست بمسحور ولا ساحر وأن كلامي غير مختل لكن **حب الرياسة** حملك على

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٦١/٦

العناد وقوله يعني الآيات أي التسع أو بعضها أو ما أظهره من المعجزات وقوله بينات أي لا سحر ولا تخيل، كما زعم فهيجمع بصيرة بمعنى مبصرة أي بينة كما مر تحقيقه في قوله: وآتينا ثمود الناقة مبصرة أو المراد الحجج بجعلها كأنها بصائر العقول وتكون بمعنى عبرة كما ذكره الراغب، وقوله: نبصرك صدقي إشارة إلى علاقة التجوز فيه. قوله: (وانتصابه على الحال) فإن قلنا ما قبل إلا يجوز علمه فيما بعده وان لم يكن مستثنى ولا تابعا له فعامله أنزل المذكور وصاحبها هؤلاء وإليه ذهب أبو البقاء والحوفي وابن عطية والا فالعامل مقدر تقديره أنزلها. قوله: (مصروفا عن الخبر (من الثبر بمعنى الصرف مطلقا، وقدر متعلقه مخصوصا بقرينة المقام وكونه مطبوعا على الشر من لوازمه وقوله: هالكا فهو من ثبر اللازم بمعنى هلك ومفعول فيه للنسب بناء على أنه يأتي له من اللازم والمتعدي، وفسره المعرب بمهلكا وهو ظاهر وفي شرح شعر هذيل في قوله:بنعمان لم يحلف شنيقا مثبراإن في الحديث ما ثبر الناس أي عجل الدنيا وأخر الآخرة، وقال أبو عمر ومثبر: لا يصيب خيرا، وقيل ضعيف وبه فسرت الآية. قوله: (قاوع ظنه بظنه) أي قابله به لدفعه، كما يتقابل المتقارعان بالرماح فهو استعارة، وقوله: كذب بحت بالباء الموحدة والحاء المهملة والتاء الفوقية أي خالص لا يطابق واقعا ولا اعتقادا ولا إمارة عليه وإنما سمي ظنا لتعبيره به أو لأنه وقع منه الظن لفساد عقله، وما ذكر بالنسبة للواقع في العقول السليمة وأخالك بمعنى أظنك بكسر الهمزة في الفصيح وقد تفتح. قوله: (أن يستخف الخ (هذا أصل معناه أي يزعجهم فكني به عن إخراجهم من أرضهم وهي مصر إن ثبت أنهم دخلوها، فإن لم يثبت فالمراد ذريثهم أو يراد بالأرض! الأرض المقدسة والتعريف للعهد أو من جميع الأرض! والتعريف للجنس ويلزمه قتلهم واستئصالهم وهو المراد به. قوله: (فعكسنا عليه مكره (أي أراد ذلك لهم دونه فكان له دونهم والتعكيس على الثاني ظاهر فإن خص به فأظهر وإلا فهو علىالأول لأنه أراد إخراجهم منها فأخرج هو أشد إخراج بالهلاك إذ الزيادة لا تضر في التعكيس بل تؤيده ولذا زاد قوله: بالإغراق. قوله: (الكرة الخ) بيان لتقدير موصوف على الوجوه وقوله: يعني قيام القيامة على جميعها، وقوله: إياكم واياهم كان الظاهر أنتم وهم وهو منصوب بمقدر أي أعني، وقيل:." (١)

"أكرم بيت قالته العرب قول طرفة:وأعسر أحيانا فتشتد عسرتي ... وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضيوقيل: قول كثير:إذ قل مالي زاد عرضي كرامة ... علي ولم أتبع دقيق المطامعوقيل: قول عنترة:ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به كريم المأكلوقيل: قول كعب بن مالك رضي الله عنه:نسود ذا المال القليل إذا بدت ... مروءته فينا وإن كان معدمالله الأمر من قبل ومن بعدباب فينبذة من كلام الأذكياءوهذه نبذة من كلام الأذكياء، وإنما نعني بها ما شأنه أن يصدر عن ذكي سواء صدر عنه أو غيره، وللناظر العاقل في كليهما اعتبار، فإن كل ما هو حكمة أو صواب من القول فهو ثمرة العقل عادة، فإن صدر عن العاقل دل على حكمة الله تعالى الباهرة في ترتيب المسببات على أسبابها، ونبه على شرف العقل وشرف من اتصف به من الخلق، وإن صدر عن غير العاقل دل على مشيئة الله تعالى واختياره في أن يفعل ما شاء وأنه هو الخالق للحكمة والصواب على ألسنة العقلاء من غير تأثير للعقل فيها ولا ربط عقلي بينه وبينها بل عنده لا به، فتبارك الله رب العالمين، فيدخل في هذا ما يقع للحكماء، وما يندرج عن غيرهم كالصبيان والنساء وجفاة الأعراب، وتدخل الأجوبة

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٦/٦٥

المسكتة ونحو ذلك.فمن ذلك ما ورد عن حكماء العرب وبعضه ينسب حديثا: لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة.خير المقال ما صدقه الفعال.رأس الدين، صحة اليقين.كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم.جانب مودة الحسود، وإن زعم أنه ودود.إذا جهل عليك الحمق فالبس له سلاح الرفق.لكل شيء آفة، فآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة الحياء الضعف، وآفة اللب العجب، وآفة الظرف الصلف، وآفة الجود السرف، وآفة الجمال التيه، وآفة السؤدد الكبر، وآفة الحلم الذل.ويقال أيضا: آفة الحلم السفه، وآفة الحديث الكذب، وآفة العبادة الفترة، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الدين الهوى، وآفة الحسب الفخر.والمراد بالصلف هنا مجاوزة الحد تكبرا.مؤمل النفع من اللئام، كزارع البذر في الحمام.صحبة الفاسق شين، وصحبة الفاضل زين.من جرى في ميدان أمله، عثر في عنان أجله.من لم يصبر على البلاء، لم يرض بالقضاء.فقد الصبر، أعظم من حوائج الدهر.إذا حزن الفؤاد، ذهب الرقاد.الجليس الصالح، كالمسك النافح.الحسود مغتاظ على من لا ذنب له.من الآفات، كثرة الالتفات.من أشد العذاب، فراق الأحباب.كلب شاكر، خير من صديق غادر.إذا جاء القدر، عمى البصر.العيال، سوس المال.إذا صدق العيان، لم يحتج إلى برهان.شفاء الصدور، في التسليم للمقدور.الحق ثقيل، وطالبه قليل.كثرة العتاب، داعية الاجتناب.من سعى إليك، سعى عليك.مدح الغائب تعريض بالحاضر.من تفرغ للشر يطلبه، أتيح له من يغلبه.من أمل أحدا هابه، ومن قصر عن شيء عابه.رب أخ لم تلده لك أمك.لا يضر السحاب، نباح الكلاب.وفي معناه قول حسان رضي الله عنه:ما أبالي أنب بالحزن تيس ... أم لحاني بظهر غيب لئيموقول الآخر:ما يضر البحر أمسى زاخرا ... أن رمى فيه غلام بحجروقول الآخر:زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... أبشر بطول سلامة يا مربعوقول الآخر:تهددني لتقتلني نمير ... متى قتلت نمير من هجاهاوقيل: مما يعين على العدل اصطناع من يؤثر التقى، واطراح من يقبل الرشا، واستكفاء من يعدل في القضية، واستخلاص من يشفق على الرعية، فإنه ما عدل من جار وزيره، ولا صلح من فسد مشيره.وقيل: آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء خبث السريرة، وآفة الجند مفارقة القادة، وآفة الرعية مفارقة الطاعة، وآفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء **حب الرياسة**، وآفة القضاة شدة الطمع، وآفة الشهود قلة الورع.وقيل: أربعة لا يزول معها ملك: حفظ الدين، واستكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم.وأربعة لا يثبت معها ملك: غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية.." (١)

"هيهات أنجو سليما ... من بعد خط عذاركوخالك الخال غال ... لوقعة في نضاركوثغرك العذب فيه ... لنا غنى عن عقاركوقدك الغصن لكن ... لا يجتنى من ثماركأنت الذي ما رأينا ... في حسنه من مشاركفارفق بصب عليل ... أفناه بعد مزاركإلى متى تتركني ... أرعى نجوم انتظاركوكم على ليل ضعفي ... تسطو بجور نهاركإن كان يرضيك قتلي ... عمدا بحسن اختياركفذاك صب عميد ... في ساحة الذل باركولم يزل في التصابي ... بالصبر فيك يعاركعسى يلوح صباح الر ... ضا له من دياركوتشمل الصب قربا ... من بعد طول ازواركفجد وسامح وواصل ... واعطف وعجل ودارك‌صالح بن نصر الله المعروف بابن سلومرئيس الأطباء للسلطان محمد ونديمه الذي صح به تركيب الزمان، ووفى له الأمل بالضمان.تقدم في حلبة النبلاء بحلب، ودر له ضرع الأماني فحلب.طالما وفى العيش حقه بمنادمة يهتز لها مرحا عطف الشباب، وسقى السمع

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١٠٨

كأس محاورة ترقص السامعين رقص الحباب.حتى تقضقض آبنوسه، وأشرف عناه وبوسه.فأنف الإقامة في حيه وربعه، ودعاه إلى الرحلة **حب الرياسة** المركوز في طبعه.فرحل إلى دار السلطنة العالية، وحل منها محل العافية من الأبدان العافية البالية.واتفق إثر وصوله وصول خبره للسلطان فاستدناه، وصيره رئيس أطبائه وندمائه فبلغه من وفور الجاه ما يتمناه.وتبدلت نحوسه سعودا، وأنجز له الدهر الضنين وعودا.فأبرز من نفيس صنعته ما لم تتنفس به لهوات ابن النفيس، وشفى عليل صدور الملهوفين ولا بدع ف " الشفاء " للرئيس.وبالجملة فجمل فضائله مما تقصر عن وصفه جمل العبارات، وإذا وقعت لذات الفضل إشارات فلذلك الرئيس تلك الإشارات.وله في الأدب رواية طال بها باعا، ودراية أبرأ بها من مرض الزمان قلوبا وطباعا.ولم أقف له إلا على بيتين أجد معناهما، ولم تتمتع أذن سامع بغيرهما في معناهما.وهما قوله:سقاني من أهوى كلون خدوده ... مداما تري سر القلوب مذاعاومذ شبب الإبريق في كأس حاننا ... أقامت دراويش الحباب سماعامصطفى الزيباريهو في هذه لحلبة، كالعقد النفيس في اللبة.وله جامعية فنون تربو على الحصر، وفضائل لا يستطيع جحودها نبهاء العصر.لكنه أتى الدهر وقد هرم ن فلم يترو زهير روضه بمثل ندى هرم.فهو يشتكي زمنا بعيد الإحسان، لا يستجلبه ولا دعوة الغيد الحسان.وينظم الشعر لا فاقة، ما له منها إفاقة.بجد أمضى من النصل، وهزل أحلى من الوصل.وقد ذكرت له ما يستلذ وصفه الوصاف، والقول له أنه غاية في بابه من الإنصاف.فمنه قوله، من قصيدة يمدح بها البهائي:هي الشمس إن حيي بها الأوطف البدر ... فخذها هنيئا لا ملام ولا وزردهاقا دهاقا غير عان فإنها ... إذا صافحت ذا عسرة حله اليسرولا تخش إملاقا فإن حبابها ... فرائد ياقوت وذائبها تبرولا تعتبر قول المعيبين صحبها ... فأترابها زهر وأكوابها زهروقل لمدير الراح سرا وجهرة ... ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمرومكسولة الألحاظ معسولة اللمى ... تخال بها قطر النبات ولا قطرلها لحظات تسلب اللب والحجى ... وما فارقت جفنا وهذا هو السحروجيد مهاة بل غزال كأنه ... عمود لجين فوقه بزغ البدر." (١)

"سرى بأعطافه يرنحه ... فشق أثوابه من الطربومن محاسنه قوله يخاطب بعض السادة:قل للذين سروا والنار مضرمة ... وفيهم شرف الإسلام إذ ظعنوالا تشعلوا النار في مسراكم فلقد ... أغناكم النيران البدر والحسنوله:يا عين فرسان بني هاشم ... سبحان حاميك من العينصلت برمح وبعطف فقل ... في فارس جاء برمحينوله:أقبل كالرمح له هزة ... تحت قباء غيرم مزروركأن ذاك الخال في صدره ... حبة مسك فوق كافوروله:حدثاني عن النقيب حديثا ... وصفا لي شروطه بالعلامهوارويا لي عن جوهر لفظ حكم ... واجعلاه في جبهة الدهر شامهفيصح الحديث من غير سقم ... ما رواه إمامنا عن أسامهوله:كأنها والقرط في أذنها ... بدر الدجى قورن بالمشتريقد كتب الحسن على وجهها ... يا أعين الناس قفي وانظريوله في حامل ساعة:ومليح ملك الحس ... ن جميعا فأطاعهجاءنا ساعة أنس ... إذ حوت يمناه ساعهوله في بانياني اسمه رامه:ولعت ببانياني فيه حسن ... تظل الشمس عاكفة أمامهكأن بريمه لما تبدى ... بريق الغور في أكناف رامهوله:قد انقضى الصوم وولى وقد ... أقلقه شوال بالإرتحالفي الأرض ترميه مجانيقنا ... وفي السما يرميه قوس الهلالوله:طيلسان المهذب بن عشيش ... هذبته الشهور والأعوامحاكه مجتبى النبوة شيث ... هكذا قد روت لنا الأهراموله:طيلسان ابن

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٢٥/١

عشيش ذي العلى ... قد براه الدهر في نشر وطيشيق يذكر أيام الصبا ... ما له مما براه الشوق فيطيلسان ابن عشيش، كطيلسان ابن حرب، في قدم الزمان والاختلال.وطيلسان ابن حرب صاحب الشهرة على ألسنة الشعراء.وكان محمد بن حرب أهداه إلى الحمدوني، وكان خلقا، فقال في وصفه قرابة مائتي مقطوعة، لا تخلو واحدة منها من معنى بديع، وصار الطيلسان عرضة لشعره، ومثلا في البلى والخلوقة، وانخرط في سلك حمار طياب، وشاة سعيد، وضرطة وهب، وأير أبي حكيمة.ومن نوادر ما قال فيه:يا ابن حرب كسوتني طيلسانا ... أمرضته الأوجاع فهو سقيموإذا ما رفوته قال سبحا ... نك محيي العظام وهي رميمقلت: ومثله في الشهرة، ثوب المالقي، وفروة ابن نباتة، وصوف ابن مليك.السيد أحمد بن محمد الأنسي شاعر صنعاء المفلق، وشهاب أفقها المتألق.تعانى الأدب حتى سما بإحرازها، فإذا نشرت حللها الصنعائية فهو طراز طرازها.وكان له عند أئمتها قدر لا يجهل، واعتناء لا يكاد حقه يهمل أو يمهل.ثم قدم مكة ومدح شريفها، ونال من المفاخر تليدها وطريفها.فكان غرس نعمه، الذي سقاه كرمه سائغا هنيا، فأثمر قولا جنيا.وحسامه الذي حلاه، فأهدى إليه من حلاه.وحظي حظوة ما زال في خيرها إلى الممات يتقلب، واشتهر شهرة أنست شهرة أخي العرب قدم على آل المهلب.وقد أثبت من أشعاره ما يستغني في إحكام صنعته عن الحجة والبرهان، ويدل على أن قائله حاز في ميدان البراعة مزية الرهان.فمن ذلك رائيته المشهورة التي مدح بها الشريف زيدا، وبلغني أنه أجازه عليها ألف ذهب، وعبدا، وفرسا:سلوا آل نعم بعدنا أيها السفر ... أعندهم علم بما صنع الدهرتصدى لشت الشمل بيني وبينها ... فمنزلي البطحا ومنزلها القصر." (١)

"العقائد النسفية للسعد وحاشية على شرح تصريف العزى للسعد أيضا وله غير ذلك وفضله أشهر من أن يزاد في وصفه وكانت وفاته في نيف وستين وألف رحمه الله تعالىعبد الحليم بن برهان الدين بن محمد البهنسي الدمشقي المعروف بابن شقلبها الفقيه الحنفي المذهب أنبل آل بيته في عصرنا كان من الفضلاء المتضلعين من فنون شتى لكن غلب اشتهاره بالفقه نشأ بدمشق وقرأ بها على مشايخ كثيرين وتقدم أن والده كان ذا ثروة عظيمة وجمع كتبا كثيرة فتمتع عبد الحليم بها ولما مات أبوه وضع يده على مخلفاته وأتلفها في مدة قليلة على أهواء متفرقة يرجع أكثرها إلى حب الرياسة وما نال من ذلك إلا الخسران وقلت ذات يده فانزوى مدة في بيته لا يدرى عنه إلا بمحض الوجود ثم ظهر بعض الظهور أيام كان العلا الحصكفي مفتي الشام وأخذ يفتي في بعض وقائع فمنعه قاضي القضاة بدمشق عن الفتوى لما يتفرغ على ذلك من كثرة اللغط ومخالفة أمر السلطان في أن المفتي الحنفي لا يكون إلا واحدا فلم يلبث أن رحل إلى مصر وكان قاضيها عامئذ المولى مصطفى ختن المنقاري المفتي فتقرب إليه وصار من جملة نوابه ثم لما عزل صحبه إلى الروم وأقام بها مدة وقد اجتمعت به فيها كثيرا وكان شرع في نظم مغني اللبيب لابن هشام فنظم منه مقدارا وافرا وكتب على ألفية ابن مالك شرحا ومات ولم يكمله فبقي في مسوداته وكان على ما شاهدته من أطواره أحد عجائب المخلوقات لا يستقر في أمر المشرب على حال وكان ينظم الشعر إلا أن شعره في غاية القلاقة والتعقيد ولم أر له ما يحسن إيراده وكان ولاه مخدومه المذكور نيابة قضائه كليبولى فتوجه إليها ومات بها وكانت وفاته في حدود سنة تسعين وألف رحمه الله تعالىعبد الحليم بن محمد المعروف بأخي زادة القسطنطيني المولد والمنشأ والوفاة أحد أفراد الدولة العثمانية وسراة علمائها كان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١/٤٩٥

الإدراك والتضلع من الفنون نشأ بكنف والده مشارا إليه في التبريز بميدان الفضل وركوب السوابق في حلبة المعلومات وكان أبوه متقاعدا عن قضاء عسكر أناطولي وجده لأمه شيخ الإسلام سعدي المحشي قال ابن نوعي في ترجمته أخذ بأدرنة وابوه قاض بها في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة عن حسام الدين بن قره جلبي مدرس طاشلق وعن عبد الرؤوف الشهير بعرب زاده مدرس أوج شرفلي ثم أخذ." (١)

"الجماعات حتى عمرت المساجد فى زمنه ونسى اسم الخمر وكان يسعى على قدمه الى الجوامع للصلوات وكان زمانه زمان خصب وخير رخصت فيه الاسعار وكثرت الامطار وحصل الامن فى الطرقات ولما وصل الخبر اليه ان بلاد اليمن قد وجهت للوزير حيدر باشا نهض قبل مجيئه بسبعة أشهر خوفا أن يقع فى جانبه كما وقع على من تقدمه من الحكام وخاف من عاقبة هذا الامر أن يكون سببا لخراب البلاد فلم يملك نفسه فى التربص والتوقف مع علو صيته وبطشه فى الحروب حين كان فى اليمن بل شمر ونهض معلنا انه يريد أن يطوف فى ولاية اليمن وقد فعل قبل ذلك ليكون سبيلا لمثل ذلك وان مراده اظهار العدل والانصاف ولاجل قمع شوكة الفرنج الذين تسلطوا على المراكب فى البحر وكان خليقا بهذا الامر لولا استعجاله بالنهوض وباطنه بخلاف ما أظهر فانه أضمر فى نفسه الخلوص من اليمن قبل أن يحصل له فتنة فكان خروجه من صنعاء فى حادى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وألف فوصل الى أبى عريس وهى انتهاء حد ولاية اليمن وذلك فى شعبان من السنة المذكورة فانتقل الى رحمة الله تعالى فلما صارت البلاد خالية ممن يدعى الملك نهض الامير محمد بن سنان باشا وقد أدركه العجب **بحب الرياسة** والملك اعتمادا منه على أحواله بالقوة الظاهرة وأظهر أنه يريد حفظ الخزانة التى خلفها المذكور وقد رجع كتخدا الوزير فضلى باشا بالخزينة والعساكر حين وصل اليه المقر الكريم الامير خضر لاجل ازعاجهم ممن هو قائم بالامر فحين التقوا فى مرجعهم بالامير محمد قبض على الخزائن ونكل السكتخدا المذكور وسائر أتباع الوزير بأشد النكال وصادرهم وكاد يبوح بالاستقلال فلما ركب فى غير سرجه ودرج فى غير برجه أحاطت به النحوس من كل جانب ولما استقر فى مدينة زبيد فى جمع عظيم وقد اشتهر من الاراجيف ان الحاكم المتعين لليمن حصل عليه أمر فى البحر ووردت بعد ذلك اخبار وصوله الى بندر جدة مع رجل من أتباعه فحينئذ ظن الامير أن خروج صاحب الامر من بندر البقعة يقرب زبيد وتطايرت الاخبار الى الوزير ببعض حركته فعدل الى طريق بندر المخا فكان خروجه الى البنرد المذكور يوم الجمعة غرة شهر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف فحين خرج من البحر أرسل الى الامير أن يصل اليه فلما وصل قابله فيما طلبه من الاسعاف فلما تمكن أمر بقطع رأسه فقطع فى يوم الاثنين ثالث ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين وألف." (٢)

"القوة الباصرة وعلى العضوين وهو المراد هاهنا لانه أشد مناسبة للتغطية غشاوة اى غطاء ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها احداث حالة تجعل أبصارهم بسبب كفرهم لا تجتلى الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين وتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار ومعنى التنكير ان على أبصارهم ضربا من الغشاوة خارجا

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣١٩/٢

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٨٧/٣

مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات قوله غشاوة مبتدأ مؤخر خبره المقدم قوله وعلى أبصارهم ولما اشترك السمع والقلب في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار مما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة قال في التيسير انما ذكر في الآية القلوب والسمع والابصار لان الخطاب كان باستعمال هذه الثلاثة في الحق كما قال تعالى أفلا تعقلون أفلا تبصرون أفلا تسمعون ولهم عذاب عظيم اى عقوبة شديدة القوة ومنه العظم والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء إذا امسك عنه وسمى العذاب عذابا لانه يمنع عن الجناية إذا تأمل فيها العاقل ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لانه ينقخ العطش اى يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب يعنى الفرات وهو الماء العذب مأخوذ من الرفث وهو قلبه وقيل انما سمى به لانه جزاء ما استعذبه المرء بطبعه اى استطابه ولذلك قال فذوقوا عذابي وانما يذاق الطيب على معنى انه جزاء ما استطابه واستحلاه بهواه في الدنيا والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير قال في التيسير عظيم اى كبير او كثير او دائم وهو التعذيب بالنار ابدا ثم عظمه باهواله وبشدة أحواله وكثيرة سلاسله واغلاله فتكون هذه الآية وعيدا وبيانا لما يستحقونه في الآخرة وقيل هو القتل والاسر في الدنيا والتحريق بالنار في العقبى ومعنى التوصيف بالعظيم انه إذا قيس سائر ما يجانسه قصر عنه جميعه ومعنى التنكير ان لهم من الآلام نوعا عظيما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل فعلى العاقل ان يجتنب عما يؤدى الى العذابالأليم والعقاب العظيم وهو الإصرار على الذنوب والإكباب على اقتراف الخطيئات والعيوب قيل في سبب الحفظ من هذه العقوبة التي هي الختم على الكيس فلا يمنعه عن حق ووضع الختم على اللسان فلا يطلقه في باطل قال السعدي١٥مراه٢٥فتن نكو ميروى ...٢٥ناه بز٢٥ست وجور قوم١٥و شهد شيرين شكر فايقست ... كسى را كه سقمونيا لايقستقال النبي صلى الله عليه وسلم (ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد) قيل وما جلاؤها قال (تلاوة القرآن وكثرة ذكر الله وكثرة ذكر الموت) وأمهات الخطايا ثلاث الحرص والحسد والكبر فحصل من هؤلاء ست فصارت تسعا الشبع والنوم والراحة وحب المال وحب الجاه وحب الرياسة فحب المال والرياسة من أعظم ما يجر صاحبه الى الكفر والهلاك- حكى- ان ملكا شابا قال انى لا أجد في الملك لذة فلا أدرى أكذلك يجدة الناس أم انا أجده." (١)

"للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر ولم يقل قتلتم وان أريد الماضي تفظيعا لهذه الحالة فكأنها وان مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم بعدهم او يراد وفريقا تقتلونهم بعد وانكم على هذه النية لانكم حاولتم قتل محمد عليه الصلاة والسلام لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة حتى قال عليه السلام عند موته (ما زالت أكلة خيبر تعاودنى) اى يراجعنى اثر سمها في اوقات معدودة (فهذا او ان قطعت أبهري) وهو عرق منبسط في القلب إذا انقطع مات صاحبه وقصته انه لما فتحت خيبر وهو موضع بالحجاز أهديت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله (انى سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقى فيه) قالوا نعم يا أبا القاسم قال (هل جعلتم في هذه الشاة سما) قالوا نعم قال (فما حملكم على ذلك) قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت صادقا لم

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٩/١

يضرك واعلم ان اليهود انفوا من ان يكونوا اتباعا وكانت لهم رياسة وكانوا متبوعين فلم يؤمنوا مخافة ان تذهب عنهم الرياسة فمادام لم يخرج **حب الرياسة** من القلب لا تكون النفس مؤمنة بالايمان الكامل وللنفس صفات سبع مذمومة العجب والكبر والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه ولجهنم ايضا أبواب سبعة فمن زكى نفسه عن هذه السبع فقد اغلق سبعة أبواب جهنم ودخل الجنة واوصى ابراهيم بن أدهم بعض أصحابه فقال كن ذنبا ولا تكن رأسا فان الرأس يهلك والذنب يسلم: قال في المثنوىتا توانى بنده شو سلطان مباش ... زخم كش چون گوى شو چوگان مباش «١»اشتهار خلق بند محكمست ... در ره اين از بند آهن كى كم است «٢»وعن بعض المشايخ النقشبندية انه قال دخلت على الشيخ المعروف بدده عمر الروشنى للعيادة فوجدته متغير الحال بسبب انه داخله شيء من **حب الرياسة** لانه كان مشهورا في بلدة تبريز مرجعا للاكابر والا صاغر فنعوذ بالله من الحور بعد الكور وفي شرح الحكم ادفن وجودك اى ما يكون سبب ظهور اختصاصك بين الخلق من علم او عمل او حال في ارض الخمول التي هي أحد ثلاثة امور أحدها ان ترى ما جبلت عليه من النقص فلا تعتد بشيء يظهر منك لعلمك بدسائسك وخباثة نفسك الثاني ان تنظر إليك من حيث أنت فلا ترى لائقابك الا النقص وتنظر الى مولاك فتراه أهلا لكل كمال فكل ما يصدر لك من احسان نسبته اليه اعتبارا بما أنت عليه من خمول الوصف الثالث ان تظهر لنفسك ما يوجب نفى دعواها من مباح مستبشع او مكروه لم يمنع دواء لعلة العجب لا محرما متفقا عليه إذ كما لا يصح دفن الزرع في ارض رديئة لا يجوز الخمول في حالة غير مرضية وقالوا اى اليهود الموجودون في عصر النبي عليه السلام قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الأغلف الذي لم يختن اى هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد ولا تفقهه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق واضرب وقال بل لعنهم الله بكفرهم اى خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض______________(١) در اواسط دفتر يكم در بيان مضرت تعظيم خلق إلخ(٢) لم نجد في المثنوى لكن الكلام كلام المولوي فلينتظر." (١)

"وانما حمل هؤلاء اليهود على ما فعلوا من الكتمان وغيره **حب الرياسة** والدنيا لانهم خافوا ان يذهب مأكلتهم من السفلة وما يغنى عنهم ذلك شيأ إذا كان مصيرهم الى النار وفي الخبر ان مؤمنا وكافرا في الزمان الاول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى أخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن يذكر الله كثيرا فلا يجئ شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فاسف ملك المؤمن الموكل عليه فلما صعد الى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة فقال والله ما يضره ما أصابه بعد ان يصير الى هذا وأراه مسكن الكافر في جهنم فقال والله ما يغنى عنه ما أصابه من الدنيا بعد ان يصير الى هذا كذا في شرح الخطبنركس اندر خواب غفلت يافت بلبل صد وصال ... خفته نابينا بود دولت به بيداران حسدومرتكب المعاصي لو عرف عذاب الجحيم حق المعرفة لما ارتكبها حتى ان من قوى ظنه ان في هذه الثقبة حية لا يدخل يده فيها فما ظنك في ارتكاب المعاصي بملاحظة عذاب النار واعلم ان أحبار اليهود لما لم ينتفعوا بعلمهم ضلوا فأضلوا فخذ لهم الله ولعنهم وذكر في الخالصة لن

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٧٨/١

يهلك قوم بظلمهم وانما اهلكهم ظلم ولاتهم قال الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره وكذا الحال فى الإرشاد فان الضلال والفساد في الطالبين من فساد مرشدهم فمادام المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الله تعالى الطالب من الضلال فان نزول البلاء على قوم من فساد رئيسهم- وحكى- ان أمنا حواء أكلت اولا من الشجرة فلم يقع شيء فلما أكل منها أبونا آدم عليه السلام وقع الخروج من الجنة انتهى فويل لارباب الرياسة الذين ظلموا أنفسهم وتجاوز ظلمهم الى من عداهم فانهم هم الواقعون في عذاب النار نار القطيعة والهجران وجهنم البعد عن الله ورحمته اللهم احفظنا وإلهكم خطاب عام لكافة الناس اى المستحق منكم للعبادة إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره آلها فلا معبود الا هو وهو خبر مبتدأ وواحد صفة وهو الخبر في الحقيقة لانه محط الفائدة ألا يرى انه لو اقتصر على ما قبله لم يفد لا إله إلا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود آلها ولكن لا يستحق منهما العبادة يعنى بهذا فاعرفوه ودائما فاعبدوه ولا ترجوا غيره ولا تخافوا سواه ولا تعبدوا الا إياه والاستثناء بدل من اسم لا على المحل إذ محله الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى لا اله كائن لنا او موجود في الوجود الا الله واعلم ان الأسماء على ضربين اسم ظاهر واسم ضمير وكلمة هو اسم ضمير فكونها ضميرا لا ينافى كونها اسما وقد حقق الامام في التفسير الكبير اسمية هذه الكلمة فليراجع وعند اهل الحقيقة كلمة هو اسم بحت لان كل ما يدل على الذات الاحدية فهو اسم محض عندهم سواء كان مظهرا او مضمرا ولذا يقال عالم الهوية باللام فاعرف هذا فانه ينفعك: وفي المثنوباز هواها كى رهى بي جام هو ... اى ز هو قانع شده با نام هوهيچ نامى بي حقيقت ديده ... يا ز كاف ولام كل كل چيدهاسم خواندى رو مسما را بجو ... مه ببالا دان نه اندر آب جو." (١)

"المكلفين من الكفار وعوام المؤمنين وخواصهم فالبعض ينذر بنار الجحيم والبعض الآخر بانحطاط الدرجات فى دار النعيم والبعض الثالث بنار الحجاب عن مطالعة جمال الرب الكريم وقدم الانذار على التبشير لان ازالة ما لا ينبغى متقدمة فى الرتبة على فعل ما ينبغى وهو لا يفيد مادامت النفس ملوثة بالكفر والمعاصي فان تطييب البيت بالبخور انما يكون بعد الكنس وازالة القاذورات ألا ترى ان الطبيب الذي يباشر معالجة الأمراض البدنية يبدأ اولا بتنقية البدن من الاخلاط الرديئة ثم يباشر المعالجة بالمقويات فكذلك الطبيب الذي يباشر معالجة مرض القلب لا بد له ان يبدأ اولا بتنقيته من العقائد الزائغة والأخلاق الرديئة والأعمال القبيحة المكدرة للقلب بان يسقيه شربة الانذار بسوء عاقبة تلك الأمور وبعد تنقيته من المهلكات يعالجه بما يقويه على الطاعات بان يسقيه شربة التبشير بحسن عاقبة الأعمال الصالحات ولهذا اقتصر على ذكر الانذار فى مبدأ امر النبوة حيث قال يا أيها المدثر قم فأنذر وبشر الذين آمنوا دون الذين كفروا إذ ليس لهم ما يبشرون به من الجنة والرحمة ماداموا على كفرهم أن لهم اى بان لهمقدم صدق عند ربهم اى أعمالا صالحة سابقة قدموها ذخرا لآخرتهم ومنزلة رفيعة يقدمون عليها سميت قدما على طريق تسمية الشيء باسم آلته لان السبق والقدوم يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة قدم الى الصدق من قبيل اضافة الموصوف الى صفته للمبالغة فى صدقها وتحققها كأنها فى صدقها وتحققها مطبوعة منه وإذا قصد تبيينها لا تبين إلا به وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قدم صدق شفاعة نبيهم لهم هو امامهم الى الجنة وهم بالأثر٢٥فتى كنم شفاعت عاصى عذر خواه ... دل بر اميد آن كرم افتاد در٢٥ناهقال

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢٦٦/١

الكافرون هم المتعجبون اى كفار مكة مشيرين الى رسول الله عليه السلام إن هذا لساحر مبين [جادويست آشكارا] وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة واعلم ان الكفار سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ولذا صاروا صما بكما عميا عن الحق فهم لا يعقلون الحق ولا يتبعون داعى الحق والنفس جبلت على **حب الرياسة** وطلب التقدم فلا ترضى ان تكون مرؤوسة تحت غيرها فاصلاحها انما هو بالعبودية التي هى ضد الرياسة والانقياد للمرشد: وفى المثنويهمچواستورى كه ب١٥ريزد زبار ... او سر خود٢٥يرد اندر كوهسارصاحبش از ٧٨ى دوان كاى خيره سر ... هر طرف٢٢٥٥يست اندر قصد خراستخوانت را بخايد چون شكر ... كه نبينى زند٢٥انى را د٢٥رهين بم١٥ريز از تصرف كردنم ... وز٢٥رانى بار چون جانت منمتو ستورى هم كه نفست غالبست ... حكم غالب را بود اى خود ٧٨رستمير آخر بود حق را مصطفا ... بهر استوران نفس ٧٨ر جفالا جرم اغلب بلا بر انبياست ... كه رياضت دادن خامان بلاستقال عيسى عليه السلام للحواريين اين تنبت الحبة قالوا فى الأرض فقال كذلك الحكمة." (١)

"المطر من السماء أربعين يوما بمياه كثيرة وامر عيون الأرض فانفجرت فكان الماءان سواء فى اللين غير ان ماء السماء كان مثل الثلج بياضا وبردا وماء الأرض مثل الحميم حرارة حتى ارتفع الماء على أعلى جبل فى الدنيا ثمانين ذراعا ثم امر الأرض فابتعلت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلعه الأرض فهذه البحور التي على وجه الأرض منها واما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جزر عن الأرض حين خلق الله الأرض من زبده انتهى ويا سماء أقلعي اى أمسكي عن إرسال المطر يقال اقلع الرجل عن عمله إذا كف وأقلعت السماء إذا انقطع مطرها فالاقلاع يشترك بين الحيوانات والجمادات قال العلماء قيل مجاز مرسل عن الارادة كأنه قيل أريد ان يرتد ما انفجر من الأرض الى بطنها وان ينقطع طوفان السماء وذلك بعد أربعين يوما وليلة- روى- انه لا ينزل من السماء قطرة من ماء إلا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان يوم الطوفان فانزل بغير كيل ووزن. واصل الكلام قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلغت ماءها ويا سماء أقلعي عن إرسال الماء فاقلعت عن إرساله وغيض الماء النازل من السماء فغاض وترك ذكره لظهور انفهامه من الكلام وغيض الماء اى نقص ما بين السماء والأرض من الماء فظهرت الجبال والأرض والغيض النقصان يقال غاض الماء قل ونضب وغاضه الله نقصه يتعدى ويلزم وهو فى الآية من المتعدى لان الفعل لا يبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا إذا كان متعديا بنفسه وقضي الأمر اى أنجز الموعود من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين فالقضاء هاهنا بمعنى الفراغ كأنه قيل تم أمرهم وفرغ من إهلاكهم وإغراقهم قال فى المفتاح قيل الأمر دون ان يقال امر نوح لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك قال السيد اما لان اللام بدل من المضاف اليه كما هو مذهب الكوفية واما لانها تغنى غناء الاضافة فى الاشارة الى المعهود واستوت واستقرت الفلك واختير استوت على سويت اأقرت مع كونه انسب باخواته المبنية للمفعول اعتبارا لكون الفعل المقابل للاستقرار اعنى الجريان منسوبا الى السفينة على صيغة المبنى للفاعل فى قوله وهى تجرى بهم مع ان استوت اخصر من سويت على الجودي هو جبل بالجزيرة بقرب الموصل او بالشام او بآمد- وروى- فى الخبر ان الله تعالى اوحى الى الجبال انى انزل السفينة على جبل فتشامخت الجبال وتواضع الجودي لله تعالى فارست عليه السفينة: قال السعدي قدس سرهطريقت جز اين نيست درويش

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٦/٤

را ... كه افكنده دارد تن خويش رابلنديت بايد تواضع كزين ... كه آن نام را نيست راهى جز اينوالتواضع آخر مقام ينتهى اليه رجال الله تعالى وحقيقته العلم بعبودية النفس ولا يصح مع العبودية رياسة أصلا لانها ضد لها ولهذا قال المشايخ قدس الله أسرارهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين **حب الرياسة** ولا تظن ان هذا التواضع الظاهر على اكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وانما هو تملق لسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع سر من اسرار الله تعالى لا يهبه على الكمال الا لنبى او صديق كما فى المواقع وعن على رضى الله أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها إذ ينحت به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفى." (١)

"فيه بعمل فلان فهو بنيته ووزرهما سواء) كما فى المصابيح تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كأنه قيل تلك الجنة التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر قوله نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض اى ارتفاعا وغلبة وتسلطا كما أراد فرعون حيث قال تعالى فى أول السورة (إن فرعون لعال في الأرض) ولا فسادا اى ظلما وعدوانا على الناس كما أراد قارون حيث قال تعالى فى حقه على لسان الناصح (ولا تبغ الفساد في الأرض) وفى تعليق الوعد بترك ارادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما والعاقبة الحميدة: وبالفارسية [سرانجام نيكو] للمتقين اى للذين يتقون العلو والفساد وما لا يرضاه الله من الأقوال والافعال: وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها يعنى ان من تكبر بلباس يعجبه فهو ممن يريد علوا فى الأرض وعن على رضى الله عنه انه كان يمشى فى الأسواق وحده وهو وال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ (تلك الدار) إلخ ويقول نزلت هذه الآية فى اهل العدل والتواضع من الولاة واهل المقدرة من سائر الناس وعن عمر بن عبد العزيز كان يردد هذه الآية حتى قبض وكان عليه السلام يحلب الشاة ويركب الحمار ويجيب دعوة المملوك ويجالس الفقراء والمساكين قال بعض الكبار احذر ان تريد فى الأرض علوا او فسادا والزم الذل والانكسار والخمول فان أعلى الله كلمتك فما أعلاها الا الحق وذلك ان يرزقك الرفعة فى قلوب الخلق وإيضاح ذلك ان الله ما انشأك الا من الأرض فلا ينبغى لك ان تعلو على أمك واحذر ان تتزهد او تتعبد او تتكرم وفى نفسك استجلاب ذلك لكونه يرفعك على اقرانك فان ذلك من ارادة العلو فى الأرض وما استكبر مخلوق على آخر إلا لحجابه عن معية مع الحق ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذل وخضع قال فى كشف الاسرار [فردا در سراى عزت ساكنان مقعد صدق ومقربان حضرت جبروت قومى باشند كه در دنيا برترى ومهترى نجويند وخود را از همه كس كهتر وكمتر دانند وبچشم پسند هركز در خود ننكرد چنانكه آن جوانمرد طريقت كفت كه از موقف عرفات باز كشته بود او را كفتند] كيف رأيت اهل الموقف قال رأيت قوما لولا انى كنت فيهم لرجوت ان يغفر الله لهم: قال الشيخ سعدبزركى كه خود را ز خردان شمرد ... بدنيي وعقبى بزركى ببردتو آنكه شوى پيش مردم عزيز ... كه مر خويشتن را نكيرى بچيز [يكى از بزركان دين إبليس را ديد كفت ما را پندى ده كفت مكو من تا نشوى چون من شيخ حيف كفت منى بيفكندن در شريعت زندقه است ومنى اثبات كردن در حقيقت شرك است چون در مقام شريعت باشى همى كوى كه او خود همه ازو شريعت تعاليست وحقيقت احوال أقوام افعال بتو ونظام احوال با او] قال بعضهم

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/١٣٥

العلو النظر الى النفس والفساد النظر الى الدنيا والدنيا خمر إبليس من شرب منها شربة لا يفيق الا يوم القيامة ويقال العلو الخطرات في القلب والفساد في الأعضاء فمن كان في قلبه **حب الرياسة** والجاه وحظوظ النفس." (١)

"وهو أعلى مقامات الطريق وآخر مقام ينتهى اليه رجال الله وحقيقة العلم بعبودية النفس ولا يصح من العبودية رياسة أصلا لانها ضد لها. ولهذا قال ابو مدين قدس سره آخر ما يخرج من قلوب الصديقين **حب الرياسة** ولا تظن ان هذا التواضع الظاهر على اكثر الناس وعلى بعض الصالحين تواضع وانما هو تملق بسبب غاب عنك وكل يتملق على قدر مطلوبه والمطلوب منه فالتواضع شريف لا يقدر عليه كل أحد فانه موقوف على صاحب التمكين في العالم والتحقق في التخلق كذا في مواقع النجوم لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر- روى- ان لقمان كان نائما نصف النهار فنودى يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض وتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم على اى جزم فسمعا وطاعة فانى اعلم ان فعل بي ذلك أعانني وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فبالحرى ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه ثم نام نومة اخرى فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها قال الكاشفى [حق سبحانه وتعالى او را بإسنديد وحكمت را برو إفاضه كرد بمثابه كه ده هزار كلمه حكمت ازو منقولست كه هر كلمه بعالمى ارزد] فانظر الى قابليته وحسن استعداده لحسن حاله مع الله واما امية بن ابى الصلت الذي كان يأمل ان يكون نبي آخر الزمان وكان من بلغاء العرب فانه نام يوما فاتاه طائر وادخل منقاره في فيه فلما استيقظ نسى جميع علومه لسوء حاله مع الله تعالى ثمنودى داود بعد لقمان فقبلها فلم يشترط ما اشترط لقمان فوقع منه بعض الزلات وكانت مغفورة له وكان لقمان يوازره بحكمته: يعنى [وزيرىء وى ميكند بحكمت] فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى واعطى داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنةدر قصر عافيت چه نشينيم اى سليم ... ما را كه هست معركهاى بلا نصيبوقالدائم كه شاد بودن من نيست مصلحت ... جز غم نصيب جان ودل ناتوان مبادولما كانت الحكمة من انعام الله تعالى على لقمان ونعمة من نعمه طالبه بشكره بقوله أن اشكر لله اى قلنا له اشكر لله على نعمة الحكمة إذ آتاك الله إياها وأنت نائم غافل عنها جاهل بها ومن [وهر كه] يشكر له تعالى على نعمه فإنما يشكر لنفسه لان منفعته التي هى دوام النعمة واستحقاق مزيدها عائدة إليها مقصورة عليها ولان الكفران من الوصف اللازم للانسان فانه ظلوم كفار والشكر من صفة الحق تعالى فان الله شاكر عليم فمن شكر فانما يشكر لنفسه بازالة صفة الكفران عنها واتصافها بصفة ساكرية الحق تعالى ومن كفر نعمة ربه فعليه وبال كفره فإن الله غني عنه وعن شكره حميد محمود في ذاته وصفاته وأفعاله سواء حمده العباد وشكروه أم كفروه ولا يحصى عليه أحد ثناء كما يثنى هو على نفسه وعدم التعرض لكونه تعالى شكورا لما ان الحمد متضمن للشكر وهو رأسه." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٣٨/٦

(٢) روح البيان إسماعيل حقي ٧٥/٧

"مرادات فرعون لما أصر على دعواه الباطلة ثم خلى سبيل الظبي كذا في حل الرموز.(وقال) سلطان العارفين (أبو يزيد البسطامي – رحمه الله –) هو طيفور بن عيسى البسطامي كان جده مجوسيا أسلم وكانوا ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلي كلهم كانوا زهادا مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين (لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر) نرى إذا كان صالحا نزوره وهو أمر استحبابي ونستفيد وإلا فتنقطع شبهته في صدق شهرته وعدمه (إلى هذا الرجل الذي قد شهر) بالبناء على الفاعل (نفسه بالولاية) في هذا التعبير إشارة إلى عدم اعتقاده قبل الرؤية إذ تشهير النفس بالاختيار مذموم فيندفع بما تقدم آنفا أنه إذا لم يكن له اعتقاد فكيف يذهب إلى زيارته، فإنه يجوز أن يكون لقطع الشبهة لكن يرد عليه أنه حينئذ يكون سوء ظن إلا أن يقال الظن ما يكون بالرجحان والشبهة في التساوي بل في المرجوح ولا يلزم أيضا تجسس العيب واستكشافه؛ لأن قصده ليس تعييرا ولا تذليلا ولا غيبة أيضا كذلك.(وكان رجلا مقصودا) يقصده الناس بالزيارة واستجلاب الدعوة وأخذ الهمة (مشهورا بالزهد) بالإعراض عن الدنيا وترك ما زاد على الحاجة الضرورية (فمضينا إليه فلما خرج من بيته) هذا القيد كالمستغنى عنه (ودخل المسجد) ؛ لأنه حينئذ في المسجد (رمى بزاقه تجاه القبلة) أي جهتها وأصله وجاه قلبت الواو تاء جوازا ووجاه الشيء جهته (فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه) ؛ لأن البزاق بجهة القبلة منهي عنه كجانب اليمين بل نفس المسجد أيضا، فإن قيل السلام واجب وذلك ترك أدب كما يشير إليه قوله وهذا غير مأمون إلخ فكيف يترك الواجب لترك الأدب قلنا بعد تسليم المراد من كون لفظ الأدب هنا ما ظننته وكون رمي البزاق إليها بهذا المعنى أيضا يجوز أن يكون من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين يعني وإن كان ذلك أدبا عند العوام يكون محرما عند الخواص ويجوز أن يكون للتعليم لمن معه ولمن سمعه لحفظ احترام حدود النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – (وقال هذا رجل غير مأمون) أي لم يأمنه الله تعالى (على أدب من آداب رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم –) ، فإنه لا يؤمن على أسرار الله تعالى إلا من يحفظ عليه آداب الشريعة.(فكيف يكون مأمونا) من قبل الله تعالى (على ما يدعيه) من الولاية والكرامة ولهذا جعلت الرخص كالمحرم عند الصوفية فيجتنبون عما قيل فيه لا بأس كما عن الحرام القطعي ويلتزمون ما إتيانه أولى وأفضل كالواجب القطعي إلا لضرورة، فإن قيل الولاية لا توجب العصمة وأنه يستلزم تزكية نفسه بل الواجب حمله على الصلاح كالسهو والخطأ؛ لأن حسن الظن عندهم كالواجب ولو سلم كل ذلك للزم عليه أن ينبه ذلك الرجل على ما صدر منه من ترك ذلك الأدب قلت يجوز أن يكون في جنبه شيء آخر **كحب الرياسة**." (١)

"من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يعني القدس فإذا عنده رجل من خدام بيت المقدس فقال أنا أعلم تلك الليلة فأخبر بعض وقائعه في القدس أمر هرقل بقراءة المكتوب فبعد القراءة أظهر ما في ضميره من الإيمان لدحية فقال أخاف على نفسي إن أظهرت إيماني لكن اذهب بكتابي إلى راهب معتمد للكل يقال له ضغاطر عريف بالعلم والنجوم عسى أن يؤمن فيقتدوا به فذهب فلما رأى مكتوبه – صلى الله تعالى عليه وسلم – عرف صدقه فآمن ودعا قومه إلى دينه فقتلوه فعاد دحية إلى هرقل فأخبر فقال لولا خوف هذه المعنى لأظهرت ثم لما رجع إلى دار سلطنته بلدة حمص أتاه مكتوب من صاحب له يماثله في العلم يخبر فيه شأن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – من نبوة فجمع عظماء الروم وعرض

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١١٣/١

متابعته – عليه الصلاة والسلام – فأعرضوا ونفروا عنه فلما أيس من إيمانهم ردهم إليه واعتذر إليهم بأن مرادي اختبار شدة ثباتكم في دينكم فسجدوا له ورضوا عنه فآثر الكفر على الإيمان خوف زوال رياستهويؤيده إرسال غوث في غزوة مؤتة فقتل كثيرا من المسلمين وأرسل كتاب إيمانه غزوة فكذب – عليه الصلاة والسلام – إيمانه فقال هو على نصرانيته وقيل إنه تشرف بالإسلام والأصح عدمه، وأما مكتوبه – عليه الصلاة والسلام – على ما نقل عن البخاري بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين و ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤] وعن شرح الكرماني عن النووي أن هذه القطعة مشتملة على جمل من القواعد منها استحباب تصدير الكتب بالبسملة، وإن كان المبعوث إليه كافرا ومنها سنية الابتداء في المكتوب باسم الكاتب أولا ولذا كان عادة الأصحاب أن يبدءوا بأسمائهم ورخص جماعة الابتداء بالمكتوب إليه كما كتب زيد بن ثابت إلى معاوية مبتدئا باسم معاويةوأنا أقول فيه أيضا استحباب تعظيم المعظم عند الناس ولو كافرا إن تضمن مصلحة وفيه أيضا إيماء إلى طريق الرفق والمداراة لأجل المصلحة وفيه أيضا جواز السلام على الكافر عند الاحتياج كما نقل عن التجنيس من جوازه حينئذ؛ لأنه إذا ليس للتوقير بل للمصلحة ولإشعار محاسن الإسلام من التودد والائتلاف وفيه أيضا أنه لا يخص بالخطاب في السلام على الكافر ولو لمصلحة بل يذكر على وجه العموم وفيه أيضا أنه، وإن رأى السلام على الكافر، ولكن لم يرد؛ لأنه في الباطن والحقيقة ليس له بل لمن اتبع الهدى وظاهر أنه ليس له تبعية هدى بل فيه إغراء على دليل استحقاق الدعاء بالسلام من تبيعة الهدى.(**وحب الرياسة** الدنيوية هو الثالث من أمراض القلب) من الستين المذمومة (وهي) الرياسة (ملك) بكسر اللام (القلوب ويسمى) أي **حب الرياسة** (جاها) من الوجاهة، وهي الصدارة والتقدم على الغير (وشرفا وصيتا) أي الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس (ت س) الترمذي والنسائي (عن كعب بن مالك) – رضي الله تعالى عنه – (عن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – «أنه قال ما ذئبان جائعان أرسلا» على صيغة المفعول «في غنم» جنس لهذا النوع من الحيوان «بأفسد» أكثر فسادا «لها من حرص المرء» أي شدة محافظته في المذموم «على المال والشرف لدينه» متعلق بأفسد أي أن كلا من المال والشرف يفعل في دين صاحبه من الفساد والهلاك أشد ما يفعله الذئب في غنم أرسل فيها قال المناوي مقصود الحديث الحرص على المال والشرف أكثر فسادا للدين من إفساد الذئبين للغنم لاستدعاء ذلك العلو والفساد في الأرض وذكر الذئبين لمناسبة حرص المال وحرص الشرف." (١)

"حكاية عن الصالحين ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ [الفرقان: ٧٤] ونحو قول سليمان – عليه الصلاة والسلام – ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ [ص: ٣٥]– ومن الأصول المقررة أن شريعة من قبلنا شريعة لنا إذا قصه الله أو أخبر به الرسول بلا نكير وقد ورد في الحديث «لأن أقضي يوما بحق وعدل أحب إلي من سنة أغزوها في سبيل الله» وأيضا في حديث آخر «عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة» وفي حديث آخر «إن ما يزع السلطان أكثر

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٥١/٢

مما يزع القرآن» (وإلا) أي: وإن لم يخل عن المحظور (فلا) يجوز فضلا عن الاستحباب يعني إذا كان نيته في هذا النوع من **حب الرياسة** العبادة والطاعة، ولكن لم يخل عن الحظر نحو الرياء وما ذكر بعده (لأن النية) الصحيحة (لا تؤثر في) حل تلك (المحرمات و) كذا إباحة (المكروهات) فلا يحل تعاطيها بنية الحل ولا تباح بل ربما يغلظ حكم المحرم والمكروه بضم نية الحل والإباحة إليه، وإنما تؤثر في الطاعات لكن لا يخفى أن عملا واحدا قد يكون مشروعا بنية وغير مشروع بأخرى ودعوى أن ذلك مختص بما يكون مباحا في أصله والكلام فيما يكون حراما في أصله تحكم (وثالثها التلذذ به) بالجاه (نفسه) تأكيد للضمير المجرور وقيل للتلذذ احترازا عن التلذذ بعوارضه اللازمة له من قضاء الأغراض والمقاصد النفسانية (وظنه كمالا وهذا كحب المال للتنعم) في أنواع الأغراض النفسانية (والتلذذ به) لمجرد هوى النفس (فإن خلا عن المحظور) أي الممنوع نحو قصد محرم (فليس بحرام، ولكنه مذموم) في رتبة الكمال لإخلاله بها (لكون صاحبه مقصورا لهم) أي العزم والهمة (على مراعاة الخلق) يعني يقصر قصده على مراعاة الخلق لئلا يتفرقوا عنه ولئلا يذموه؛ لأن صاحبه يحب ثناءهم ويكره ذمهم (و) لخوف (تأديته) أي هذا النوع من الجاه يخاف أن يؤدي صاحبه (إلى المراءاة) من الرياء والمداهنات والتصنعات (لأجلهم) لأجل جلبهم وثنائهم ولأجل نيله ما في أيديهم (و) لخوف (النفاق) أي ولخوف تأديته إلى النفاق للخلق (بإظهار ما ليس فيه) أي فيمن يحب هذا النوع من الجاه (من الكمالات) يعني يظهر هذا الرجل كمالا، وهو ليس فيه (لاقتناص قلوبهم) أي صيد قلوبهم وجلبهم (والتلبيس) أي ولخوف تأديته إلى التلبيس أي تلبيس الحق بالباطل قولا أو فعلا (والخدعة) فسر بإظهار خلاف ما في الباطن والمشهور أنه هو الحيلة والمكر (والكذب والعجب) أي النظر للنفس (ونحوها) من المحظورات التي تصدر فيمن يكون في هذا المقام لا يخفى أن اللازم مما ذكر هو الحرمة ومطلوب عدم الحرمة، فإنه لا شك في كون قصر القصد إلى الخلق معرضا عن الحق أو مستلزما إياه وما فيه خوف الحرمة لا يبعد أن يكون حراما وقد سبق أن الحرمات تثبت بالشبهات، وأنه ما اجتمع الحلال والحرام إلا ويغلب الحرام وقد قرر ترجيح الحظر على الإباحة وأنه قد يرجح بكثرة الأدلة إلا أن يراد من قوله في مطلوب فليس بحرام أي قطعي، ويراد من قوله، ولكنه مذموم على الكراهة ولو تحريما لكن المتبادر دخوله في الأول تأمل (وعلاجه) يعني إذا كان هذا النوع مذموما، وإن لم يكن حراما فلا بد له من علاج فعلاجه فعلى هذا يلزم عدم ذكر علاج الأول مع أنه أهم من هذا، ولو أريد." (١)

"من مرجع الضمير مطلق **حب الرياسة** لأشكل بالثاني إذ هو في نفسه جائز بل مستحب إذ الأصل والمتبادر في النظر هو الذات لا العوارض إلا أن يحمل على التغليب أو ادعى اعتبار الوصف المذموم ولو بعيدا أو يراد من المرجع مطلق ما يكون محظورا من **حب الرياسة** (أن يعلم أنه ليس بكمال حقيقي) بل صوري ومستعار مجازي لسرعة زواله ولكونه مشوبا بالكدورات والعوائق (لفنائه وكدوراته) فإن الآخرة خير وأبقى وإن الباقيات هي الصالحات (ومعرفة) عطف على أن يعلم أي علاجه معرفة (غوائله المذكورة) في جميع الثلاثة فتأمل وأيضا ما فهم من الأحاديث السابقة (وأن يعمل ما يسقط الجاه من قلوب الخلق من الأمور الخسيسة) الدنيئة عرفا لا شرعا (المباحة) ليستتر بها عن عيون الناس فيسلم من إقبالهم عليه (كما روي أن بعض الملوك قصد) زيارة (بعض الزهاد فلما علم) الزاهد (بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٥٣/٢

قوة حرص (ويعظم اللقمة فلما نظر إليه ذلك الملك سقط من عينه وانصرف) الملك عنه (فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني) إما بلسانه في غيابه أو بقلبه، فإن مثل هذا الصنيع في الأكل ليس بمناسب لأرباب الزهد بل صنعهم خلاف ذلك لا يخفى أن الإعراض عن أمثال هذا إنما هو شأن العوام فإن الخاص العارف لا يغير اعتقاده بمطلق المباحات وأنت تعلم أن هذا غير الكلامية من الصوفية الذين يرتكبون المحظورات الشرعية لتنفير الخلق عنهم فإن ذلك غير جائز في الشرع وأيضا ليس هذا وقوعا في التهم التي أمرنا بتجنبها لقوله – عليه الصلاة والسلام – «اتقوا مواضع التهم» فإن قيل إن الكامل لا تغير رياسته كماله بل تزيده بترويج مقاله في أبواب المشروعات وزجر المنهيات بالمواعظ الحسنة والوصايا المستحسنة بل هو طريق الأنبياء فما وجه التستر فإن الملك المذكور مثلا لا يخلو عن منفعة دينية عند صحبته بذلك الزاهد من نحو استماع نصحه وائتمار أمره ورجاء مظلوم وتخليص ملهوف والأخذ من سيرته وأخلاقه ولا أقل من النظر إلى وجهه الذي هو من أفضل الطاعات وثواب الزيارة قلنا لعل هذا مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ويجوز أن يكون مرادهم التشبث بالأفضل وأن مثله، وإن كان استكمالا بالنسبة إلى الزائر لكنه قد يكون نقصا بالنسبة إلى المزور كما نقل عن علي – رضي الله تعالى عنه – لا تسكن في بلدة وأهاليها يتكاملون بك وأنت منتقص بهم وقد قيل أيضا إياك وكثرة الإخوان وضررهم الأقل أنهم يسرقون وقتك بزيارتهم الذي لم يعط لك شيء أعز منه فإنه رأس مال بضاعتك؛ لأنك إنما تنال به ما ينال من القرب الإلهي ولهذا كان عادة المشايخ التوحش عن الناس والعزلة عنهم وهذا مضمون ما قال (وأقوى الطرق في قطع الجاه) وإزالته (الاعتزال عن الناس) والنفرة منهم (إلى موضع الخمول) بضم المعجمة سقوط النباهة وعدم الذكر وانصراف شهرته كالقرى البعيدة ورءوس الجبال والقناعة بالقليل كالنبات والثمار وأقل ذلك أن يلازم بيته فلا يخرج إلا لضرورة كالجمعة والجماعات كما في حديث الحاكم في مستدركه «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أنامله فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة أمر نفسك ودع عنك أمر العامة كما يقال هذا الزمان زمان السكوت ولزوم البيوت والقناعة بأقل القوت» (وأما الجاه فلا حب له ولا حرص عليه) لا مطلقا بل من حيث جعله آلة لغير الممدوح كما يدل عليه قوله (للذة العاجلة) دون لذة الآخرة هكذا في النسخ الظاهر للذة العاجلة فاللام." (١)

"– ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ [التوبة: ١١٣]– الآية وقد سبق حديث ضحضاح النار وأيضا حديث: «أهون الناس عذابا يوم القيامة أبو طالب له شراكان من نار يغلي منهما دماغه» ويروى أنه جمع عليه قريش فأوصى بصلة الرحم وإعانة الضعفاء وإعطاء السائلين وصدق الأحاديث وأداء الأمانات ثم أوصى بمتابعة محمد – صلى الله تعالى عليه وسلم – فإنه أمين العرب وصادق القول وأن ما ادعاه يقبله العقل ويشهده اللسان واعتقادي على أنه يؤمن به بلاد العرب والعجم وتسلم إليه ويكون حل العالم وعقده في تصرفه يا بني هاشم تقربوا إليه وأعينوا بأنفسكم وأموالكم ثم جاء رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – وعنده أشراف قريش ولم يخلوه خوفا من إيمانه وقال يا عماه جزاك الله خيرا حميتني في صغري وكبري ولم يصدر منك قصور في رعايتي فغاية رجائي منك إيمانك

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/٥٤

ليكافئ خدمتك فقال أبو طالب أعلم إشفاقك إياي لكن أخاف إن مت على الإيمان من أن يتعبوك لأجل إيماني فلولا هذا لجعلتك مسرورا بهذا فقرأ أبياتا مضمونها كلامك حق وأنت أمين فلما سمعتها قريش اجتمعوا عليه وألحوا بعدم ترك دين آبائه فبالآخرة قال لا أترك دين أجدادي فقال – صلى الله تعالى عليه وسلم – يا عماه أنت توصي قومك بإيماني ولا تؤمن فقال لو كنت في صحة لآمنت بك لكن أكره أن يقال خاف من الموت (وهو) أي خوف الذم والتعيير السبب.[الرابع والخامس من منكرات القلب حب المدح والثناء](الرابع من منكرات القلب والخامس)من الذميمة الستين (حب المدح والثناء وهما) أي الرابع والخامس يعني خوف الذم وحب المدح (**كحب الرياسة**) الذي سبق (سببا) بالمدح إلى مشتهيات المحرمات والتوسل إلى أخذ حقه والتلذذ به على ظن الكمال (وحكما) من الحرمة والاستحباب والمذمومة (وعلاجا) من علم عدم كونه كمالا حقيقة لفنائه بل هو أمر وهمي سريع الزوال وعمل ما يسقط المدح من ألسن الناس (غير أن السببين الأولين) في حب الجاه وهما التوسل إلى ما حرم وإلى أخذ الحق ونحوه (في الأول) في خوف الذم والتعيير خوف (عدم التوسل) إلى ما حرم من المشتهيات أو خوف عدمه إلى أخذ الحق ونحوه.(والثالث) في حب الجاه، وهو التلذذ به نفسه هو التألم بالشعور المذكور في خوف الذم (التألم بشعور النقصان وعدم ملك القلوب والحشمة) أي التعظيم (فيها) أي القلوب (وعلاجه) علاج زوال خوف الذم (أن تحضر) أنت في (قلبك) أي تخطر ببالك وتقول في نفسك (إن الذام) من يذمني (إن كان صادقا) في ذمه بأن صدر عنه ما يذم به (فقد عرفني) الظاهر من التعريف يعني عرفني ما لم أعرفه من حال نفسي فهذا عند عدم معرفته فإن قيل كيف يمكن عدم العلم فيما صدر عنه، وهو فعل اختياري مسبوق بالقصد والاختيار وذا على وفق العلم قلنا يجوز أن لا يكون العلم على علمه وأن لا يعلم كون ما صدر عنه مذمة باعتقاده حسنا (وذكرني) ما نسيته من حال نفسي فهذا في صورة المعرفة التي عرض عليها الغفلة (ونبهني) من سنة الغفلة (على عيبي) الذي ذهلت عنه؛ لأن حب الشيء يعمي ويصم (فإن كان ممكن الزوال)." (١)

"عملك كله باغتيابك للناس وقيل من اغتيب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال: لو كنت مغتابا لاغتبت والدي؛ لأنهما أحق بحسناتي (فتتضاعف) أي تتزايد (النعمة) لإهدائه بعض حسناته ولإنقاذه من بعض سيئاته فصارت نعمة أخرى فوق الأولى من نحو التنبيه على العيب يشكل بأنه حينئذ يلزم أن لا يكون للمذموم حق على الذام يوجب المؤاخذة في الدنيا والآخرة بل يؤاخذ في الآخرة قطعا ويحتمل أن يؤاخذ في الدنيا تعزيرا وتأديبا ولا يبعدان ذلك مترتب على صبره على ذمه وأذاه وعفوه وما ذكر على عدم صبره وعدم عفوه ومن القواعد الشرعية كثرة فضل العفو على أخذ الحق في مثله والله تعالى أعلم.(فأين الألم) إذ شأن مثل هذه النعمة إيجاب السرور لا الألم فحاصل هذا العلاج أن الذم لا يخلو عن التذكير والتنبيه وإهداء الحسنات وتحمل السيئات وما شأنه كذا لا يوجب الألم الذي يخاف منه (وإن لم يمكن زواله) أي زوال العيب كالعمى والغباوة والقبح (يحصل لي النعمة الثانية) هي النعمة القوية من إهداء الحسنات أو إنقاذ السيئات، وإن لم تحصل الأولى من التعريف أو التذكير أو التنبيه (وإن كان) الذام (كاذبا) في ذمه (فقد بهتني) من البهتان هو القذف

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٥٦/٢

الباطل والافتراء بالكذب وعن الجوهري بهته إذا قال عليه ما لم يفعله (وأضر نفسه) بما أتى به في حقي (وحصل لي النعمة الثانية) إهداء الحسنات، وإنقاذ السيئات (أكثر) في الإهداء (وأعظم) في الإنقاذ (من الأول) أي الغيبة؛ لأن البهتان أشد من الغيبة وقيل هو كونه صادقا وقيل هو التعريف والتذكير فافهم (فالألم من الذم) مطلقا ممكن الزوال أولا (إنما يحصل لمن قصر نظره على الدنيا) دون الآخرة فيخاف أن يذهب عنه بذلك جاهه فيها.(وأما طالب الآخرة فالحاصل له الفرح والنشاط) لكون الذم داعيا لما ذكر من النعم الأخروية لكن يشكل أنه يستلزم طلب ضرر الغير لنفع نفسه ويستلزم السرور على ضرر غيره وأن الذم سيما بالأمور الدينية يوجب إعراض المؤمنين لا سيما الصالحين عنه وعدم حبهم إياه ويوجب شهادتهم على سوء حاله وأهل الآخرة يتحاشون عن مثله فتأمل في كل ذلك حتى يظهر دفع ما في ذلك (والسبب الثالث في حب المدح) والثناء شيئان الأول (التلذذ بشعور) بإدراك (النفس الكمال) المطابق للواقع (بتعريف المادح) فلو لم يعرفها لم يشعر به فهذا في صورة عدم العلم به (أو تذكيره) عند ذهوله بعد العلم (في الصدق) ، وأما الكذب فمجرد تقرير.(و) الثاني التلذذ (بشعورها) أي النفس (ملك قلب المادح وسببيته) أي ملك قلب المادح (لملك قلوب الآخرين) بالاستماع من المادح (وحشمتها) وحياء الآخرين وانقباضها منه تواضعا وتعظيما فيرجع إلى حب الجاه والرياسة ولذا كان علاجه علاج ذلك كما يدل عليه قوله (وعلاج الثاني) أي شعور ملك قلب المادح والآخرين (قد سبق) في علاج حب الرياسة من عدم." (١)

"إلى الحرام لا إلى المكروه بل هو مكروه أيضا (ولكن) حينئذ (إن كان) هذا الرياء (للحظ العاجل) أي الدنيا كما في قوله تعالى ﴿يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا﴾ [الإنسان: ٢٧] نحو تحصيل الأموال والجاه لمجرد التلذذ (فمذموم) مكروه تنزيها لقصر همته على الدنيا الدنية الفانية سريعة الزوال، لا يخفى أن هذا يقتضي كراهة نفس الحظ العاجل في نفسه؛ لأنك قد عرفت أن حكم الوسائل مستفاد من المقاصد ولا شك أن مجرد الدنيا إذا خلا عن الموانع وسلم من العوارض لا يكون مكروها بل الظاهر إباحتهوالمتبادر من السوق أن المراد ما هو كذلك وعدم إرادة الكراهة من المذموم يقتضي أن يوجد قسم فوق المباح وتحت الكراهة على أنه لا يتم حينئذ أيضا قيل هنا في إثبات هذا المطلوب قال ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ [الإسراء: ١٨]- ثم قال: فمن عمل لغير وجه الله فمأواه جهنم، لا يخفى أن المطلب هو المذمومية تحت الحرمة فيكون هو الكراهة كما بين واللازم من الدليل هو الحرمة بل الخلود فيها وأيضا قيل هنا قال الله تعالى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ [ص: ١٦] وهو أيضا كما ترى، بل نفسه هو صرح كونه في حق الكافرين إلا أن يقال في وجه الاحتجاج إن إيثار العاجلة على الآجلة إنما هو حال أهل النار ففيه أيضا ما عرفت (وإلا) بأن كان وسيلة إلى عمل الآخرة كإظهار الشجاعة ليتوصل إلى إمارة ينفذ بها حدود الشرع ويرفع البدعات والمنكرات (فمستحب لما بينا في حب الرياسة) من أن التوسل به إلى أخذ الحق وتحصيل المرام المستحب، أو المباح أو دفع الظلم والشواغل والتفرغ للعبادة، أو إلى تنفيذ الحق وإعزاز الدين وإصلاح الخلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن خلا عن المحظور كالرياء والتلبيس وترك الواجب والسنة فجائز، بل مستحب قيل: وأراد بالرياء هناك

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٥٨/٢

الرياء المتوسل به إلى منهي بقرينة قيد الحضور فلا ينافي كونه هنا مستحبا.(وأما الرياء في العبادة) التي كانت مشروعيتها لمجرد تعظيم الله وتحصيل رضاه (فحرام كله) بجميع أنواعه، قيل: هذا إذا كان باعثا عليها (بل إن كان في أصل العبادة) قيل أي الفرائض وقيل في ذواتها لا في أوصافها (كمن يصلي الفرض عند الناس ولا يصلي في الخلوة) لعدم من يرى عمله (فكفر عند البعض) لعله لتقديم خوف ذم الخلق مثلا على خوف الله تعالى أو تقديم رضاهم على رضاه تعالى وقيل: لأنه عبادة غير الله تعالى، والمفهوم من البعض لاستلزام الاستخفاف بالله – تعالى – فتأمل في الكل.قيل: والمختار أنه من الكبائر ثم أراد أن يستدل على ما ادعاه فقال (قال في التتارخانية وفي الينابيع قال إبراهيم بن يوسف لو صلى رياء فلا أجر له وعليه الوزر) قال المحشي أي وزر الرياء ووزر ترك الفرض ولو لم يصل لم يكن عليه إلا وزر ترك الفرض فيتضاعف وزره لكن هذا مخالف لما نقل عن الخلاصة أنه لا رياء في الفرائض إلا أن يحمل هذا في حق سقوط الواجب كما نقل عن البزازية لا رياء في الفرائض في حق سقوط الواجب وفي الأشباه.وقال بعضهم: لا أجر له ولا وزر عليه وهو كأنه لم يصل (وقال بعضهم: يكفر) لاستخفاف الشرع، وقيل: لترجيح تعظيم الخلق على تعظيم الخالق وقيل: لعبادته غير الله تعالى أقول على كل ذلك يلزم كون مطلق الرياء كفرا والحمل على كفران النعمة بعيد كالحمل على الكفر الحكمي لعدم حسن المقابلة حينئذ (انتهى) كلام التتارخانية أقول لعل وجه إكفار من كفر نحو حديث الجامع الصغير «إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله ألا أني لست أقول تعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية» .قال المناوي سئل." (١)

"(على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام وإن) بعثه (على الدعاء عليه) بالشر (دعا له بزيادة النعمة التي حسده فيها) أي لأجل هذه النعمة ليكون ما يفعله ماحيا لإثم ما سبقه.وهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا إلا أنها مرة قطعا والنفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء.[المبحث الرابع أسباب الحسد ستة](المبحث الرابع) من الأربعة (في العلاج القلعي وهو يحتاج إلى معرفة أسبابه ثم إزالتها) فإنها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة ولو انقمع لم يظهر كثيرا (وهي) أسباب الحسد (ستة) أولها تعزز ثانيها تكبر ثالثها خوف فوت المقصود رابعها حب الرياسة خامسها خبث النفس سادسها الحقد.(الأول التعزز) بالمهملة والزايين أي التكلف من الحاسد للترفع والعزة على المحسود كما يشير إليه قوله (وهو أن يثقل عليه) الحاسد (أن يترفع عليه غيره) بشيء من أسباب الترفع (فإذا أصاب بعض أمثاله) وأقرانه (ولاية) رياسة كالجاه (أو علما أو مالا) لا سيما أكثر من علمه وماله (خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح) تقنع وترضى (نفسه باحتمال صلفه) ادعاء التكبر فوق مرتبته (وتفاخره عليه فليس غرضه التكبر عليه بل غرضه أن يدفع كبره) عن نفسه (ويرضى بمساواته له وزيادته عليه من غير تكبر) هذا التفصيل لم يقع في الإحياء بل اكتفى بما قبله على أن يكون من أسباب الحسد على الإطلاق فما عقبه المصنف من التفصيل وإن وافق القياس لكنه مخالف للأصل المنتحل عنه فلا بد من التوفيق فلعل الغزالي جعل مضمون قوله خاف أن يتكبر إلخ من الأمور الموهومة التي ليس لها تأثير في الخارجيات بل من قبيل سوء الظن بالمسلم، والكل مأمور بحسن الظن فتأمل.(فإن أراد عدم وصوله إلى تلك النعمة أو زوالها) إرادة (مقيدة بالإفضاء إلى الكبر فليس يحسد لما مر) فيما نقل عنه من أنه ناشئ من غيرة

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٠٧/٢

المؤمن لله تعالى؛ لأنه على هذا التقدير ليس له صلاح ديني (وإن) أراد عدم وصوله إلى تلك النعمة أو زوالها (وإن مطلقا) عن التقييد بذلك القيد أعني الإفضاء إلى الكبر (فحسد لعدم التيقن بالفساد) وهو الإفضاء إلى الكبر وأيضا اللازم حمل المؤمن على الصلاح." (١)

"(ووعاظ بلدة واحدة) إذا كان أغراضهم جمع المال أو المقبولية أو حصول الأماني (وطلاب ولاية) كوالي ولاية (وقضاء) منصب معين (وتدريس) مدرسة معينة (وتولية أوقاف أو جهة من جهاتها) أي جهات الأوقاف يشكل أنه إن أراد من هذا السبب ونحوه مجرد ما في القلب كما هو ظاهر من ظاهر عبارته فليس بموافق لمختاره وأن وافق مختار الغزالي كما سبق وإن أراد الثمرة والأثر في الجوارح فالوزر له لا للحسد والكلام فيما للحسد إلا أن يقال فعند ظهور الأثر في اللسان أو في الجوارح يكون لما في القلب وزر غير ما في الجوارح فتأمل.ومما ينبغي أن ينبه عليه أنه إن كان الحسد لأجل حسد المحسود للحاسد فينبغي أن لا يكون حسدا، لأنه حينئذ يكون مقيدا بالإفضاء إلى الحسد كالإفضاء إلى الكبر في التعزز للمشاركة في العلة ولا يخفى أن الفرق تحكم. (ومآله) أي مآل السبب الثالث (حب المال) في البعض (أو الرياسة) في الآخرة فعلاجه علاجهما وعلاج الأول سيأتي وعلاج الثاني سبق من كونه كمالا وهميا وغير ذلك.(والرابع) (مجرد **حب الرياسة**) لعل التقييد بالمجرد للفرق عما قبله فافهم (كمن يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون) ليس المراد من الفن هنا ما هو المعروف من نوع العلوم بل أعم منه إما بعموم المجاز أو بالمعنى كما يشهد له ما في آخر الكلام. (ويغلب عليه حب الثناء) قال في الإحياء بدله إذا غلب عليه حب الثناء فرح بما يمدح به من أنه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه (فإذا سمع بنظير له في أقصى العالم) أي في عالم يمكن مزاحمة رياسته أو يضعفها لا في غاية بعد كالهند واليمن وإن نقل عن المصنف (ساءه ذلك وأحب موته و) أحب (زوال النعمة التي بها) أو بتلك النعمة (يشاركه) أي يشارك الحاسد المحسود (في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة) من الصنائع (أو جمال أو ثروة) بفتح المثلثة وسكون الراء كثرة ماله وقد فهم مما سبق أنه ليس في هذا السبب عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصوده سوى تمحض الرياسة بدعوى الانفراد ومنه إنكار علماء اليهود رسالة رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – خيفة بطلان رياستهم. (والخامس خبث النفس وشحها بالخير) أي بخلها مع الحرص (لعباد الله تعالى) حاصله إرادة زوال نعمة الغير وضرره من غير قصد منفعة نفسه ودفع مضرته بل لمجرد خبث نفسه (فإنك) أيها الناظر الممتحن (تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر وطلب مال) مثلا (إذا وصف عنده حسن حال عبد) أي عبد كان ولو لم يكن بينه وبين ذلك العبد وحسن حاله علاقة ممانعة نفعه ودفع مضرته. (في نعمة يشق) من المشقة (عليه ذلك) أي حسن الحال المذكور من غير سابقة مقتضية لذلك (وإذا وصف له اضطراب أمور الناس) كإصابة البلوى والمكاره (وإدبارهم وفوات مقاصدهم) وعدم الوصول إلى مرامهم وبطلان سعايتهم وتضييق عيشهم (فرح به فهو أبدا يحب الإدبار) أي إدبار النعم (لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده) كأنهم يأخذون ذلك من خزانته وملكه، ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح من يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعم الله تعالى عز

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢٥٨/٢

وجل على عباده (الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة) علاقة موجبة لذلك بل لمجرد خبث في النفس ورذالة في الطبع كما قال في القشيرية عن بعض الكتب الحاسد عدو نعمتي وعن." (١)

"مع عيش أبدي والدنيا بخلافه لم تستحق أن تسمى دارا فمن داره الدنيا فلا دار له قال عيسى من ذا الذي يبني على الموج دارا تلكم الدار فلا تتخذوها قرارا، وفي رواية الجامع زيد هنا قوله «ومال من لا مال له» ؛ لأن القصد من المال الإنفاق في وجوه القرب فمن أتلفه في شهواته فحقيق بأن يقال لا مال له وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، ولذلك قدم الظرف على عامله في قوله «، ولها يجمع من لا عقل له» لغفلته عما يهمه في الآخرة ويراد منه في الدنيا والعاقل إنما يجمع للآخرة ويتزود فإن خير الزاد التقوى قال في الحكم لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه، وأن تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو يبقى أفرح منه بما هو يفنى، وأنشد ابن أبي الدنياأيا فرقة الأحباب لا بد لي منك ... ويا دار دنيا إنني راحل عنكويا قصر الأيام ما لي وللمنى ... ويا سكرات الموت ما لي وللضحكوما لي لا أبكي لنفسي بعبرة ... إذا كنت لا أبكي لنفسي فمن أبكيألا أي حي ليس بالموت موقنا ... وأي يقين منه أشبه بالشكوعن عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - يا طالب الدنيا لتبر بها تركها أبر، وقال - عليه الصلاة والسلام - «إذا طلبتم من الدنيا شيئا تعسر عليكم، وإذا طلبتم من الآخرة تيسر لكم» بيت فارسيبد نيادل نه بندد هركه مرداست ... كه دنيا سرتسر اندوه ودردستبكورستان نظركن تأبيني ... كه دنيا همنشينان راجه كردست(هق) البيهقي (دنيا) ابن أبي الدنيا (عن الحسن البصري) مرسلا (أنه قال - صلى الله تعالى عليه وسلم - «حب الدنيا رأس كل خطيئة» بشهادة التجربة فإن حبها يدعو إلى كل خطيئة سيما ما يتوقف تحصيله عليها فيسكر عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها، وعن كراهتها واجتنابها وحبها يوقع في الشبهات ثم في المكروه ثم في الحرام بل كفر جميع الأمم المكذبين رسلهم لحب الدنيا فأصل كل خطيئة في العالم هو حب الدنيا فشر إبليس **لحب الرياسة** التي هي شر من حب الدنيا ومن ثمة قيل الدنيا خمر الشيطان فمن شرب منها لم يفق من سكرتها إلا في عسكر الموتى خاسرا نادما، وفي الإحياء «مر موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - برجل، وهو يبكي ورجع، وهو يبكي، وقال يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال تعالى يا ابن عمران لو نزل دماغه على دموعه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له، وهو يحب الدنيا» .(تنبيه) أخذ بعض من الحديث أنه ينبغي أن لا يؤخذ العلم إلا عن أقل الناس رغبة في الدنيا فإنه أنور قلبا فكيف يؤخذ علم عمن جمع رأس خطيئات الوجود وكيف، وهو المانع من دخول حضرة الله وحضرة الرسول فإن من لم يتخلق بأخلاق صاحب الكلام لا يمكنه دخول حضرته، وعن نصراني يقول لفقيه كيف يزعم علماؤكم وراثة." (٢)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢٦٠/٢

(٢) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٨/٣

"الحبر شيخ الإسلام سلطان العلماء عز الدين السلمي القاهري الشافعي. **صاحب الشهرة** الحسنة والمؤلفات المتقنة كالقواعد ومجاز القرآن والفتاوى المصرية والموصلية. توفي سنة ٦٦٠.العز الحنبلي: محمد بن أحمد بن سعيد. الشيخ الإمام عز الدين." (١)

"يقول الحق جل جلاله: وأنزلنا إليك يا محمد الكتاب أي: القرآن ملتبسا بالحق مصدقا لما بين يديه من جنس الكتاب، أي: مصدقا لما تقدمه من الكتب، بموافقته لهم في الأخبار والتوحيد، ومهيمنا عليه أي: شاهدا عليه بالصحة، أو راقبا عليه من التغيير في المعنى، فاحكم بينهم بما أنزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق إلى ما يشتهونه، لكل نبي جعلنا منكم شرعة ظاهرة يصلح بها الظواهر، ومنهاجا أي: طريقا واضحا يسلك منها إلى معرفة الحق، وهو ما يتعلق بإصلاح السرائر، واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة.ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة أي: جماعة واحدة متفقة على دين واحد، ولكن عدد الشرائع وخالف بينها ليبلوكم أي: يختبركم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة، أيكم ينقاد ويخضع للحق أينما ظهر، فإن اختلاف الأحوال وتنقلات الأطوار فيه يظهر الإقرار والإنكار، فاستبقوا الخيرات أي: بادروا إلى الانقياد إلى الطاعات واتباع الحق والخضوع لمن جاء به أينما ظهر، انتهازا للفرصة، وحيازة لفضل السبق والتقدم، إلى الله مرجعكم جميعا فيظهر السابقون من المقصرين، فينبئكم أي: يخبركم بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل، والمبادر والمقصر، واختلاف الشرائع إنما هي باعتبار الفروع، وأما الأصول كالتوحيد والإيمان بالرسل، والبعث، وغير ذلك من القواعد الأصولية، فهى متفقة قال- عليه الصلاة السلام-: «نحن أبناء علات، أمهاتنا شتى وأبونا واحد» «١» . يعني التوحيد. والله تعالى أعلم.الإشارة: اعلم أن نبينا- عليه الصلاة والسلام- جمع الله له ما افترق في غيره، فذاته الشريفة جمعت المحاسن كلها ظاهرة وباطنة، وكتابه جمع ما في الكتب كلها فهو شاهد عليها، وشريعته جمعت الشرائع كلها، ولذلك كان الولي المحمدي هو أعظم الأولياء.واعلم أن الحق- جل جلاله- جعل لكل عصر تربية مخصوصة بحسب ما يناسب ذلك العصر، كما جعل لكل أمة شرعة ومنهاجا بحسب الحكمة، فمن سلك بالمريدين تربية واحدة، وأراد أن يسيرهم على تربية المتقدمين، فهو جاهل بسلوك الطريق، فلو كان السلوك على نمط واحد ما جدد الله الرسل بتجديد الأزمنة والأعصار، فكل نبي وولي يبعثه الله تعالى بخرق عوائد زمانه، وهي مختلفة جدا، فتارة يغلب على الناس التحاسد والتباغض، فيبعث بإصلاح ذات البين والتآلف والتودد وتارة يغلب **حب الرياسة** والجاه فيربى بالخمول وإسقاط المنزلة، وتارة يغلب حب الدنيا وجمعها فيربى بالزهد فيها والتجريد والانقطاع إلى الله.وهكذا فليقس مالم يقل. والله تعالى أعلم.ـــــــــــــــ(١) أخرجه بنحوه البخاري فى (أحاديث الأنبياء، باب «واذكر في الكتاب مريم..») ومسلم فى (الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام) عن أبي هريرة.." (٢)

"بالفعل أم لا. وعن على رضي الله عنه: إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل تحتها.وعن الفضيل: أنه قرأها، ثم قال: ذهبت الأماني هاهنا. وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يرددها حتى

---

(١) ديوان الإسلام شمس الدين ابن الغزي ٣/٢٩٠

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٤٧

قبض. والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من العلو والفساد وغير ذلك.من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا، ومن جاء بالسيئة ما لا يرضاه الله تعالى، فلا يجزى الذين عملوا السيئات، أصله: فلا يجزون، وضع الظاهر موضع المضمر لما في إسناد السيئات إليهم من تقبيح رأيهم وتسفية أحلامهم، وزيادة تبغيض السيئات إلى قلوب السامعين، إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء عملهم فقط، ومن فضله العظيم ألا يجزي السيئة إلا مثلها، ويجزي الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة.الإشارة: جعل الله الدار الآخرة للمتواضعين، أهل الذل والإنكسار، والعاقبة المحمودة- وهي الوصول إلى الحضرة- للمتقين الشهرة والاستكبار، وفي الحكم: «ادفن نفسك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه» . قال في التنبيه: لا شيء أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لأن ذلك من أعظم حظوظه، التي هو مأمور بتركها، ومجاهدة النفس فيها، وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ. هـ.وكان شيخ شيخنا يقول: نحب المريد أن يكون قدمه أعظم من صيته، ولا يكون صيته أعظم من قدمه. هـ.وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: ما صدق الله من أحب الشهرة. وقال بعضهم: طريقتنا هذه لا تصلح إلا بأقوام كنست بأرواحهم المزابل. وقال أيوب رضي الله عنه: ما صدق عبد إلا سره ألا يشعر بمكانه. وقال في القوت: ومتى ذل العبد نفسه، واتضع عندها، فلم يجد لذلته طعما، ولا لضعته حسما، فقد صار الذل والتواضع كونه، فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه، ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه. فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه، لازمة لزوم الزبالة للزبال، والكساحة للكساح، هما صنعتان له كسائر الصنائع. وربما فخروا بهما لعدم النظر إلى نقصهما. فهذه ولاية عظيمة له من ربه، قد ولاه على نفسه، وملكه عليها، فقفرها بعزه، وهذا مقام محبوب، وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب. ثم قال: ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه، كما يطلب المتكبر العز، ويستحليه إذا وجده، فإن فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله، كما أن المتعزز إن فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لأن ذلك عيش نفسه. هـ.قلت: وهذا مقام من المقامات، والعارف الكامل لا يتغير قلبه على فقد شيء إذ لم يفقد شيئا بعد أن وجد الله، (ماذا فقد من وجدك) . والذي ذكره في القوت هو حال السائرين الصادقين. وبالله التوفيق. «١»______________(١) من مناجاة سيدى ابن عطاه الله السكندرى، انظر الحكم بتويب المتقى الهندي/ ٤٢.." (١)

"كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه " قلت: يا رسول الله؛ فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: " كانت عبرا كلها؛ عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب . أي يتعب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل " قلت: يا رسول الله؛ وهل في الدنيا شيء مما كان في يدي إبراهيم وموسى، مما أنزل الله عليك، قال: " نعم، اقرأ يا أبا ذر: ﴿قد أفلح من تزكى..﴾ الآية إلى السورة " ثم قال: قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: " أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنه رأس أمرك " قلت: زدني، قال: " عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض " قلت: يا رسول الله؛ زدني، قال: " إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه "، قلت: يا رسول الله؛ زدني، قال: " عليك بالجهاد، فإنه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٨١/٤

رهبانية أمتي "، قلت: يا رسول الله؛ زدني، قال: " عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دنياك " هـ.وعن كعب الأحبار أنه قال: قرأت في العشر صحف التي أنزل الله على موسى عليه السلام سبعة اسطار متصلة، أول سطر منها: من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله، الثاني: من كانت الدنيا أكبر همه نزع الله خوف الآخرة من قلبه، الثالث: من شكى مصيبة نزلت به كأنما شكى الله عز وجل، الرابع: من تواضع لملك من ملوك الدنيا ذهب ثلث دينه، الخامس: من لا يبالي من أي الأبواب أتاه رزقه لم يبال الله من أي أبواب جهنم يدخله. يعني من حلال أو حرام، السادس: من أتى خطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي، والسابع: من جعل حاجته إلى آدمي جعل الله الفقر بين عينيه. هـ.الإشارة: فذكر أيها العارف الدال على الله إن نفعت الذكرى؛ إن رجوت أو توهمت نفع تذكيرك، فإن تحققت عدم النفع فلا تتعب نفسك في التذكير، فربما يكون بطالة، كتذكير العدو الحاسد لك، أو المعاند، أو المنهمك في حب الرياسة، فتذكير هؤلاء ضرب في حديد بارد. وينبغي للمذكر أن يكون ذا سياسة وملاطفة، قال تعالى: ﴿ادع إلىا سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... ﴾ [النحل: ١٢٥] الخ، والحكمة: هي أن تقر كل واحد في حكمته، وتدسه منها إلى ربه، فأهل الرئاسة تقرهم فيها وتدلهم على الشفقة والرحمة بعباد الله، وأهل الدنيا تقرهم فيها وتدلهم على بذلها، وأهل العلم تقرهم في علمهم وتحضهم على الإخلاص وبذل المجهود في نشره، وأهل الفقر تقرهم فيه وترغبهم في الصبر ... وهكذا، فإن رأيت أحدا تشوف إلى مقام أعلى مما هو فيه فدله عليه، وأهل التذكير لهم عند الله جاه كبير، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، كما في الحديث. وفي." (١)

"لنفسك أسلمت واحضر الإسلام فى قلبك واجعله مطمئنا به وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب أأسلمتم كما أسلمت بعد ما وضح بالدلائل العقلية وآيات التورية والإنجيل إن الدين عند الله الإسلام أم أنتم بعد على كفركم- فهذا استفهام صيغة وامر معنى كما فى قوله تعالى فهل أنتم منتهون يعنى انتهوا وفيه تعبير لهم بالبلادة او المعاندة فإن أسلموا كما أسلمت فقد اهتدوا فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقال اهل الكتاب اسلمنا فقال لليهود ان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته فقالوا «١» معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا- فقال الله تعالى وإن تولوا عن الإسلام كما أسلمت فإنما عليك البلاغ اى فلا يضرونك انما عليك تبليغ الرسالة دون الهداية وقد بلغت والله بصير بالعباد (٢٠) مؤمنهم وكافرهم يجزئ كل واحد بما عمل-.إن الذين يكفرون بآيات الله يعنى اليهود يكفرون بالقران والإنجيل وآيات التورية التي فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين اى قتل اوائلهم الأنبياء وهم يرضون بفعلهم يريدون ان يفعلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ما فعل اوائلهم فقاتلوه وسحروه وجعلوا السم فى طعامه حتى مات به شهيدا حين مات وقد ذكر قصة السحر وللسم فى سورة البقرة بغير حق يعنى فى اعتقادهم والا فقتل النبي لا يكون الا بغير حق وانما حملهم على القتل حب الرياسة ولم يروا منهم ما يجوز به القتل ويقتلون الذين يأمرون بالقسط اى بالعدل من الناس وهم اتباع الأنبياء- قرا حمزة يقاتلون من المفاعلة قال ابن جريج كان الوحى يأتى الى أنبياء بنى إسرائيل ولم يكن يأتيهم كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون فيقوم رجال ممن اتبعهم

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٢٩٠

وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون ايضا فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس روى البغوي عن ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجل امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنوا إسرائيل ثلاثة______________(١) فى الأصل فقال- ابو محمد عفا الله عنه." (١)

"تكرهون الحسن ولا تكرهون القبيح او هى للعطف على ان أمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة يعنى لا تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا فى الايمان وأنتم خارجون عنه او كان تقديره واعتقاد ان أكثركم فاسقون فحذف المضاف او على علة أمنا بتقدير فعل منصوب يعنى الا ان أمنا واعتقدنا ان أكثركم فاسقون او هو معطوف على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان أمنا لعدم اتصافكم ولان أكثركم فاسقون فهو منصوب بنزع اللام الخافض او منصوب بإضمار فعل دل عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون ان أكثركم فاسقون او هى بمعنى مع يعنى هل تنقمون الا ان أمنا مع ان أكثركم فاسقون قيل لا يتم هذا على ظاهر كلام النحاة حيث يشترطون فى المفعول معه المصاحبة فى معمولية الفعل ويتم على مذهب الأخفش حيث اكتفى فى المفعول معه المقارنة فى الوجود مطلقا قلنا الاشتراط فى المفعول معه لا يوجب ان يشترط فى كل واو بمعنى مع فليكن الواو بمعنى مع للعطف ولا يكون مفعولا معه عند النحاة لانتفاء شرطه ويكون عند الأخفش وجاز ان يكون مجرورا معطوفا على ما يعنى ما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان أكثركم فاسقون وجاز ان يكون مرفوعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ومعلوم عندكم ان أكثركم فاسقون لكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف وجاز ان يكون تقدير الكلام وما تنقمون منا شيئا لشئ الا لان أمنا ولان أكثركم فاسقون يعنى علة انكار شيء تنكرونه منا ليس الا المخالفة فى الدين.قل يا محمد لمعشر اليهود هل أنبئكم أخبركم بشر من ذلك المتقوم المكروه عندكم مثوبة جزاء وهى مختصة بالخير كالعقوبة بالشر وضعت هاهنا موضع العقوبة استهزاء بهم كقوله تعالى بشرهم بعذاب اليم والمثوبة منصوب على التميز عن بشر قال البغوي لما كان قول اليهود لم نر اهل دين اقل خطا فى الدنيا والاخرة ولا دينا شرا من دينكم فذكر الجواب بلفظ الابتداء وان لم يكن الابتداء شراكما فى قوله تعالى أأنبئكم بشر من ذلكم النار عند الله متعلق بشر من لعنه الله بدل من شر على حذف المضاف هاهنا او فيما قبل تقديره بشر من ذلك دين من لعنه الله او بشر من اهل ذلك من لعنه الله او خبر مبتدأ محذوف على حذف مضاف ايضا تقديره هو دين من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير فالقردة اصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام وروى عن على بن ابى طلحة." (٢)

"الله الكذبفى قولهم ان الله أمرنا بها وأكثرهم لا يعقلون وجه التحليل والتحريم بل يقلدون كبارهم الجهال وفيه اشارة ان بعضهم يعرفون بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به.وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٢٦/١

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٣٨/٣

وإلى الرسول فى التحليل والتحريم قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا حسبنا مبتدأ والخبر ما وجدنا يعنى الذي وجدنا عليه آباءنا بيان «١» لقصور عقلهم وان لا استدلال لهم سوى التقليد أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار التقليد على هذا الحال يعنى ايحسبهم ما وجدوا عليه اباؤهم ولو كانوا جهلة ضالين يعنى اى يحسبهم الجهل والضلال الذي كان عليه اباؤهم والحاصل ان الاقتداء لا يليق الا بالعلماء المهتدين.يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الجار والمجرور اسم فعل جعلا اسما لالزموا فلذلك نصب أنفسكم يعنى الزموا إصلاحها واحفظوها لا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف والجزم على انه جواب امر او على انه نهى ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة من ضل إذا اهتديتم قيل نزلت الاية لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفار ويتمنون ايمانهم اخرج احمد والطبراني وغيرهما عن ابى عامر الأشعري قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال لا يضركم من ضل من الكفار إذا اهتديتم وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاية فى اليهود والنصارى يعنى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب إذا اهتديتم فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل كان الرجل إذا اسلم يقال سفهت أباك اخرج ابن ابى حاتم عن عمر مولى عفرة قال انما نزلت هذه يا ايها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لان الرجل كان ليسلم ويكفر أبوه او اخوه فلما دخل فى قلوبهم حلاوة الايمان دعوا ابائهم وإخوانهم الى الإسلام فقالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا فانزل الله هذه الاية وليست الاية فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لان من الاهتداء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على حسب طاقته عن ابى بكر____________(١) اخرج ابن ابى حاتم عن عمر مولى عفرة قال انما نزلت هذه الاية يايها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لان الرجل كان يسلم ويكفر أبوه او اخوه فلما دخل فى قلوبهم حلاوة الايمان دعوا آباءهم وإخوانهم الى الإسلام فقالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا فانزل الله هذه الاية ١٢ [.....]."(١)

"باعجازه واخباره وقصصه انه ليس من كلام البشر.أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين (٦٨) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة التي للانكار والمعنى بل لم يجئهم ما لم يأت آباءهم الأولين يعنى بل قد جاءهم ما اتى آباءهم إسماعيل عليه السلام وأعقابه من الرسول والكتاب وقد كانت القريش يعترفون بنبوة ابراهيم وإسماعيل وفضلهما فمحمد صلى الله عليه وسلم مثلهما ولا استحالة في ذلك.أم لم يعرفوا رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم- يعنى قد عرفوه صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وأمانته وصدقه وحسن أخلاقه ووفاء عهوده وكمال علمه وأدبه من غير تعلم من البشر الى غير ذلك كذا قال ابن عباس فهم له منكرون (٦٩) الفاء للسببية معطوف على لم يعرفوا وما عطف هو عليه- يعنى لا يجوز الإنكار الا بسبب أحد هذه الوجوه المذكورة ولم يوجد شيء منها بل قد تحقق أضدادها.أم يقولون به جنة أم هاهنا ايضا منقطعة والهمزة التي في ضمنها للردع والتوبيخ يعنى بل أيقولون انه مجنون وهم يعلمون انه أرجحهم عقلا واتقنهم نظرا لا ينسب الجنون الى مثله الا معاند او مجنون وجاز ان يكون أم في هذه المواضع متصلة معطوفة على ما دخل عليه همزة الاستفهام لنفى المفهوم المردد- وجملة افلم يدبروا مستأنفة كان السامع لما سمع قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون قال ما سبب هذا النكوص والاستكبار والهجر إذا كان شيئا من هذه الأمور المذكورة وهى عدم تدبرهم في

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٩٥/٣

القرآن او عدم علمهم بإتيان النبي قبلهم او عدم معرفتهم امانة الرسول وصدقه وغير ذلك او زعمهم كونه مجنونا فقال الله في جوابه ليس شيء من هذه الأمور بل سبب ذلك المكابرة والعناد حيث جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالحق اى القول الثابت المتحقق الظاهر صدقه عقلا ونقلا لا يخفى صحته وحسنه على عاقل وأكثرهم للحق كارهون (٧٠) الجملة حال من مفعول جاءهم يعنى جاءهم الحق وهم له كارهون عنادا وظلما **لحب الرياسة** واتباع الشهوات وتقليد الجهال." (١)

"واحد منهم فتتنا تفتيتا لما كذبوا الرسل فإنا لم نهلكهم إلا بعد الإنذار وجواب ما أوردوه من الشبه حتى وضح لهم السبيل. ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أي وبالله لقد مر قريش على قرية سذوم من قرى قوم لوط التي أهلكت بالحجارة من السماء في أسفارهم إلى الشام للتجارة، أفلم يكونوا يرونها أي أفلم يكونوا في مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا (٤٠) أي بل كانوا قوما ينكرون البعث، ولا يؤمنون بالجزاء الأخروي فلا يرجون ثواب الآخرة حينئذ لا يتحملون متاعب التكاليف ومشاق الاستدلالوإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا، أي إذا رآك يا أشرف الخلق كفار مكة قصروا معاملتهم معك على اتخاذهم إياك هزوا فقوله: إن يتخذونك جواب «إذا» ، واختصت «إذا» بكون جوابها لا يحتاج إلى الفاء إذا كان منفيا بما أو إن أو لا بخلاف غيرها من أدوات الشرط. أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) .وهذا محكي لقول مضمر هو حال من فاعل «يتخذونك» أي إذا رأوك يستهزئون بك قائلين: أبعث الله هذا رسولا إلينا، وهذا على سبيل الاستهزاء. والمعنى: أهذا الذي يزعم أنه بعثه الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها.ويروى أن هذا من قول أبي جهل و «إن» مخففة من «إن» الثقيلة، وضمير الشأن محذوف أي إن الشأن كاد هذا الرجل ليصرفنا من عبادة آلهتنا صرفا كليا لولا أن ثبتنا عليها، وهذا اعتراف منهم بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة إلى التوحيد وإقامة الحجج وإظهار المعجزات إلى حيث قاربوا أن يتركوا دينهم، لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم. وسوف يعلمون حين يرون العذاب الذي يستحقه كفرهم وعنادهم عيانا في الآخرة من أضل سبيلا (٤٢) أي من أخطأ حجة فهذا وعيد شديد لهم على الإعراض عن الاستدلال والنظر أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) . وهذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعجب من شناعة حالهم، أي أرأيت يا أشرف الخلق الذي جعل معبوده ما يهواه وهو النضر وأصحابه أفأنت تكون عليه حفيظا تحفظه من اتباع هواه أي لست كذلك.وقال سعيد بن جبير: كان الرجل من المشركين يعبد الصنم، فإذا رأى أحسن منه رماه واتخذ الآخر وعبده. أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أي بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات سماع تفكر، أو يفهمون ما فيها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية إلى المحاسن، وهذا انتقال عن الإنكار المذكور إلى إنكار حسبانه صلى الله عليه وسلم لهم ممن يسمع أو يعقل ف «أم» بمعنى بل والهمزة التي للاستفهام الإنكاري وإنما ذكر الأكثر لأنه كان فيهم من يعرف الله تعالى

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٩٢/٦

ويعقل الحق إلا أنه ترك الإسلام لمجرد **حب الرياسة** لا للجهل. إن هم إلا كالأنعام في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم، وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل." (١)

"أي في أرحامكم وقرئ و «تقطعوا» من القطع أولئك الذين لعنهم الله أي أبعدهم الله عن الخير فأصمهم فلا يسمعون الكرم المستبين وأعمى أبصارهم (٢٣) فلا يتبعون الصراط المستقيم، فمن حيث إنهم استمعوا الكلام العلمي ولم يفهموه فهم صم وعند الأمر بالعمل تركوه وعللوا بكونه إفسادا وقطعا للرحم، وهم كانوا يتعاطونه عند النهي فتركوا اتباع النبي الذي يأمرهم بالإصلاح وصلة الأرحام ولو دعاهم من يأمر بالإفساد وقطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمي أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤) أي فلا يتدبرون القرآن لكونهم مبعدين منه، ومن كل خير أم على قلوب أقفال فيتدبرون ولا يفهمون فلا تدخل معانيه في قلوبهم إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم أي أن الذين رجعوا إلى الكفر من بعد ما ظهرت لهم الدلائل وسمعها، وهم جماعة منعهم **حب الرياسة** عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، الشيطان زين لهم الرجوع إلى دينهم، وسهل لهم اقتراف الكبائر.وقرئ «سول» مبنيا للمفعول على حذف المضاف أي كيد الشيطان زين لهم وأملى لهم (٢٥) أي ومد الشيطان لهم في الآمال فيقول لهم: إن في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورئاستكم إلى آخر أعماركم، وقيل: أمهلهم الله تعالى، ولم يعاجلهم بالعقوبة، وقرأ أبو عمرو «وأملي لهم» على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في أعمارهم، والباقون على البناء للفاعل، والفاعل إما الشيطان، فإن الله قدر على لسانه ويده ذلك التزيين، أو الله تعالى كما تقدم. وقرئ «وأملي لهم» على صيغة المتكلم فالمعنى أن الشيطان يغويهم، وأنا أنظرهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله أي ذلك الارتداد بسبب أن المنافقين قالوا سرا لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم:سنطيعكم في بعض الأمر كالقعود عن الجهاد، والموافقة في الخروج معكم عن الديار إن خرجتم منها، ولا نطيعكم في إظهار الكفر قبل قتالكم، وإخراجكم من دياركم، وهذا عبارة عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم [الحشر: ١١] وهم بنو قريظة والنضير الذين كان المنافقون يوادونهم، والله يعلم إسرارهم (٢٦) ، قرأ حمزة، والكسائي، وحفص بكسر الهمزة أي إخفاءهم لما يقولونه، والباقون بفتحها أي جميع أسرارهم، فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (٢٧) أي فكيف يصنعون إذا قبضتهم الملائكة في حال أنهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، فإنهم يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل، وقرأ الأعمش «توفاهم» على أنه ماض أو مضارع حذف إحدى تاءيه ذلك أي الضرب بأنهم اتبعوا ما أسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه من الإيمان والطاعة أي تضرب وجوههم لأنهم أقبلوا على سخط الله كإنكار الرسول." (٢)

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢/ ٣٤١

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢/ ٤١٩

"[الحشر: ٩] أي لا تضيق صدورهم به، ولا يغتمون، فأثنى عليهم بعدم الحسد، وأما المنافسة فليست بحرام، بل قد تكون مطلوبة، قال تعالى: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) [المطففين: ٢٦] وقال تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) [الحديد: ٢١] وقال – صلى الله عليه وسلم –: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس» فلا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له، وأما تمني عين نعمة الغير بانتقالها إليه لرغبته فيها بحيث يكون مطلوبه تلك النعمة لا زوالها – فهو مذموم لقوله تعالى: (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) [النساء: ٣٢] وأما تمنيه لمثل ذلك فليس مذموما، فاعرف الفرق.أسباب الحسد:للحسد المذموم مداخل كثيرة وأسباب عديدة:فمنها: العداوة والبغضاء، وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه – أبغضه قلبه، وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي منه التشفي والانتقام، فإن عجز المتنغص عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى، فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها، وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه، وأنها لأجله، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك؛ لأنه ضد مراده، وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله، حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه، بل أنعم عليه. وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقي أن لا يبغي، وأن يكره ذلك من نفسه.ومنها: التعزز، وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره.ومنها: **حب الرياسة** وطلب الجاه، بأن يكون منفردا عديم النظر، غير مشارك في المنزلة، يسوءه وجود مناظر له في المنزلة.ومنها: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله، بحيث يشق عليه أن يوصف عنده حسن حال عبد فيما أنعم عليه، ويفرح بذكر فوات مقاصد أحد واضطراب أموره وتنغص عيشه، فهو أبدا يحب الإدبار لغيره، ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه! وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس، ورذالة في الطبع، ومعالجته شديدة؛ لأنه خبث في الجبلة لا في عارض حتى يتصور زواله. وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد، فيعظم فيه الحسد بذلك، ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة، بل ينهتك حجاب المجاملة، وتظهر العداوة بالمكاشفة، أعاذنا المولى من ذلك بلطفه وكرمه.." (١)

"لم يتمالك عن البكاء، وكذا لما اختطفت أيدي المنون ابنته الصغرى وحمل إكليل الفرهر ليكلل به جبينه غلبت عليه الشفقة واقترن بها (بركليس) بعد أن هجر زوجته الأولى، وانقاد إليها الانقياد حتى قال (أرستوفاينس) : إنها هي التي حملته على إثارة حرب (ساموس) و (بلويومتبسوس) ولكن (فلوطرخس) المؤرخ الثقة نفى عنها هذه التهمة وتوفي (بركليس) بالطاعون فتزوجت (أسباسيا) بعده رجلا من التجار فصار بسببها من مشاهير أثينا وخطبائها.إستير ستنهوب ابنة كارلوس الثالث في عائلة ستنهوبامرأة إنكليزية شريفة ذات أطوار غريبة ولدت في لندن في ١٢ آذار (مارس) سنة ١٧٧٦ م، وتوفيت في جون التابعة إقليم الخروب من جبل لبنان في ٢٣ حزيران (جونيو) سنة ١٨٣٩ م، وكانت أكبر أولاد (كارلوس الثالث أرلات ستنهوب) من زوجته (إستير) ابنة (إرل تشتام) دخلت في السنة العشرين من عمرها بيت عمها (وليم بت) فكان

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/٢١٤

يعتمد عليها ويكاشفها أسراره، واستمرت عنده إلى أن مات سنة ١٨٠٦ م، وقبل وفاته أوصى بها الأمة الإنكليزية فيعن لها مرتب سنوي قدره ٢٠٠ ليرة إنكليزية غير أن المبلغ لم يكف لسد المصاريف التي كان يقتضيها مركزها وبذخها فانفردت في (والسن) ثم تركتها وطافت أوروبا وكانت حينئذ فتية نضرة جميلة غنية، فقوبلت في البلدان التي زارتها بالتكريم والتعظيم اللذين تقتضيهما صفاتها إلا أنها أبت الزواج مع أن خاطبيها كانوا من أهالي الرفعة والشأن وبعد أن زارت أكبر عواصم أوروبا لاح لها أنها تحصل في الشرق على مركز عظيم فسارت إلى القسطنطينية، وأقامت فيها بضع سنين واختلف الناس ي سبب خروجها من بلادها فذهب بعضهم إلى أنه حملها على ذلك حزنها على جنرال إنكليزي شاب قتل في إسبانيا وكانت تحبه فأثر فيها موته تأثيرا شديدا حتى لم تطب لها الإقامة بعده في إنكلترا، وذهب آخرون إلى أن الذي حملها على ذلك إنما هو ميلها إلى القيام بعظائم الأمور **وحب الشهرة**.ثم خرجت من القسطنطينية قاصدة سورية سنة ١٨١٠ م في سفينة إنكليزية كان فيها قسم كبير من ثروتها وأنواع كثيرة مختلفة من الحي والتحف، فلما وصلت السفينة إلى الجون (مكري) تجاه جزيرة (رودس) صدمت صخرا فتحطمت على مسافة بعض أميال من الساحل، وغرت أمتعة (إستير ستنهوب) وأموالها ولم تنج هي من الموت إلا بعد عناء شديد فحملت على لوح السفينة إلى جزيرة صغيرة قفرة فقامت فيها ٢٤ ساعة لم تذق طعاما ولم يكن لها منقذ ولا مجير إلا أن جماعة من صيادي (مرموريزا) وجدوها في تلك الجزيرة في أثناء تفتيشهم على بقايا السفينة، فساروا بها إلى (رودس) وهناك أخبرت قنصل إنكلترا فجمعت ما بقي لها من المتاع وباعت قسما من أملاكها، بأبخس الأثمان وركبت سفينة ملأتها تحفا نفيسة وهدايا ثمينة للبلدان التي عزمت على السياحة فيها لم يصادفها في مسيرها نوء. وأتت اللاذقية فأقامت هناك، وتعلمت اللغة العربية وعرفت عادات الأهالي وطباعهم، وجهزت قافلة كبيرة، وحملت إلى البدو هدايا نفيسة على ظهور الجمال، وطافت أنحاء سورية كلها، فزارت القدس، ودمشق، وحمص، وبعلبك، وتدمر. ولما وصلت إلى تدمر اجتمع إليها كثيرون من قبائل البدو ومكنوها من الوصول إلى تلك المدينة، وكان عددهم حينئذ من ٤٠ إلى ٥٠ ألفا وكانوا كلهم يتعجبون من جمالها ولطفها، وأبهتها فجعلوها ملكة لتدمر وعاهدوها على أن جميع الإفرنج الذين يحصلون على حمايتها يمكنهم أن يزوروا (بعلبك) وتدمر آمنين على أرواحهم، ولكن بشرط أن يدفع كل منهم ضريبة قدرها ألف قرش، واستمرت تلك المعاهدة مدة طويلة يعمل بها وعند رجوعها من تدمر عزمت قبيلة قوية من البدو عدوة لتدمر التعدي عليها، غير أن أحد حشمها أنبأها في الحال بوقوعها في ذلك الخطر الجسيم فأخذت في السير ليلا، وكان خيلها من أجود الخيل فاجتازت في مدة ٢٤ ساعة." (١)

"تكون المحقرات من الأشياء ومضروبا بها المثل– ليس بموضع للاستنكار والاستغراب. من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب. وإدناء المتوهم من المشاهد. فإن كان المتمثل له عظيما، كان المتمثل به مثله. وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك. فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذا، إلا أمرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا، جليا أبلج. كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له بالظلمة؟ أفاده الزمخشري.فأما

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٨

الذين آمنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم إثر تحقيق حقية صدوره عنه تعالى- أي: فأما المؤمنون فيعلمون أنه الحق من ربهم- كسائر ما ورد منه تعالى- والحق هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره. وذلك لأن التمثل به مسوق على قضية مضربه، ومحتذى على مثال ما يستدعيه- كما جعل بيت العنكبوت مثل الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله تعالى- وجعلت أقل من الذباب، وأخس قدرا. وضربت لها البعوضة فما دونها مثلا، لأنه لا حال أحقر من تلك الأنداد وأقل ... ! فالمؤمنون- الذين عادتهم الإنصاف، والعمل على العدل والتسوية، والنظر في الأمور بناظر العقل- إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأما الذين كفروا ممن غلبهم الجهل على عقولهم، وغشيهم على بصائرهم- فلا يتفطنون، ولا يلقون أذهانهم. أو عرفوا أنه الحق، إلا أن **حب الرياسة**، وهوى الإلف والعادة، لا يخليهم أن ينصفوا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا أي: فإذا سمعوه عاندوا، وكابروا، وقضوا عليه بالبطلان، وقابلوه بالإنكار. ولا خفاء في أن التمثيل بالبعوضة وبأحقر منها- مما لا تخفى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة. ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل، ولا متشبث بأمارة ولا إقناع، أن يرمي لفرط الحيرة، والعجز عن إعمال الحيلة، بدفع الواضح، وإنكار المستقيم، والتعويل على المكابرة والمغالطة- إذا لم يجد سوى ذلك معولا. يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة، ورد لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة، وغاية جميلة، هي كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية." (١)

"قرينه الشيخ المترجم من أجله، ولم يتمكن من إيذائهما في حياة سيده، فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه في بحر النيل، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والإفتاء، وقلد ذلك الشيخ أحمد بن يونس الخليفي، وانكسف باله وخمد مشعال ظهوره بين أقرانه إلا قليلا، حتى هلك يوسف بك قبل تمام الحول، ونسيت القضية، وبطل أمر الوظيفة والتكية، وتراجع حاله لا كالأول. ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهورا وتعلل، وذلك في عشرين شعبان من السنة الثانية بعد المائتين والألف، وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل، ودفن بتربة المجاورين.ومن مؤلفاته إعراب الآجرومية وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة، وكان قوي البأس شديد المراس، عظيم الهمة والشكيمة، ثابت الجنان عند العظائم، يغلب على طبعه **حب الرياسة**، والحكم والسياسة، ويحب الحركة بالليل والنهار، ويمل السكون والقرار، وذلك مما يورث الخلل، ويوقع ف الزلل، فإن العلم إذا لم يقرن بالعمل، ويصاحبه الخوف والوجل، ويجمل بالتقوى ويزين بالعفاف، ويحلى باتباع الحق والإنصاف، أوقع صاحبه في الخذلان، وصيره مثلة بين الأقران، كما قال البدر الحجازي رحمه الله تعالى:إذا بعبد أراد الله نائبة ... أعطاه ما شاء من علم بلا عملفعده لاصطياد المال مصيدة ... يعدو به عدو معدود من الهملمثل الحمار الذي الأسفار يحملها ... وما استفاد سوى الإجهاد والمليقول بالأمس عند القاضي كنت كذا ... عند الأمير وقد أبدى البشاشة ليوقام لي وبقدري قام أطعمني ... حلوى وألبسني الحالي من الحللومن مكاني والحكام طوع يدي ... وأين مثلي وما في

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١/٢٧٩

الكون من مثليأجيد فقها وتفسيرا ومنطق مع ... علم الحديث وعلم النحو والجدلوغيرها من علوم ليس من أحد ... يحاول البعض منها غير منخذل." (١)

"وعلى نيابة قضاء دوما. وغب حضوره إلى الشام ذهب إلى محل نيابته، وذلك في غرة جمادى الأولى سنة ألف وثلاثمائة وخمس عشرة، وكان في مدة نيابته حسن السيرة، ممدوح السريرة، لم يسمع عنه ميل إلى باطل، ولا تفرقة في الحق ما بين عالم وجاهل، ولا رشوة وإن جل قدرها، ولا تعصب لقضية وإن كان من الأعاظم أهلها، وكان يهوى قبل المرافعة إجراء المصالحة، وعدم المشاحنة والمشاحجة، فإذا لم يتمكن بذل وسعه في مصادقة الحق ومجانبة الباطل، ولا يحكم إلا بعد النظر والتحري ومراجعة كتب الأفاضل، وعلى كل حال فمناقبه كثيرة، وبدائهه وبدائعه شهيرة، بأنواع المديح جديرة، ثم أنه بعد تمام نيابته في دوما جلس عضوا في مجلس استئناف الجزاء في العادلية، وفي أثنائها ذهب إلى الآستانة فوجهت عليه نيابة بعلبك، ولم يمض عليه بها مدة إلا ومرض فحضر إلى الشام ولم يزل مريضا إلى أن اختارته المنية في شعبان سنة ألف وثلاثمائة وعشرين ودفن في تربة باب الصغير رحمه الله تعالى.الشيخ زين العابدين بن جمل الليل المدني أبو عبد الرحمن بن السيد باحسن جمل الليلالمحدث الفقيه، والمتفنن النبيه، صاحب الشهرة العالية، والسيرة الحسنة النامية، والمآثر اللطيفة، والمحامد الشريفة، فخر العلاء، وصدر الفضلاء، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها، وأخذ عن والده وتكمل على يديه، وألقت رئاسة العلوم في المدينة مفاتحها إليه، وقرأ على غير والده من الأفاضل، من جملتهم محمد بن سليمان، ودخل مصر، وزبيد للرواية عن كل فاضل مفيد، ولما دخل الوهابية الحرمين، فر، ودخل العراقين، فروى عنه أجلة علماء بغداد، رغبة منهم بعلو الإسناد، وقرأ صحيح البخاري،." (٢)

"كما كان الذين يسبقون إلى الإيمان بهم من هؤلاء الضعفاء والفقراء وكذا الوسط، ولهذا كان الكبراء المستكبرون يزدادون إعراضا عن الأنبياء وعداوة لهم كما بينه التنزيل مرارا وتكرارا، ومنه قصة نوح: - وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي - إلى قوله - عليه السلام -: - ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا - ٢٧ - ٣١ ومنه تهديد مدين لرسولهم شعيب - عليه السلام - بالرجم هنا لولا رهطه، وتهديده ومن آمن معه في سورة الأعراف بالنفي والإخراج من أرضهم، ومنه تهديد فرعون لموسى وأخيه، وما فعله مشركو مكة برسول الله وخاتم النبيين من التهديد بالقتل أو الحبس أو الإخراج من وطنه، وقد فعلوا ما استطاعوا، وكذلك يفعلون بدعاة الإصلاح وكل من يرشد الشعوب إلى مقاومة الظلم والاستبداد، والرياسة الطاغية المتكبرة في كل زمان ومكان.فهذا الإرشاد الرباني في كتاب الله - تعالى - عام دائم لا نهاية له، ولا غنى عنه. وقد غفل أهل القرآن عنه.(المسألة الثالثة عشرة: الصد عن سبيل الله وبغيها عوجا) :كان الظالمون المعاندون للرسل يستهزئون بدعوتهم ويزدرون أتباعهم من الضعفاء، حتى إذا ما كثروا وخافوا منهم قوة الكثرة طفقوا يصدونهم عن سبيل الله، أي الطريق الموصلة إلى ما يحبه لهم من الحق والخير والسعادة، يصدونهم بكل ما استطاعوا من أسباب الصد كالإهانة والتخويف والتعذيب للضعفاء، وتزيين العصبية وحب الرياسة والغنى للأقوياء ويبغونها عوجا أي

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٤٨٣

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٦٣٩

يطلبون جعلها معوجة بذمها وادعاء بطلانها وضررها، وقد ورد هذان الوصفان في الآية ١٩ من سياق رسالة نبينا – صلى الله عليه وسلم – هنا وفي سورتي إبراهيم والأعراف، وفي قصة شعيب من سورة الأعراف أيضا إذ كان قومه يقعدون في كل طريق من طرقهم يصدون الناس عن دعوته ويبغونها عوجا، وتكرر ذكر الصد عن سبيل الله بدون وصفها بالعوج في سور أخرى، وكذلك يفعل أعداء الإسلام من الملاحدة ودعاة الأديان الباطلة حتى هذا الزمان.(المسألة الرابعة عشرة: العداوة بالكيد والتهديد والوعيد للرسل) :جاء في قصة هود – عليه السلام – قوله: – فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون – ٥٥ فقد كان يتوقع الكيد منهم. وهل كان وقع له فقاس المستقبل على الماضي أم علمه من حالهم، أم فرض وقوعه فرضا وأنبأهم بعدم مبالاته به؟ كل جائز.وفي قصة شعيب – عليه السلام – حكاية عن قومه: – وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز – ٩١ وفيها من العبرة أن هذا دأب المفسدين في عداوة المصلحين ورثة الأنبياء، وأشدهم كيدا لهم أهل الحسد والبدع من لابسي لباس العلماء، وأعوان الملوك والأمراء.." (١)

"الجماعة الحاكمة من الأمة ؛ لئلا يمنعه بعض من يمرض الإيمان في قلوبهم، وترك إلى أريحية الأفراد سائر ما أوجبه الشرع عليهم أو ندبهم إليه، وحثهم بإطلاق النصوص عليه، ورغبهم فيه، وذمهم على منعه ؛ ليكون الدافع لهم إلى البذل من أنفسهم، فتقوى ملكات السخاء والنجدة والمروءة والرحمة فيها، ولم يبح للمحتاج أن يأخذ ما يحتاج إليه من أيديهم بدون إذنهم ومرضاتهم ؛ لأن في ذلك مفسدتين: مفسدة قطع أسباب تلك الفضائل، وما في معناها، ومفسدة اتكال الكسالى على كسب غيرهم، ومن وراء هاتين المفسدتين انحطاط البشر وفساد نظام الاجتماع، فإن الناس خلقوا متفاوتين في الاستعداد، فمنهم المغمول المخلد إلى الكسل والخمول، ومنهم **محب الشهرة** والظهور وتذليل صعاب الأمور، فإذا أبيح للكسالى البطالين، أن يفتاتوا على الكاسبين المجدين، فيأخذوا ما شاءوا أو احتاجوا من ثمرات كسبهم بغير رضاهم ولا إذنهم، أفضت هذه الإباحة إلى الفوضى في الأموال، والضعف والتواني في الأعمال، والفساد في الأخلاق والآداب، كما لا يخفى على أولي الألباب، فوجب ألا يأخذ أحد مال أحد إلا بحق، أو يبذل صاحب المال ما شاء عن كرم وفضل.فمتى يعود المسلمون إلى حقيقة دينهم ويكونون حجة له على جميع الملل كما كان سلفهم، فيقيموا المدنية الصحيحة في هذا العصر كما أقامها أولئك في عصورهم؟ وقد تقدم تفسير مثل هذه الجملة في سورة البقرة [س ٢ آية ١٨٨ ج٢ ص ١٥٧ وما بعدها ط الهيئة العامة للكتاب] ، وذكرنا هنالك ما في هذه الإضافة من إعجاز الإيجاز.أما الباطل، فقد قلنا هنالك: إنه ما لم يكن في مقابلة شيء حقيقي، وهو من البطل والبطلان أي الضياع والخسار، فقد حرمت الشريعة أخذ المال بدون مقابلة حقيقيةيعتد بها، ورضا من يؤخذ منه، وكذا إنفاقه في غير وجه حقيقي نافع، وقال الأستاذ الإمام هنا: فسر الجلال وغيره الباطل بالمحرم وهو إحالة للشيء على نفسه، فإن الله حرم الباطل بهذه الآية، فقولهم: إن الباطل هو المحرم يجعل حاصل معنى الآية: إنني جعلت المال المحرم محرما، والصواب: أن الباطل هو ما يقابل الحق ويضاده، والكتاب يطلق الألفاظ كالحق والمعروف والحسنات، أو الصالحات، وما يقابلها وهو الباطل والمنكر والسيئات، ويكل فهمها إلى أهل الفطرة السليمة من العارفين باللغة، ومن ذلك قوله في اليهود: ويقتلون النبيين بغير الحق (٢: ٦١) ، فحق فلان في المال هو الثابت له في

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٨٦/١٢

العرف، وهو ما إذا عرض على العقلاء المنصفين أصحاب الفطرة السليمة يقولون: إنه له، فيدخل في الباطل الغصب والغش والخداع والربا والغبن والتغرير، وقوله: بينكم للإشعار بأن المال المحرم ـ لأنه باطل ـ هو ما كان موضع التنازع في التعامل بين المتعاملين، كأنه واقع بين الآكل والمأكول منه، كل منهما يريد جذبه لنفسه، فيجب أن يكون المرجح للمال بين اثنين يتنازعان فيه هو الحق، فلا يجوز لأحد أن يأخذه بالباطل، وعبر بالأكل عن مطلق الأخذ؛ لأنه أقوى أسبابه وأعمها وأكثرها.." (١)

"النفسانية القوية كالحسد والبغي، **وحب الرياسة** والكبر، والشهوة الغالبة على العقل، والعصبية للجنس، والقول الجامع فيه اتباع هوى النفس، وقد ثبت أن بعض أحبار اليهود قد تبين لهم صدق دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – فتولوا عنها حسدا له وللعرب أن يكون منهم خاتم النبيين، وإيثارا لرياستهم في قومهم، على أن يكونوا مرؤوسين في غيرهم، وارتداد جبلة بن الأيهم عن الإسلام، لما رأى أنه يساوي بينه وبين من لطمه من السوقة، وارتد أناس في أزمنة مختلفة عن دينهم لافتتانهم ببعض النساء من الكفار، وعلة ذلك كله أي علة تأثير هذه الأسباب في نفوس بعض الناس هي ضعف النفس ومرض الإرادة بجريان صاحبها من أول نشأته على هواه، وعدم تربيتها على تحمل ما لا تحب في العاجل لأجل الخير الآجل، وهذا هو مرادنا من إرجاع جميع الأسباب إلى اتباع الهوى وهو ما أشرنا إليه من قبل، وهو يرجع إلى ما قلنا من أن الإنسان مفطور عليه من ترجيح ما يرى أنه خير له وأنفع، وصاحب الهوى المتبع لا يتمثل له النفع الآجل كما يستحوذ عليه النفع العاجل لضعف نفسه، ومهانتها وعجزها عن الوقوف في مهب الهوى من غير أن تميل معه، وقد حكي أن الحجاج مد سماطا عاما للناس فجعلوا يأكلون وهو ينظر إليهم، فرأى فيهم أعرابيا يأكل بشره شديد فلما جاءت الحلوى ترك الطعام ووثب يريدها فأمر الحجاج سيافه أن ينادي: من أكل من هذه الحلوى قطعت عنقه بأمر الأمير، والحجاج يقول ويفعل فصار الأعرابي ينظر إلى السياف نظرة وإلى الحلوى نظرة، كأنه يرجح بين حلاوتها ومرارة الموت، ولم يلبث أن ظهر لهوجه الترجيح، فالتفت إلى الحجاج وقال له: " أوصيك بأولادي خيرا " وهجم على الحلوى وأنشأ يأكل والحجاج يضحك، وهو إنما أراد اختباره.ومن مباحث الأصول في هذه الآية استدلال بعضهم بها على حجية الإجماع ؛ لأن مخالفه متبع غير سبيل المؤمنين، وعبر بعضهم في بيان حجيته بأنه هو سبيل المؤمنين وقد علمت أن الإجماع الذي يعنونه هو اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد وفاة نبيها في أي عصر على أي أمر، والآية إنما نزلت في سبيل المؤمنين في عصره لا بعد عصره، وأتذكر أنني بينت عدم اتجاه الاستدلال بالآية على حجية الإجماع في المنار، وكذلك رده الأستاذ الإمام والإمام الشوكاني في إرشاد الفحول، والآية التي تدل على الإجماع الصحيح هي قوله – تعالى – في هذه السورة: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (٥٩) ، وقد تقدم تفسيرها وبحث الإجماع فيها، وزدته بيانا في المسألة الخامسة من المسائل التي جعلتها متممة لتفسيرها.." (٢)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٤/٥

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٤٠/٥

"مع عدم نسخ القراءة الأولى، وبهذا الاحتمال المؤيد بما ذكر من الوقائع يتجه تفسير القراءتين بغير تكلف ما، ويزول كل إشكال عرض للمفسرين في تفسيرهما.وأما قوله تعالى: (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فقال قتادة: اليهود آتاهم الله تعالى علما فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به فذمهم الله في عملهم ذلك. وقال مجاهد هذه للعرب، وفي رواية عنه للمسلمين ومؤداهما واحد. فإن ما علمه العرب من علوم القرآن وحكمه وهدايته قد أدوه إلى سائر المسلمين من غيرهم فكانت فائدته عامة.وفي الجملة امتنان منه سبحانه على الرسول وقومه وسائر المؤمنين بإيتائهم هذا الكتاب الحكيم المبين، والمعنى عندنا على تقدير جعل الخطاب لليهود: وعلمتم بما أنزل على خاتم النبيين ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الذين كانوا أعلم وأهدى منكم، فمن ذلك ما أفاده قوله تعالى: (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) ٢٧: ٧٦ وسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى، ومنه ما انفرد به الإسلام – وهو ما أكمل الله تعالى به دينه – من بسط أصول العقائد موضحة بالأمثلة مؤيدة بالدلائل، ومن إتمام مكارم الأخلاق وعقائل الفضائل والآداب بجعلها وسطا بين ما كانوا عليه هم والنصارى من التفريط والإفراط، ومن جعل أحكام العبادات والمعاملات مصلحة لأنفس الأفراد وموافقة لمصالح الجماعات، ومن جعل الحكومة شورى بين أهل الحل والعقد، والشريعة مساوية بين الأجناس والملل والأفراد في ميزان العدل، لا يميز فيها إسرائيلي لنسبه ولا عربي لحسبه، ولا يحابى مسلم بإسلامه ولا يظلم كافر بكفره – كما تقدم في تفسير (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) ٤: ١٣٥ وتفسير (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) ٥: ٨ وغيرهما، فكان المعقول أن يكون علماء اليهود –وكذا النصارى – بعد مجيء النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذه الأصول الكاملة في هداية البشر، التي أكمل الله تعالى بها دينه المطلق الذي أرسل به جميع رسله، أن يكونوا أسبق الناس إلى الإيمان به كما هو المعهود من كل ذي علم وفن حريص على الكمال فيه إذا جاءه من يفوقه في العلم به، أو رأى كتابا فيه يفضل كل ما عرف من كتبه، ولكن الحسد والعصبية **وحب الرياسة** القومية، هي التي صدت عن الإيمان من صدت من علمائهم المستقلين، ولا تسل عن حال المقلدين، وقد اعترف بذلك من آمن من فضلاء المعتدلين. وجملة " وعلمتم " إلخ. حالية، وقيل: استئنافية.بين سبحانه إنكار المنكرين للوحي بعبارة تدل على جهلهم وترشد إلى البرهان المفند لزعمهم، وشفعه بأمر الرسول أن يسألهم ذلك السؤال الملجم لهم، ثم لقنه الجواب الذي كان." (١)

"ليمكروا فيها. و " جعلنا " بمعنى صيرنا ومفعولاه " أكابر مجرميها " على تقديم المفعول الثاني – أو: في كل قرية أكابر، ومجرميها بدل، ويجوز أن يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين، وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة، ولذلك قرئ (أي في الشواذ) " أكبر مجرميها " انتهى. ورجح الرازي أن المعنى: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر.والمكر: صرف المرء غيره عما يريده إلى غيره بضرب من الحيلة في الفعل أو الخلابة في القول، والأكثر فيه أن يكون الصرف عن الحق إلى الباطل وعن الخير إلى الشر ؛ لأن الحق والخير قلما يحتاج إلى إخفائهما بالحيلة والخلابة.ونقول في العبرة بالآية بما يناسب حال هذا العصر: إن سنة الله تعالى في الاجتماع البشري قد مضت بأن يكون في كل عاصمة لشعب أو أمة أو كل قرية وبلدة بعث فيها رسول أو مطلقا رؤساء وزعماء مجرمون يمكرون فيها بالرسل، أو بأن يكون

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٧/٥١٥

أكابرها المجرمون ماكرين فيها بالرسل في عهدهم، وبسائر المصلحينمن بعدهم. وكذلك شأن أكثر أكابر الأمم والشعوب – ولا سيما في الأزمنة التي تكثر فيها المطامع ويعظم **حب الرياسة** والكبرياء – يمكرون بالناس من أفراد أمتهم وجماعاتها ليحفظوا رياستهم ويعززوا كبرياءهم ويثمروا مطامعهم فيها، ويمكر الرؤساء والساسة منهم بغيرهم من الأمم والدول لإرضاء مطامع أمتهم وتعزيز نفوذ حكومتهم في تلك الأمم والدول. وقد عظم هذا المكر في هذا العصر فصار قطب رحى السياسة في الدول، وعظم الإفك بعظمه لأنه أعظم أركانه، وقد كتبنا مقالا في بيان ذلك وشرح علله وأسبابه عنوانه (دولة الكلام المبطلة الظالمة) نشر في الجزء الخامس من مجلد المنار الحادي والعشرين فليراجعه من شاء.وهذا العموم في الآية صحيح واقع يعرفه أهل البصيرة والعلم بشئون الاجتماع والعمران، ولا تظهر صحة العموم في القرى والأكابر جميعا بجعل جميع الأكابر المجرمين ماكرين في جميع القرى، أو بجعل جميع المجرمين فيها أكابر أهلها، بحيث يكون الإجرام هو سبب كونهم أكابرها، بل قد يتحقق بكون أكثر الأكابر الزعماء مجرمين ماكرين ولا سيما في القرى التي استحقت الهلاك بحسب سنة الاجتماع المبينة في قوله تعالى في سورة الإسراء: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (١٧: ١٦) ولا سيما على القول الراجح بأن معناه أمرنا مترفيها بما نرسل به الرسل من التوحيد وعبادة الله وحده وما يلزمه – حتما – من الصلاح والإصلاح والعدل، ففسقوا عن أمر ربهم وظلموا وأفسدوا فحق عليها القول الذي أوحاه الله إلى الرسل بمثل قوله: (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) (١٤: ١٣) فدمرناها تدميرا، وكذا على القول بأن معنى (أمرنا مترفيها) كثرناهم ؛ لأن كثرتهم وقلة الصالحين المتقين لا تتحقق عادة إلا إذا كان جمهور الأكابر منهم.." (١)

"بالإنفاق. والأرجح أن المضاعفة عامة وأن الجملة على إطلاقها فتتناول ما زاد على سبعمائة ضعف وما نقص عنه، وهي تشير إلى تفاوت المنفقين وغيرهم من المحسنين في الصفات النفسية كالإخلاص في النية، والاحتساب والأريحية وفيما يتبعها من العمل كالإخفاء سترا على المعطي وتباعدا من الشهرة، والإبداء لأجل حسن القدوة، وتحري المنافع والمصالح، وفي الأحوال المالية والاجتماعية كالغنى والفقر والصحة والمرض، وفيما يقابل ذلك من الصفات والأعمال كالرياء **وحب الشهرة** الباطلة والمن والأذى، فالعشرة مبذولةلكل من أتى بالحسنة، والمضاعفة فوقها تختلف بمشيئته تعالى بحسب ما يعلم من اختلاف أحوال المحسنين، فقد بذل أبو بكر رضي الله عنه كل ما يملك في سبيل الله عند الحاجة إليه، وبذل عمر رضي الله عنه نصف ما يملك، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وزاد بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل النسبة بينهما كالنسبة بين عطاءيهما. والدرهم من المسكين والفقير أعظم من دينار الغني ذي المال الكثير، ومن يبذل الدرهم متعلقة به نفسه حزينة على فقده ليس كمن يبذله طيبة به نفسه مسرورة بالتوفيق لإيثار ثواب الآخرة به على متاع الدنيا (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) (٥٧: ١٠) وتفصيل التفاوت فيما ذكرنا يطول، وفيما أوردناه ما يرشد إلى غيره لمن تفكر وتدبر، وقد غفل عن هذا من قال من المفسرين: إن ذكر العشرة أمثال يراد به الكثرة لا التحديد ليتفق مع المضاعفة المعينة في سورة البقرة، وقد ورد في الأحاديث النبوية ما يؤيد ما اخترناه وسنذكر بعضها.(ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) أي ومن جاء ربه يوم القيامة بالصفة

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٩/٨

السيئة التي يطبعها في نفسه الكفر وارتكاب الفواحش والمنكرات، فلا يجزى إلا عقوبة سيئة مثلها. بحسب سننه تعالى في تأثير الأعمال السيئة في تدسية النفس وإفسادها وتقديره الجزاء عليها بالعدل، وإنما قلنا: الصفة الحسنة والسيئة ولم نقل الفعلة، لأن الأفعال أعراض تزول وتبقى آثارها في النفس، فالجزاء عليها يكون بحسب تأثيرها في النفس، وهو الذي يكون وصفا لها لا يفارقها بالموت كما صرح به في قوله تعالى من هذه السورة: (سيجزيهم وصفهم) (١٣٩) فيراجع تفسيره السابق في هذا الجزء.وأما قوله تعالى: (وهم لا يظلمون) فيحتمل أنه في أهل السيئات لأنهم هم الذين يحتاج إلى نفي وقوع الظلم عليهم، ولا سيما أهل الشرك والكفر منهم، مع ما ورد من الشدة في وصف عذابهم، والمعنى: أن الله تعالى لا يظلمهم بالجزاء فإنه منزه عن الظلم عقلا ونقلا، والآيات فيه كثيره، وروى مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته." (١)

"أعوانا لهم على استعباد أمتهم مؤمنين، معتصمين بتقوى الله وهدي كتبه ورسله من الطمع وحب الرياسة بالباطل وغير ذلك مما حرمه الله تعالى، لما خانوا الله وخانوا أمانة أمتهم وأوطانهم اتباعا لشهواتهم، وطمعا في تأثل الأموال والادخار لأولادهم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم) (٨: ٢٧، ٢٨) .بل قال أعظم فيلسوف يحترمون عقله وعلمه: إن هذه الأفكار المادية التي تغلبت في أوربة على الفضائل قد محت الحق من عقول أهلها، فلا يعقلون منه إلا تحكيم القوة، وستتخبط به الأمم ويتخبط بعضهم ببعض ليتبين من هو الأقوى فيكون سلطان العالم. هذا ما سمعه الأستاذ الإمام من الفيلسوف هربرت سبنسر (في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣) وكتبه عنه، وقد زادنا في روايته اللفظية له عنه ما يدل على أنه كان يتوقع هذه الحرب العامة الوحشية، ويعدها من سيئات الأفكار المادية وضعف الفضيلة. وقد روينا ذلك عنه بالمعنى من فوائد أخرى في رحلتنا الأوربية (ج ٣ م ٢٣ من المنار) .ومن المصائب على البشر أن أكثر المؤمنين بطب الدين الروحي في هذه القرون الأخيرة لا يقفون فيها عند حدود ما أنزل الله على رسوله وما فهمه منه حملته من السلف الصالح، بل زادوا وما زالوا يزيدون فيه من الخرافات والبدع والضلالات، ما جعلهم حجة على دينهم وفتنة للذين كفروا ينفرونهم منه – فتراهم لا يتقون الوسواس الضار الذي يجدونه في خواطرهم كما يجب،وإنما يتبعون في الجن والشياطين تضليل الدجالين والدجالات، كزعمهم أن الشياطين يمرضون الأجساد ويخطفون الأطفال. وأن لهؤلاء الدجالين صلة بهم وتأثيرا في حملهم على ترك الضرر والمساعدة على النفع بشفاء المرضى ورد المفقودين، والحب والبغض بين الأزواج والعشاق، ومن ذلك الزار الذي يخرجون به الشياطين من الأجساد بزعمهم، ولهذه الخرافات مضار ورزايا كثيرة في الأبدان والأرواح والأموال والأعراض. فهي بذلك شبهة كبيرة للماديين على المتدينين المقلدين للجهال والدجالين. والدين لم يثبت للشياطين ما يزعمه الدجالون، ولم يثبت لهم ولا لغيرهم ما يدعونه من التصرف فيهم، وإنما يثبت كتاب الله تعالى للشياطين وسوسة هي من الأسباب العادية للتأثير في القلوب المستعدة لها كتأثير جنة الهوام في الأجساد المستعدة. وأن مقاومة كل منهما في استطاعة الإنسان، وقد أرشده إليه القرآن، وصرح في هذه الآية بأن الشياطين يرون الناس من حيث لا يراهم الناس، وهؤلاء الدجالون ينفون ما أثبت كتاب الله ويثبتون ما نفاه. ويقولون

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٠٦/٨

بغير علم.روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى الجن الذين استمعوا القرآن منه مستدلا بقوله تعالى: (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) (٧٢: ١) ولكن." (١)

"نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فإنك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويقول: يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا لقيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي وقال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه: يا موسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا. فقال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الليل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهة موسى نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، افعل ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (٢: ٥٥) فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا، فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي قد سفهوا أتهلك من ورائي من بني إسرائيل اهـ.أقول: كل ما نقل عن مفسري المأثور في هذه المسألة وأمثالها مأخوذ عن الإسرائيليات غير الموثوق بها؛ إذ ليس فيه شيء مرفوع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وإنما يرجح من بعدهمبعض أقوالهم على بعض بكونه أقرب إلى ظاهر نظم الآيات وأساليبها وتناسبها من غيره، وأما التوراة التي في أيدي أهل الكتاب فقد ذكرت خبر السبعين من شيوخ بني إسرائيل في سياق مناجاة موسى - عليه السلام - لربه كما تقدم، وقد نقلنا المهم منها في ذلك، ومجموع عباراتها مضطربة، ففيها أن السبعين مع موسى وهارون وناداب وابيهو " رأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنفة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذا السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا " (خروج ٢٤: ١٠، ١١) وفيها أن الرب قال لموسى إذا طلب منه رؤية مجده " لا تقدر أن ترى وجهي؛ لأن الإنسان لا يراني ويعيش " ثم ذكر له أنه - أي: الرب - يضعه في نقرة صخرة ويستره بيده حتى يجتاز - أي: الرب - قال " ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يرى " (خروج ٢٣: ١٨ - ٢٣) .وفي سفر العدد وقائع، ذكر فيها غضب الرب على بني إسرائيل لتمردهم وعنادهم، واتهام اللاويين منهم لموسى وهارون بحب الرياسة، والترفع وزعمهم أنهم كلهم مقدسون، والرب في وسطهم، وفيه أن الرب أهلك منهم خلقا كثيرا، وكان موسى يستغيثه ليرفع." (٢)

"(كل المصائب قد تمر على الفتى ... - _ فتهون غير شماتة الأعداء)(هذه علتي وأنت طبيبي ... - _ ليس يخفى عليك في القلب داء)(ولربما انتفع الفتى بعدوه ... - _كالسم أحيانا يكون داء)(الماء يغسل ما بالثوب من درن ... - _

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٢٧/٨

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٨٧/٩

وليس يغسل قلب المذنب الماء)(فقل لمن يدعى بالعلم فلسفة ... – _ حفظت شيئا وغابت عنك أشياء)(نسب أضاء عموده في رفعة ... – _ كالصبح فيه ترفع وضياء)(وشمائل شهد العدو بفضلها ... – _ والفضل ما شهدت به الأعداء)(إذا عهدوا فليس لهم وفاء ... – _ وإن وعدوا فموعدهم هباء)(وإن أرضيتهم غضبوا ملاما ... – _ وإن أحسنت عشرتهم أساءوا)(إلى الماء يسعى من يغص بريقه ... – _ فقل أين يسعى من يغص بماء)(الناس في فطرتهم سواء ... – _ وإن تناهت بهم الأهواء)(وأبق لك الذكر الجميل تدم به ... – _ فما لسوى الذكر الجميل بقاء)(حب الرياسة داء لا دواء له ... – _ كم فيه من محن وطول عناء)(حب الرياسة فت أعضاد الورى ... – _ وأذاق طعم الذل للكبراء)(رأيت الهم في الدنيا كثيرا ... – _ وأكثر ما يكون من النساء)." (١)

"جحودا لا يشكره عليها، بل يكفرها بترك طاعته، وركوبه معصيته، وهكذا إخوانه المبذرون أموالهم فى معاصى الله، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، بل يخالفون أمره، ولا يستنون سنته، ويتركون الشكران عليها ويتلقونها بالكفران.قال الكرخي: وكذلك من رزقه الله جاها أو مالا، فصرفه إلى غير مرضاة الله كان كفورا لنعمة الله، لأنه موافق للشيطان فى الصفة والفعل اه.وفى ذكر وصف الشيطان بالكفران دون ذكر سائر أوصافه، بيان لأن المبذر لما صرف نعم الله عليه فى غير موضعها فقد كفر بها ولم يشكرها، كما أن الشيطان كفر بهذه النعم.وقد كان من عادة العرب أن يجمعوا أموالهم من السلب والنهب والغارة ثم ينفقونها فى التفاخر وحب الشهرة. وكان المشركون من قريش ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن الإسلام وتوهين أهله وإعانة أعدائه، فجاءت الآية تبين قبح أعمالهم.(وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أي وإن أعرضت عن ذوى القربى والمسكين وابن السبيل وأنت تستحى أن ترد عليهم، انتظار فرج من الله ترجو أن يأتيك، ورزق يفيض عليك، فقل لهم قولا لينا جميلا، وعدهم وعدا تطيب به قلوبهم، قال الحسن: أمر أن يقول لهم: نعم وكرامة، وليس عندنا اليوم شيء، فإن يأتنا نعرف حقكم.وفى هذا تأديب من الله لعباده إذا سألهم سائل ما ليس عندهم كيف يقولون وبم يردون؟. ولقد أحسن من قال:إلا يكن ورق يوما أجود به ... للسائلين فإنى لين العودلا يعدم السائلون الخير من خلقى ... إما نوال وإما حسن مردودثم بين سبحانه الطريق المثلى فى إنفاق المال فقال:(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)." (٢)

"ثم أجابهم سبحانه بجواب آخر بقوله:(قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي قل لهم: إن الله لما أظهر المعجزة وفق دعواى كان ذلك شهادة منه على صدقى، ومن شهد له الله فهو صادق، فادعاؤكم أن الرسول يجب أن يكون ملكا تحكم منكم وتعنت.وخلاصة ذلك- إن الله شاهد على وعليكم، عالم بما جئتكم به، فلو كنت كاذبا عليه لا نتقم منى أشد الانتقام كما قال سبحانه: «ولو تقول علينا بعض الأقاويل.لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» .ثم ذكر سبحانه ما هو كالتهديد والوعيد بقوله:(إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) أي إنه محيط بأحوال عباده الظاهر منها والباطن، وأعلم بمن يستحق الإحسان والرعاية، ومن هو أهل للشقاء والضلال.وفى هذا إيماء إلى أنه ما دعاهم إلى إنكار نبوته صلى الله عليه

---

(١) السحر الحلال في الحكم والأمثال أحمد الهاشمي ص/٤

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٥/٣٩

وسلم إلا الحسد وحب الرياسة والتكبر عن قبول الحق، كما أن فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من الإصرار والعناد والإمعان فى إيذائه. ثم أخبر سبحانه بأنه لا معقب لحكمه، ولا سلطان لأحد من خلقه فى شىء فقال:(ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي ومن يهد الله للإيمان به وتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فهو المهتدى إلى الحق، المصيب سبيل الرشد، ومن يضلله لسوء اختياره وتدسيته نفسه، وركوبه رأسه فى الغواية والعصيان كهؤلاء المعاندين، فلن تجد لهم أنصارا ينصرونهم من دونه يهدونهم إلى الحق، ويمنعون عنهم العذاب الذي يقتضيه ضلالهم. (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) أي ونجمعهم فى موقف الحساب بعد تفرقهم فى القبور- عميا وبكما وصما كما كانوا فى الدنيا، لا يستبصرون." (١)

"(وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) أي وكما أن أعمال أهل مكة مزينة لهم جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها، فزين لهم بحسب سننا فى البشر سوء أعمالهم فى عدوان الرسل ومقاومة الإصلاح اتباعا للهوى، واستكبارا فى الأرض. ومجمل القول: إن سنة الله فى الاجتماع البشرى قد قضت أن يكون فى كل عاصمة لشعب أو أمة بعث فيها رسول أو لم يبعث- زعماء مجرمون يمكرون بالرسل وبسائر المصلحين من بعدهم، وهكذا كان الحال فى أكثر أكابر الأمم والشعوب ولا سيما فى العصور التي تكثر فيها المطامع ويعظم حب الرياسة والكبرياء فتراهم يمكرون بالأفراد والجماعات، فيحفظوا رياستهم ويعززوا كبرياءهم كما يمكرون بغيرهم من الساسة والرؤساء إرضاء لمطامع أمتهم وتعزيز نفوذ حكومتهم بين الشعوب والدول. والمراد بالأكابر المجرمين من يقاومون دعوة الإصلاح ويعادون المصلحين من الرسل وورثتهم، وكان أكثر أكابر مكة كذلك، وتخصيص الأكابر بذلك لأنهم أقدر على المكر واستتباع الناس لهم. (وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) أي وما يمكر أولئك الأكابر المجرمون الذين يعادون الرسل فى عصرهم ودعاة الإصلاح من ورثتهم من بعدهم- إلا بأنفسهم. وهكذا شأن من يعادون الحق والعدل ليبقى لهم ما هم عليه من فسق وفساد، لأن سنة الله قد جرت بأن عاقبة المكر السيء تحيق بأهله فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا فبما ثبت فى القرآن من نصر المرسلين وهلاك الكافرين المعاندين، ومن علو الحق على الباطل، ومن هلاك القرى الظالمة، وبما أيده الاختبار ودلت عليه نظم العمران من أن تنازع البقاء يقضى ببقاء الأمثل والأصلح «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» .وقد أشارت الآيات إلى أن هذا كان سنة الله فى الأولين فقال: «ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم." (٢)

"المعنى الجمليبعد أن بين فى السورة أصول الإيمان، وأقام عليها البراهين، وفند ما يورده الكفار من الشبهات، ثم ذكر فى الوصايا العشر أصول الفضائل والآداب التي يأمر بها الإسلام وما يقابلها من الرذائل والفواحش التي ينهى عنها. بين هنا الجزاء العام فى الآخرة على الحسنات وهى الإيمان والأعمال الصالحة، وعلى السيئات وهى الكفر والفواحش ما ظهر منها وما بطن. الإيضاح(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أي من جاء ربه يوم القيامة بالخصلة الحسنة من خصال الطاعات

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٩٨/١٥

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٢٠/٨

التي فعلها وقلبه مطمئن بالإيمان فله عنده عشر حسنات أمثالها من عطائه غير المحدود.وهذه العشر لا يدخل فيها ما وعد به من المضاعفة لمن يشاء على بعض الأعمال كالنفقة فى سبيله، إذ قد وعد بالمضاعفة عليها دون قيد فى قوله: «إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم» ووعد بمضاعفة كثيرة فى قوله: «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة» ووعد بالمضاعفة سبعمائة ضعف فى قوله: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» .وفى هذا إشارة إلى تفاوت المنفقين وغيرهم من المحسنين فى الصفات النفسية كالإخلاص فى النية والاحتساب عند الله والإخفاء سترا على المعطى وتباعدا من الشهرة، والإبداء لحسن القدوة، وتحرى المنافع والمصالح، وما يقابل ذلك من الصفات الرذيلة كالرياء **وحب الشهرة** الباطلة والمن والأذى.." (١)

"أولوا بقية أولوا فضل وخير. أي فلو كان منهم أولوا مراقبة وخشية من انتقام الله.إلا قليلا استثناء منقطع. والمعنى: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تاركون للنهى.ممن أنجينا من، للبيان لا للتبعيض، لأن النجاة انما هى للناهين وحدهم.واتبع الذين ظلموا أي تاركوا النهى عن المنكرات.ما أترفوا فيه أي ما غرقوا فيه من **حب الرياسة** والثروة، ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم.وكانوا مجرمين مغمورين بالآثام.[سورة هود (١١) : الآيات ١١٧ الى ١١٩]وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١١٧) ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١١٩)١١٧- وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون:وما كان وما صح واستقام.ليهلك اللام لتأكيد النفي.بظلم حال من الفاعل.والمعنى: واستحال فى الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما أهلها.وأهلها مصلحون وأهلها قوم مصلحون، تنزيها لذاته عن الظلم، وإيذانا بأن إهلاك المصلحين من الظلم.١١٨- ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين:أمة واحدة أي ملة واحدة، فهو لم يضطرهم الى ذلك ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا.١١٩- إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين:إلا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم.ولذلك خلقهم اشارة الى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه.." (٢)

"وقال هنا أيضا ﴿المرسلين﴾ [الشعراء: ١٢٣] لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لكل الرسل؛ لأنهم جميعا جاءوا بقواعد وأصول واحدة في العقائد وفي الأخلاق.وعاد: اسم للقبيلة، وكانت القبائل تنسب إلى الأب الأكبر فيها، **ولصاحب الشهرة** والنباهة بين قومه، فعاد هو أبو هذه القبيلة، وقد يطلق عليهم بنو فلان أو آل فلان، ثم يذكر لنا قصتهم، ومتى كان منهم هذا التكذيب: ﴿إذ قال لهم أخوهم هود﴾." (٣)

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٨٦/٨

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١١٦/١٠

(٣) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٠٦٣٠/١٧

"الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعي فلا يقبل إلا الحق، كما أن الطفل لا يقبل إلا اللبن، قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ [الإسراء: ٨٢] .وللقلب أمراض أخر: من الرياء، والكبر، والعجب، والحسد، والفخر، والخيلاء، **وحب الرياسة**، والعلو في الأرض. وهذا المرض مركب من مرض الشهوة والشبهةفأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى- فتقواه هي وصية الله للأولين والآخرين وليكن نصب أعينكم دائما العناية بصحة وسلامه قلوبكم لتصلح إراداتها فتصلح أفعالها. وغذوها من الإيمان والقرآن بما يزكيها ويقويها ويفرحها وينشطها. واحرصوا دائما على حمايتها عما يضرها ويؤذيها فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته، وذلك بالإيمان وأوراد الطاعات، وإلى حمية عن المؤذي الضار وذلك باجتناب الآثام والمعاصي وأنواع المخالفات، وتنقيته من كل مادة فاسدة تعرض له، وذلك بالتوبة النصوح واستغفار غافر الخطيئات، لتكمل له السعادة في الحياة وبعد الوفاة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ [النور: ٢١] . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...." (١)

"" فصل " في الوعظ والإرشاداعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الدعوة إلى الله عمل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأن العلماء نواب عن الأنبياء في هذا الأمر الخطير فهم أمناء الله على شرعه والحافظون لدينه القويم والقائمون على حدود الله والعارفون بما يجب لله من كمال وتنزيه.لذلك كان أئمة المسلمين المخلصون في أعمالهم الصادقون في أقوالهم البعيدون عن الرياء **وحب الشهرة** والمدح يسيرون بالخلق نحو سعادتهم بما يعلمونهم من أمور دينهم وبما يرشدونهم إليه من التحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة واعتقد الناس فيهم ذلك وأملوهم له فأحلوهم من أنفسهم محلا لم يبلغه سواهم من البشر حتى اكتسبوا في قلوبهم مكانة يغبطون عليها وربحوا منزلة تصبوا إليها نفوس ذوي الهمة العالية والفضل.وناهيك بقوم إذا فعلوا لحظتهم العيون وإذا قالوا: أصغت الآذان ووعت القلوب وحكت الألسن فهم مطمح الأنظار وموضع الثقة والحجة البالغة والبرهان القاطع والنور الساطع، قال الله تعالى ": ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾شعرا: ... محاسن أصناف الدعاة كثيرة ... وما قصبات السبق إلا لأحمدآخر: ... لا يدرك المجد إلا مخلص ورع ... كثير ذكر لخلاق السماواتمتابع لرسول الله ديدنه ... تلاوة الذكر مع حفظ لأوقاتآخر: ... وأحسن مقرونين في لفظ ناطق ... ثناء على رب العباد وشكرهالمعنى لا أحد أحسن كلاما وطريقة وحالة ممن دعا الناس على طاعة الله وطاعة رسله وذلك بتعليم جاهليهم ووعظ غافلهم ونصح معرضهم ومجادلة مبطلهم بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها والحث عليها وتحسينها وتحبيبها." (٢)

"وهو ما يحسن إلا ما كتب فيه بحثا، إما موضوع الربى أو السرقة أو الخمر مثلا، ولا يجيد غير هذا الموضوع الذي حصل على هذه الشهادة بسببه.بل الفرائض التي نصف العلم لا يجيدها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب، قال: فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا والله أعلم، كما قال بعضهم: لأن المعلمين

---

(١) موضوعات صالحة للخطب والوعظ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ص/١٤٥

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٦/٢

علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله.شعرا: ... لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها ... إذا لم يكن للمبصرين من بصائروبالحقيقة إذا نظرت إلى الأكثرية الساحقة ممن حولك من أساتذة ومدرسي وطلاب وجدت هيبة الإسلام والعلم والعمل والشهامة والرجولة الإسلامية قد نزعت منهم يحلقون لحاهم كاليهود والنصارى والمجوس.ويوفرون شواربهم ويجعلون تواليات، وربما خنفسوا وتجدهم يجالسون الفسقة ويندمجون معهم وبعضهم تجده يشرب أبا الخبائث الدخان وربما فعله أمام الطلاب والعياذ بالله.ولا تجده في الغالب يصلي مع الجماعة ويعامل المعاملة التي لا تليق بمنصبه وتجده يجلس أمام التلفزيون وعند المذياع وأغانيه وعند السينماء والفيديو ونحو ذلك من المحرمات التي قتلت الأخلاق.**ويحب الشهرة** والظهور رياء وسمعة فكيف يخطر بالبال أن مثل هؤلاء يأمرون بمعروف أو ينهون عن منكر، كلا والله إنهم لا يزيلون المنكر عن أنفسهم ولا عن بيوتهم التي فيها من المنكرات ما يدهش الأسماع والأبصار والعقول.." (١)

"عن علمه بتلك الخطيئة، وقبحها وعن كراهتها واجتنابها.وحبها يوقع في الشبهات، ثم في المكروهات، ثم في المحرمات، وطالما أوقع في الكفر، بل جميع الأمم المكذوبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا، فإن الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصي التي كانوا يكتسبون بها الدنيا، حملهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم.فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا، ولا تنس خطيئة الأبوين قديما، فإنما كان سببها حب الخلود في الدنيا، ولا تنس ذنب إبليس وسببه **حب الرياسة**، التي محبتها شر من محبة الدنيا.وبسببها كفر فرعون وهامان وجنودهما، وأبو جهل وقومه، واليهود، فحب الدنيا والرياسة هو الذي عمر النار بأهلها.والزهد في الدنيا والزهد في الرياسة هو الذي عمر الجنة بأهلها.والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر بكثير، وصاحب هذا السكر لا يفيق منه، إلا في ظلمة اللحد، ولو انكشف عنه غطاؤه في الدنيا لعلم ما كان فيه من السكر، وأنه أشد من سكر الخمر والدنيا تسحر العقول أعظم سحر.قال الإمام أحمد: حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت مالك بن دينار يقول: اتقوا السحارة، اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء.شعرا: ... أهل المناصب في الدنيا ورفعتها ... أهل الفضائل مرذولون عندهمقد أنزلون لأنا غير جنسهم ... منازل الوحش في الإهمال بينهمفما لهم في توقي ضرنا نظر ... وما لهم في ترقي قدرنا هممفليتنا لو قدرنا أن نعرفهم ... مقدارهم عندنا أو لو دروه هموالهم مريحان من جهل وفرط غنى ... وعندنا النافعان العلم والهمم." (٢)

"تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تبنش ما فات من رأيك، وترد ما عزب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ .أغفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه، هل تراه إدخر لك خيرا منعوه أو علمك علما جهلوه، بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة، وكلفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك، إن حللت أحلوا، وإن حرمت حرموا، وليس ذلك عندك، ولكن إكبابهم عليك، ورغبتهم فيما في يديك، ذهاب عملهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وطلب **حب الرياسة** وطلب الدنيا منك ومنهم.أما ترى ما أنت فيه من الجهل والعزة،

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٤/٢

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١٨٠/٢

وما الناس فيه من البلاء والفتنة، وابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم وفتنتهم، بما رأوا من اثر العلم عليك، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت، فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره، وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.واعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لآوليائه، الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ((إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة» .فهؤلاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم: ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ .." (١)

"غلام يتيم فنطأطئ رؤوسنا له. فقالوا ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ .السبب الرابع التعجب كما أخبر الله عن الأمم الماضية إذ ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسل والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم.الخامس الخوف من فوت مقصد من المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد وذلك مثل الضرات عند زوجهن والتلاميذ عند الأستاذ والإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين ليتوصل به إلي مقاصد الكرامة والمال وخدام الملك في نيل المنزلة من قلبه.السادس **حب الرياسة** وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلي مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء والمدح واستفزه الفرح بما يمدح به، فإنه لو سمع بنظيرأ له في أقصي أقطار الأرض لساءه ذلك، وأحب موته أو زوال تلك النعمة التي عند الذي يشاركه بها في المنزلة من شجاعة أو علم أو صناعة أو جمال أو ثروة أو نحو ذلك.السابع: خبث النفس وحبها للشر وشحها بالخير لعباد الله، فتجد المتصف بذلك إذا ذكر له اضطراب ونكبات تصيب الناس وإدبارهم وفوت مقاصدهم وتنغيص عيشهم استنار وجهه وفرح به وصار يبثه وربما أتي بإشاعته في صورة الترحم والتوجع فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنه يؤخذ ما أعطاهم الله من ماله وخزانته، على أنه ليس بينه." (٢)

"العلم العزيز المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله ؟ فيما يهتدي به إلي غوامض طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة.قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله ؟ يوما خطا وقال " هذا سبيل الله " ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال " هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ".ثم تلا: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ .وقال أحد العلماء يجب على المؤمن أن يحب العلماء العاملين بعلمهم حقيقة البعيدين عن الانهماك في الدنيا البعيدين عن الرياء **وحب الشهرة** والظهور والوقوع في أعراض الناس الغافلين.السالمين من الحسد والكبر والعجب ويلازم مجالسهم ويسألهم عما أشكل عليه ويتعظ بنصحهم.ويجتنب الأعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ .أي فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم.وإذا فعلتم فعلا فتفطنوا له فإنه ربما يدخل عليكم الرياء، ويزين لكم القبائح والفواحش واستعينوا عليه بربكم، وتعوذوا بالله منه.المهم أنك إذا علمت أن الشيطان لعنه الله لا يغفل عنك أبدا

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤٧٤/٢

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥٧٣/٤

فلا تغفل عمن ناصيتك بيده وهو الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته الزم ذكره وحمده وشكره.فالشيطان عدو مسلط على الإنسان ومقتضي ذلك أن لا يوجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين والإغواء والإضلال.." (١)

"١٢٤- ألأم الناس وأخسهم وأرذلهم أفسقهم.١٢٥- من نسي الله فاستهان بأوامره واقتحم نواهيه ولم يبال بقدرته عليه ونظره إليه وعلمه بسره وعلانيته.١٢٦- الأصحاب المخلصون لله المحبون فيه الداعون إليه قليلون في هذا الزمان.١٢٧- ارج من الله أن يقبل محاسن عملك.١٢٨- الاستماع أسلم من القول لأن القول يخطئ ويصيب.١٢٩- آفة الجود السرف والتبذير.١٣٠- آفة السماحة المنة.١٣١- آفة الشجاعة البغي والتهور والعجب.١٣٢- آفة العقل العجب والكبر.١٣٣- آفة بعض العلماء الكبر **وحب الرياسة** والدنيا.١٣٤- أفضل العمل الصالح أدومه وإن قل والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.(فصل)١٣٥- أعف عن الناس عملا بقوله تعالى: ﴿والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: ١٣٤] .١٣٦- الاقتصاد سبيل الرشاد.١٣٧- الاقتصاد ينمي اليسير بإذن الله.١٣٨- اغتنم الفرصة في طاعة الله فالوقت لا يعود.١٣٩- أكثر محادثة من يخبرك عن عيوبك إن كان ناصحا.." (٢)

"ابن صفوان، والجعد بن درهم، مستمسكين بشبه فلسفية، لا تتفق مع آي القرآن والأحاديث الصحيحة، ومعتقد الصحابة والتابعين، والأئمة المهتدين، رضوان الله عليهم أجمعين.٦- إنكاره للبدع:أنكر الشيخ البدع والمحدثات في الفروع، كالاحتفال بالمولد، والتذكير قبل الأذان، والصلاة على الرسول بعد الأذان جهرا، والتلفظ بالنية، وقراءة حديث أبي هريرة، عند صعود الخطيب على المنبر.كما أنكر طرائق الصوفية المبتدعة، وما إلى ذلك من المبتدعات التي لم يرد في استحبابها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه.وقد ألف العلماء قبل الشيخ في إنكار البدع والمحدثات، كابن وضاح، والطرطوشي، والشاطبي.افتراء أعداء الشيخ عليه بما هو برئ، وتلقيب أتباعه بالوهابية:لما دعاهم الشيخ إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك ووسائله، والبدع والخرافات والأوهام.وكان الأكثرون من أهل نجد وسائر الأقطار قد انغمسوا في حمأة تلك الرذائل، وورثوها عن آبائهم السالفين، تربى عليها الصغير، وهرم عليها الكبير؛ رأوا بفاسد فكرهم أن فيما يدعو إليه الشيخ تهجينا بهم، ونسبتهم إلى الجهل والإشراك، وإزراءا بآبائهم، ولا سيما أدعياء العلم، رأوا أنهم إن اتبعوه انحط مقامهم، وصغر شأنهم عند العامة، حيث إن العوام سيقولون: إن هؤلاء كانوا يزعمون بأنهم علماء، هادون إلى الخير، وكانوا يتصدرون للفتوى وللتعليم، وقد أتى هذا الشيخ وأبان جهلهم وفساد عقائدهم، وأنهم ليسوا على شيء، إلى غير ذلك مما أملاه عليهم الشيطان، وقادهم إليها الهوى، **وحب الرياسة**، إلى أن يستكبروا عن قبول الحق، وتسلحوا بسلاح الجدل والمكابرة.." (٣)

"حين كتب " السعادة والإسعاد " لجأ إلى اقتباس كثير مما ورد في " الأدب الكبير " دون أن يسميه (١) . ومثل ذلك يمكن أن يقال في كثير من الكتب التي ترجمت عن الفرس كعهد أردشير وكتاب الآيين وكتاب التاج في أخلاق الملوك وغيرها، فأن معظمها أصبح " معتمد " المرشحين لولاية الأمور، وقد عرفنا أن عهد أردشير كان مما يؤخذ أولياء العهود

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤/٦١٠

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢/٤٠٧

(٣) محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه أحمد بن حجر آل بوطامي ص/٤٧

بدراسته والتعمق فيه مع أن أساسه قائم على طبقية مصمتة لا مجال لتخطيها، وشيء من وصولية عملية، وإنكار تام لمصطلح " العدالة " والاستغناء عنه بمصطلح " الحزم ".وكان من جراء الإتمام الكبير بهذا اللون من الفكر أن أقبل الناس فيه على الترجمة والتأليف إقبالا كبيرا، فبعد عبد الحميد وابن المقفع نجد طاهر بن الحسين يكتب عهدا لابنه عبد الله حين ولاه المأمون ديار ربيعة، وينال العهد إعجاب المأمون فيأمر باستنساخه وتفريقه في الأمصار (٢) ، ونجد عمارة بن حمزة يكتب رسالة " الخميس " وهي التي كانت؟كما يقول ابن خلكان - تقرأ لبني العباس (٣) .ويستمر الأمر على ذلك، فينتزع ابن الداية مما زعم أنه رموز كتاب السياسة لأفلاطون ثلاثة عهود، ويطول بنا القول لو شئنا أن نحصر الإسهام في هذا الحقل عل مر الزمن، ولكن حين نرصد الظاهرة نفسها نستطيع أن نتبين جهدا آخر في هذا النطاق يتمثل في أمرين: أولهما صياغة الحكمة السياسية الأخلاقية في أقوال تسير بين الناس ويسهل حفظها، كما فعل أبو الحسن علي بن محمد الصغاني صاحب كتاب " الفرائد والقلائد في الاستعانة على حسن السياسة " (٤) .____________(١) انظر نماذج من ذلك في الصفحات: ٣٨٠، ٣٨١، ١٤٩، ١٤٦، ١٦٠؟ الخ حيث تم النقل عن الأدب الكبير دون أن يذكر بالاسم.(٢) ابن أبي طاهر: كتاب بغداد: ٣٤.(٣) ابن خلكان ٤: ٣٢.(٤) اقتبس منه أسامة بن منقذ في لباب الآداب: ٦٧ وما بعدها، ومن نماذجه، آفة الملوك سوء السيرة، وآفة الوزراء خبث السرسرة.. وآفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرياسة.. الخ " وقد ورد ذكر الكتاب في نصيحة الملوك للغزالي: ١٦٣ (من الترجمة الفارسية) منسوبا لأبي الحسن علي بن الأهوازي الحنفي ويعتقد المحقق أنه معاصر للثعالبي. (نصيحة الملوك تحقيق أستاذ جلال الدين همائي، طهران: ١٣٥١) والأهوازي المذكور ربما كان هو نفسه مؤلف كتاب " التبر المنسك في تدبير الملك " (مطبعة التمدن، القاهرة ١٩٠٠) .." (١)

"ابن الخطاب رضي الله عنه قال: "إياكم والطمع، فإن الطمع فقر واليأس غنى، وفي العزلة راحة من خلاط السوء"، وكان سعيد بن المسيب يقول: "العزلة عبادة"، وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك والنجاة في تركهم فيما نرى، وإياك والأمراء والدنو منهم، وأن تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلوم أو مظلمة، فإن تلك خدعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلما.وكان يقال: فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وما كفيت المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله وينشر قوله أو يسمع منه، وإياك وحب الرياسة، فإن من الناس من تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء، واحذر الرياء فإن الرياء أخفى من دبيب النملوقال حذيفة: "سيأتي على الناس زمان يعرض على الرجل الخير والشر فلا يدري أيما يركب"، وقد ذكر عن." (٢)

"وقال- سبحانه- أم تحسب أن أكثرهم ... لأن هناك قلة منهم كانت تعرف الحق معرفة حقيقية، ولكن المكابرة والمعاندة ومتابعة الهوى.. حالت بينها وبين الدخول فيه، واتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.وقوله- سبحانه-: إن

---

(١) ملامح يونانية في الأدب العربي إحسان عباس ص/١٢٦

(٢) صفحات مشرقة من حياة السلف - سفيان الثوري محمد بن مطر الزهراني ص/١٢٨

هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ذم لهم على عدم انتفاعهم بالهداية التي أرسلها الله- تعالى- إليهم.أى: هؤلاء المشركون ليسوا إلا كالأنعام في عدم الانتفاع بما يقرع قلوبهم وأسماعهم من توجيهات حكيمة، بل هم أضل سبيلا من الأنعام: لأن الأنعام تنقاد لصاحبها الذي يحسن إليها، أما هؤلاء فقد قابلوا نعم الله بالكفر والجحود.قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ما معنى ذكر الأكثر؟ قلت: كان فيهم من لا يصده عن الإسلام إلا داء واحد، وهو **حب الرياسة**، وكفى به داء عضالا.فإن قلت: كيف جعلوا أضل من الأنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وتهتدى لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم، من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك.. «١» .وهكذا نرى الآيات الكريمة تصف هؤلاء المستهزئين برسولهم صلى الله عليه وسلم بأوصاف تهبط بهم عن درجة الأنعام، وتتوعدهم بما يستحقونه من عذاب مهين.ثم تنتقل السورة بعد ذلك إلى الحديث عن مظاهر قدرة الله- تعالى- وعن جانب من الآلاء التي أنعم بها على عباده، فإن من شأن هذه النعم المبثوثة في هذا الكون، أن تهدى المتفكر فيها إلى منشئها وواهبها وإلى وجوب إخلاص العبادة له، قال- تعالى-:[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٥ الى ٥٤]ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (٤٥) ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا (٤٦) وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا (٤٧) وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا (٤٨) لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا (٤٩)ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا (٥٠) ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (٥١) فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا (٥٢) وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (٥٣) وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا (٥٤)________________(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢٨٢.."
(١)

"ولا شك أن إيماننا بذلك لا يعاب ولا ينكر، بل يمدح ويشكر، ولكن لأن أكثركم فاسقون- أى: خارجون عن دائرة هذا الايمان الحق- كرهتم منا ذلك، وأنكرتموه علينا، وحسدتمونا على توفيق الله إيانا لما يحبه ويرضاه.وقال الجمل ما ملخصه: وقوله: إلا أن آمنا مفعول لقوله تنقمون بمعنى تكرهون.وهو استثناء مفرغ. وقوله: منا متعلق به. أى ما تكرهون من جهتنا إلا الإيمان بالله وبما أنزل إلينا وأصل نقم أن يتعدى بعلى. تقول: نقمت عليه بكذا. وإنما عدى هنا بمن لتضمنه معنى تكرهون وتنكرون.وقوله: وأن أكثركم فاسقون يحتمل أن يكون في محل رفع أو نصب أو جر فالرفع على أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أى: وفسقكم ثابت عندكم، لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن **حب الرياسة** وجمع الأموال حملكم على العناد.والنصب على أن يكون معطوفا على قوله أن آمنا ولكن الكلام فيه مضاف محذوف لفهم المعنى. والتقدير: واعتقاد أن أكثرهم فاسقون وهو معنى واضح فإن الكفار ينقمون اعتقاد المؤمنين أنهم- أى الكفار- فاسقون- أى: ما تعيبون منا إلا إيماننا بالله وما أنزل إلينا.واعتقادنا أن أكثرهم فاسقون..وأما الجر فعلى أن يكون معطوفا على علة

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٠٢/١٠

محذوفة والتقدير: ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل. لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم شهواتكم» «١» .هذا ومن بلاغة القرآن الكريم، وإنصافه في الأحكام، واحتراسه في التعبير أنه لم يعمم الحكم بالفسق على جميعهم. بل جعل الحكم بالفسق منصبا على الأكثرين منهم، حتى يخرج عن هذا الحكم القلة المؤمنة من أهل الكتاب.وشبيه بهذا قوله في آية أخرى: منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون قال بعض العلماء: في الآية تسجيل على أهل الكتاب بكمال المكابرة والتعكيس، حيث جعلوا الإيمان بما ذكر، موجبا للنقمة، مع كونه في نفسه موجبا للقبول والرضا. وهذا مما تقصد العرب في مثله تأكيد النفي والمبالغة فيه بإثبات شيء وذلك الشيء لا يقتضى إثباته فهو منتف أبدا. ويسمى مثل ذلك عند علماء البيان تأكيد المدح بما يشبه الذم وبالعكس. فمن الأول قول القائل:ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٥٠٥.." (١)

"لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما، كقوله: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، وإنما يخرجان من أحدهما وهو الماء الملح دون العذب.قال أبو السعود: والمعنى: ألم يأتكم رسل من جملتكم: لكن لا على أنهم من جنس الفريقين معا بل من الإنس خاصة، وإنما جعلوا منهما إما لتأكيد وجوب اتباعهم، والإيذان بتقاربهما ذاتا، واتحادهما تكليفا وخطابا. كأنهما من جنس واحد، ولذلك تمكن أحدهما من إضلال الآخر، وإما لأن المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل، وقد ثبت أن الجن استمعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنذروا بما سمعوه. أقوامهم، إذ حكى القرآن عنهم أنهم ولوا إلى قومهم منذرين وأنهم قالوا لهم: إنا سمعنا قرآنا عجبا «١» .وقال صاحب المنار، وجملة القول في الخلاف أنه ليس في المسألة نص قطعى، والظواهر التي استدل بها الجمهور يحتمل أن تكون خاصة برسل الإنس، لأن الكلام معهم، وليست أقوى من ظاهر ما استدل به من قال إن الرسل من الفريقين. والجن عالم غيبي لا نعرف عنه ألا ما ورد به النص. وقد دل القرآن وكذا السنة على رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، فنحن نؤمن بما ورد ونفوض الأمر فيما عدا ذلك إلى الله- تعالى-» «٢» .ثم يحكى القرآن أنهم قد شهدوا على أنفسهم بالكفر فقال: الوا شهدنا على أنفسناأن الرسل قد بشرونا وأنذرونا، ولم يقصروا في تبليغنا وإرشادنا.وقوله- سبحانه- غرتهم الحياة الدنياأى غرهم متاع الحياة الدنيا من الشهوات والمال والجاه وحب الرياسة، فاستحبوا العمى على الهدى، وباعوا آخرتهم بدنياهم. شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرينأى: شهدوا على أنفسهم عند ما وقفوا بين يدي الله للحساب في الآخرة أنهم كانوا كافرين في الدنيا بما جاءتهم به الرسل.قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ما لهم مقرين في هذه الآية- على أنفسهم بالكفر- جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين؟ قلت. يوم القيامة يوم طويل، والأحوال فيه مختلفة فتارة يقرون واخرى يجحدون، وذلك يدل على شدة خوفهم واضطراب أحوالهم، فإن من عظم خوفه كثر الاضطراب في كلامه. أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم. فإن قلت: لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم؟ قلت:الأولى: حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون.______________(١) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ١٣٧.(٢) تفسير المنار ج ٨ ص ١٠٧.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٠٧/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١٨١/٥

"(﴿والصلاة﴾) أي: بالالتجاء إليها، فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية والمالية من الطهارات، وستر العورة، وصرف المال فيهما، والتوجه إلى الكعبة، والعكوف للعبادة، وإظهار الخشوع بالجوارح، وإخلاص النية بالقلب، ومجاهدة الشيطان، ومناجاة الحق، وقراءة القرآن، والتكلم بالشهادتين، وكف النفس عن الأطيبين، ولما كان فيها هذه الخصائل كانت معونة على ما تنازع إليه النفس من **حب الرياسة** وغيرها، وعلى ما تكرهه من البلايا.وقيل: المراد بالصبر في الآية الصوم الذي هو صبر على المفطرات؛ لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس، قاله مجاهد.(﴿وإنها﴾) أي: الاستعانة بهما أو الصلاة، وتخصيصها برد الضمير إليها؛ لتعظيم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر (﴿لكبيرة﴾) شديدة ثقيلة[ج ٦ ص ٣٢٦]شاقة (﴿إلا على الخاشعين﴾) المتواضعين المخبتين الذليلة قلوبهم، قيل: الخاشع الذي يرى أثر الذل والخضوع عليه، والخشوع في اللغة: السكون، قال الله تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ [طه: ١٠٨].وقيل: الخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع، وقيل: الخشوع في الصوت والبصر والخضوع في البدن. وأخرج أبو داود بإسناد حسن عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى.وروى الطبري في «تفسيره» بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه نعي أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام وهو يقول: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾. ومن أسرار الصلاة أنها تعين على الصبر؛ لما فيها من الذكر والدعاء والخضوع، كما مر.وقال الطبري: الصبر منع النفس محابها، وكفها عن هواها، ولذلك قيل لمن لم يجزع: صابر؛ لكفه نفسه، وقيل لرمضان: شهر الصبر؛ لكف الصائم نفسه عن المطعم والمشرب.==================." (١)

"(إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع) بفتح الفاء المشددة؛ أي: لم تقبل شفاعته إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث يفنى بكليته في نفسه لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس، بل يكون عند الله وجيها وشفيعا مشفعا.وفيه: الحث على ترك **حب الرياسة** والشهرة، وفيه: فضل الخمول والتواضع.(فتعسا كأنه يقول: أتعسهم الله) كذا وقع في رواية المستملي، وهو على عادة البخاري في شرح اللفظة التي توافق ما في القرآن فيفسرها، وهكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿والذين كفروا فتعسا لهم﴾ [محمد: ٨]، وقد مر الكلام فيه مستوفى. وقد وقع في بعض الروايات قبل قوله: ((فتعسا... إلى آخره)): (٢)ولا يذهب عليك أنه لا وجه له، بل محله فيما قبل، كما تقدم.(طوبى فعلى من كل شيء طيب، وهي ياء حولت إلى الواو، وهي من يطيب) هذا أيضا وقع في رواية المستملي، والكلام فيه كالذي قبله فسره بهذا، وقد مر تفسير غيره بالجنة وشجرة فيها.ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: ((إن كان في الحراسة كان في الحراسة)) وقد أخرجه المؤلف في الرقاق [خ¦ ٦٤٣٥] والزهد أيضا [١].فائدة: ورد في فضل الحراسة عدة أحاديث ليست على شرط البخاري:منها: حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعا: ((حرس ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها)) أخرجه ابن ماجه والحاكم.[ج ١٣ ص ٤٠٠]ومنها: حديث سهل بن معاذ، عن أبيه مرفوعا: ((من حرس وراء المسلمين متطوعا لم ير النار

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٢٩٨

(٢) قال أبو عبد الله: لم يرفعه إسرائيل ومحمد بن جحادة عن أبي حصين

بعينه إلا تحلة القسم)) أخرجه أحمد.ومنها: حديث أبي ريحانة مرفوعا: ((حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله)) أخرجه النسائي، ونحوه للترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.وللطبراني من حديث معاوية بن حيده، ولأبي يعلى من حديث أنس، وإسناده حسن، وللحاكم عن أبي هريرة نحوه، والله تعالى أعلم.=========[١] لم أجده في الزهد.==================." (١)

"يصف له حالة المسلمين بالمستقبل بوحي من الله حتى يقول له حذيفة فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها قلت أي حذيفة) صفهم لنا قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. ثم يقول حذيفة للرسول صلى الله عليه وسلم: فما تأمرني ان ادركني ذلك؟قال: تلزم جماعة المسلمين وامامهم ثم قال حذيفة:فان لم يكن لهم جماعة ولا امام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك " بهذا كان يوصيهم لعلمه ما للجماعة من الاهمية في ازالة الباطل. ولكن الجماعة ليست آخر دواء لمحاربة عدو الله والانتصار عليه انما تتبعها ادوية كثيرة لعلاج ما يستجد من امراض خلال ممارسته العمل الجماعي وكذلك لتقوية النفس على تحمل عبء هذا الطريق الصعب وتزكيتها." قد افلح من زكاها" من هذه الادوية - المحاسبة ...المحاسبةولقد اعد هذا الدواء نتيجة للامراض التي يلاقيها الداعية خلال ممارسته العمل الجماعي من العجب والرياء **وحب الرياسة** والكبرياء عن اخذ النصيحة وما شابه كل ذلك يزرعه عدو الله في طريق الداعية ليجعله يحيد عن الطريق فتقطع الجذور وتتوقف الأثمار ...فكان من واجبات الداعية ان يتجرع هذا الدواء بين كل آونة واخرى يراجع نفسه ويصفيها مما علق بها من شوائب ويعزم ان يصقلها بالاخلاص والاقلاع عما علق في نفسه ...." (٢)

"الحاسد، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ (الفلق: ٥). وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ (النساء: من الآية٥٤). قال ذلك عن الكفار. وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - موجها أمته: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا» (رواه البخاري ومسلم).والحسد يفضي بصاحبه إلى اغتياب المحسود وشتمه وقد يتلف ماله أو يسعى في سفك دمه، وكل ذلك مظالم يقتص منها في الآخرة ويذهب في عوض ذلك حسنات.٦ - التنافس على الدنيا:خاصة التنافس المذموم المؤدي إلى الوقوع في المحرمات فهذا يحقد على زميله لأن راتبه أكثر منه أو لكونه نال رتبة أعلى، وتلك تغار من أختها لأنها تزوجت قبلها، وهذا يكيد لجاره لكون منزله أفضل من منزله والأمر دون ذلك فكل ذلك إلى زوال.وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابهافإن تجتنبها كنت سلما لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابهاوعن عمرو بن عوف سدد خطاكم أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: " والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم " (رواه البخاري ومسلم).٧ - **حب**

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١١١٢٩

(٢) البيان في مداخل الشيطان عبد الحميد البلالي ص/١٧٣

الشهرة والرياسة:وهي الداء العضال والمرض الخطير، قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم أفسد لها من حرص المرء على المال والشرف، لدينه» (رواه الإمام أحمد في المسند، وصححه الألباني والأرنؤوط).." (١)

"والمراد من الحديث أن الحرص على المال والشرف، وهو الجاه والمنصب، أكثر إفسادا للدين من إفساد الذئبين للغنم، لأن ذلك الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره، وذلك مذموم لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعا.قال الفضيل بن عياض – رحمه الله –: «ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير».حب الرياسة داء يخلق الدنيا ... ويجعل الحب حربا للمحبينايفري الحلاقم والأرحام يقطعها ... فلا مروءة تبقى لا ولا دينا(يخلق الدنيا): يفسدها، (يفري): يشق، (الحلقوم): تجويف خلف تجويف الفم، وهي مجرى الطعام والشراب والنفس، والجمع حلاقم وحلاقيم. والمعنى أنه يؤدي إلى قتل النفوس وإزهاق الأرواح.٨ – كثرة المزاح:فإن كثيره يورث الضغينة ويجر إلى القبيح والمزاح كالملح للطعام قليله يكفي وإن كثر أضر وأهلك.لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحا تضاف به إلى سوء الأدبواحذر ممازحة تعود عداوة ... إن المزاح على مقدمة الغضبوقال ميمون بن مهران – رحمه الله – ‘‘ إذا كان المزاح أمام الكلام كان آخره اللطم والشتام».." (٢)

"مال ١ كثير ٢ يزيد على سبعين ألف ريال في التقدير، فوقع عليه بعد أيام انكسار وإفلاس وتغيير، ولم يكن عنده ما يقابل شطر الذي عليه فهرب إليه مستجير ٣، فلم يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولا صغير ولا كبير، وترك بيته وما فيه من مال ولم يرزأ في قليل ولا كثير حتى اجتمع التجار ورأو له منهج الأنظار والتيسير وجعلوا ذلك عليه نجوما في سنين على التأخير، وكان بعض أهل الدين بذلك الحال مشيرا.وأما ما في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التي ينزه الإنسان عن ذكرها وتعديدها ٤ خصوصا عند قبور الصلحا والعباد من ساداتها وعبيدها كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار وتوكيدها، فيأتون قبر أحمد البدوي ٥ وكذا قبور غيره من العباد وسائر ترب المشهورين بالخير والزهاد فيستغيثون ويندبون، ويجعلونهم بالإمداد، ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والإنكار ويتداولون بينهم حكايات وينسبون عنهم قضيات ويحكون في محافلهم ماجريات ٦ من أفحش المنكر والضلالات ، فيقولون: فلان استغاث________________١–الصواب: مالا.٢–الصواب: كثيرا.٣–الصواب: مستجيرا.٤–الصواب: تعادها.٥–أحمد البدوي: هو أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي المتصوف صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب، ولد بفاس سنة "٥٩٦هـ–١٢٠٠م" وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس ... وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، توفي ودفن في طنطا سنة"٦٧٥هـ–١٢٧٦م" "الأعلام١/١٧٥" باختصار.٦–لعل الصواب أن يقول: مجريات أو ما جرى، إلا أن السجع المفتعل الواضح في أسلوب ابن غنام رحمه الله دفعه لاستخدام كلمات غير صحيحة لغويا مراعاة لتوافق الفواصل.." (٣)

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٥٩١/٢

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٥٩٢/٢

(٣) احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) مرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة ص/٥٢

"نسيب أرسلان١٢٨٤ - ١٣٤٦ هـ / ١٨٦٧ - ١٩٢٧ منسيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان.شاعر، من الكتاب المفكرين، من نوابغ الأمراء الأرسلانيين، ولد في بيروت، وتعلم بالشويفات، ثم بمدرسة الحكمة ببيروت، وأولع بشعر الجاهليين والمخضرمين، فحفظ كثيرا منه، وقال الشعر وهو في المدرسة، فنظم (واقعة سيف بن ذي يزن مع الحبشة) في رواية ذات فصول، وأتم دروسه في المدرسة السلطانية ببيروت. وعين مديرا لناحية الشويفات (بلبنان) فأقام نحو عشر سنوات، محمود السيرة، واستعفى، وسكن بيروت. ولما أعلن الدستور العثماني انتخب رئيسا لنادي جمعية الاتحاد والترقي في بيروت. ثم نقم على الاتحاديين لسوء سيرتهم مع العرب، فانفصل عنهم، وانضم إلى طلاب (اللامركزية) وأخذ ينشر آراءه في جريدة (المفيد) البيروتية، فكان لمقالاته فيها أثر كبير في الحركة العربية، ثم استمر مدة يلاحظ تحرير تلك الجريدة متطوعا. كان مجلسه في مكتبها مجمع الكتاب والادباء وقادة الرأي. ولما نشبت الحرب العامة (سنة ١٩١٤م) انقطع عن أكثر الناس ولزم بيته. ثم انتقل إلى الشويفات (سنة ١٩١٥) وانصرف إلى استثمار مزارعه ومزارع شقيقيه شكيب وعادل، ولم يزل في انزوائه إلى أن توفي، وكان أديبا متمكنا، جزل الشعر، حلو المحاضرة، سريع الخاطر في نكتته وإنشائه، بعيدا عن حب الشهرة، يمضي مقالاته في المفيد باسم (عثماني حر) .." (١)

"- حب الرياسة داء لادواء له ... وقلما تجد الراضين بالقسمشاعر." (٢)

"* وثقه أبو زرعة وابن حبان، وله في البخاري حديث. خصائص علي/ ٨٨ح٤٩٨٨٠ - أيوب بن إبراهيم الثقفي: جزم الذهبي بأنه مجهول مع توثيق ابن حبان إياه. تنبيه ١٢/ رقم ٤٩٩٢٣٩٨ - أيوب بن أبي تميمة: كيسان السختياني، أبو بكر البصري. وهومن أقران يحي بن أبي كثير، الذي روى عنه هذا الحديث. أخرج له الجماعة.* وهو ثقة نبيل، أحد الفحول. قيل لأحمد: "تقدم أيوب على مالك؟ قال: نعم! "* وقال وهب لمالك: "ليس أحد أحفظ عن نافع من أيوب؟ " فتبسم!* وقال مالك: كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكى حتى نرحمه.*ومن غرر كلامه: "ما صدق عبد قط، فأحب الشهرة".* وقد وثقه الجمع، ولا أعلم لأحد فيه جرحة. وقد قال أبو حاتم: "ثقة لا يسأل عن مثله". بذل الإحسان ١/ ٣٨٨* ولعل التقصير في وصله من أيوب؛ فقد كان شديد العواء في رفع الحديث، وقد ورث هذا من شيخه محمد بن سيرين، رحمهما الله تعالى. الفتاوى الحديثية / ج ٣/ رقم ٢٨١/ رجب / ١٤٢٣؛ التوحيد / رجب/ ١٤٢٣* أحد الأثبات في نافع. قيل لمالك: "أيوب أثبت منك في نافع؟ " فتبسم! الفتاوى الحديثية / ج ٢/ رقم ١٩٦/ ذو الحجة / ١٤١٩* أيوب السختياني: ثقة ثبت. غوث المكدود ٢/ ٦٥ ح ٤٢٨* ابن علية وحماد بن زيد من أثبت الناس في أيوب. حديث الوزير/ ١٢٧ح٧٧." (٣)

"قال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى ورضي عنه - في سير أعلام النبلاء (١): عن عبد الرحمن بن مهدى عن طالوت: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدق الله عبد أحب الشهرة.قلت (أي الذهبي رحمه الله): علامة المخلص الذي قد يحب

---

(١) معجم الشعراء العرب - ص/٢٢٣٠

(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي أحمد قبش ١٤١/٤

(٣) نثل النبال بمعجم الرجال أبو إسحق الحويني ٢٧٧/١

الشهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك لا يحرد، ولا يبرئ نفسه، بل يعترف ويقول: رحم الله من أهدى إلى عيوبي، ولا يكن معجبا بنفسه، لا يشعر بعيوبها، بل يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داء مزمن " أهوما أغلاه من كلام، وصدق من قال: الذهبي ذهبي الكلام، حقا إنه كلام أغلى من الذهب، فالمخلص إذا اتهم لم يكابر، لم يشمخ بأنفه، ولم تأخذه العزة بالإثم فيقول: أنا .. أنا .. أنا، وإنما يخضع ويذعن، ويخاف ويخشى، ويتهم نفسه، ويسيء الظن بها، ويقول: ويلى، وويل أمي، إن لم يرحمني ربي.وعن الفضيل بن عياض قال: يا مسكين، أنت مسيء وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخل وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلك قصير، وأملك طويل.قال الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ: " قلت: إي والله صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم، وآكل للحرام وترى أنك متورع، وفاسق وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله ". (٢) ـــــــــــــــــــــــ(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٩٣)فائدة: وهذا الكتاب من أفضل كتب التربية بعد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودائما ما ننصح طلبة العلم بالنظر فيه، وتتبع أخبار السلف، ومحاولة التأسي بهم ،(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٠).." (١)

"وأنت ـ أيها المتفقه ـ لابد لك من التعالي عن سفاسف الأمور، وأخذ الأهبة، والتحلي بإرادة لا يفلها الحديد، فأنت مقدم على أمر عظيم حاله، خطير شأنه، أنت مقدم لوراثة الأنبياء، والارتقاء لمراتب الأولياء الأصفياء، فلا يصلح لصاحب هذه المنزلة أن يحوم حول حطام الدنيا الزائف، ويجول قلبه في خيالات المحال والبهتان، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة تتلاعب به كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، فهذه بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية، ليست لها همة تنال بها الحقائق.فأصحاب الهمم السفلية تراهم يتكالبون على الحظوظ الفانية، من الجاه والسلطان، **وحب الرياسة**، والتطواف في البلدان لجمع الأموال والأثمان، أو الظفر بامرأة، ويظل مشغول القلب بأمانيه الزائفة، وتراه حائما في الأرض حيران يتمثل صورة مطلوبة في نفسه، وقد التذ بالظفر بها، فبينما هو على هذه الحال إذ استيقظ فإذا يده والحصير.أما أصحاب الهمم العالية فيخبرك ابن القيم بحالهم يقول: وصاحب الهمة العالية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان، والعمل الذي يقربه إلى الله، ويدنيه من جواره، فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خدع وغرور. (١) ـــــــــــــــــــــــ(١) المدارج (١/ ٤٥٧ - ٤٥٨) بتصرف يسير.." (٢)

"وواجب المربي أن يصلح هذه الانحرافات حتى وإن كانت نبتت في مرحلة الطفولة، ولم تقوم في موعدها المناسب هناك. ففترة الشباب الباكر بخصوبتها الفائقة صالحة لتقويم ما لم يقوم من قبل، بتنمية الاتجاهات السليمة ذات الجذور الموجودة في أصل الفطرة.ويملك المربي -وخاصة في المدرسة- وسائل كثيرة لتقويم هذه الانحرافات إن كانت موجودة، ولتنمية القدرة على التعاون الجماعي المثمر. وحياة المعسكرات من أنجع وسائل التربية في هذا الشأن -والشباب يحب المعسكرات بطبيعته- فإنه لا يمكن أن يظل شاب على جموده أو عزوفه حين يرى الباقين كلهم يقومون بالأعمال المطلوبة منهم في المعسكر. إنما يخجل من موقفه ويضطر ولو كارها في مبدأ الأمر أن يعمل. حتى يتعود أن يعمل بغير تضجر ولا كراهية.

---

(١) منطلقات طالب العلم محمد حسين يعقوب ص/٩٩

(٢) منطلقات طالب العلم محمد حسين يعقوب ص/١١٤

وسيجد الآخرين –وهم زملاء على نفس الدرجة ونفس المستوى– يقدمون له الخدمات فيستحي ألا يقدم لهم الخدمات بدوره. وهكذا يتعود على التعاونحتى يصبح سجية فيه.**وحب الرياسة** والسيطرة يمكن علاجه كذلك في تلك الفترة، حتى وإن كان الشاب قد مرد عليه من أيام الطفولة أو المراهقة، وليس من الضروري أن تكون وسيلة العلاج هي التحطيم! فهذه آخر الوسائل جميعا، حين تفشل الوسائل "السلمية" كلها في العلاج! إنما أنجع الوسائل هو أن يعهد إلى مثل هذا الشاب بتحمل المسئولية. مسئولية حقيقية جادة، ويكون مسئولا عنها أمام المربي الذي يتولى الإشراف عليه. عندئذ سيحس أن المسألة ليست هي "المريسة" الفارغة إنما هي القيام بالمسئولية على وجهها الأكمل الذي لا يعرضه للوم، ولا يعرض ذاته التي يعتز بها للحرج. وبذلك يصل المربي إلى هدفين طيبين بإجراء واحد، هما ضبط هذا الشعور المنحرف وتقويمه، وتعويد الشاب كذلك على تحمل التبعات. وكلاهما خير.أما الشاب الذي يحجم عن التعاون مع الآخرين بسبب انطوائه على نفسه وعزلته فينبغي تشجيعه تدريجيا على الخروج من عزلته ومشاركة زملائه حتى يأنس إلى ذلك ويتعود عليه.ومن وسائل الترابط في المجتمع المسلم كذلك الأمر بالمعروف والنهي." (١)

"الواقعة التي سقناها لبيان إمكانية وجود لغة أدبية تجمع بين الشماليين والجنوبيين، مقبولة ومقنعة، فهي هنا تكون دلالتها أقوى، وإقناعها أشد، وقبولها أوجب. ومن ثم، فلم يكن هناك ما يمنع من أن تتحد جميع هذه القبائل في اللغة الأدبية، خصوصا أن الإنسان دائما مدفوع بغريزته إلى **حب الشهرة** وبعد الصيت، والأدباء بالذات يحب كل منهم أن تشيع نصوصه في الآفاق، وتجري كلماتها على كل لسان في كل مكان. وهذا يستلزم الاتحاد في التعبير الأدبي ليكون المجال أمام النصوص الأدبية مفتوحا، وكلما اتسع نطاق هذه الوحدة كانت الشهرة أكبر وأعظم.ومع ذلك يسوق الدكتور طه حسين دليلا آخر ليؤيد به اعتقاده أن أدب الجاهليين الشماليين مصنوع ومنحول، فيسوق مسألة تعدد القراءات في القرآن، ويقول٦٤: "إن القرآن الذي تلي بلغة واحدة، ولهجة واحدة، هي لغة قريش ولهجتها، لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته، وتعددت اللهجات فيه، وتباينت تباينا كثيرا، جد القراء والعلماء المتأخرون في ضبطه وتحقيقه، وأقاموا له علما أو علوما خاصة. ولسنا نشير هنا إلى هذه القراءات التي تختلف فيما بينها اختلافا كثيرا في ضبط الحركات سواء أكانت حركات بناء أو حركات إعراب.. إنما نشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل، ويسيغه النقل، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي وعشيرته من قريش، فقرأته كما كانت تتكلم، فأمالت حيث لم تكن قريش تميل، ومدت حيث لم تكن تمد، وقصرت حيث لم تكن تقصر، وسكنت حيث لم تكن تسكن، وأدغمت أو أخفت أو ثقلت حيث لم تكن تدغم ولا تخفي ولا تثقل". ثم يقول: "وليست هذه القراءات بالأحرف: جمع حرف، والحرف. اللغة، فمعنى أنزل القرآن على سبعة أحرف، أنه نزل على سبع لغات مختلفة في لفظها ومادتها. يفسر ذلك قول ابن مسعود: "هل ينظرون إلا زقية واحدة" مكان ﴿هل ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ .. فأنت ترى أن هذه القراءات التي عرضنا لها إنما هي مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات".

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ٢/٥٢١

وبعد أن يستطرد بحديث طويل عن القراءات للطبري، يقول الدكتور طه٦٥:______________٦٤ في الأدب الجاهلي، ص٩٤-٦٥.٩٦ في الأدب الجاهلي، ص١٠٣.." (١)

"الذاكرة الإنسانية مع طول العهد، من سهو أو نسيان، وبحكم ما في الطبيعة البشرية من ميل إلى العجب والزهو وحب الظهور والسيادة والسلطان، وميل إلى الشهرة وبعد الصيت.ومن هنا دخل الأدب الجاهلي -كغيره من الآداب الأجنبية القديمة- بعض النصوص الدخيلة، ورميت بعض نصوصه بالصنعة والاختلاق. واتهم بعض رواته بالتزوير والتزييف، ولكن الكثرة منهم كانوا من الدقة والأمانة بمنزلة جعلتهم أهلا للثقة بهم والاعتماد عليهم منذ أقدم العصور. ووجد من العلماء والنقاد من كانوا ذوي فطنة قوية، وذوق أدبي ممتاز! ومن طول ممارستهم للنصوص الأدبية القديمة، وترديدها، ومدارستها، تكونت لديهم خبرة فائقة بطبيعة هذه النصوص وخصائصها، لدرجة أنهم كانوا يستطعون تمييز الدخيل من الأصيل، وبهذا صفوا لنا كثيرا من النصوص الجاهلية، ودونوها بعد أن ثبت لهم بالأدلة القاطعة أنها صحيحة وأصيلة، ونبهوا على ما رفضوه، وما داخلهم شك فيه منها.وهؤلاء الرواة والعلماء والنقاد الثقات، لا نتوقع منهم إجماعا على كل نص من نصوص الأدب الجاهلي، وذلك شيء طبيعي، فكلهم لم يكونوا في عصر واحد، وكلهم لم يتلقوا من مصدر واحد، والأمزجة والأذواق تختلف فيما بينهم، فالقبائل العربية كثيرة، ولكل قبيلة شعراؤها، والشعراء لا حصر لهم، والنصوص كل منها يختلف عن غيره طولا وقصرا، وغرضا وموضوعا، وبحرا وقافية. فقد يحفظ الواحد منهم ما لا يحفظه غيره، وقد يحفظ في غرض، ويحفظ غيره في غرض أو أغراض أخرى، وقد يروق لأحدهم بحر أو قافية معينة، ويعجب غيره ببحر أو قافية أخرى. وقد يحفظ بعضهم القصائد الطوال، بعضهم القطع القصار، وقد يجمع نفر منهم بين هذا وذاك.وقد تدفع المنافسة في **حب الشهرة**، ونيل الحظوة، إلى الغيرة والحسد، وربما تقود إلى التشنيع والتشهير عن طريق الادعاء والافتراء، ومن ثم ينبغي ألا يعتمد على أقوال بعض الرواة التي تتضمن طعنا في نزاهة بعض زملائهم، خصوصا إذا كانوا من المتعاصرين، فالعبرة في نزاهة الشخص وأمانته بما شاع عنه من ناحية السيرة والسلوك والخلق، وما أجمع الكل على أمر إلا اشتهر وذاع، فمن عرف عنهم الأمانة والنزاهة، أهل للثقة بهم، والاعتماد عليهم.وما تقبله النقاد الأقدمون بنفس مطمئنة في ثقة ويقين، وما دونه الصدر الأول من العلماء والباحثين الثقات ليس لنا إلا أن نقبله ونصدقه؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بصحة الصحيح، وأصالة الأصيل، وزيف الباطل، وتزوير المصطنع، فنفوا خبثه وزوره، وأثبتوا." (٢)

"٧ــ الرثاء في شعر شوقي:

أكثر شوقي من الرثاء حتى عيب عليه ذلك فرد عن نفسه مدافعا:

يقولون: يرثي الراحلين فويحهم ... أأملت عند الراحلين الجوازيا؟

لم يتكسب برثائه ولكنه لم يرث بدافع من الحزن وحده، بل هناك دوافع شتى، كالمجاملة **وحب الشهرة**، ومرثيوه من طبقات مختلفة، سياسيون وأدباء وأجانب. . ومن خصائص رثائه ضعف العاطفة ــ حتى في أبويه ــ ثم التفلسف وكثرة الحكم،

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي علي الجندي ص/٢١٢

(٢) في تاريخ الأدب الجاهلي علي الجندي ص/٢٤٠

تقليدا للقدامى. فهو رثاء عقلي واع، يقوم على هذه العناصر مضافا إليها تعداد المناقب والمآثر، لنستمع إليه يرثي والده فينسى وصف حزنه بهذا التفلسف البارد:

أنا من مات ومن مات أنا ... لقي الموت كلانا مرتين

نحن كنا مهجة في بدن ... ثم صرنا مهجة في بدنين

وتموت أمه وهو منفي فلا يتمالك أن يتخذ من موتها فرصة لمعارضة قصيدة المتنبي في جدلة قافية ووزنا ومعنى، فيصيبه الإخفاق لما يبدو على قصيدته من التقليد الباهت، وبخاصة في الحكمة التي حاول أن يحاكي بها المتنبي، فجاءت فارغة جوفاء أو مسروقة محرفة:

إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما ... أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى

ولم أر حكما كالمقادير نافذا ... ولا كلقاء الموت من بينها حتما." (١)

(١) شعر شوقي في ميزان النقد محمد المجذوب ص/٨٨